تاريخ
مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف

تأليف

الإمام أبي البقاء محمد بن أحمد بن محمد
ابن الضياء المكي الحنفي
المتوفى سنة ٨٥٤ هجرية

تحقيق

علاء إبراهيم الأزهري   أيمن نصر الأزهري

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

الطبعة الثانية
٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف شارع البحتري بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون القبة مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١ +)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-0473-X



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، إنه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل الله فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ .

[سورة آل عمران : الآية ١٠٢]

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرًا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾ .

[سورة النساء : الآية ١]

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدًا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا﴾ .

[سورة الأحزاب : الآية ٧٠، ٧١]

أما بعد ...

فإن المتأمل فى أحوال هذا الخلق ، يلحظ بعين بصيرته وبصره ربوبية الله تعالى ووحدانيته ، وكمال حكمته وعلمه وقدرته ، وأنه الله الذى لا إله إلا هو ، فلا شريك له يخلق كخلقه ، ويختار كاختياره ، ويدبر كتدبيره ، فهذا الاختيار والتدبير ، والتخصيص المشهود أثره فى هذا الكون الواسع من أعظم آيات ربوبيته ، وأكبر شواهد وحدانيته ، وصفات كماله ، وصدق رسله ، فمن ذلك اختياره - سبحانه وتعالى - من الأماكن والبلاد خيرها وأشرفها ، وهى البلد الحرام ، والمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

خصائص البيت الحرام وفضائله :

فإن الله تعالى اختارهما لنبيه ﷺ ، واصطفى البلد الحرام بأن جعله مناسك لعباده، وأوجب الإتيان إليه من القرب والبعد من كل فج عميق ، فلا يدخلونه إلا متواضعين متخشعين متذللين ، كاشفى رؤوسهم ، متجردين عن لباس الدنيا ، وجعله حرمًا آمنًا ، لا يسفك فيه دم ، ولا تعضد به شجرة ، ولا ينفر له صيد ، ولا يختلى خلاه ، ولا تلتقط لقطته للتمليك بل للتعريف ليس إلا ، وجعل قصده مكفرًا لما سلف من الذنوب، ماحيًا للأوزار ، حاطًا للخطايا ، كما فى «الصحيحين» : عن أبى هريرة قال : قال رسول الله

ﷺ : «**من أتى هذا البيت ، فلم يرفث ، ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه**»[١]. ولم يرض لقاصده من الثواب دون الجنة ، ففي السنن عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «**تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب دون الجنة**»[٢]. وفي معناه ما جاء في «الصحيحين» عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»[٣]. ليس ذلك فحسب ، بل أقسم الله تعالى به في كتابه العزيز في موضعين منه ، فقال تعالى : ﴿**وهذا البلد الأمين**﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿**لا أقسم بهذا البلد**﴾[٥]. ومعنى القسم به في الموضعين التنويه بشأنه ، والإبانة عن شرفه ؛ لما أنه مكان البيت الذى هو هدى للعالمين ، ومولد سيد المرسلين ، ومبعث خاتم النبيين ، فليس على وجه الأرض بقعة يجب على كل قادر السعى إليها والطواف بالبيت الذى فيها غيرها ، وليس على وجه الأرض موضع يشرع تقبيله واستلامه ، وتحط الخطايا والأوزار فيه غير الحجر الأسود ، واستلام الركن اليماني ، وثبت عن النبى ﷺ أن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، فعن عبد الله بن الزبير عن النبى ﷺ أنه قال : «**صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدى هذا بمائة صلاة**»[٦]. وثبت في «الصحيحين» عن أبي هريرة مضاعفة الصلاة في المسجد الحرام على مسجد المدينة مطلقًا ، فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «**صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف**

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب الحج - باب فضل الحج المبرور - ح (١٥٢١ - فتح) ، ومسلم : كتاب الحج - باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة ح (١٣٥٠) واللفظ لمسلم .

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٨٧/١) ، والترمذى : كتاب الحج - باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة - ح (٨١٠) ، والنسائى : كتاب الحج - باب فضل المتابعة بين الحج والعمرة (١١٥/٥) .

(٣) أخرجه البخارى : كتاب العمرة - باب وجوب العمرة - ح (١٧٧٣ - فتح) ، ومسلم : كتاب الحج - باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة ح (١٣٤٩) .

(٤) سورة التين : الآية (٣) .

(٥) سورة البلد : الآية (١) .

(٦) أخرجه أحمد في المسند (٥/٤) بسند صحيح كما قال ابن القيم في زاد المعاد (٤٨/١) ، وابن حبان في صحيحه ح (١٦٢٠ - إحسان) .

صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام»[٧]. وهذا صريح فى أن المسجد الحرام أفضل بقاع الأرض على الإطلاق ، وسيأتى قريبًا إيضاح ذلك ، ولذلك كان شد الرحال إليه فرضًا ، ولغيره مما يستحب ولا يجب .

ومن خصائصها : كونها قبلة لأهل الأرض كلهم ، فليس على وجه الأرض قبلة غيرها ، وأنه يحرم استقبالها واستدبارها عند قضاء الحاجة فى الصحراء دون سائر بقاع الأرض .

ومن خواصها : أيضًا أن المسجد الحرام أول مسجد وضع فى الأرض ، كما فى «الصحيحين» عن أبى ذر قال : سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع فى الأرض ؟ فقال : «**المسجد الحرام**» . قلت : ثم أى ؟ قال : «**المسجد الأقصى**» . قلت : كم بينهما ؟ قال : «**أربعون عامًا**»[٨]. فإن الذى أسس المسجد الأقصى هو يعقوب بن إسحاق، وكان بينه وبين بناء إبراهيم - عليه السلام - هذا المقدار . والله أعلم .

ومما يدل على تفضيلها أن الله تعالى أخبر أنها أم القرى ، فالقرى كلها تبع لها وفرع عليها ، وهى أصل القرى ، فيجب ألا يكون لها فى القرى عديل .

ومن خصائصها : أنها لا يجوز دخولها لغير أصحاب الحوائج المتكررة إلا بإحرام ، على أحد القولين للشافعى وأحمد .

ومن خواصها : أنه يعاقب فيه على الهم بالسيئات وإن لم يفعلها ، قال تعالى: ﴿**ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم**﴾[٩]. فتأمل كيف عدى فعل الإرادة ها هنا بالباء ، ولا يقال : أردت بكذا إلا لما ضُمِّن معنى فعل «هم» ، فإنه يقال : هممت بكذا، فتوعد من هم بأن يظلم فيه بأن يذيقه العذاب الأليم .

ومنها : تضاعف مقادير السيئات فيه ، لا كمياتها ، فإن السيئة جزاؤها سيئة ، لكن سيئة كبيرة ، وجزاؤها مثلها ، وصغيرة جزاؤها مثلها ، فالسيئة فى حرم الله تعالى وبلده وعلى بساطه آكد وأعظم منها فى طرف من أطراف الأرض ، ولهذا ليس من عصى الملك على بساط ملكه كمن عصاه فى الموضع البعيد من داره وبساطه . والله أعلم .

---

(٧) أخرجه البخارى : فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة ح (١١٩٠ - فتح) ، ومسلم : كتاب الحج - باب فضل الصلاة بمسجدى مكة والمدينة ح (١٣٩٤) .

(٨) أخرجه البخارى : كتاب أحاديث الأنبياء ح (٣٣٦٦ - فتح) ، ومسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة ح (٥٢٠) .

(٩) سورة الحج : الآية (٢٥) .

ومنها : حرمة القتال فيه ، فقد نهى النبى ﷺ أصحابه عن قتال أحد ، إلا أن يبدأ أناسٌ المسلمين بالقتال ، وإلا ستة أفراد أمر رسول الله ﷺ بقتلهم أينما وجدوا .

فأما المشركون والملحدون فلا يتصور أن يقع قتالهم فيه ، فقد ثبت شرعًا أنه لا يجوز تمكين أحد يدين بغير الإسلام من الاستيطان بمكة باتفاق الأئمة ، بل ومن مجرد الدخول إليها عند الشافعية وكثير من المجتهدين ؛ لقوله تعالى : ﴿**إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا**﴾[١٠].

وأما البغاة - وهم من يعلنون البغى على الإمام الصالح - فقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أنهم يقاتلون على بغيهم إذا لم يمكن ردهم عن بغيهم إلا بالقتال ؛ لأن قتال البغاة من حقوق الله تعالى التى لا يجوز إضاعتها ، فحفظها أولى فى الحرم من إضاعتها ، وصوبه النووى .

وأما إقامة الحدود : فقد ذهب مالك والشافعى إلى أن الحدود تقام فى الحرم المكى؛ لما رواه البخارى ومسلم من قول عمرو بن سعيد قال : إن الحرم لا يعيذ عاصيًا ولا فارًّا بدم ولا فارًّا بخربة[١١]. وذهب أبو حنيفة وهو رواية عن أحمد إلى أنه آمن مادام فى الحرم ، ولكن يضيَّق عليه ويضطر إلى الخروج منه ، حتى إذا خرج استوفى منه الحد أو القصاص ، ودليله فى ذلك عموم النهى عن القتال فيه .والله أعلم .

خصائص المدينة وفضائلها :

لقد كرم الله تعالى المدينة وحباها وشرفها بكثير من الخصائص والفضائل التى ليست لغيرها ، فمن أعظم ما شرفها الله تعالى به أن جعلها مهجرًا لنبيه ﷺ وكهفًا لأوليائه وعباده الصالحين ، ومعقلاً وحصنًا منيعًا للمسلمين ، ودار هدى للعالمين ، فهى دار الإيمان وملجأه فثبت فى «الصحيحين» عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها** »[١٢]. وفى «الصحيحين» أيضًا عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «**أمرت بقرية تأكل القرى ، يقولون يثرب ، وهى**

---

(١٠) سورة التوبة : الآية (٢٨) .

(١١) أخرجه البخارى : كتاب العلم - باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب ح (١٠٤ - فتح) ، ومسلم : كتاب الحج - باب تحريم مكة وصيدها وخلاها ... ح (١٣٥٤) .

(١٢) أخرجه البخارى : كتاب فضائل المدينة - باب الإيمان يأرز إلى المدينة ح (١٨٧٦ - فتح) ، ومسلم: كتاب الإيمان - باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا .. ح (١٤٧) .

المدينة ، تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد»[١٣] . مما جعل الإمام مالك وجمهور أصحابه يذهب إلى تفضيل المدينة مستدلين بهذه الأحاديث ، وبما رواه الحاكم وغيره عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «**اللهم إنك أخرجتنى من أحب البلاد إلىّ فأسكنى أحب البلاد إليك**» فأسكنه الله المدينة[١٤] قال الحافظ ابن كثير فى «البداية والنهاية» : وهذا حديث غريب جدًّا ، والمشهور عن الجمهور أن مكة أفضل من المدينة ، إلا المكان الذى ضم جسد رسول الله ﷺ .اهـ. وقال ابن عبد البر : لا يختلف أهل العلم فى نكارته ووضعه ، وسئل عنه الإمام مالك ﷺ فقال لا يحل لأحد أن ينسب الكذب الباطل إلى رسول الله ﷺ .اهـ. وقال الطبرى : وعلى تقدير صحته فلا دلالة فيه ؛ لأن قوله : «**فأسكنى فى أحب البلاد**» . يدل سياقه فى العرف على أن المراد به بعد مكة ، فإن الإنسان لا يسأل ما أخرج منه ، فإنه قال : أخرجتنى فأسكنى ، فدل على إرادة غير المخرج منه فتكون مكة مسكوتًا عنها . اهـ. وأما الحديث الذى فيه المدينة خير من مكة ، لا يرد ؛ لأنه ضعيف . بل قيل : موضوع[١٥] ، وقد استدل الجمهور بأدلة كثيرة على تفضيل مكة ، وأشهرها ما رواه أحمد عن عبد الله بن الحمراء أنه سمع النبى ﷺ وهو واقف بالحزورة فى سوق مكة يقول : «**والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلىّ، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت**» . وسيأتى تخريجه عند الكلام على أهمية دراسة تاريخ مكة والمدينة .

ومن فضائلها : ما ورد فى فضل المسجد النبوى الشريف ، من كونه المسجد الذى أسس على التقوى ، وما ثبت فى «الصحيحين» عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، ومسجد بيت المقدس**»[١٦] . ، وثبت فى «الصحيحين» كذلك مضاعفة الصلاة فيه[١٧] . **ومن فضائلها**

---

(١٣) أخرجه البخارى : كتاب فضائل المدينة – باب فضل المدينة وأنها تنفى الناس – ح (١٨٧١ – فتح) ، ومسلم : كتاب الحج – باب المدينة تنفى شرارها – ح (١٣٨٢) .

(١٤) أخرجه الحاكم فى المستدرك (٣/٣) قال الذهبى : لكنه موضوع فقد ثبت أن أحب البلاد إلى الله مكة ، وسعد ليس بثقة . ا هـ .

(١٥) قاله فى الجامع اللطيف (ص ١٥٤) .

(١٦) أخرجه البخارى : كتاب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة ح (١١٨٩ – فتح) ، ومسلم : كتاب الحج – باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ح (١٣٩٧) .

(١٧) قد تقدم تخريجه فى خصائص مكة وفضائلها .

كذلك : ما ثبت فى «الصحيحين» عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : «**اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما بمكة من البركة**»[١٨]. ودعوته ﷺ مستجابة بلا شك ، ومنها : ما ثبت فى «الصحيحين» عن عائشة -رضى الله عنها- قالت قال رسول الله ﷺ «**اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت مكة أو أشد ، وصححها ، وبارك لنا فى صاعها ومدها ، وحول حماها إلى الجحفة**»[١٩]. ومنها : شدة محبته ﷺ للمدينة فقد ثبت فى البخارى عن أنس بن مالك كان النبى ﷺ إذا قدم من سفر فأبصر درجات المدينة أوضع ناقته ، وإن كانت دابة حركها قال أبو عبد الله البخارى : زاد الحارث بن عمير عن حميد حركها من حبها[٢٠]. ومنها : وجود الروضة الشريفة فى مسجده ﷺ فقد ثبت فى «الصحيحين» عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : «**ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ، ومنبرى على حوضى**»[٢١].

ومن الفضائل التى جمعت فى مكة والمدينة غير ما سبق

ما ثبت فى «الصحيحين» عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : «**على أنقاب المدينة ملائكة ، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**»[٢٢]. وفيهما عن أنس عن النبى ﷺ قال : «**ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافّين يحرسونها ، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات ، فيخرج الله كل كافر ومنافق**»[٢٣]. وفضائل مكة والمدينة كثيرة ، وفيما ذكرناه كفاية ، وسيأتى فى

---

(١٨) أخرجه البخارى : كتاب فضائل المدينة ح (١٨٨٥ - فتح) ، ومسلم : كتاب الحج - باب فضل المدينة ... ح(١٣٦٩) .

(١٩) أخرجه البخارى : كتاب فضائل المدينة ح(١٨٨٩ - فتح) ، ومسلم : كتاب الحج - باب الترغيب فى سكنى المدينة ، والصبر على لأوائها ح(١٣٧٦) .

(٢٠) أخرجه البخارى : كتاب العمرة - باب من أسرع ناقته إذا بلغ المدينة ح(١٨٠٢ - فتح) .

(٢١) أخرجه البخارى : كتاب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة - باب فضل ما بين القبر والمنبر ح (١١٩٦ - فتح) ، ومسلم : كتاب الحج - باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة ح(١٣٩١) .

(٢٢) أخرجه البخارى : كتاب فضائل المدينة - باب لا يدخل الدجال المدينة ح(١٨٨٠ - فتح) ، ومسلم : كتاب الحج - باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها ح (١٣٧٩) .

(٢٣) أخرجه البخارى : كتاب فضائل المدينة - باب لا يدخل الدجال المدينة ح (١٨٨١ - فتح) ، ومسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب قصة الجساسة - ح (٢٩٤٣) .

كلام المصنف بعضها . وبالله التوفيق .

أهمية دراسة تاريخ مكة والمدينة :

لما أظهر الله تعالى سر هذا التفضيل والاختصاص ، لبلده الحرام ومهجر رسول الإسلام ، فى انجذاب الأفئدة ، وهوى القلوب وانعطافها ومحبتها لهما ، فعن عبد الله بن عدى بن الحمراء ، أنه سمع رسول الله ﷺ وهو واقف على راحلته بالحزورة[٢٤] من مكة يقول : «**والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت**»[٢٥]. فمحبة ما أحب رسول الله ﷺ من الإيمان ، ليس ذلك فحسب بل كم أنفق فى حبهما من الأموال والأرواح ، ورضى المحب بمفارقة فلذ الأكباد والأهل والأحباب والأوطان ، مقدِّمًا بين يديه أنواع المخاوف والمتالف ، والمعاطف والمشاق مستصغرًا ذلك أمام تحصيل محبوبه .

فلما كان لهما هذه المكانة العالية ، فقد لزم على أهل الإيمان معرفة تاريخهما وما مر بهما من أمور عظام قبل مجىء الإسلام ؛ ليرى حفظ الله تعالى لهما ، وما حباهما من رعاية ، فإن لذلك عظيم الأثر فى قلوب المؤمنين ، زيادة فى محبتهما وتوقيرهما ، وسيمر بك إن شاء الله تعالى ما يؤيد ذلك من كلام المصنف ، وما سرده من أحداث .

وأما معرفة تاريخهما بعد مجىء الإسلام ، فهو أمر لا يخفى على ذى لب أهميته ، فهما مهبط الوحى على النبى ﷺ وفيهما عاش أشرف الخلق بعد النبيين - عليهم الصلاة والسلام - وقد صنف أهل العلم مصنفات كثيرة فى تاريخهما ، فمنهم من أفرد تاريخ مكة وأخبارها فى تصنيف مستقل مثل :

١ - أخبار مكة للأزرقى ت نحو ٢٥٠ هـ .

٢ - تاريخ مكة لعمر بن شبه ت ٢٦٢ هـ .

٣ - أخبار مكة للفاكهى ت ٢٧٢ هـ .

٤ - القرى فى أخبار أم القرى للمحب الطبرى ت ٦٩٤ هـ .

٥ - العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين للفاسى ت ٨٣٢ هـ .

٦ - شفاء الغرام للفاسى ت ٨٣٢ هـ .

---

(٢٤) الحزورة : موضع بمكة .

(٢٥) أخرجه أحمد فى المسند (٣٠٥/٤) ، والترمذى : كتاب المناقب - باب فضل مكة ح (٣٩٢٥)، وابن ماجه : كتاب المناسك - باب فضل مكة - ح (٣١٠٨) وقال الترمذى : حسن غريب صحيح، وفى التحفة (٣١٦/٥) قوله : حسن صحيح .

٧ - إتحاف الورى بأخبار أم القرى لابن فهد ت ٨٨٥ هـ .

٨ - الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف لابن ظهيرة القرشى ت ٩٨٦ هـ .

ومنهم من أفرد تاريخ المدينة وأخبارها فى تصنيف مستقل مثل :

١ - الدرة الثمينة فى أخبار المدينة لابن النجار ت ٦٤٣ هـ .

٢ - تاريخ المدينة لعمر بن شبه ت ٢٦٢ هـ .

٣ - التعريف بما آنست الهجرة محمد بن أحمد المطرى ت ٧٤١ هـ .

٤ - تحقيق النصرة فى تلخيص معالم دار الهجرة للمراغى ت ٨١٦ هـ .

٥ - التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة للسخاوى ت ٩٠٢ هـ .

٦ - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودى ت ٩١١ هـ .

ومنهم من جمع بين تاريخ مكة وأخبارها وتاريخ المدينة وأخبارها فى تصنيف واحد، كأمثال الإمام العلامة قاضى مكة ومفتيها **بهاء الدين أبى البقاء محمد بن أحمد بن عمر بن يوسف القرشى العمرى المكى الحنفى** ، **المعروف بابن الضياء** المتوفى سنة أربع وخمسين وثمانمائة من الهجرة «٨٥٤ هـ .» . فى كتابه : «**تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة المنورة والقبر الشريف**» .

أهمية الكتاب :

يعد هذا الكتاب شاملاً لكثير من الأحداث والوقائع التاريخية التى وقعت قبل الإسلام وبعده لبلد الله الحرام والمدينة النبوية ، بالإضافة إلى اهتمام المصنف بذكر معالم الحرمين وحدودهما وأهم المواضع والمزارات بهما ، مع تأخر وفاة المصنف - رحمه الله - مما أمكنه من الاطلاع على كثير من المصنفات التى سبقته فجمع شتات ما تفرق فيها من أقوال ونقولات ، ورتبه ونسقه على طريقة لم يسبق إليها ، كما ستراه واضحًا فى كلامه - رحمه الله - .

منهج المصنف فى كتابه :

قسم المصنف - رحمه الله - كتابه إلى بابين :

الباب الأول : فى تاريخ مكة المشرفة وما يتعلق بالكعبة الشريفة والمسجد الحرام وغير ذلك على سبيل الاختصار .

وقد قسم المصنف هذا الباب إلى عدة عناوين ، قد رأينا أنه من الأمثل تصديرها بلفظ [فصل] وهى مرتبة كالآتى :

- ما جاء فى مقام إبراهيم عليه السلام .
- ما جاء فى موضع المقام وكيف رده عمر إلى موضعه .
- ما جاء فى الذهب الذى على المقام ومن جعله عليه .
- ذكر ذرع المقام .
- ما جاء فى إخراج جبريل زمزم لأم إسماعيل .
- ما جاء فى حفر عبد المطلب بن هاشم زمزم .
- ذكر علاج زمزم فى الإسلام .
- ذكر فضل زمزم وخواصها .
- ذكر ذرع بئر زمزم .
- ذكر سقاية العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه .
- ذكر ذرع حد المسجد الحرام وما يتعلق بالنوم والوضوء .
- ذكر ما كان عليه المسجد الحرام وسعته وعمارته .
- ذكر عمل عمر بن الخطاب وعثمان رضى الله عنهما .
- ذكر بنيان ابن الزبير وعبد الملك بن مروان .
- ذكر عمارة الوليد بن عبد الملك .
- ذكر زيادة المهدى الأولى .
- ذكر زيادة المهدى الثانية .
- ذكر ذرع المسجد الحرام .
- ذكر عدد أساطين المسجد الحرام التى بالرواقات .
- ذكر عدد أبواب المسجد وأسمائها وصفتها .
- ذكر منارات المسجد الحرام .
- ذكر درج الصفا والمروة .
- ذكر آيات البيت الحرام زاده الله تشريفًا وتعظيمًا .
- ذكر الأماكن المباركة بمكة المشرفة وحرمها .
- ذكر السقايات بمكة المشرفة وحرمها .
- ذكر البرك بمكة وحرمها .
- ذكر الأبار بمكة وحرمها .
- ذكر عيون مكة وحرمها .

- ذكر المطاهر التى تمكنت بمكة المشرفة .

الباب الثانى : فى تاريخ المدينة وما يتعلق بالمسجد الشريف النبوى والحجرة المقدسة والمنبر الشريف وزيارة النبى ﷺ ومزارات المدينة والجوار بها وآداب الرجوع .

وقسمه إلى عدة فصول وهى :

- فى أول ساكنى المدينة وسكنى اليهود الحجاز ثم نزول الأوس والخزرج .
- فى ذكر فتح المدينة وهجرة النبى ﷺ وأصحابه إليها .
- فى ما جاء فى حرمة المدينة وغبارها وتمرها ودعائه ﷺ لها بالبركة .
- فى أودية المدينة الشريفة وآبارها المنسوبة إلى النبى ﷺ .
- فى ذكر جلاء بنى النضير من المدينة وحفر الخندق وقتل بنى قريظة بالمدينة .
- فى ذكر ابتداء بناء مسجد رسول الله ﷺ وما زيد فيه أو نقص منه .
- المساجد التى صلى فيها النبى ﷺ المعروفة بالمدينة وغيرها .
- فى ذكر وفاة رسول الله ﷺ وفيه ذكر وفاة أبى بكر ووفاة عمر .
- فى حكم زيارة رسول الله ﷺ وفضلها وكيفيتها .

وفى أثناء الكتاب يحيل المصنف إلى ما ذكره من فضائل الحرمين فى غير هذا الكتاب.

أهم الكتب التى اعتمد عليها المصنف :

اعتمد فى تاريخ مكة على : أخبار مكة للأزرقى ، وأخبار مكة للفاكهى ، والروض الأنف للسهيلى ، والقرى للمحب الطبرى ، وتفسير ابن عطية ، وتفسير القرطبى والتذكرة له.واعتمد فى تاريخ المدينة على : الدرة الثمينة لابن النجار ، وتاريخ المدينة جمال الدين المطرى وغير ذلك من الكتب وستراها فى موضعها .

توثيق الكتاب :

اقتصر من ترجم للمصنف على ذكر بعض مؤلفاته ولم يستوعبوا ذكرها ، وذكر السخاوى فى «الضوء اللامع» أن المقريزى ذكر له مؤلفات ، ولم يذكرها السخاوى فى كتابه المذكور ولا فى «التبر المسبوك» ، ولم نقف على اسم كتابنا هذا ضمن ما عُد من مؤلفات ابن الضياء ، ونص عليه الأستاذ الزركلى وأحال على فهرست الكتبخانة (٦٧/٣)، ومجلة المنهل للدهلوى (٢٩٧/٧) ، وبروكلمان S.2.222 ، وفى هامش بروكلمان (٣٢٩/٦) كتابه فى أحوال مكة والمدينة مخطوط بالقاهرة ، تاريخ (١٥٧٠)

ولكنه ليس فى الكتالوج .ا هـ. وهى نفس النسخة ، ولله الحمد . أضف إلى ذلك تصريح المصنف باسم الكتاب فى مقدمته .

وصف النسخة :

اعتمدنا على النسخة المصورة من دار الكتب المصرية برقم (١٥٧٠ - تاريخ)، وهى نفس النسخة الموجودة بمعهد المخطوطات تحت رقم (١٢٨ - تاريخ) ، وهى بخط مشرقى جيد ، منقوطة فى أكثرها ، وفى مواضع منها كلمات غير واضحة ، وفى بعضها طمس ، وقد تم استدراكها بحمد الله تعالى .

عدد الأوراق : ١٩٠ ورقة .

عدد الأسطر : ٢٣ سطرًا .

مقاس الصفحة ٩ X ٥, ١٦ سم تقريبًا .

نوع الخط : نسخى .

تاريخ النسخ : سنة ٩٢٤ هـ .

اسم الناسخ : أحمد بن عدى بن أبى الليث الحنفى .

تاريخ النقل : سنة ١٠٣٠ هـ .

اسم الناقل : على بن عاشور البرلسى الإدكاوى .

عملنا فى الكتاب :

١ - تم نسخ المخطوطة ، ومقابلتها على الأصل .

٢ - قمنا بعمل مقدمة فى خصائص مكة والمدينة وفضلهما .

٣ - قمنا بعمل ترجمة مفصلة عن المصنف - رحمه الله - .

٤ - تم ضبط النص حسب القواعد الإملائية .

٥ - حاولنا ضبط النص من خلال الرجوع إلى المصنفات التى ذكرها المصنف وغيرها مما لم يذكره .

٦ - أثبتنا كلام المصنف كما هو ، ونبهنا على وجه الصواب فى الهامش .

٧ - قمنا بوضع معكوفتين [ ] لما يحتاجه النص من استدراك ، ونبهنا على ذلك فى الهامش .

٨ - قمنا بوضع معكوفتين [ ] لما وجد زائدًا أو مكررًا فى المخطوطة ، والسياق يتم بدونه ، ونبهنا على ذلك فى الهامش .

٩ - قمنا بتخريج الآيات القرآنية .

١٠ - قمنا بتخريج الأحاديث النبوية ، وبيان درجة بعض الأحاديث بالرجوع إلى أقوال أهل العلم بقدر الاستطاعة .

١١ - شرحنا بعض الكلمات الغريبة .

١٢ - عرفنا ببعض البلدان والأماكن .

١٣ - قمنا بوضع كلمة [فصل] بين معكوفتين لكل عنوان ذكره المصنف في تاريخ مكة ، وقد ذكرها المصنف في تاريخ المدينة .

١٤ - أعددنا فهارس علمية تفيد القارئ .

ونسأل الله تعالى أن يتقبل عملنا هذا ، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به مؤلفه ومحققاه وكل من نظر فيه .. آمين . والحمد لله رب العالمين .

المحققان

القاهرة - حدائق القبة

٣ / رجب / ١٤١٧ هـ .

١٣ / ١١ / ١٩٩٦ م .

الورقة الأولى من المخطوطة

الورقة الأخيرة من المخطوطة

ترجمة المصنف

اسمه ونسبه :

هو بهاء الدين ، أبو البقاء ، محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن محمد بن عمر بن يوسف بن على بن إسماعيل المعروف بابن الضياء كأبيه ، القرشى العمرى المكى الحنفى .

ولادته:

ولد فى ليلة تاسع المحرم سنة تسع وثمانين وسبعمائة من الهجرة (٧٨٩ هـ .) فى مكة المكرمة ، وهو صاغانى الأصل .

نشأته :

نشأ فى مكة المكرمة ، وتلقى العلم على علمائها ، فحفظ القرآن فى صغره ، وحفظ متونًا ، وتلا القرآن بقراءة أبى عمرو على الشمس الحلبى ، ثم جمع السبع وقرأ بها على محمد الصعيدى ، وأخذ الفقه على أبيه بمكة .

أسرته :

بالنظر فى ترجمة المصنف يعلم أنه نشأ فى أسرة تحب العلم ، وتشجع عليه، فقد كان والده –رحمه الله– من فقهاء الحنفية مهتما بالعلم محبا له ، فقد وُلِد له أربعة من الأبناء كلهم علماء أعلام ، منهم المصنف .

وأخوه محمد الرضى أبو حامد ، الذى ولد فى أواخر رمضان سنة إحدى وتسعين وسبعمائة من الهجرة (٧٩١ هـ) وقيل فى التى قبلها ، له من التصانيف ، شرح الكنز وصل فيه إلى الظهار فى نحو مجلدين ، وجمع مجاميع وأشياء مهمة ، وحدث ودرس وأفتى ، وولى القضاء بعد موت المصنف ، وناب عن والده ثم عن المصنف ، يقول السخاوى عنه كما فى الضوء اللامع (٨٦/٢) : وكان إمامًا علامة مشاركًا فى فنون ، حسن الكتابة والتقييد ، عظيم الرغبة فى المطالعة والانتقاء . ا هـ . مات بمكة فى رجب سنة ثمان وخمسين وثمانمائة من الهجرة (٨٥٨ هـ .) رحمه الله .

وأخوه محمد الجمال أبو الوفاء بن الضياء الحنفى ، ولد فى ربيع الثانى سنة ست وتسعين وسبعمائة من الهجرة (٧٩٦ هـ .) وكان قاضيًا وإمامًا وخطيبًا بسولة بوادى نخلة ، ومات فى يوم الجمعة حادى عشر ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وثمانمائة من الهجرة (٨٤٤ هـ .) بخيف بنى عمير من أعمال مكة ، ودفن بالمعلاه – رحمه الله – .

محمد الضياء الكمال أبو البركات بن الضياء ، سمع النشاورى فمن بعده ، ومن الجمال الأميوطى صحيح مسلم فى سنة تسع وثمانين وسبعمائة ، وحفظ المختار و الكافية فى النحو وغيرهما ، وأجاز له العراقى والهيثمى وابن حاتم وابن عرفة وغيرهم ، وناب القضاء عن أبيه ثم عن أخيه ، ونزل له أبوه عن تدريس يلبغا ومشيخة رباط السدرة ، ونصف تدريس الزنجيلى وغيرها ، مات بمكة فى ليلة خامس المحرم سنة ثلاثين بضيق النفس بعد حكم حكمه نهارًا - رحمه الله - .

رحلاته :

لم يكتف المصنف بتعلم العلم داخل بلده ، بل دفعه حب العلم إلى مفارقة أسرته، فقد رحل غير مرة إلى القاهرة ، وسمع على العديد من علمائها منهم الشرف بن الكويك ، والجمال الحنبلى ، والشمسين الزراتيتى والشامى ، والحافظ ابن حجر العسقلانى صاحب الفتح وآخرون .

شيوخه :

وفى مقدمتهم أبوه فقد أخذ عنه الفقه والأصول والمعانى والبيان وأصول الدين وغير ذلك قراءة وبحثًا ، والجمال الأميوطى ، والمحب أحمد بن أبى الفضل النويرى ، وعلى ابن أحمد النويرى ، وابن صديق ، والشمس بن سكر ، والزين المراغى وممن أجاز له :

أبو هريرة بن الذهبى ، وأبو الخير بن العلائى ، ورسلان الذهبى ، والبلقينى ، وابن الملقن ، والعراقى ، والهيثمى ، وابن قوام ، والتنوخى ، وابن أبى المجد ، وطائفة .

وممن أخذ عنه بحثًا :

١ - والده - رحمه الله - وقرأ عليه المجمع عودًا على بدء ، ووالده أخذه عن النظام أبى الفتوح مسعود ويقال بزغش بن البرهان إبراهيم بن الشرف محمد الكرمانى إجازة عن مؤلفه المظفر أحمد بن على بن تغلب بن الساعاتى .

٢ - قارئ الهداية فى القاهرة .

٣ - الشمس المعيد وأخذ عنه النحو بمكة المكرمة .

٤ - العز بن جماعة وأخذ عنه الأصول والمعانى والبيان فى القاهرة .

٥ - النجم السكاكينى وأخذ عنه كذلك الأصول والمعانى والبيان .

٦ - الشمس بن الضياء السنامى وأخذ عنه الأصول .

٧ - الشهاب أحمد الغزى الشامى وأخذ عنه مختصر ابن الحاجب فى الأصول .

٨ - الشمس البرماوى وأخذ عنه جميع ألفيته فى الأصول مع غالب شرحها .

وقد تقدم معنا الذى قرأ عليهم أثناء رحلاته إلى القاهرة .

الآخذون عنه :

فقد أخذ عنه الأئمة كالمحيوى عبد القادر المالكى ، والسخاوى وأجاز له .

المناصب التى تولاها :

ناب فى القضاء بمكة عن أبيه ، ثم استقل بالقضاء بعد وفاة والده - رحمه الله - ثم أضيف إليه نظر الحرم والحسبة .

يقول ابن فهد فى إتحاف الورى (٦٠٩/٣) فى أحداث سنة سبع وعشرين وثمانمائة من الهجرة (٧٢٨ هـ .) - : وفيها ولى القاضى أبو البقاء بن الضياء الحنفى نظر الحرم الشريف والحسبة بمكة ، والنظر على المطهرة الزيتية بركة عوضًا عن أبى الفضل النويرى ، وعلى رباط كلالة عوضًا عن عبد القادر الحنبلى ، وكلاهما بحكم وفاته . اهـ. ثم انفصل عنهما خاصة .

ثناء العلماء عليه :

يقول السخاوى : تقدم وضرب فى العلوم بنصيب وافر . ويقول أيضًا : وكان إمامًا علامة متقدمًا فى الفقه والأصلين والعربية ، مشاركًا فى فنون ، حسن الكتابة والتقييد، عظيم الرغبة فى المطالعة والانتقاء . وقال أيضًا : بلغنى عن أبى الخير بن عبد القوى أنه قال : أعرفه أزيد من خمسين سنة ، وما دخلت إليه قط إلا ووجدته يطالع أو يكتب ، حدث ودرس وأفتى وصنف .

وقال ابن أبى عذيبة : قاضى مكة المشرفة وعالم تلك البلاد ومفتيها على مذهبه مع الجودة والخير والخبرة بدنياه ، سافر وطوف البلاد ، ومع ذلك لم تفته وقفة بعرفة منذ احتلم إلى أن مات ، ودخل بيت المقدس مرتين . اهـ. وذكره المقريزى فى عقوده وأثنى على سيرته .

وقال السيوطى فى «نظم العقيان» : تفرد بالشيخوخة فى مذهبه ببلاد الحجاز .

مؤلفات أبى البقاء :

فى التفسير : له كتاب سماه «المتدارك على المدارك» وصل فيه إلى آخر سورة هود ، ونقل أن والده - رحمه الله - أكمله . والله أعلم .

وفى الحديث : له «النكت على الصحيح» .

وفى الفقه : ١ - له شرح على مجمع البحرين سماه «المشرع فى شرح المجمع» فى أربع مجلدات، وفى البدر الطالع «المسرع» بالسين المهملة ، والأول هو الصحيح ، وذكره كذلك فى «كشف الظنون» .

٢ - «البحر العميق فى مناسك حج البيت العتيق» فى مجلدين كبيرين وفى الربع الأخير منه ، بعض حوادث مكة والكعبة والمسجد الحرام .

٣ - «تنزيه المسجد الحرام عن بدع جهلة العوام» فى مجلد .

٤ - شرح الوافى شرحين مطول ومختصر .

٥ - وشرح مقدمة الغزنوى فى العبادات ، وسماه «الضياء المعنوى» فى مجلدين .

وقال السخاوى فى «التبر المسبوك» : واسمه «الأدب المعنوى شرح مقدمة الغزنوى» .

أصول الفقه : شرح أصول البزدوى ، ولم يكمله ووصل فيه إلى القياس .

التاريخ : تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة المنورة والقبر الشريف وهو كتابنا هذا .

وفاته :

ذكرت المصادر أن أبا البقاء توفى فى ذى القعدة سنة أربع وخمسين وثمانمائة من الهجرة (٨٥٤ هـ .) عن عمر قدره خمس وستون سنة - رحمه الله - وعفا عنه وإيانا .

مصادر الترجمة :

١ - الضوء اللامع للسخاوى (٨٤/٧) .

٢ - التبر المسبوك للسخاوى (ص ٣٣٤) .

٣ - نظم العقيان للسيوطى (ص١٣٧) .

٤ - البدر الطالع للشوكانى (١٢٠/٢) .

٥ - الأعلام للزركلى (٣٣٢/٥) .

[مقدمة المؤلف]

بسم اللـه الرحمن الرحيم وبه ثقتى

وصلى اللـه على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين

وبعد ..

فهذا جزء مشتمل على ما يتعلق بأحوال مكة المشرفة والمسجد الحرام ، والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، وغير ذلك مما يتعلق بالمقصود.

جمعه الفقير إلى اللـه تعالى ، الشيخ الإمام العلامة ، حجة الإسلام والمسلمين، مفتى الأنام ببلد اللـه الأمين ، مرجع الطلاب والمدرسين ، قاضى القضاة ، شيخ الإسلام ، أبو البقاء محمد بهاء الدين بن الضياء المكى الحنفى القرشى العمرى العدوى ، جمعًا مرتبًا على بابين لم يسبق إليه ولا سبر غيره عليه ؛ رجاءً للثواب من الملك الوهاب ، واللـه المنعم وإليه المآب.

قال رحمه اللـه :

الباب الأول

فى تاريخ مكة المشرفة
وما يتعلق بالكعبة الشريفة والمسجد الحرام
وغير ذلك على سبيل الاختصار

[فصل]

ذكر ما كانت الكعبة عليه فوق الماء قبل خلق السموات والأرض

اعلم أن الله تعالى خلق العالم في ستة أيام ، ابتداؤها يوم الأحد والاثنين ؛ لقوله تعالى : ﴿ **أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين** ﴾[1]. وخلق الجبال يوم الثلاثاء ، والماء والشجر يوم الأربعاء ، والسماء يوم الخميس ، والشمس والقمر والنجوم والملائكة وآدم يوم الجمعة ، ولذلك سمي يوم الجمعة ؛ لأنه جمع فيه خلق كل شيء[2] قاله الشعبى حكاه الشهرستانى فى «أعلام النبوة» له ، وقال محمد بن عبد الله الكسائى فى «بدء الدنيا» له : أول ما خلق الله تعالى اللوح ثم القلم ثم الماء . قال : وكل شيء لايفتر عن تسبيحه فى وقت / [١/أ] عن وقت إلا الماء ، وتسبيحه : اضطرابه . وقيل : إنه بدأ بخلق السماوات قبل الأرض يوم الأحد والاثنين ؛ لقوله تعالى : ﴿ **فقضاهن سبع سموات فى يومين** ﴾[3] وقيل : خلق السماء دخانًا قبل الأرض ، وفتقها سبعًا بعد الأرض ؛ لقوله تعالى : ﴿ **ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين** ﴾.[4] قيل : إن ظهور الطاعة منهما قام مقام قولهما. وقيل : إنه تعالى خلق فيهما كلامًا نطق بذلك ، فنطق من الأرض موضع الكعبة ، ونطق من السماء ما بحيالها ، فوضع الله تعالى فيها حرمه ، قاله أبو نصر السَّكسَكى[5]. وفى هذا إشارة إلى اتصال حرمة البيت المعمور علويًا بحرمة البيت الحرام سفليًا ، وسيأتى الكلام عليه . وقيل : خلق الله الأشياء من يوم الأحد إلى

---

(١) سورة فصلت : الآية (٩) .

(٢) ورد نحو هذا اللفظ مرفوعًا من حديث ابن عباس، انظر تفسير الطبرى (٩٤/٢٥) ، وتاريخ الطبرى (٥٠/١) ، وأورد الحافظ ابن كثير هذا الحديث المرفوع وقال عقبه : هذا الحديث فيه غرابة . اهـ . انظر تفسير ابن كثير (٩٤/١) . وقال الطبرى فى تاريخه (١/ ٤٥) : وأولى القولين (يعنى ابتداء الخلق يوم الأحد أو يوم السبت) فى ذلك عندى بالصواب قول من قال : اليوم الذى ابتدأ الله – تعالى ذكره – فيه خلق السموات والأرض يوم الأحد ؛ لإجماع السلف من أهل العلم على ذلك اهـ . وقال فى (٥٤/١) : والصواب من القول فى ذلك عندنا ما رويناه عن النبى ﷺ وذكر الحديث عن ابن عباس مختصرًا ، وقال فى (٥٥/١) : والخبر الأول (يعنى : خبر ابن عباس) أصح مخرجًا وأولى بالحق ؛ لأنه قول أكثر السلف . ا هـ .

(٣) سورة فصلت : الآية (١٢) .

(٤) سورة فصلت : الآية (١١) .

(٥) ذكره القرطبى فى تفسيره (٣٤٤/١٥) ، وابن كثير فى التفسير (٩٣/٤) .

يوم الخميس ، وخلق في يوم الخميس ثلاثة أشياء : السماوات والملائكة والجنة ، إلى ثلاث ساعات بقيت من يوم الجمعة ، فخلق في الساعة الأولى الأوقات ، وفي الثانية الأرزاق ، وفي الثالثة آدم عليه السلام[1].

قال الثعلبي في كتابيه «العرائس» ، و«التفسير» - حين ذكر بدء الأرض - : إن الله تعالى خلق جوهرة خضراء ، ثم نظر إليها بالهيبة فصارت ماءً ، فخلق الأرض من زبده ، والسماء من بخاره ، فأول ما ظهر على وجه الأرض مكة . زاد غيره ثم المدينة ، ثم بيت المقدس ، ثم دحى الأرض منها طبقًا واحدًا ، ثم فتقها بعد ذلك وكذلك السماء[2]؛ لقوله تعالى : ﴿ **أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقًا ففتقناهما** ﴾.[3] ثم حمل الأرض على عاتق ملك ، والملك واقف على ياقوتة خضراء ، والياقوتة على سنام / [١/ب] الثور ، واسمه يونان حكاه الكسائي. والثور على صخرة خضراء ، وهي المذكورة في سورة لقمان[4] والصخرة على النون ، وهو الحوت ، واسمه لوثيا ، وقيل : بهمُوت.وقيل : بنمُوت، والحوت على البحر ، والبحر على الريح ، و الريح على القدرة ، وهذا الحوت الذي يأكل أهل الجنة كبده ، وهو المذكور في سورة ن والقلم[5]، وقيل المراد به : الدواة . فهذا بدء الدنيا[6].

وأول من سكن الأرض بعد الجن آدم وذريته إلى زمن نوح عليه السلام ، ثم قسم نوح الأرض بين أولاده : سام وحام ويافث . قيل : إن الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ ، اثنا عشر ألفًا للسودان ، وثمانية آلاف للروم ، وثلاثة آلاف لفارس ، وألف للعرب ، وقيل : الدنيا درهم خمسة أسداسه للروم : وحام

---

(١) هذا إشارة إلى الحديث المروى عن ابن عباس وقد تقدم الكلام عليه .

(٢) عرائس المجالس (ص ٥ ، ٦) ، والجامع اللطيف (ص ١٨) .

(٣) سورة الأنبياء : الآية (٣٠) .

(٤) في قوله تعالى : ﴿ يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير ﴾ سورة لقمان : الآية (١٦) .

(٥) في قوله تعالى : ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾ سورة القلم : الآية (١) .

(٦) هذه الأقوال وغيرها ذكرها البغوي في تفسيره (٤/٣٧٤ ، ٣٧٥) ، والناظر فيها يعلم أنها مأخوذة عن بني إسرائيل ومن كتبهم وقصصهم ومن افتراءاتهم ، ولا تصح عن أهل الإسلام ، فالأولى ألا يتتبعها العلماء وألا يعولوا عليها في تفاسيرهم إلا ليبينوا ما فيها من الأباطيل والخرافات . والله أعلم .

[أبو][1] السودان ، ويافث أبو الروم والترك ويأجوج ، وسام أبو العرب . وقيل : سام أبو العرب وفارس والروم ، وفارس والروم تنسب إلى جدهم روم بن عيص[2]. وقيل : بنو الأصفر ملوك الروم ، والأصفر اسم نتالوس بن روم أول ملوك الروم.

وقال وهب بن منبّه في كتابه «التيجان» : إن إسحاق ولِد له يعقوب وعيص، فيعقوب هو إسرائيل أبو الأسباط ، وهو بالعربي صفوة الله ، وعيص هو الأصفر، سمى به ؛ لأن النيروز كان عندهم عيدًا فحلته جدته سارة بالذهب في ذلك اليوم، ودخلت به على إخوته ، فقيل له : الأصفر ؛ لصفرة الذهب . وقيل : إنه كان أسمر إلى الصفرة ، وهو موجود في ذريته إلى اليوم[3]. وأما العرب فمن ولد إسماعيل ؛ لأن ولد إسماعيل نشأوا من عربه ، وعربُه من تِهامَة فنسبوا إليها وقال قتادة : الأرض عشرون ألف فرسخ ؛ اثنا عشر ألفًا للسند / [٢/أ] والهند ، وثمانية آلاف ليأجوج ومأجوج ، وثلاثة آلاف للروم والعجم ، وألف للعرب . ومعمور الأرض هو جزء من استواء الشمس على وسط كرة الأرض إلى البحر المحيط بالأرض ، وهو المسكون الذى قسمه نوح - عليه السلام - بين أولاده ، فقسْم سام وسط الأرض منه بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة وسيحون وجيحون ، وذلك ما بين قاسيون إلى شرقي النيل ، وما بين منخر[4] الريح الجنوبي إلى منخر الريح الشمالي ، ولحام قسمه [الريح][5] النيل [إلى][5] وما وراءه إلى منخر الريح الدبور ، وليافث من قاسيون وما وراءه إلى منخر الصَّبا . وقيل : إن العجم من وراء البحر مسيرة اثنتى عشرة سنة ، وبلاد الروم مسيرة خمس سنين ، وبلاد منسك عن يمين الدنيا مسيرة خمسة عشر[6] سنة ،وبلاد يأجوج مسيرة مائة سنة ، وقيل: الأرض ستة أجزاء خمسة منها ليأجوج ومأجوج وجزء للخلق حكاه

---

(١) في الأصل «أبى» والصواب ما أثبتناه .

(٢) في الحاشية كلمة غير واضحة . والله أعلم .

(٣) هذه الحكايات لعلها من القسم المنقول عن بنى إسرائيل ، أوردها أهل التواريخ فى كتبهم ، لاتصدق ولاتكذب ، بل يتوقف في صحتها ولا يعول عليها . والله أعلم .

(٤) منخر الريح - مأخوذ من نخرة الريح : أى شدة هبوبها . القاموس المحيط « نخر » .

(٥) كأنه مضروب عليها في الأصل . والله أعلم

(٦) كذا في الأصل ، والجادة «خمس عشرة» . والله أعلم .

القرطبي.وقال المنجمون : الأرض أربعة وعشرون قيراطًا العامر منها أربعة قراريط وكسر. وقيل : ما العامر في الخراب إلا كفسطاط في فلاة من الأرض حكاه [ابن] الجوزي[١] في « درياق القلوب »وقال في كتابه «المدهش»[٢] : الإقليم الأول: إقليم الهند ، والثاني : إقليم الحجاز ، والثالث : إقليم مصر ، والرابع : إقليم بابل، والخامس : «إقليم الشام»[٣]، والسادس : إقليم بلاد الترك ، والسابع : إقليم بلاد الصين ، «كل إقليم مائة فرسخ»[٤]، و«أوسطها»[٥] إقليم بابل[٦] وفيه العراق التي هي سرة الدنيا[٧]. والحجاز هو مكة والمدينة واليمن ونحاليفها وقراها، وسمى حجازًا ؛ لأنه حجز بين السرة ونجد . وقيل : لأنه حجز بين الشام والبادية وقيل: /[٢/ب] لأنه حجز بين نجد والعور .

. رجعنا إلى ما نحن فيه عن كعب الأحبار قال : كانت الكعبة غثاء على الماء قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بأربعين سنة ، ومنها دحيت الأرض[٨].وعن ابن عباس قال : لما كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السماوات والأرض ، بعث الله ريحًا هفافة فصفقت الماء فأبرزت عن خَشَفة[٩]،في موضع البيت كأنها قبة ، فدحى الله الأرض من تحتها فمادت ثم مادت فأوتدها بالجبال ، وكان أول جبل وضع فيها أبو قبيس فلذلك سميت مكة أم القرى[١٠]. وفي رواية : خلق الله موضع البيت قبل أن يخلق الأرض بألفى سنة ، وإن قواعده لفى الأرض السابعة السفلى[١١]. وأجمع العلماء على أن الكعبة أول بيت وضع للعبَّاد ، واختلفوا هل

---

(١) في الأصل « الجوزى » ولم يذكر « ابن » والصواب إثباتها . والله أعلم .

(٢) المدهش (ص ٥٧) .

(٣) في المدهش «إقليم الروم والشام» .

(٤) ليست هذه العبارة في المطبوع من المدهش .

(٥) في المطبوع من المدهش : «وأوسط الأقاليم» .

(٦) في المطبوع من المدهش بعد قوله «إقليم بابل» : وهو أعمرها وفيه جزيرة العرب .

(٧) إلى هنا انتهى كلام ابن الجوزى المنقول من المدهش . والله أعلم .

(٨)راجع أخبار مكة للأزرقي (٣١/١) ، تفسير ابن كثير (١٧٨/١) ، الروض الأنف (٢٢٢/١) .

(٩) قال الخطابي : الخَشَفة واحدة الخَشَف : وهي حجارة تنبت في الأرض نباتًا . وتُروى بالحاء المهملة وبالعين بدل الفاء .«النهاية» (٣٥/٢) .

(١٠) الجامع اللطيف (ص ١٩) ، وأخبار مكة للأزرقي (٣٢/١) .

(١١) أخبار مكة للأزرقي (٣٢/١) وهي عنده من قول مجاهد .

هو أول بيت وضع لغيرها أم لا[1] ؟ فقيل : كانت قبله بيوت . وجمهور العلماء على أنه أول بيت وضع مطلقًا .

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال : «**البيت المعمور الذى فى السماء يقال له : الضُّراح ، وهو على البيت الحرام لو سقط سقط عليه يعمره كل يوم سبعون ألف ملك لم يروه قط ، وإن فى السماء السابعة حرمًا على قدر حرمه**»[2]. رواه عبد الرزاق وفى رواية « **يدخله كل يوم سبعون ألف دحية مع كل دحية سبعون ألف ملك** » . والدحية[3] :رئيس الجند ، والضراح[4] بالضاد المعجمة وهو المشهور ، وقيل بالمهملة مضمومة بعدها راء ثم ألف ثم حاء مهملة ، وقال مجاهد : البيت المعمور - يعنى بالضاد - هو الضريح بالمعجمة ، والضريح فى اللغة البعيد . وعن النبى ﷺ /[٣/أ] قال : « **هذا البيت خامس خمسة عشر بيتًا ، سبعة منها فى السماء إلى العرش ، وسبعة منها إلى تخوم الأرض ، وأعلاها الذى يلى العرش البيت المعمور ، لكل بيت منها حرم كحرم هذا البيت ، لو سقط منها بيت لسقط بعضها على بعض إلى تخوم الأرض السفلى ، ولكل بيت من أهل السماء ومن أهل الأرض من يعمره ، كما يعمر هذا البيت** »[5].

[فصل]
ذكر بناء الملائكة الكعبة قبل آدم ومبتدأ الطواف

عن على بن الحسين - رضى الله عنهما - وقد سئل عن بدء الطواف

---

(١)تفسير ابن كثير (١٧٨/١ ، ٣٨٣) وصحح أنه كانت قبله بيوت ، وقال الحافظ فى الفتح (٦/ ٤٧٠) : وقد ورد ذلك صريحًا عن على أخرجه إسحاق بن راهويه وابن أبى حاتم وغيرهما بإسناد صحيح عنه .ا هـ . والبداية والنهاية (١٨٥/١) ، وتاريخ الطبرى (١/ ٢٥١) ، وتفسير الطبرى (٧/٢) ، والقرطبى (٤/ ١٣٧) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٢ /٥٥) .

(٢) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير (١١ / ٤١٧) ، وقال فى المجمع (٧ / ١١٤) : رواه الطبرانى وفيه إسحاق بن بشر أبو حذيفة وهو متروك . اهـ . والأزرقى (١/ ٤٩) ، وهو عند عبد الرزاق (٢٨/٥) من حديث كريب مولى ابن عباس مرفوعًا . والله أعلم .

(٣) النهاية (١٠٧/٢) .

(٤) الضريح : وهو البيت المعمور ، من المضارحة ، وهى المقابلة والمضارعة . ومن رواه بالصاد فقد صحف النهاية (٨١/٣) .

(٥) الأزرقى (٣٥/١) ، وعنه فى الدر المنثور (١٢٨/١) .

بالبيت : إن الله تعالى قال : ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾[1]. قالت الملائكة : أي رب أخليفة من غيرنا ممن يفسد فيها ويسفك الدماء ، فغضب عليهم فلاذوا بالعرش ورفعوا رؤوسهم وأشاروا بالأصابع يتضرعون ويبكون إشفاقًا لغضبه، فطافوا بالعرش ثلاث ساعات . وفي رواية : سبعة أطواف - يسترضون ربهم - فرضي عنهم ، وقال لهم : ابنوا لي في الأرض بيتًا يعوذ به كل مَن سخطت عليه مِن خلقي فيطوف حوله كما فعلتم بعرشي فأغفر له كما غفرت لكم فبنوا البيت»[2]. ويروى : أن الله تعالى بعث ملائكة ، فقال : ابنوا لي بيتًا على مثال البيت المعمور وقدره ففعلوا ، وأمر الله أن يطاف به كما يطاف بالبيت المعمور . وإن هذا كان قبل خلق آدم عليه السلام ، وقبل خلق الأرض بألفي عام ، وإن الأرض دحيت من تحته ، ولذلك سميت مكة أم القرى أي أصل القرى . ويروى : أنه كان قبل هبوط آدم ياقوتة من يواقيت الجنة ، وكان له بابان من زمرد أخضر شرقي وغربي وفيه قناديل من قناديل الجنة .

[فصل][3]

ذكر هبوط [٣/ب] آدم عليه السلام إلى الأرض وبنائه الكعبة وحجه وطوافه بالبيت .

عن ابن عباس قال : لما أهبط آدم إلى الأرض كان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض وهو مثل الفلك من رعدته . قال : فطأطأ الله - عز وجل - منه إلى ستين ذراعًا ، فقال : يا رب مالي لا أسمع أصوات الملائكة ولا حسهم قال : خطيئتك يا آدم ، ولكن اذهب فابن لي بيتًا فطف به ، واذكرني حوله كنحو ما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي . قال : فأقبل آدم يتخطى فطويت له الأرض وصارت كل مفازة يمر بها خطوة ، وقيض له ما كان من مخاض أو بحر فجعل له خطوة - وفي رواية : أن خطوه مسيرة ثلاثة أيام - ولم تقع قدمه في شيء من الأرض إلا صار عمرانًا وبركة حتى انتهى إلى مكة فبنى البيت الحرام ، وأن جبريل - عليه السلام - ضرب بجناحه الأرض فأبرز عن أس ثابت في الأرض السفلى فقذفتْ فيه الملائكة الصخر «ما يطيق»[4] الصخرة منها ثلاثون رجلاً ، وبناه من

---

(١) سورة البقرة : الآية (٣٠) .

(٢) الأزرقي (١/٣٢) مطولاً ، والروض الأنف (١/٢٢٢) مختصرًا .

(٣) ذكر الأزرقي هذا الفصل بعينه وأتبعه بفصول تندرج تحته (١/٣٦) .

(٤) كذا في الأصل ، وأشار محقق أخبار مكة للأزرقي إن كلمة «لا» ساقطة في جميع الأصول . اهـ . =

خمسة أجبل من : لبنان وطور زَيْتا وطور سيناء والجودى وحراء[1] حتى استوى على وجه الأرض . وقال ابن عباس : فكان أول من أسس البيت وصلى فيه وطاف به آدم -عليه السلام- حتى بعث الله الطوفان ، وكان غضبًا ورجسًا فحيث ما انتهى الطوفان ذهب ريح آدم ، ولم يقرب الطوفان أرض السند والهند . قال : فدرس موضع البيت فى الطوفان حتى بعث الله تعالى إبراهيم وإسماعيل فرفعا قواعده وأعلامه ، وبنته قريش بعد ذلك . ويروى أنه لما أهبط إلى الأرض بأرض الهند واشتد بكاؤه وحزنه وتاب الله عليه أُمِرَ / [٤/أ] بالسير إلى مكة حتى انتهى إليها، فعزَّاه الله بخيمة من خيام الجنة ووضعها له موضع الكعبة ، وتلك الخيمة ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة ، فيها ثلاث[2] قناديل من ذهب من تبر الجنة ، فيها نور يلتهب من نور الجنة ، ونزل معه الركن ياقوتة بيضاء من ربض الجنة وكان كرسيًّا لآدم -عليه السلام- يجلس عليه ، فلما صار آدم بمكة حرسه الله وحرس له تلك الخيمة بالملائكة ، كانوا يحرسونها ويذودون عنها ساكنى الأرض ، وسكانها يومئذ الجن والشياطين ، ولا ينبغى لهم أن ينظروا إلى شىء من الجنة ؛ لأنه من نظر إلى شيء من الجنة وجبت له ، والأرض يومئذ طاهرة نقية لم تنجس ولم تسفك فيها الدماء ولم يعمل فيها الخطايا ، فلذلك جعلها الله مسكن الملائكة وجعلهم فيها كما كانوا في السماء يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، وكان وقوفهم فى أعلام الحرم صفًّا واحدًا مستديرين بالحرم كله ، الحل من خلفهم والحرم كله من أمامهم فلا يجوز بهم جنى ولا شيطان ، فمن أجل مقام الملائكة حرم الحرم حتى اليوم ووضعت أعلامه حيث كان مقام الملائكة ، وحرم الله على حواء دخول الحرم والنظر إلى خيمة آدم من أجل خطيئتها فلم تنظر إليها حتى قبضت ، وكان آدم إذا أراد أن يلم بقاءً[3] للولد خرج من الحرم كله حتى يلقاها، فلم تزل خيمة آدم مكانها حتى قبضه الله ورفعها ، وبنى بنو آدم من بعدها مكانها بيتًا بالطين والحجارة فلم يزل معمورًا يعمرونه ومن بعدهم حتى كان زمن نوح فنسفه الغرق وخفى مكانه ، فلما بعث الله إبراهيم طلب الأساس فلما وصل

= يعنى أنها كالأصل وليست «ما لا يطيق» . والله أعلم .

(١) راجع الجامع اللطيف (ص ٧٧) ، وفى الروض الأنف (٢٢٣/١) «طور تينا» بدلاً من «طور سيناء». والله أعلم .

(٢) كذا فى الأصل ، وأخبار مكة للأزرقى والجادة ثلاثة . والله أعلم .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى «لقاء» . والله أعلم .

إليه / [٤/ب] ظلل الله مكان البيت بغمامة فكانت حفاف البيت الأول ، ولم تزل راكدة على حفافه تظل إبراهيم وتهديه مكان البيت حتى رفع القواعد قامة ثم انكشفت الغمامة . ويروى(١) أنه لما أهبطه الله إلى الأرض أهبطه إلى موضع البيت الحرام واشتاق إلى الجنة فأنزل الله عليه الحجر الأسود - وهو ياقوتة من يواقيت الجنة - فأخذه آدم فضمه إليه استئناسًا به ، فقيل له : تخطى يا آدم فتخطا فإذا هو بأرض الهند فمكث ما شاء الله ثم استوحش إلى الركن ، فقيل له : احجج فحج فلقيته الملائكة فقالوا: بر حجّك يا آدم فقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام .

وذكر الأزرقى(٢) أن الملائكة لقيته بالمأزمين - وفى رواية بالردم(٣) ، وفى رواية أخرى فى الطواف(٤) - ويروى : أنه أقام بمكة يعبد الله عند البيت فلم تزل داره حتى قبضه الله بها(٥) ويروى : أن الله تعالى أنزل البيت الحرام ياقوتة مجوفة مع آدم فقيل له : إن هذا بيتى أنزلته معك يطاف حوله كما يطاف حول عرشى ، ونزلت معه الملائكة فرفعوا قواعده من حجارة فوضع البيت عليه فلما أغرق الله قوم نوح رفعه إلى السماء وبقيت قواعده(٦).وعن ابن عباس قال : كان آدم أول من أسس البيت وصلى فيه(٧).وعنه قال : حج آدم فطاف بالبيت سبعًا فلقيته الملائكة فى الطواف ، فقالوا : بر حجك يا آدم أما إنا قد حججنا قبلك هذا البيت بألفى عام . قال : فما كنتم تقولون فى الطواف ؟ قالوا : كنا نقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . قال آدم : فزيدوا فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله . فزادت فيها ذلك ، ثم حج إبراهيم بعد بنائه البيت فلقيته الملائكة فى الطواف فسلموا عليه ، فقال لهم إبراهيم : ماذا / [٥/أ] كنتم تقولون فى طوافكم ؟ قالوا : كنا نقول قبل أبيك آدم : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . فقال آدم : زيدوا فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(١) ذكر الأزرقى نحوه بسنده عن ابن عباس (٣٩/١) .

(٢) الأزرقى (٤٥/١) .

(٣) الأزرقى (٤٤/١) .

(٤) الأزرقى (٤٥/١) .

(٥) الأزرقى (٣٩/١) عن محمد بن إسحاق .

(٦) الأزرقى (٤٠/١) عن كعب .

(٧) الأزرقى (٤٠/١) .

فقال إبراهيم : زيدوا فيها العلى العظيم ففعلت الملائكة ذلك[1].

وعن وهب بن منبه قال : إن آدم - عليه السلام - لما أهبط إلى الأرض استوحش لما رأى من شعثها[2] ، ولم ير فيها أحدًا غيره ، فقال : يارب أما لأرضك هذه عامر يسبحك فيها ويقدس لك غيرى . قال : سأجعل فيها من ذريتك من يسبح بحمدى ويقدس لى ، وسأجعل فيها بيوتًا ترفع لذكرى ويسبحنى فيها خلقى ، وسأبوئك فيها بيتًا أختاره لنفسى وأختصه بكرامتى وأوثره على بيوت الأرض كلها ، باسمى فأسميه بيتى وأنطقه بعظمتى وأحوزه بحرماتى وأجعله أحق بيوت الأرض كلها وأولاها بذكرى ، وأضعها[3] فى البقعة التى اخترت لنفسى فإنى اخترت مكانه يوم خلقت السماوات والأرض ، وقبل ذلك قد كان بغيتى ، فهو صفوتى من البيوت ولست أسكنه ، وليس ينبغى لى أن أسكن البيوت ولا ينبغى لها أن تسعنى، ولكنى على كرسى الكبرياء والجبروت وهو الذى يستقل بعرشى وعليه وضعت عظمتى ، ثم هو بعد ذلك ضعيف عنى لولا قوتى ، أجعل ذلك البيت لك ولمن بعدك حرمًا وأمنًا ، أحرم بحرماته ما فوقه وما تحته وما حوله، فمن حرمه بحرماتى فقد عظم حرماتى ، ومن أحله فقد أباح حرماتى ، ومن آمن أهله فقد استوجب بذلك أمانى ، ومن أخافهم فقد أخفرنى فى ذمتى ، ومن عظم شأنه عظم فى عينى ، ومن تهاون به صغر فى عينى ؛ ولكل ملك حيازة ما حواليه وبطن مكة خيرتى وحيازتى وجيرانُ / [٥/ب] بيتى ، وعمارها وفْدِى وأضيافى فى كنفى ضامنون علىَّ فى ذمتى وجوارى ، فأجعله أول بيت وضع للناس وأعمره بأهل السماء والأرض ، يأتونه أفواجًا شعثًا غبرًا على كل ضامر يأتين من كل فج عميق، يعجون بالتكبير عجيجًا ، ويرجُّون بالتكبير رجيجًا ، وينتحبون بالبكاء نحيبًا ، فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارنى ووفد إلىّ ونزل بى ، ومن نزل بى فحقيق على أن أتحفه بكرامتى ، وحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وأن يسعف كل واحد منهم بحاجته ، تعمره يا آدم ما كنت حيًّا ثم تعمره من بعدك الأمم والقرون [و][4] الأنبياء ، أمة بعد أمة وقرن بعد قرن ونبى بعد نبى حتى ينتهى ذلك إلى نبى من ولدك وهو خاتم النبيين فأجعله من عماره وسكانه وحماته

---

(١) الأزرقى (١/٤٥ ، ٤٦) .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى الأزرقى « سعتها» . والله أعلم .

(٣) هكذا فى الأصل ، والسياق يقتضى «وأضعه» . والله أعلم .

(٤) ليست فى الأصل ، والسياق يقتضيها . والله أعلم .

وولاته وسقاته يكون أمينى عليه ما كان حيًا ، وأجعل اسم ذلك البيت وذكره وشرفه لنبى من ولدك قبل هذا النبى وهو أبوه يقال له : إبراهيم ، أرفع له قواعده وأقضى على يديه عمارته وأنيط له سقايته ، وأريه حله وحرمه وأعلمه مناسكه ومشاعره وأجعله أمة واحدة قانتًا إلىّ ، بأمرى أجتبيه وأهديه إلى صراط مستقيم ، أستجيب له فى ولده وذريته من بعده وأشفعه فيهم فأجعلهم أهل ذلك البيت وولاته وحماته ، وسقاته وخدّامه وخزانه وحجابه ، حتى يبتدعوا ويغيروا ، فإذا فعلوا ذلك فأنا أقدر القادرين على أن أستبدل من أشاء بمن أشاء ، أجعل إبراهيم أهل ذلك البيت وأهل تلك الشريعة يأتم به مَن حضر تلك المواطن من جميع الإنس والجن يطأون فيها آثاره ويتبعون فيها سنته ويقتدون فيها بهديه ، فمن فعل ذلك /[٦/أ] منهم أوفى نذره واستكمل نسكه ، ومن لم يفعل ضيع نسكه وأخطأ بغيته، فمن سأل عنى يومئذ فى تلك المواطن أين أنا ؟ فأنا مع الشعث الغبر الموفين بنذورهم المستكملين مناسكهم المستهدين إلى ربهم ، وليس هذا الأمر الذى قصصت عليك يا آدم شأنه يزايدنى فى ملكى ولا عظمتى وسلطانى ، إلا كما زادت قطرة من رشاش وقعت فى سبعة أبحر تمدها من بعدها سبعة أبحر لا تحصى بل القطرة أزيد فى البحر من هذا الأمر فى شيء مما عندى من الغنى والسعة الحديث رواه الأزرقى[١]. ويروى عن عطاء أنه أهبط آدم – عليه السلام – معه بيت وكان يطوف به والمؤمنون من ولده كذلك إلى زمان الغرق ثم رفعه الله فصار فى السماء وهو الذى يدعى البيت المعمور[٢] ذكره الحليمى فى كتاب «منهاج الدين» له ، وقال : يجوز أن يكون معنى ما قاله قتادة : من أنه أهبط مع آدم بيت . أى : أهبط معه مقدار البيت المعمور طولاً وعرضًا وسمطًا ثم قيل له : ابن بقدره وخياله[٣] فكان خياله[٣] موضع الكعبة فبناها فيه ، وأما الخيمة فقد يجوز أن تكون أنزلت وضربت فى موضع الكعبة فلما أمر ببنائها فبناها كانت حول الكعبة ؛ طمأنينة لقلب آدم ما عاش ثم رفعت . فتتفق هذه الأخبار[٤].

وفى رواية : لما فرغ آدم من بناء البيت خرج به الملك إلى عرفات ، فأراه

---

(١) (١/٤٦ – ٤٨) وفيه ألفاظ منكرة .

(٢) تفسير القرطبى (٢/١٢١) وذكر أنه روى عن قتادة ، وما ذكره المصنف بعد ذلك يدل على أنه قوله . والله أعلم .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى تفسير القرطبى « وبخياله » ، و« حياله » . والله أعلم .

(٤) راجع تفسير القرطبى (٢/١٢١) .

المناسك كلها التى يفعلها الناس اليوم ، ثم قدم به مكة وطـاف بـالبيت أسبوعًا ، ثم رجع إلى أرض الهند .

[فصل]

ما جاء فى رفع البيت المعمور من الغرق وبناء ولد آدم البيت بعده وطواف سفينة نوح بالبيت ، وأثر / [٦/ب] الكعبة بين نوح وإبراهيم واختيار إبراهيم عليه السلام موضع البيت .

عن مجاهد قال : بلغنى أنه لما خلق الله السماوات والأرض كان أول شـىء وضعه فيها البيت الحرام ، وهو يومئذ ياقوتة حمراء لها بابان شرقى وغربى ، فجعله مستقبل البيت المعمور ، فلما كان زمن الغرق رفع فـى ديباجتين وهـو فيهما إلى يوم القيامة ، واستودع الله الركن أبا قبيس(١). وفـى روايـة : بعـث جـبريل حتى خبأه فى أبى قبيس ؛ وفى روايـة : رفـع إلى السـماء ؛ وقـال ابـن عبـاس : كــان ذهبًا فرفع زمان الغرق(٢) ، وقال ابن جريج : كان بمكة البيت المعمور فرفع زمـان الغرق فهو فى السماء(٣). ويروى : أن آدم - عليه السـلام - قـال : أى رب إنـى أعرف شقوتى إنى لا أرى شيئًا من نورك بعد ؛ فـأنزل اللـه البيـت المعمـور علـى عرض البيت فى موضعه من ياقوتة حمراء ، ولكن طوله كما بـين السـماء والأرض وأمره أن يطوف به ؛ فأذهب الله عنه الغم الذى كان يجد ، ثـم رفـع علـى عهـد نوح(٤).

وعن وهب بن منبه قال : لما رفعت الخيمـة التـى وضعـت بمكـة فـى موضـع البيت ومات آدم ، بنى بنو آدم من بعده مكانها بنيانًا بالطين والحجارة ، فلم يزل معمورًا يعمرونه هم ومن بعدهـم حتـى كـان زمـن نـوح فنسَفه الغرق(٥) ، وفـى رواية: أول من بنى البيت بالطين والحجارة شيث - عليه السلام - وعن ابن عباس قال : كان مع نوح -عليه السـلام- فـى السفينة ثمـانون رجـلاً معهـم أهلوهـم ، وكانوا فى السفينة مائة وخمسين يومًـا ، وأن اللـه تعـالى وجـه السـفينة إلى مكـة فدارت بالبيت أربعين يوماً وجهها إلى الجودى فاستقرت عليه فبعث نـوح / [٧/أ]

---

(١) الأزرقى (١/ ٥٠ ، ٥١) .

(٢) الأزرقى (١/ ٥١) .

(٣) فى الأزرقى قال ابن جريج قال جويبر .. وذكره (١/ ٥١) .

(٤) الأزرقى عن مقاتل يرفع الحديث (١/ ٥١) .

(٥) الأزرقى (١/ ٥١) .

الغراب ؛ ليأتيه بخبر الأرض فذهب و لم يرجع فوقع في الجيف وأبطأ عنه ، فبعث بالحمامة فأتت بورق الزيتون ولطخت رجلها بالطين ، فعرف نوح أن الماء قد نضب فهبط إلى أسفل الجودى فابتنى قرية ، فأصبحوا ذات يوم قد تبلبلت[1] ألسنتهم على ثمانين لغة ، أحدها العربى وكان لا يفقه بعضهم كلام بعض ، وكان نوح -عليه السلام- يعبر عنهم[2].

وعن مجاهد : أنه كان موضع البيت قد خفى ودرس من الغرق بين نوح وإبراهيم -عليهما السلام- قال : فكان موضعه أكمة حمراء مدرة لا يعلوها السيول، وكان يأتيه المظلوم من أقطار الأرض ويدعو عنده المكروب فقَلَّ من دعا هنالك إلا استجيب له ، وكان الناس يحجون إلى موضع البيت حتى بوأ الله مكانه لإبراهيم[3].

وعن عثمان بن ساج قال : بلغنا أن إبراهيم عرج به إلى السماء فنظر إلى الأرض مشارقها ومغاربها فاختار موضع الكعبة ، فقالت له الملائكة : يا خليل الله اخترت حرم الله فى الأرض ، فبناه من حجارة وسبعة أجبل ، وقيل : خمسة، وكانت الملائكة تأتى بالحجارة إلى إبراهيم من تلك الجبال[4].

[فصل]

ما جاء فى إسكان إبراهيم ابنه إسماعيل وأمه فى بدء أمره عند البيت

عن مجاهد : أن الله تعالى لما بوأ لإبراهيم مكان البيت خرج إليه من الشام وخرج معه بابنه إسماعيل وأمه هاجر ، وإسماعيل طفل مرضع وحملوا على البراق ومعه جبريل يدله على موضع البيت ومعالم الحرم ، وجعل إبراهيم -عليه السلام- لا يمر بقرية من القرى إلا قال إبراهيم : أبهذا أمرت ؟ / [٧/ب] فيقول له جبريل: امض حتى قدم مكة ، وهى إذ ذاك عضاه[5] من سلم وسمر ، وبها العماليق خارجًا عن مكة فيما حولها ، والبيت يومئذ ربوة حمراء مدرة ، فقال إبراهيم لجبريل : أهاهنا أمرت أن أضعهما ؟ قال : نعم . فعمد بهما إلى موضع الحجر فأنزلهما فيه ، وأمر هاجر أم إسماعيل تتخذ فيها عريشًا، ثم قال:﴿ **ربنا إنى**

---

(١) تغيرت واختلفت .

(٢) الأزرقى (١/٥٢) .

(٣) الأزرقى (١/٥٢ ، ٥٣) .

(٤) الأزرقى (١/٥٣) .

(٥) يقال لكل شجر عظيم له شوك . النهاية (٣/٢٥٥) .

أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ﴾[1] الآية . ثم انصرف إلى الشام وتركهما عند البيت[2] . قال ابن جريج : وبلغني أن جبريل قال لأم إسماعيل -فأشار بها إلى موضع البيت- : هذا أول بيت وضع للناس ، وهو بيت الله العتيق ، واعلمي أن إبراهيم وإسماعيل يرفعانه للناس ويعمرانه ، فلا يزال معمورًا محرمًا مكرمًا إلى يوم القيامة، فَـاتت[3] أم إسماعيل قبل أن يرفعه إبراهيم وإسماعيل ، فدفنت في موضع الحِجر[4].

[فصل]

ما جاء في نزول جرهم مع أم إسماعيل الحرم

يروى أنه لما أخرج الله ماء زمزم لأم إسماعيل -بينما هي على ذلك- مر ركب من جرهم قافلين من الشام في الطريق السفلي ، فرأى الركب الطير على الماء ، فقال بعضهم: ما كان بهذا الوادي من ماء ولا أنيس ، فأرسلوا جريين[5] لهم حتى أتيا أم إسماعيل فكلماها ، ثم رجعا إلى ركبهما فأخبراهم بمكانهما ، فرجع الركب كلهم حتى حيوها فردت عليهم ، فقالوا : لمن هذا [المال][6] ؟ قالت أم إسماعيل : هو لي . قالوا لها : أتأذنين لنا أن ننزل معك عليه ؟ قالت : نعم . قال النبي ﷺ : «**ألفى ذلك أم إسماعيل ، وقد أحبت الأنس**»[7] .فنزلوا وبعثوا إلى أهاليهم فقدموا وسكنوا تحت الدوح ، واعترشوا عليها العُرش فكانت معهم هي وابنها /[٨/أ] حتى ترعرع الغلام ونفسوا فيه وأعجبهم ، وتوفيت أم إسماعيل. وطعامهم الصيد يخرجون من الحرم ويخرج معهم إسماعيل فيصيد ، فلما بلغ أنكحوه جارية منهم . فأقبل إبراهيم من الشام يقول : حتى أطالع تركتي ، فقدم مكة فوجد امرأة إسماعيل فسألها عنه ، فقالت : هو غائب ولم تكن[8] له في

---

(١) سورة إبراهيم : الآية (٢٧) ، وسقط من الأصل قوله تعالى : ﴿ ذي ﴾ .

(٢) الأزرقي (١/٥٤) .

(٣) كذا في الأصل ، وفي أخبار مكة للأزرقي « فماتت » وبها يتضح المعنى . والله أعلم .

(٤) الأزرقي (١/٥٦) .

(٥) جريين – مثنى جرى – : وهو الرسول . النهاية (١/٢٦٤) ، وراجع الفتح (٦/٤٦٤) .

(٦) كذا في الأصل ، وفي الأزرقي «الماء» .

(٧) أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب يزفون النسلان في المشي ح (٣٣٦٤ – فتح) عن ابن عباس ، وذكر فيه القصة بنحوها .

(٨) كذا في الأصل ، وفي أخبار مكة للأزرقي «تلن» والذي هنا بمعنى : تسر . والله أعلم .

القول ، فقال لها : قولى لإسماعيل : قد جاء بعدك شيخ كذا وكذا ، وهو يقرأ عليك السلام ويقول لك : غير عتبة بيتك فإنى لم أرضها لك . وكان إسماعيل كلما جاء يسأل أهله هل جاءكم أحد بعدى ؟ فلما رجع سأل أهله ، فقالت امرأته :قد جاء بعدك شيخ فنعتته له ، فقال لها إسماعيل : قلتِ له شيئًا . قالت : لا . قال : فهل قال لك شيئًا . قالت : نعم ، اقرئى عليه السلام وقولى له : غير عتبة بيتك فإنى لم أرضها لك . قال إسماعيل : أنت عتبة بيتى فارجعى إلى أهلك ، فردها إسماعيل فأنكحوه امرأة أخرى اسمها سامة بنت مهلهل ، وقيل : عاتكة[1] ثم لبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث ، ثم رجع إبراهيم فوجد إسماعيل غائبًا ووجد امرأته الأخرى ، فوقف فسلم فردت عليه السلام واستنزلته وعرضت عليه الطعام والشراب ، فقال : ما شرابكم وطعامكم ، قالت : اللحم والماء .فقال : هل من حب أو غيره من الطعام ؟ قالت : لا . قال : بارك الله لكم فى اللحم والماء . قال النبى ﷺ: «**لو وجد عندها يومئذ حبًا لدعا لهم بالبركة فيه ؛ فكانت تكون أرضًا ذات زرع**». ثم ولى إبراهيم وقال : قولى له : قد جاء بعدك شيخ فقال : إنى وجدت عتبة بيتك /[٨/ب] صالحة فأقرَّها[2] .

[فصل]

ما جاء فى بناء إبراهيم الكعبة

قال الله تعالى : ﴿ **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت** ﴾[3] أى : يبنى القواعد وهى الأساس جمع قاعدة[4] . عن ابن عباس قال : لبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث ، ثم جاء الثالثة فوجد إسماعيل قاعدًا تحت الدوحة التى إلى ناحية الستر[5] يبرى نبلاً له فسلم عليه ونزل عليه فقعد معه ، فقال إبراهيم : يا إسماعيل إن الله قد أمرنى بأمر . فقال إسماعيل : أطع ربك فيما أمرك - ويروى : أنه

---

(١) كذا فى الروض (١/ ١٧) .

(٢) الأزرقى (١/ ٥٧ ، ٥٨) ، والحديث أخرجه البخارى : كتاب أحاديث الأنبياء - باب يزفون النسلان فى المشى ح (٣٣٦٤،٣٣٦٥ - فتح) بنحوه ، ومختصرًا فى النسائى الكبرى (٥/ ١٠٠) ، ومسند الإمام أحمد (١/ ٥٣ ، ٣٤٧، ٣٦٠) ، وراجع تاريخ الطبرى (١/ ٢٥٥) .

(٣) سورة البقرة : الآية (١٢٧) .

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ١٧٥) ، والبخارى (٨/ ١٩ - فتح) ، وتفسير القرطبى (٢/ ١٢٠) ، وتفسير الطبرى (١/ ٥٤٦) .

(٥) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى « البئر » . والله أعلم .

قال:وتعينني.قال : وأعينك[1] - فقال إبراهيم : أمرني ربي أن أبني له بيتًا .قال له إسماعيل : وأين هو ؟ فأشار له إلى أكمة مرتفعة على ما حولها عليها رضراض[2] من حصباء يأتيها السيل من نواحيها ولا يركبها ، فقاما يحفران عن القواعد ويقولان : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا تقبل منا إنك سميع الدعاء . ويحمل له إسماعيل الحجارة على رقبته ويبني إبراهيم ، فلما ارتفع البنيان وشق على إبراهيم تناوله قرب له هذا الحجر - يعني المقام - فكان يقوم عليه ويبني ويحوله في نواحي البيت ، حتى انتهى إلى وجه البيت ، فلذلك سمي مقام إبراهيم لقيامه عليه[3].

وفي رواية لابن عباس : أنه لما جاء إبراهيم إلى إسماعيل ورآه قام إليه فصنعا كما يصنع الولد بالوالد والوالد بالولد ، وبكيا حتى أبكيا أو أجابتهما الطير[4] .

وقال مجاهد : أقبل إبراهيم ومعه السكينة والصُّرد والملك من الشام دليلاً ، حتى تبوءا البيت الحرام ، كما تبوأت العنكبوت بيتًا ، وكان للسكينة رأس كرأس الهرة وجناحان . وفي رواية : / [٩/أ] كأنها غمامة أو ضبابة في وسطها كهيئة الرأس يتكلم ، وفي رواية : هي ريح خجوج لها رأس ، وفي رواية : لها رأسان ، وفي رواية : لها وجه يتكلم وهو بعد ريح هفافة ، وفي رواية : لها رأس كرأس الإنسان ، وقيل : السكينة الرحمة[5].

قال السهيلي : والسكينة من شأن الصلاة . قال ﷺ : «**وأتوها وعليكم السكينة**»[6][7] . فجعلت علمًا على قبلتها حكمة من الله سبحانه . فقالت السكينة: يا إبراهيم ربِّض على البيت ، فلذلك لا يطوف بالبيت ملك من هذه

---

(١) الأزرقي (١/٦٠) ، وتفسير الطبري (١/٥٥٠) .

(٢) الرِّضْراض : الحصى ، أو صغارها . القاموس المحيط (رضّ) .

(٣) تفسير ابن كثير (١/١٧٧) ، وتفسير الطبري (١/٥٥٠) ، والأزرقي (١/٥٨،٥٩) ، وتاريخ الطبري (١/٢٥٩) .

(٤) الأزرقي (١/٦٠) ، وتفسير الطبري (١/٥٥٠) .

(٥) الأزرقي (١/ ٦٠ - ٦٦) ، وتاريخ الطبري (١/٢٥١) ، وتفسير الطبري (١/٥٥١) .

(٦) أخرجه البخاري : كتاب الأذان - باب لا يسعى إلى الصلاة وليأت بالسكينه والوقار - ح (٦٣٦ ، ٩٠٨ - فتح) ، ومسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينه ح (٦٠٢) عن أبي هريرة مرفوعًا .

(٧) الروض الأنف (١/٢٢٣) .

الملوك ولا أعرابى نافر ولا جبار إلا رأيت عليه السكينة[1]. وفى رواية : قالت السكينة ورأيتها تتكلم يا إبراهيم : خذ قدرى من الأرض لا يزيد ولا ينقص ، فخط فذلك بكة وما حواليها مكة[2]. وفى رواية : قالت له : يا إبراهيم إن ربك يأمرك أن تخط قدر هذه السحابة ، فجعل ينظر إليها ويأخذ قدرها ، فقال له رأس السكينة : قد فعلت . قال : نعم ، فارتفعت السحابة[3] ، وفى رواية : أن الغمامة لم تزل راكدة تظل إبراهيم وتهديه مكان القواعد حتى رفع القواعد قامة ، ثم انكشفت الغمامة فأبرز عن أس «يانت»[4] من الأرض فبناه إبراهيم[5] ، وفى رواية: فحفر فأبرز عن ربض أمثال حلف الإبل ، لا يحرك الصخرة إلا ثلاثون رجلاً[6] ، وفى رواية : لما بعث الله إبراهيم ليبنى البيت ، طلب الأساس الأول الذى وضعه بنو آدم فى موضع الخيمة التى عزى الله بها آدم من خيام الجنة ، حين وضعت له بمكة فى موضع البيت ، فلم يزل إبراهيم يحفر حتى وصل / [٩/ب] إلى القواعد التى أسس بنو آدم فى زمانهم فى موضع الخيمة ، فلما وصل إليها ظلل الله له مكان البيت بغمامة ، ولم تزل راكدة تظل إبراهيم وتهديه مكان القواعد حتى رفع القواعد قامة ، ثم انكشفت الغمامة ، وكان إبراهيم يبنى فى كل يوم سافًا ، ومكة يومئذ شديدة الحر ، وإسماعيل يناوله الحجارة[7].

قال ابن عباس : أما والله ما بنياه بقصة ولا مدر ولا كان معهما من الأعوان والأموال ما يسقفانه ، ولكنهما أعلماه وطافا به[8] ، وفى رواية : ورضماه رضمًا فوق القامة ولم يسقفاه . والرضم[9] : أن ينضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط ، فلما ارتفع البنيان قرب إسماعيل لإبراهيم المقام ، فكان

---

(١) الأزرقى (١/٦٠) ، والربض : الأساس .

(٢) الأزرقى (١/٦٠ ، ٦١) .

(٣) الأزرقى (١/٦٠) .

(٤) تقرأ هكذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى « ثابت » وهو الصواب . والله أعلم .

(٥) الأزرقى (١/٦٠) وهى فى هامش النسخة فى (جـ) من الأزرقى .

(٦) الأزرقى (١/٦٠) .

(٧) الأزرقى (١/٦١ ، ٦٢) ، والساف : الصف من اللبن أو الحجارة فى البناء .

(٨) الأزرقى (١/٦٢) والقصَّة : الجص .

(٩) الرضمة : واحدة الرضم والرضام ، وهى دون الهضاب ، وقيل : صخور بعضها على بعض . النهاية (٢/٢٣١) .

إبراهيم يقيم عليه ويبنى ويحوله إسماعيل فى نواحى البيت .

قال السهيلى : بناه من خمسة أجبل ،كانت الملائكة تأتيه بالحجارة منها ، وهى : طور سيناء وطور زيتا اللذين بالشام،والجودى وهو بالجزيرة ولبنان[(١)] وحراء - هكذا ذكر السهيلى أن لبنان بالحرم ، وهما بالحرم - قال : وانتبه لحكمة الله كيف جعل بناءها من خمسة أجبل ، فشاكل ذلك معناها إذ هى قبلة للصلوات الخمس وعمود الإسلام وقد بنى على خمسة[(٢)]. انتهى .وقيل : إن قواعده من حراء[(٣)]. وفى رواية : أسس البيت من خمسة ، وفى رواية : وكان ربضه من حراء . قال الخليل : والربض[(٤)] ههنا الأساس المستدير بالبيت من الصخر[(٥)] ، ويروى : أن ذا القرنين قدم مكة وهما يبنيان ، فقال : ما هذا ؟ فقالا: نحن عبدان مأموران أمرنا بالبناء . فقال : فهاتا البينة على ما تدعيان فقامت خمسة أكبش ، فقلن : نشهد أن إبراهيم / [١٠/أ] وإسماعيل عبدان مأموران بالبناء . فقال : قد رضيت وسلمت ومضى[(٦)]. فلما انتهى إبراهيم فى البناء إلى موضع الحجر الأسود قال لإسماعيل : اذهب فائتنى بحجر أضعه هنا ؛ ليكون علمًا للناس يبتدئون منه الطواف - وفى رواية : ليقتدى الناس به - فذهب إسماعيل إلى الوادى يطلب حجرًا ، فأتاه بحجر فلم يرضه ، فذهب فطلب حجرًا آخر ، فجاء جبريل بالحجر الأسود - وفى رواية : نزل به من الجنة - وفى رواية: جاء به من أبى قبيس ؛ لأنه كان استُودع أبو قبيس الركن زمان الغرق على ما قيل - وفى رواية : لما غرقت الأرض استودع الله أبا قبيس الحجر الأسود ، وقال: إذا رأيت خليلى يبنى لى بيتًا فأعطه إياه . فلما ابتغى إبراهيم -عليه السلام- الحجر الأسود ناداه من أبى قبيس ألا أنا هذا فرقى إليه إبراهيم فأخذه

---

(١) لبنان - تثنية لبن - وهما جبلان قرب مكة . معجم البلدان « لبن » .

(٢) الروض الأنف (٢٢٣/١) ، وراجع تفسير ابن كثير (١/ ١٧٩) فقد ذكر نحوه عن عطاء ، وقال: وهذا صحيح إلى عطاء ولكن فى بعضه نكاره ، والذى فى الروض « طور تينا » بدلاً من «طور سيناء» والذى عند ابن كثير كما هنا . والله أعلم .

(٣) الأزرقى (٦٣/١) عن قتادة قال : ذكر لنا ... إلخ .

(٤) الرُّبض - بضم الراء وسكون الباء - : أساس البناء ، وقيل : وسطه ، وقيل : هو والرَّبض سواء ، كسُقْم وسَقَم . النهاية مادة «ربض» .

(٥) انظر قول الخليل هذا فى تفسير القرطبى (١٢١/٢) .

(٦) راجع البداية والنهاية (١٥٥/١) ونقله عن ابن أبى حاتم .

فوضعه بالموضع الذى هو فيه اليوم- وفى رواية : صاح أبـو قبيـس يا إبراهيـم يا خليل الرحمن إن لك عندى وديعة فخذها ، فإذا هو بحجر أبيض من ياقوت الجنة ، فجاء إسماعيل فوجد إبراهيم قد وضع الحجر فى مكانه ، فقال : يا أبـت مـن أيـن لك هذا الحجر ؟ قال : جاءنى بـه مَـن لم يكلنـى إليـك ولا إلى حجـرك[1] -وفـى رواية : من عند من لم يتكل على بنائى وبنائك - وفى رواية : وضع جبريل الحجر فى مكانه وبنى عليه وهو حينئذ يتلألأ تلألؤًا من شدة بياضه ، فأضـاء نـوره شـرقًا وغربًا ويمنًا وشامًا ، فكان نوره يضىء إلى منتهى أنصاب الحرم من كل ناحية مـن نواحى الحرم ، وقيل : إنما شدة سـواده ؛ لأنـه أصابـه الحريـق مـرة بعـد مـرة فـى الجاهلية والإسلام ؛ فأما حريقه فى الجاهلية فإنه /[١٠/ب] ذهبت امرأة فـى زمـن قريش تجمر الكعبة ، فطارت شرارة فى أستار الكعبة ، فـأحرقت الكعبـة فاحـترق الركن الأسود واسود وتوهنت الكعبة ، وكان هو الذى هاج قريشًـا علـى هدمهـا وبنائها . وأما حريقه فى الإسلام ففى عصر ابن الزبير أيام حاصره الحصين بن نمـير الكندى ، احترقت الكعبة واحترق الركن فتفلق ثلاث فلق حتـى شـعَبه ابـن الزبـير بالفضة[2] ، وقيل : سواده لمعنى آخر وتقدم فى باب الفضـائل . وجعـل إبراهيـم طول البيت فى السماء تسعة أذرع ، وعرضه فى الأرض اثنين وثلاثـين ذراعًـا مـن الركن الأسود إلى الركن الشامى الذى هو عند الحجر من وجهه ، وجعل عرض[3] ما بين الركن الشامى إلى الركن الغربى الذى فيه الحجـر اثنـين وعشـرين ذراعًـا ، وجعل عرض ظهرها من الركن الغربى إلى الركن اليمـانى أحـدًا وثلاثـين ذراعًـا ، وجعل عرض شقها اليمانى من الركن الأسود إلى الركن اليمانى عشـرين ذراعًـا ، فلذلك سميت الكعبة ؛ لأنها على خلقة الكعب ، وكذلك بنيان أساس آدم - عليـه السلام - وجعل بابها بالأرض غير مبوب ، حتى كان تبع أسود الحميرى هو الذى جعل لها بابًا وغلقًا فارسيًا وكساها كسـوة تامـة ونحـر عِندهـا . وجعـل إبراهيـم الحجر إلى جنب البيت عريًا[4] من أراك يقتحمُه الغير فكان زربًا لغنـم إسمـاعيل - عليه السلام - وحفر إبراهيم - عليـه السـلام -جبًـا فـى بطـن الكعبـة علـى يمـين

---

(١) انظر تفسير القرطبى (١٢٢/٢) .

(٢) أورد الأزرقى هذه القصة بنحوها (١/ ٦٥ ، ٦٦) ، وكذلك ابن أبى حاتم فى التفسير (آل عمران) الآيه : (٩٦) ، وكذلك الطبرى فى التاريخ (٢٥١/١) ، والتفسير (٦٩/٣ ، ٧٠).

(٣) ملحقة فى هامش الأصل .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى « عريشًا » والمعنى مستقيم . والله أعلم .

مَن دخله يكون خزانة البيت ، يلقى فيه ما يهدى للكعبة ، وهو الجبّ الذى نصب عليه عمرو بن لحى هبل الصنم التى كانت قريش تعبده وتستقسم / [١١/أ] عنده بالأزلام حين جاء به من هيت من أرض الجزيرة[١]. قال القرطبى فى التفسير فى سورة البقرة : روى أن إبراهيم وإسماعيل لما فرغا من بناء البيت أعطاهما الله الخيل جزاءً عن رفع قواعد البيت . وعن ابن عباس قال : كانت الخيل وحشًا كسائر الوحوش ، فلما أذن لإبراهيم وإسماعيل برفع القواعد قال الله تعالى : إنى معطيكما كنزًا ادخرته لكما ، ثم أوحى إلى إسماعيل أن اخرج إلى أجياد فادع يَأْتِك الكنز ، فخرج إلى أجياد ولا يدرى ما الدعاء ولا الكنز فألهمه فلم يبق على وجه الأرض فرس بأرض العرب إلا أجابته ، فأمكنه من نواصيها وذللها له فاركبوها واعلفوها فإنها ميامين وهى ميراث أبيكم إسماعيل[٢] . وسمى الفرس فرسًا ؛ لأنه يفترس مسافات الجو افتراس الأسد وثُوبًا ويقطعها بيديه خبطًا وتناولاً، وسمى خيلاً ؛ لأنها موسومة بالغر ، وسمى عربيًا لأنه أعطيه إسماعيل ، وإسماعيل عربى فصارت له نحلة من الله .

قال الثعلبى فى «العرائس» : وكان إبراهيم عبرانيًّا وإسماعيل عربيًّا فألهم الله أحدهما لسان صاحبه ، فكان إبراهيم يقول : رب هب لى كينا - يعنى هات حجرًا- فيقول له إسماعيل : هناك فخذه[٣] .

وقال المرجانى فى «بهجة النفوس» : وكان إبراهيم يتكلم بالعبرانية وكذلك إسماعيل وإسحاق ، وذلك أن إبراهيم لما خرج هرب من كوثى[٤] وخرج من النار عبر الفرات ولسانه سريانى فغير لسانه ، فقيل : عبرانى حيث عبر الفرات فبعث نمرود فى أثره ، وقال : لا تدَعوا مَن يتكلم بالسريانية إلا ائتونى به ، فوجدوا إبراهيم يتكلم بالعبرانية فتركوه / [١١/ب] ولم يعرفوه ، وكان سن إبراهيم- عليه السلام - حين أمر ببناء البيت مائة سنة ، وسن إسماعيل ستة وثلاثين سنة ، وفى رواية ذكرها الأزرقى : إن سن إسماعيل يومئذ عشرون سنة .

واعلم أن إبراهيم - عليه السلام - أول نبى بعد نوح ، وأول من لبس

---

(١) أخبار مكة للأزرقى (١/٦٤ ، ٦٥) .

(٢) تفسير القرطبى (٢/١٢٢) .

(٣) (ص ٨٨) .

(٤) كُوثى - بالضم ثم السكون ، والثاء مثلثة ، وألف مقصورة تكتب بالياء ، لأنها رابعة الاسم ، إلى أن قال : وكوثى فى ثلاثة مواضع بسواد العراق فى أرض بابل وبمكة «معجم البلدان» مادة (كوثى).

السراويل، وجاريته قنطورا هي أم الترك ، اختتن بالقدوم[1] ، وقيل : بالقدوم المعروف ، وقيل: موضع يقال له : القدوم بالقدوم ، وكان له يوم اختتن ثمانون سنة [2] ، وقيل : مائة وعشرون ، وعاش بعدها ثمانين سنة[3] ، وقيل : مات وعمره مائتا سنة[4] ، وقيل : مائة وخمس وتسعون[5] سنة ، ودفن عند قبر سارة[6]، واختتن إسماعيل لثلاثة عشر شهرًا ، وإسحاق لسبعة أيام ، وكان عمر إبراهيم يوم ألقي في النار ستة عشر سنة ، وبردت النار تلك الليلة ، وفي ذلك الصباح في سائر أقطار الأرض فلم ينتفع أحد في الدنيا بنار ، وسموا تلك الليلة نيروزًا ، والنيروز بالسرياني عيد وكان استدلاله بالكواكب وهو ابن خمسة عشر شهرًا ، وأنزل عليه عشرون صحيفة بالخط السرياني .

وأما نوح - عليه السلام - فهو أول رسول أرسله الله إلى الأرض[7] حكاه ابن عساكر ، ونزل الطوفان بعد مضى ستمائة سنة من عمره ، وقيل : دعا قومه تسعمائة سنة وخمسين سنة ، وكان له قبل دعائه ثلاثمائة سنة ، وعاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة ، وقيل : عاش بعد الطوفان خمسمائة عام ، وأرسل الطوفان لثلاث عشرة خلت من آب ، وركب نوح الفلك لعشرين خلون من رجب ، وصام نوح رجب في السفينة ، وجرت بهم السفينة إلى يوم عاشوراء حكاه

---

(١) القدوم : قيل : هي قرية بالشام ، ويروى بغير ألف ولام ، وقيل القدوم - بالتخفيف والتشديد - : قدوم النجار «النهاية» مادة (قدم) ، وقال في الفتح (٤٤٩/٦) : والراجح في الحديث : الآلة . اهـ . وقال : النووي في شرح مسلم (١٢٢/١٥) : والأكثرون على التخفيف وعلى إرادة الآلة . اهـ .

(٢) أخرجه البخاري : كتاب الأنبياء - باب قول الله تعالى : ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾ ح (٣٣٥٦ - فتح) . ومسلم : كتاب الفضائل : باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم . ح (٣٣٧٠) من حديث أبي هريرة مرفوعًا .

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٢٠٤ ، ٦٢٠٥ - الإحسان) ، وكذا في كتاب العقيقة لأبي الشيخ ذكره في الفتح (٤٥٠/٦) ، وفي تاريخ ابن عساكر موقوفًا على أبي هريرة ، راجع «البداية والنهاية» (١٦٣/١) والأوائل لأبي القاسم الطبراني (٣٦) .

(٤) هذا على رواية ابن حبان المتقدمة ، وفيها « وعاش بعد ذلك ثمانين سنة » . والله أعلم .

(٥) كذا في الأصل ، وفي تاريخ الطبري « مائة وخمس وسبعون » والله أعلم .

(٦) راجع تاريخ الطبري (٣١٢/١) .

(٧) الوسائل إلى معرفة الأوائل (١٨) وقال السيوطي : أخرجه ابن أبي حاتم عن أنس مرفوعًا ، وقاله السدي . اهـ .

/ [١٢/أ] عكرمة ، وقيل : أقام على الماء نحو سنة ، وقيل : أربعين يومًا ، وقيل : أربعين سنة قاله وهب فى كتاب «التيجان» ، وقيل : أمطر أربعين يومًا وغاض الماء بعد مائة وخمسين يومًا حكاه الشهرستانى ، وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وصامه نوح ومن معه من الوحش ، وقيل : إن يوم القيامة يكون يوم عاشوراء ويوافق يوم الجمعة ، وأرست السفينة على الجودى وهو بأرض الجزيرة شمالاً ويسمى الناظر، وقيل : هو جبل فردى بقرب الموصل ، وكان خشب السفينة من جبل لبنان ، وعملها نوح بدمشق وأول ما حمل فيها النملة[١] ، وقيل : الأوزة ، وآخر ما حمل الحمارة[٢] ، ولم يكن فى الأرض قبل الطوفان نهر ولا بحر ، ومياه البحار بقية الطوفان ، وحمل فى السفينة ثمانية أنفس : نوح وزوجته غير التى عوقبت ، وبنوه الثلاث وزوجاتهم[٣] ، وقيل : كانوا سبعة وأسقط امرأة نوح[٤]. وقيل : كانوا عشرة ، وقيل : سبعين وقيل : ثمانين . وعنه ﷺ قال : «**بقى من خشبها - يعنى السفينة - شىء أدركه أوائل هذه الأمة**» . وحمل نوح - عليه السلام - جسد آدم معه فى السفينة ، وكان مولد نوح بعد موت آدم بثمانمائة سنة ، ولم يعقب أحد ممن كان معه بالسفينة وإنما عقب أولاده ، قال تعالى : ﴿ **وجعلنا ذريته هم الباقين** ﴾[٥]. وهم سام وحام ويافث . وبعد الطوفان بستمائة سنة وسبعين ،كان تبلبُل الألسن فافترقت اثنين وسبعين لسانًا : فى ولد سام تسعة عشر ، وفى ولد حام سبعة عشر، وفى ولد يافث ستة وثلاثون ، وكان سببه وقوع الصرح الذى بناه / [١٢/ب] هامان لفرعون وكان طول الصرح إلى السماء خمسة آلاف ذراع -وقيل : فرسخين ، كان فيه خمسون ألف بنّاء فتبلبلت الألسن ومات ألفا ألف. ومولد الخليل إلى تبلبل الألسن أربعمائة سنة وإحدى عشرة سنة ، ومن مولده أيضًا إلى مولد موسى أربعمائة وخمس وعشرون سنة ، ومن هبوط آدم إلى مجىء الطوفان - على ما قاله اثنان وسبعون حبرًا من بنى إسرائيل نقلوا التوراة إلى اليونانية -: بينهما ألفان ومائتان واثنان وأربعون سنة ، وإلى وفاة موسى ثلاثة

---

(١) الدر المنثور (٣/٣٣١) ، وتفسير الطبر ى (١٥/٣١٤) ، وتاريخ الطبرى (١/١٨٤) من حديث ابن عباس موقوفًا .

(٢) تفسير القرطبى (٩/٣٧) عن ابن عباس موقوفًا .

(٣) تفسير القرطبى (٩/٣٥) وهو قول قتادة والحكم بن عتيبة وابن جريج ومحمد بن كعب .

(٤) تفسير القرطبى (٩/٣٥) وهو قول الأعمش .

(٥) سورة الصافات : الآية (٧٧) .

آلاف وثمانمائة وثمانية وستون سنة .

وقال آخرون من بنى إسرائيل المقيمين علـى العبرانيـة التـى يتداولها جمهور اليهـود فـى وقتنـا : إن مـن هبـوط آدم إلى مجـىء الطوفـان ألـف وستمائة وست وخمسون سنة ، ومن انقضاء الطوفان إلى تبلبل الألسن مائة وإحدى وثلاثون سنة، ومن التبلبل إلى مولد الخليل مائة وإحدى وستون سنة ، ومن مولـده عليـه السـلام إلى وفاة موسى خمسمائة وخمس وأربعون سنة ، ومن وفاته عليه السلام إلى ابتداء ملـك بختنصـر تسـعمائة وثمـان وسـبعون سـنة ، [و](١) إلى ملـك الإسـكندر ألـف وأربعمائة وثلاث عشرة سنة ، وولد عيسى لسبع مائة وتسع وثلاثين سنة من ملك بختنصر ولثلاثمائة وأربع وستين سنة من ملك الإسكندر ، ومن ملك بختنصَّـر(٢) إلى ابتداء الهجرة ألف وثلاثمائة وتسـع وسـتون سـنة ، ومـن ملـك بختنصَّـر إلى ابتـداء الهجرة تسعمائة وخَمس وستون سـنة ، فكـان بـين موسـى وابتـداء الهجـرة ألفـان وثلاثمائة وسبع وأربعون سنة ، ومولد عيسى بعد ألف وسبعمائة وسبع عشرة سـنة من موت موسى ، وقيل : / [١٣/أ] ستمائة وثلاثين سنة من ابتداء الهجرة .

ويروى الكلبى عن ابن عباس : إن الناس خرجـوا مـن السـفينة ببـابل ، ثـم ضاقت بهم حتى نزلوا موضع بابل اثنا عشر فرسخاً فى مثلها ، وكان سورها عنـد النيل وبابها يومئذ عند باب وردان ، فملكهم يومئذ نمرود بـن كنعـان بـن حـام ، فلما كفروا بلبل اللـه ألسنتهم على اثنين وسبعين لساناً ، وفهم اللـه العربية عمليق وغيرهم من بنى سام ، فنزلت العماليق صنعاء ثم تحولت فنزلت بمكة ، وقيـل : لمـا تبلبلت الألسن سلبوا اللسان السريانى إلا أهل الجودى ، وأجرى جبريل على لسان كل أمة لغة ، وأفصح عابر بالعربية وتكلم مع عابر جميع إخوته وبنو عمه ما خـلا الفرس فإنها تكلمت بالعجمى ، وأول من تكلم باللسان العربى عزقيل بن سـاروم ابن خاموز بن قنالخ بن أرفخشذ ، وأول من جرت الفارسية على لسانه شاهور بن خاموز بن باقر بن سام ، وأول من جرت الحبشية على لسانه سلحب بن باداد بـن زباهاش بن شوعان بن كوش بن حام بن نوح ، فهذه أصول الألسـن . وقـال ابـن الجوزى : وأول من تكلم بالعربية إسماعيل عليه السلام ، وأول من كتـب بالعربيـة مرامر بن مروة من أهل الأنبار . وقال السهيلى : وعنه ﷺ أنـه قـال: «**أول مـن كتب بالعربية إسماعيل**» . قال أبو عمرو : وهذه الرواية أصح من رواية مَـن روى:

---

(١) ليست فى الأصل ، والسياق يقتضى وضعها . والله أعلم .

(٢)كذا فى الأصل ، ولعل الصواب «الإسكندر» . والله أعلم .

«**أول من تكلم بالعربية إسماعيل**» . والخلاف كثير فى أول من تكلم بالعربية ، وفى أول من أدخل الكتاب العربى أرض الحجاز فقيل : حرب بن أمية[1] ، وقيل: سفيان بن أمية ، وقيل : عبد بن قصى تعلموه / [١٣/ب] بالحيرة ، وتعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار[2] . انتهى .

وأول من نقش على الدراهم بالعربية عبد الملك بن مروان . قال الشعبى : وكلام الناس يوم القيامة بالسريانى ، وروى الأصحاب فى كتبهم عن النبى ﷺ أنه قال : «**العربى والفارسى لسانا أهل الجنة**» .

وأما «شيث» فولد بعد مائتين وثلاثين سنة من عمر آدم - عليه السلام -، ومات وله تسعمائة واثنتا عشرة سنة ، فكان قيامه بالأمر بعد آدم مائتين واثنتا عشرة سنة ، واختتن فى نبوته ، وأنزل عليه خمسون صحيفة ، وقيل : ثلاثون ، وقيل : عشرة ، وبنى الكعبة بالطين وحج وولدته حواء مفردًا ، وكانت تلد ذكرًا وأنثى فى كل بطن فولدته مفردًا . قال المرجانى : يعنى بدلاً من هابيل . وأما آدم - عليه السلام - فيكنى أبا محمد بالنبى ﷺ ، وأبا البشر أيضًا ، وآدم عبرانى ، وقيل : عربى خلقه الله من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنوه على قدر الأرض ذوى ألوان ، يروى أنه قال : يا رب لم سميتنى آدم ؟ قال : لأنى خلقتك من أديم الأرض ، وأديم الأرض وجهها ، وخلق الله حواء مِن ضلعه الأيسر وسميت حواء ؛ لأنها خلقت من حى وخلقت قبل دخول الجنة ، واختلف فى الشجرة التى أكلها ، فقيل : شجرة الكافور أو الحياة أو الكرمة أو النخلة أو السنبلة أو الحلبة أو التين أو الحنظلة وكانت حلوة، وأهبط على جبل لبنان أو الجودى أو سرنديب أو نوى أو واسم ، وحواء بجدة ، وإبليس على ساحل بحر أيلة بفتح الهمزة ، وقيل : بيسان، والحية بالبربر وقيل : بأصبهان ، والطاووس بأرض بابل ، فأهبط آدم من باب التوبة ، وحواء من باب الرحمة ، / [١٤/أ] وإبليس من باب اللعنة ، والطاووس من باب الغضب ، والحية من باب السخط وكان وقت العصر ، وقيل : أهبط آدم بين الظهر والعصر من باب يقال له : الميرم حذاء البيت المعمور ، وقيل : من باب المعراج ، ومكث فى الجنة نصف يوم من أيام الآخرة وذلك خمسمائة عام ، ومكث على جبل الهند مائة سنة يبكى وأنبت الله العشب من دموعه منه : الدارصينى والقرفة والقرنفل، وكان رأسه يمس السحاب فصلع

---

(١) فى الروض أن قائله هو الشعبى . والله أعلم .

(٢) الروض الأنف (١٣/١) .

فتوارثه ذريته ، وخفضت قامته إلى ستين ذراعًا بذراعه ، وحج أربعين حجة ، وكانت خطوته مسيرة ثلاثة أيام ، وهو أول مَن ضرب الدينار والدرهم ، وكان أمرد وإنما نبتت اللحى لذريته ، وأنزلت عليه حروف المعجم في إحدى وعشرين ورقة ، ونزل عليه عشر صحائف وجميع الصحف مائة وأربعة : كتب على آدم عشر ، وعلى شيث خمسون ، وعلى إدريس ثلاثون ، وعلى إبراهيم عشرة ، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان نزل بها جبريل عليه السلام ، وعنه ﷺ أنه قال : «**أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان ، والتوراة لستٍّ مضين من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت منه ، والزبور لثماني عشرة ليلة خلت منه ، والفرقان لأربع وعشرين منه**»[1]. وبين نزول أول القرآن وآخره عشرون سنة . وكان آدم من المصطفين دون سائر المرسلين ، ولم يمت حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفًا ، وقيل : صلى خلفه ألف رجل غير بني بنيه ، وورد أن الله شفعه من ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف / [١٤/ب] ألف . وقال ابن عباس : تكلم آدم بسبعمائة ألف لغة أفضلها العربية ، وكان القمح في زمنه كبيض النعام ولم يزل إلى أيام إدريس ثم نقص منه قليل ، ثم نقص أيام فرعون ثم نقص أيام إلياس فصار كبيض الدجاج ، ثم نقص أيام عيسى ، ثم نقص أيام يحيى فصار في أيام بختنصر كالبندق وكذلك كان في أيام عزير فلما قالت اليهود : عزير ابن الله ، صار قدر الحمص ، ثم صار إلى ما ترى قاله كعب الأحبار ، وماتت حواء[2] قبل آدم بعامين وعمرها سبعمائة سنة وتسع وعشرون سنة ، وقيل: ماتت بعده بعامين ، وقيل : بست سنين ، ومات آدم يوم الجمعة ووافق من شهور السرياني لعشرين من نيسان ، مات على الجبل الذي أهبط عليه[3] ، وصلى عليه شيث وكبَّر عليه ثلاثين وحمله نوح في السفينة ، قيل : وحمل حواء معه ،

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٠٧/٤) ، والطبراني الكبير (٧٥/٢٢) ، والدر المنثور (١٨٩/١) ، وتفسير القرطبي (٢٩٨/٢) من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعًا ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٧/١) : فيه عمران بن داود القطان ، ضعفه يحيى ، ووثقه ابن حبان ، وقال أحمد : أرجو أن يكون صالح الحديث ، وبقية رجاله ثقات . اهـ . وجاء في الرواية لثمان بغير ياء . والله أعلم .

(٢) ذكر الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٩٢/١) أنها ماتت بعد آدم بسنة واحدة . اهـ . وكذا في تاريخ الطبري (١٦١/١) .

(٣) قال الحافظ في «البداية والنهاية» (٩٢/١) : فالمشهور أنه دفن عند الجبل الذي أهبط منه في الهند اهـ . واسم هذا الجبل : بوذ . ذكره الطبري في تاريخه (١٦١/١) عن ابن عباس موقوفًا .

ودفنه ببيت المقدس بعد الطوفان[1] ، وقيل : صلت عليه الملائكة وحفروا له بجبل أبي قبيس ثم حمله نوح ثم إلى مكانه بالجبل ، وقيل : قبر آدم في مشارق الفردوس[2] . قال المرجاني في «بهجة النفوس» : والظاهر أن قبر آدم بالشام - يعني دمشق - لأنها كانت أرضه وبها مقبرة الفراديس ، وقيل : دفنته الملائكة بمسجد الخيف حكاه ابن الجوزي في «درياق القلوب» ، وآدم الآن في سماء الدنيا ، ولا يسمى أحد خليفة الله تعالى بعد آدم - عليه السلام - وانقرض نسل آدم بالطوفان إلا نسل شيث .

قال الطوسي : وبلغني أن من كتب للمطلقة آدم وحواء وضعت . انتهى . والله أعلم .

وقدم علينا حاجًّا سنة عشر وثمانمائة رجل شريف / [١٥/أ] دلوالي وذكر لنا أنه رحل بلاد سرنديب[3] وأن أهلها كفار ، وأنه صعد جبل سرنديب وكان صعوده فيه من طلوع الفجر ووصل أعلاه غروب الشمس ، قال : وفوق جبل سرنديب جبل آخر على هيئة المنارة وقدرها بل أعلى منها ، يصعد إلى أعلى هذا الجبل بسلاسل من حديد يضع الإنسان فيها رجله ويتعلق ثم هكذا إلى أن يصعد إلى أعلاه ، وأنه لا يمكن الصعود عليه إلا على هذه الصفة ، قال : وفوق هذا الجبل أيضًا جبل آخر صغير فيه أثر قدم آدم - عليه السلام - غائصًا في الصخرة على سمت القبلة بحيث إن القائم عليه يستقبل القبلة وله خمس أصابع ، وذكر أنه قاس طول قدمه وعرضه وطول إبهامه بمنديل كان معه وعلم ذلك علامات ، فرأيت هذا المنديل معه فقست طول قدمه من رأس الإبهام إلى آخرها ثلاثة أذرع وثلثي ذراع وطول الإبهام إلى المفصل شبر وعرض القدم ثلاثة أشبار وأربع أصابع كل ذلك بذراع الحديد ، وذكر أنه لم ير إلا قدمًا واحدًا وأن تحت قدمه غديرًا في صخرة ممتلئ بها ماء أحلى من العسل ، وله عينان تجريان إحداهما عن يمين القدم والأخرى عن يساره ينصبّان إلى أسفل الجبل وإلى البحر ، ومسيل ماء العينين يشم

---

(١) البداية والنهاية (٩٢/١) ، وتاريخ الطبري (١٦١/١) .

(٢) تاريخ الطبري (١٥٩/١) عن ابن إسحاق .

(٣) قال في معجم البلدان (٢١٥/٣) : بفتح أوله وثانيه ، وسكون النون ، ودال مهملة مكسورة ، وياء مثناة من تحت ، وباء موحدة ، هي جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند ، طولها ثمانون فرسخًا في مثلها .. وفي سرنديب الجبل الذي هبط عليه آدم عليه السلام ... إلخ وفيه ذكر القدم . فراجعه .

وتراب العين اليمنى يسيلان ، وإن المطر لا يزال على هذا الجبل فى كل يوم من أيام السنة لا ينقطع أصلاً ، ولكنه فى بعض الأوقات رشاش ، وإن فى كل جهة من جهات الجبل الأربع يدوم المطر فى أرض الهند ثلاثة أشهر على ممر السنين . والله أعلم .

[فصل]

ما جاء فى حج إبراهيم وطوافه وأذانه فى الحج

لما فرغ إبراهيم - عليه السلام - من بناء البيت الحرام / [١٥/ب] جاء جبريل - عليه السلام - وفى رواية قال : أى ربّ قد فعلت فأرنا مناسكنا ، أى : أبرزها لنا وعلمناها ، وقيل : أرنا مناسكنا : مذابحنا ، فجاءه جبريل ، فقال : طف به سبعًا هو وإسماعيل يستلمان الأركان كلها فى كل طواف ، وكان آدم يستلم الأركان كلها قبل إبراهيم -عليه السلام- فلما أكملا سبعًا صليا خلف المقام ركعتين ، قال: فقام معه جبريل فأراه المناسك كلها الصفا والمروة ومنى ومزدلفة وعرفة ، فلما دخل منى وهبط من العقبة تمثل له إبليس - وفى رواية : بعث الله -عز وجل- جبريل فحج به حتى إذا جاء يوم النحر عرض له إبليس - عند جمرة العقبة فقال له جبريل -عليه السلام- : ارمه فرماه إبراهيم -عليه السلام- بسبع حصيات فغاب عنه ثم برز له عند الجمرة الوسطى ، فقال له جبريل: ارمه فرماه بسبع حصيات فغاب عنه ثم برز له عند الجمرة السفلى ، فقال له جبريل - عليه السلام - : كبر وارمه فرماه بسبع حصيات مثل حصى الخذف فغاب عنه إبليس - وفى رواية : فرماه من الغد واليوم الثالث كذلك - ثم مضى إبراهيم فى حجه وجبريل يوقفه على المواقف ويعلمه المناسك حتى انتهى إلى عرفات ، فلما انتهى إليها قال له جبريل : أعرفت مناسكك ؟ . قال إبراهيم : نعم. فسميت عرفات بذلك ، فلما فرغ من الحج أمر إبراهيم أن يؤذن فى الناس بالحج - وفى رواية : لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قال : يا رب قد فرغت فأوحى الله إليه أن أذن فى الناس بالحج ، فهذه الرواية تقتضى أن الأذان قبل الحج ، والرواية المتقدمة تخالف ذلك فلما أمر أن يؤذن بالحج ، قال : يا رب وما يبلغ صوتى ؟ / [١٦/أ] فقال الله تعالى : أذن وعلىَّ البلاغ - وفى رواية : قال : وكيف أقول ؟ قال : قل : يا أيها الناس أجيبوا ربكم ثلاث مرات فعلا إبراهيم على المقام - فارتفع به حتى صار أرفع الجبال وأطولها - وفى رواية : صعد أبا قبيس وأذن بالحج ، وفى رواية : علا على شبر - وجمعت له الأرض يومئذ سهلها

وجبلها وبرها وبحرها وإنسها وجنها حتى أسمعهم جميعًا - وتطأطأت الجبال ، وفى رواية : خفضت الجبال رؤوسها ورفعت له القرى - فأدخل أصبعيه فى صماخى أذنيه وأقبل بوجهه يمنًا وشامًا وشرقًا وغربًا ، وبدأ بشق اليمن فقال : أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فأجيبوا ربكم - وفى رواية : أن الله قد أمركم بحج هذا البيت ليثيبكم به الجنة ويجيركم من عذاب النار فحجوا - فأجابوه من تحت التخوم السبعة ومن بين المشرق والمغرب إلى منقطع التراب من أقطار الأرض كلها لبيك اللهم لبيك - وفى رواية : أى كل رطب ويابس ، وسمعه من بين المشرق والمغرب وأجابه من كان فى أصلاب الرجال وأرحام النساء - فليس أحد يحج إلى يوم القيامة إلا من أجاب نداء إبراهيم ، وإنما حجهم على قدر إجابتهم يومئذ ، فمن أجابه مرة حج مرة ، ومن أجابه مرتين حج مرتين ، ومن أجابه أكثر فأكثر على حسب إجابته[1].

ويروى أنه كان بين ذلك وبين أن بعث الله محمدًا ﷺ ثلاثة آلاف سنة ، وكان أول من أجاب دعوة إبراهيم بالتلبية أهل اليمن، وذهب جماعة إلى أن المأمور فى قوله تعالى : ﴿ **وأذن فى الناس بالحج** ﴾[2]. سيدنا رسول الله ﷺ .

وفى رواية استقبل / [١٦/ب] إبراهيم اليمن ودعا إلى الله وإلى حج بيته فأجيب أن لبيك لبيك ، ثم استقبل المشرق فدعا إلى الله وإلى حج بيته فأجيب أن لبيك لبيك ، ثم إلى المغرب بمثل ذلك ، ثم إلى الشام بمثل ذلك ، ثم حج إبراهيم بإسماعيل وبمن معه من المسلمين من جرهم ، وهم سكان الحرم يومئذ مع إسماعيل وهم أصهاره ، وصلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء بمنى ثم بات بهم حتى أصبح وصلى بهم الغداة ، ثم غدا بهم إلى نمرة فقال بهم هنالك حتى إذا مالت الشمس جمع بين الظهر والعصر بعرفة فى مسجد إبراهيم ، ثم راح بهم إلى الموقف من عرفة - وهو الموقف الذى يقف عليه الإمام اليوم - فوقف بهم فلما غربت الشمس دفع به وبمن معه حتى أتى المزدلفة فجمع بين الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة ، ثم بات حتى إذا طلع الفجر صلى بهم صلاة الغداة ثم وقف به على قزح[3] من المزدلفة وبمن معه - وهو الموقف الذى يقف به الإمام اليوم - حتى

---

(١) أخبار مكة للأزرقى (١/٦٦ - ٦٨) عن محمد بن إسحاق ، وما بين الاعتراضات روايات ذكرها الأزرقى وغيره ، وتفسير القرطبى (١٢/٣٨) .

(٢) سورة الحج : الآية (٢٧) .

(٣) القُزَح : القرن الذى يقف عنده الإمام بالمزدلفة . النهاية مادة (قزح) .

إذا أسفر غير مشرق دفع به وبمن معه يريه ويعلمه كيف يرمي الجمار حتى فرغ من الحج كله ، ثم انصرف إبراهيم راجعًا إلى الشام فتوفي بها[1].

[فصل]

ذكر ولاية بني إسماعيل الكعبة من بعده وأمر جرهم

قال ابن إسحاق : ولد لإسماعيل بن إبراهيم اثنا عشر رجلاً ، وأمهم السيدة بنت مُضاض بن عمرو الجرهمي ، ثابت[2] بن إسماعيل وقيدار وواصل وميَّاش[3] وطيما وقطور وقيس وقيدمان ، وكان عمر إسماعيل مائة وثلاثين سنة ، فمن ثابت وقيدار نشر الله العرب ، وكان أكبرهم قيدار وثابت[2] وكان من حديث جرهم وبني إسماعيل : أن إسماعيل لما توفي دفن في الحجر مع أمه فولي البيت ثابت[2] ابن إسماعيل ما شاء الله أن يليه ، / [١٧/أ] ثم توفي ثابت بن إسماعيل فولي بعده مضاض بن عمرو الجرهمي -وهو جد ثابت بن إسماعيل أبو أمه - وضم بني ثابت وبني إسماعيل إليه فصاروا مع جدهم أبي أمهم مضاض بن عمرو ومع أخوالهم من جرهم ، وجرهم وقطورا يومئذ أهل مكة ، وعلى جرهم مضاض بن عمرو ملكًا عليهم ، وعلى قطورا رجلاً منهم يقال له : السَّميدع ملكًا عليهم ، وكان حين ظعنا من اليمن أقبلا سيارة ، وكانوا إذا خرجوا من اليمن لم يخرجهم إلا ولهم ملك يقيم أمرهم ، فلما نزلا مكة رأيا بلدًا طيبًا وآدامًا وشجرًا فأعجبهما ونزلا به ، فنزل مضاض بن عمرو بمن معه من جرهم أعلى مكة وقيقعان فما حاز ذلك ، ونزل السميدع أجيادين [4] وأسفل مكة فما حاز ذلك ، وكل في قومه على حياله لا يدخل واحد منهم على صاحبه في ملكه ، ثم إن جرهمًا وقطورا بغى بعضهم على بعض وتنافسوا الملك بها فاقتتلوا بها حتى نشبت الحرب بينهم على الملك ، وولاة الأمر بمكة مع مضاض بن عمرو بنو ثابت بن إسماعيل وبنو إسماعيل وإليه ولاية البيت دون السميدع ، فلم يزل البغي حتى سار بعضهم إلى بعض

---

(١) أخبار مكة للأزرقي (١/٧٠ ، ٧١) .

(٢) كذا في الأصل ، والذي في الأزرقي (١/٨١) نابت ، وكذلك في الروض (١/١٣٤) .

(٣) في أخبار مكة للأزرقي : « مياس » وفي هامش النسخة ذكر أنها في (أ ، جـ) ، وفي (ب) « قياس » ، وعلى هامشها - أي (ب)- : متاس ، وفي الطبري (١/٣١٤) : «ماسن» ، وفي سيرة ابن هشام : « ماش » . والله أعلم .

(٤) أجيادين : تثنية أجياد وهما أجياد الكبير وأجياد الصغير ، وهما محلتان بمكة ، معجم البلدان (١/١٠٥) وربما قيل لهما : أجادين اسمًا واحدًا بالياء في جميع أحواله .

فخرج مضاض بن عمرو من قيقعان فى كتيبة سائرًا إلى السميدع ومع كتيبتة عدتها من الرماح والدرق والسيوف والجعاب يقعقع ذلك معهم ، ويقال : ما سميت قيقعان إلا بذلك ، وخرج السميدع بقطورا من أجياد[1] معه الخيل والرجال، وقيل : ما سمى أجيادًا إلا لخروج الخيل الجياد مع السميدع حتى التقوا بفاضح[2] فاقتتلوا قتالاً شديدًا فقتل السميدع وفضحت قطورا ، ويقال : ماسمى فاضحًا إلا بذلك ثم إن القوم تداعوا إلى الصلح / [١٧/ب] فساروا حتى نزلوا «للصَّالح شعب»[3] بأعلى مكة يقال له : شعب عبد الله بن عامر بن كويز[4]، فاصطلحوا بذلك الشعب ، وأسلموا الأمر إلى مضاض بن عمرو فلما جمع أمر أهل مكة وصار ملكها له دون السميدع نحر للناس وأطعمهم فطبخ الناس وأكلوا ، فيقال : ما سمى المطابخ مطابخًا إلا بذلك ، وكان الذى بين عمرو والسميدع أول بغى كان بمكة فيما يزعمون ، وقيل : إنما سميت المطابخ ؛ لأن تبع نحر بها وأطعم وكانت منزله بمكة ، ثم نشر الله تعالى بنى إسماعيل - عليه السلام - بمكة وأخوالهم جرهم إذ ذاك هم الحكام وولاة البيت ، فلما ضاقت عليهم مكة وانتشروا بها انبسطوا فى الأرض وابتغوا المعاش والتفسح فى الأرض ، فلا يأتون قومًا ، ولا ينزلون بلدًا إلا أظهرهم الله - عز وجل - عليهم بدينهم فوطئوهم وغلبوهم عليها حتى ملأوا[5] البلاد ونفوا عنها العماليق ومن كان ساكنًا بلادهم التى كانوا اصطلحوا عليها من غيرهم ، وجرهم على ذلك بمكة ولاة البيت لا ينازعهم إياه بنو إسماعيل لخؤوليتهم وقرابتهم[6].

قال بعض أهل العلم : كانت العماليق هم ولاة الحكم بمكة فضيعوا حرمة الحرم ، واستحلوا منه أمورًا عظامًا ونالوا ما لم يكونوا ينالون ، فقام رجل منهم

---

(١) أجياد : موضع بمكة يلى الصفا ، معجم البلدان (١/ ١٠٥) وذكر سبب تسميتها ونقل قول ابن إسحاق . قال فى معجم البلدان (١/ ١٠٥) : وقد قدمنا أن الجوهرى حكى أن العرب تجمع الجواد من الخيل على أجياد ولا شك أن ذلك لم يبلغ السهيلى فأنكره .

(٢) فاضح : موضع قرب مكة عند أبى قبيس ، معجم البلدان (٤/ ٢٣١) وذكر سبب تسميتها .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى « للصلح شعبًا » وهو الصواب . والله أعلم .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى « كريز » . والله أعلم .

(٥) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى « ملكوا » . والله أعلم .

(٦) أخبار مكة للأزرقى (١/ ٨٠ - ٨٤) عن محمد بن إسحاق .

يقال له : عموم[1] فقال : يا قوم أبقوا على أنفسكم فقد رأيتم وسمعتم من أُهلك من صدر الأمم قبلكم قوم هود وصالح وشعيب ، فلا تفعلوا وتواصلوا ولا تستخفوا بحرم الله وموضع بيته ، وإياكم والظلم والإلحاد فيه ، فإنه ما سكنه أحد قط فظلم فيه وألحد إلا قطع الله دابرهم واستأصل شأفتهم / [١٨/أ] وبدل أرضها غيرهم حتى لا يبقى لهم باقية ، فلم يقبلوا ذلك منه وتمادوا في هلكة أنفسهم ، ثم إن جرهمًا وقطورا خرجوا سيارة من اليمن وأجدبت عليهم فساروا بذراريهم وأنفسهم وأموالهم ، وقالوا : نطلب مكانًا فيه مرعى تسمن فيه ماشيتنا إن أعجبنا أقمنا فيه وإلا رجعنا إلى بلادنا ، فلما قدموا مكة وجدوا فيها ماء معينًا وعضاة ملتفة من سلم وسمر ، ونباتًا أسمن مواشيهم وسعة من البلاد ودفئًا من البرد في الشتاء ، قالوا : إن هذا الموضع يجمع لنا ما نريد فأقاموا مع العماليق ، وكان لا يخرج من اليمن قوم إلا ولهم مِلِك يقيم أمرهم ، وكان ذلك سُنة فيهم ولو كانوا نفرًا يسيرًا ، فكان مضاض بن عمرو ملك جرهم وكان السميدع ملك قطورا فنزل مضاض بن عمرو على[2] مكة ، فكان يعشر من دخلها من أعلاها وكان حوزهم وجه الكعبة والركن الأسود والمقام وموضع زمزم مصعد يمينًا وشمالاً وقيقعان[3] إلى أعلى الوادي ، ونزل السميدع أسفل مكة وأجيادين وكان يعشر من دخل مكة من أسفلها ، وكان حوزهم المسفلة وظهر الكعبة والركن اليماني والغربي وأجيادين فبنيا فيها البيوت واتسعا في المنازل وكثروا على العماليق ، فنازعتهم العماليق فمنعتهم جرهم وأخرجوهم من الحرم كله فكانوا في أطرافه لا يدخلونه ، فقال لهم صاحبهم عمرو[4] : ألم أقل لكم لا تستخفوا بحرمة الحرم فغلبتموني ؟ فجعل مضاض والسميدع يقطعان المنازل لمن ورد عليهما من حولهما فوقهما وكثروا وربلوا وأعجبهم البلاد ، وكانوا قومًا عربًا وكان اللسان عربيًّا ، فكان إبراهيم / [١٨/ب] عليه السلام يزور إسماعيل ، فلما سمع لسانهم وإعرابهم سمع لهم كلامًا حسنًا ورأى قومًا عربًا ، وكان إسماعيل قد أخذ بلسانهم ، فأمر

---

(١) كذا في الأصل وفي أخبار مكة للأزرقي « عموق » . والله أعلم .

(٢) كذا في الأصل ، وفي أخبار مكة للأزرقي « أعلى » . والله أعلم .

(٣) كذا في الأصل ، وفي أخبار مكة للأزرقي « قعيقعان » وهو الصواب ، ووقع في معجم البلدان (٣٧٩/٤) قعيقعان - بالضم ثم الفتح ، بلفظ التصغير - : وهو اسم جبل بمكة .. ثم ذكر سبب تسميتها بذلك : أن قطورا وجرهم لما تحاربوا قعقعت الأسلحة فيه . اهـ . والله أعلم .

(٤) كذا في الأصل ، وفي أخبار مكة للأزرقي «عموق» وقد تقدم قريبًا . والله أعلم .

إسماعيل أن ينكح فيهم فخطب إلى مضاض بن عمرو ابنته رَعْلة فزوجه إياها ، فولدت له عشرة ذكور وهى التى غسلت رأس إبراهيم حين وضع رجله على المقام، وتوفى إسماعيل وترك ولدًا من رعلة بنت مضاض بن عمرو فقام مضاض بأمر ولد إسماعيل وكفلهم ؛ لأنهم بنو ابنته ، فلم يزل أمر جرهم يعظم بمكة ويستفحل حتى ولوا البيت فكانوا ولاته وحجابه وولاة الأحكام بمكة ، فجاء سيل فدخل البيت فانهدم فأعادته جرهم على بناء إبراهيم - عليه السلام - ، وكان طوله فى السماء تسعة أذرع وقال بعض أهل العلم : كان الذى بنى البيت لجرهم أبو الجدرة فسمى عمرو «الجادر» وسمى بنوه «الجدرة» ، ثم إن جرهم استخفت بأمر البيت والحرم وارتكبوا أمورًا عظيمة وأحدثوا فيها أحداثًا لم تكن ، فقام مضاض بن عمرو بن الحارث فيهم خطيبًا فقال : يا قوم احذروا البغى فإنه لا بقاء لأهله قد رأيتم من كان قبلكم استخفوا بالحرم فلم يعظموه وتنازعوا بينهم واختلفوا ، حتى سلطكم الله عليهم فأخرجتموهم فتفرقوا فى البلاد فلا تستخفوا بحق الحرم وحرمة البيت ، فإنكم إن فعلتم ذلك تخوفت أن تخرجوا منه خروج ذل وصغار حتى لا يقدر أحد منكم أن يصل إلى الحرم ولا إلى زيارة البيت ، فقال قائل منهم يقال له : مخدع[1] : من الذى يخرجنا منه ؟ ألسنا أعز العرب وأكثرهم رجالاً وأموالاً وسلاحًا ؟ فقال مضاض بن عمرو : / [١٩/أ] إذا جاء الأمر بطل ما تقولون . فلم يقتصروا على شيء مما كانوا يصنعون ، وكان للبيت خزانة تبر فى بطنها يلقى فيها الحلى والمتاع الذى يهدى له وهو يومئذ لا سقف له ، فتواعد له خمسة نفر من جرهم أن يسرقوا ما فيه فقام على كل زاوية من البيت رجل منهم واقتحم الخامس فجعل الله - عز وجل - أعلاه أسفله وسقط منكسًا على ذلك ، وقيل : لما دخل البئر سقط عليه حجر من شفير البئر فحبسه فيها ، وفر الأربعة . قال آخرون : فعند ذلك مسخت الأركان الأربعة فلما كان من أمر هؤلاء الذين حاولوا سرقة ما فى خزانة الكعبة ما كان ، بعث الله سبحانه حية سوداء الظهر بيضاء البطن رأسها مثل رأس الجدى فحرست البيت خمسمائة سنة لا يقربه أحد بشيء من معاصى الله تعالى إلا أهلكه الله ولا يقدر أحد على سرقة ما كان فى الكعبة - وسيأتى قصة رفع الحية عند بناء قريش الكعبة - ولما طغت جرهم فى الحرم دخل رجل منهم وامرأة يقال لهما : إساف ونائلة البيت ففجرا فيه، وقيل : لم يفجر بها فى البيت ولكن قبَّلها ، فمسخهما الله حجرين فأخرجا

(١) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى « مجدع» . والله أعلم .

من الكعبة ونصبا على الصفا والمروة ؛ ليعتبر بهما من رآهما وليزدجر الناس عن مثل ما ارتكبا ، فلم يزل أمرهما يدرس ويتقادم حتى صارا صنمين يعبدان حتى كان يوم الفتح فكسرا ، وكانت مكة لا يقر فيها ظالم ولا باغ ولا فاجر إلا نفى منها ، وكان نزلها بعهد العماليق وجرهم جبابرة ، فكل من أراد البيت بسوء أهلكه الله ، فكانت تسمى بذلك الباسة وبكة[1].

[فصل]

ذكر ولاية خزاعة الكعبة بعد جرهم / [١٩/ب] وأمر مكة

عن أبي صالح قال : لما طالت ولاية جرهم استحلوا من الحرم أمورًا عظامًا ، ونالوا ما لم يكونوا ينالون ، وأكلوا مال الكعبة الذى يهدى إليها سرًّا وعلانية ، وكلما عدا سفيه منهم على منكر وجد من أشرافهم مَن يمنعه ويدفع عنه ، وظلموا من دخلها من غير أهلها حتى دخل إساف بنائلة الكعبة ففجر بها ، أو قبَّلها فمسخا حجرين ، فرق أمرهم فمنها وضعُوا وتنازعوا أمرهم بينهم واختلفوا وكانوا قبل ذلك من أعز حى فى العرب وأكثرهم رجالاً وأموالاً وسلاحًا ، فلما رأى ذلك مضاض بن عمرو قام فيهم خطيبًا ثم ذكر مقالته لهم التى ذكرناها آنفًا[2] ، وما قال له مخدع[3] فى الجواب ، فعند ذلك عمد مضاض بن عمرو إلى غزالين كانا فى الكعبة من ذهب وأسياف قَلَعيّة[4] فدفعها فى موضع بئر زمزم ، وكان ماء زمزم قد نضب وذهب لما أحدثت جرهم فى الحرم ما أحدثت حتى عفا[5] مكان البئر ودرس ، فقام مضاض بن عمرو وبعض ولده فى ليلة مظلمة فحفر فى موضع زمزم وأعمق ثم دفن فيها الأسياف والغزالين ، فبينما هم على ذلك إذ كان من أهل مأرب ما كان ، وذلك ألقت طريفة الكاهنة إلى زوجها عمرو بن عامر ، الذى يقال له : مزيقياء بن ماء السماء - وهو عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس - أنها قد رأت فى كهانتها أن سد مأرب

---

(١) أخبار مكة للأزرقى (١/٨٤ - ٨٩) عن بعض أهل العلم ، وفيه أن سبب تسميتها بكة : ما روى عن عبد الله بن عمرو ؛ لأنها تبك أعناق الجبابرة . اهـ .

(٢) راجع ص ٥٢ .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى « مجدع » . والله أعلم .

(٤) قَلَعيَّة منسوبة إلى القلعة - بفتح القاف واللام - : وهى موضع بالبادية تنسب السيوف إليه . النهاية مادة (قلع) .

(٥) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى « غبى » . والله أعلم .

سيخرب وأنه سيأتى سيل العرم فيخرب الجنتين ، فباع عمرو بن عامر أمواله وسار هو وقومه من بلد إلى بلد لا يطئون بلدًا إلا غلبوا عليه وقهروا أهله حتى يخرجوا منه ، ولذلك حديث / [٢٠/أ] طويل مذكور فى محله ، فلما قاربوا مكة ساروا ومعهم طريفة الكاهنة ، فقالت لهم: سيروا فلن تجتمعوا أنتم ومن خلفتم أبدًا ثم قالت لهم : وحق ما أقول ما علمنى ما أقول إلا الحكيم المحكم رب جميع الإنس من عرب ومن عجم . قالوا لها : ما شأنك يا طريفة ؟ قالت : خذوا البعير الشدقم(١) فخضبوه بالدم بلون أرض جرهم جيران بيته المحرم ، فلما انتهوا إلى مكة وأهلها جرهم قد قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بنى إسماعيل وغيرهم ، أرسل إليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر يقول : إنا قد خرجنا من بلادنا فلم ننزل بلدًا إلا فسح أهلها لنا ومَن خرجوا عنا فنقيم معهم حتى نرسل روادنا فيرتادوا لنا بلدًا تحملنا فأفسحوا لنا فى بلادكم حتى نقيم قدر ما نستريح ونرسل روادنا إلى الشام وإلى المشرق فحيثما بلغنا أنه أمثل لحقنا به ، وأرجو أن يكون مقامنا معكم يسيرًا، فأبت جرهم ذلك واستكبروا فى أنفسهم وقالوا : لا والله ماتحب أن ينزلوا معنا فيضيقوا علينا مراحلنا [ومواردنا](٢) فارحلوا عنا حيث جئتم فلا حاجة لنا بجواركم ، فأرسل إليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر أنه لا بد لى من المقام بهذا البلد حولاً حتى ترجع إلىّ رسلى التى أرسلت ، فإن تركتمونى طوعًا نزلت وحمدتكم وآسيتكم(٣) فى الرعى والماء ، وإن أبيتم أقمت على كرهكم ثم لم ترعوا معى إلا فضلاً فإن قاتلتمونى قاتلتكم ثم إن ظهرت عليكم سبيت النساء وقتلت الرجال ولم أترك منكم أحدًا ينزل الحرم أبدًا ، فأبت جرهم أن تتركه طوعًا وبعثت لقتاله فاقتتلوا ثلاثة أيام ، فانهزمت جرهم فلم ينفلت منهم إلا الشريد ، وكان مضاض ابن عمرو قد اعتزل جرهم ولم يعنهم / [٢٠/ب] فى ذلك وقال : قد كنت أحذركم من هذا ثم رحل هو وولده وأهل بيته حتى نزلوا قَنونى(٤)

---

(١) الشدقم - كجعفر - فحل كان للنعمان بن المنذر ملك العرب ، ومنه الشدقميات من الإبل . تاج العروس مادة (شدقم) .

(٢) غير واضحة فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى (٩٣/١) كما أثبتناه ، وبه ينتظم الكلام . والله أعلم .

(٣) آسيتكم : شاركتكم . راجع النهاية (٥٠/١) .

(٤) قَنَوْنى - بالفتح ونونين - من أودية السراة يصب إلى البحر فى أوائل أرض اليمن من جهة مكة قرب « حلى » ، وبالقرب منها قرية يقال لها : « يبت » معجم البلدان (٤٠٩/٤) .

وحَلْى[1] وما حول ذلك وفنيت جرهم أفناهم السيف فى تلك الحرب ، وشرد بقية جرهم وساروا بهم في البلاد وسلط عليهم الذر والرعاف ، وهلك بقيتهم بأضم حتى كان آخرهم موتًا امرأة رئيت تطوف بالبيت بعد خروجهم منها بزمان فعجبوا من طولها وعظم خلقتها حتى قال لها قائل : أجنية أم إنسية ؟ فقالت : بل إنسية من جرهم ، وأنشدت رجزًا فى معنى حديثهم ، واستكبرت بعيرًا من رجلين من جهينة فاحتملاها على البعير إلى أرض خيبر فلما أنزلاها بالمنزل الذى سمت لهما سألاها عن الماء فأشارت لهما إلى موضع الماء فوليا عنها وإذا الذر قد تعلق بها حتى بلغ خياشيمها وهى تنادى بالويل والثبور حتى دخل الذر حلقها وسقطت لوجهها وذهب الجهينيان إلى الماء فاستوطناه ، فمن هنالك صار موقع جهينة بالحجاز وقرب المدينة وإنما هم من قضاعة[2] ، وقضاعة من ريف العراق[3] - وأقام ثعلبة بمكة وما حولها فى قومه وعساكره حولاه فأصابتهم الحمى ، وكانوا ببلد لا يدرون فيه بالحمى فدعوا طريفة فشكوا إليها الذى أصابهم ، فقالت لهم : قد أصابنى الذى تشكون وهو مفرِّق ما بيننا قالوا : فماذا تأمرين ؟ قالت : مَن كان منكم ذا هم بعيد وحمل شديد ومزاد جديد فليلحق بقصر عُمان[4] المشيد فكان أزد عمان، ثم قالت : من كان منكم ذا جلد وقصر وصبر على أزمات الدهر فعليه بالأراك[5] من بطن مر فكانت خزاعة ، ثم قالت : من كان منكم يريد الراسيات / [٢١/أ] فى الوحل المطعمات فى المحل فليلحق بيثرب ذات النخل ، فكانت الأوس والخزرج ، ثم قالت: من كان منكم يريد الخمر والخمير والملك والمعامير[6] ويلبس الديباج والحرير فليلحق

---

(١) حَلْى - بالفتح ثم السكون ، بوزن ظبى - قال عمارة اليمنى : مدينة باليمن على ساحل البحر ، بينها وبين السرين يوم واحد ، وبينها وبين مكة ثمانية أيام . معجم البلدان (٢/٢٩٧) .

(٢) راجع معجم البلدان (٢/١٩٤) فقد ذكر أنها علم مرتجل فى اسم أبى قبيلة من قضاعة . والله أعلم

(٣) راجع الروض الأنف (١/١٣٧) .

(٤) عُمان - بضم أوله ، وتخفيف ثانيه ، وآخره نون : اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند . معجم البلدان (٤/١٥٠) .

(٥) الأراك - بالفتح وآخره كاف - : وهو وادى الأراك ، قرب مكة ، يتصل بغيقة . معجم البلدان (١/١٣٥) .

(٦) تقرأ هكذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى « والتأمير » . والله أعلم .

بصرى[1] وعوير[2] وهما من أرض الشام فكان الذى سكنهما آل جفنة من غسان ، ثم قالت : من كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق وكنوز الأوراق والدم المهراق فليلحق بالعراق فكان الذى سكنها «آل خزيمة الأبرس»[3] حتى جاءهم روادهم ، فافترقوا من مكة فرقتين فرقة توجهت إلى عمان وهم أزد عمان ، وسار ثعلبة بن عمرو بن عامر نحو الشام فنزلت الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر وهم الأنصار بالمدينة ، ومضت غسان فنزلوا الشام ، فانخازت خزاعة إلى مكة فأقام بها ربيعة بن حارثة ابن «عمر»[4] بن عامر وهو لُحى فولى أمر مكة وحجابة الكعبة ، فلما أخررت[5] خزاعة أمر مكة وصاروا أهلها ، جاءهم بنو إسماعيل وقد كانوا اعتزلوا حرب جرهم وخزاعة فسألوهم السكنى معهم وحولهم فأذنوا لهم ، فلما رأى ذلك مضاض بن عمرو بن الحارث وقد كان أصابه من الصبابة إلى مكة ما أحزنه ، أرسل إلى خزاعة يستأذنهم فى الدخول عليهم والنزول معهم بمكة فى جوارهم ، ومتَّ إليهم برأيه وتوريعه قومه عن القتال وسوء السيرة فى الحرم واعتزاله الحرب ، فأبت خزاعة أن يقربوهم ونفتهم عن الحرم كله ، ولم يتركوهم ينزلون معهم ، فقال عمرو بن لُحى - وهو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر - لقومه : من وجد منكم جرهميًّا وقد قارب الحرم فدمه هدر ، فنزعت إبل لمضاض بن عمرو بن الحارث / [٢١/ب] بن مضاض بن عمرو الجرهمى من قنونى تريد مكة فخرج فى طلبها حتى وجد أثرها قد رحلت مكة ، فمضى على الجبال من نحو أجياد حتى ظهر على أبى قبيس يبصر الإبل فى بطن وادى مكة ، فأبصر الإبل تنحر وتؤكل لا سبيل له إليها يخاف إن هبط الوادى أن يقتل فولى منصرفًا إلى أهله وأنشأ يقول :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ∴ أنيس ولم يسمر بمكة سامر

الأبيات[6]. وانطلق مضاض بن عمرو نحو اليمن إلى أهله وهم يتذاكرون ما حال بينهم

---

(١) بُصرى - بالضم ، والقصر - : بالشام من أعمال دمشق ، وهى قصبة كورة حُران ، مشهورة عند العرب قديمًا وحديثًا . معجم البلدان (٤٤١/١) .

(٢) عَوِيرُ - بفتح أوله ، وكسر ثانيه - : من قرى الشام أو ماء بين حلب وتدمر . معجم البلدان (١٧٠/٤) .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى «آل جذيمة الأبرش» . والله أعلم .

(٤)كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى « عمرو » وهو الصواب . والله أعلم .

(٥) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى « حازت » . والله أعلم .

(٦) تكملة هذه الأبيات فى أخبار مكة للأزرقى (٩٧/١ ، ٩٩) ، وصدر البيت فى الروض الأنف (١٣٨/١) .

وبين مكة ، وما فارقوا من أمنها وملكها فحزنوا على ذلك حزنًا شديدًا فبكوا على مكـة ، وجعلوا يقولون الأشعار فى مكة ، واختصت خزاعة بحجابة الكعبة وولاية أمر مكة وفيهم بنو إسماعيل - عليه السلام - بمكة وحولها ، لا ينازعهم أحد منهم فى شىء من ذلك ولا يطلبونه، فتزوج لحى وهو ربيعة بن حارثة بهيرة[1] بنت عامر بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو الجرهمى ملك جرهم فولدت له عمرًا - وهو عمرو بن لُحى - وبلغ بمكة وفى العرب من الشرف ما لا يبلغه عربى قبله ولا بعده فى الجاهلية ، وهو الذى قسم بين العرب فى حطمة حطموها عشرة آلاف ناقة ، وقد كان فقأ عين عشرين فحلاً ، وكان الرجل فى الجاهلية إذا ملك ألف ناقة فقأ عين فحل إبله ، وكان أول من أطعم الحاج بمكة سدائف[2] الإبل ولحمانه على الثريد وعم فى تلك السنة جميع حاج العرب بثلاثة أثواب من برود اليمن ، وكان قد ذهب شرفه فى العرب كل مذهب ، وكان قوله فيهم دينًا منيفًا [3] لا يخالف ، وهو الذى بحر البحيرة ووصّل الوصيلة وحمى الحام وسيّب السائبة ونصب / [٢٢/أ] الأصنام حول الكعبة ، وجاء بهبل من هيت من أرض الجزيرة فنصبه فى بطن الكعبة فكانت قريش تستقسم عنده بالأزلام ، وهو أول مَن غير الحنيفية - دين إبراهيم - عليه السلام - ، فكان عمرو بن لحى يلى البيت وولده من بعده خمسمائة سنة حتى كان آخرهم «حليل بن حبشية»[4] ابن سلول بن كعب بن عمرو فتزوج إليه قصى ابنته حبى ابنة حليل[5] ، وكانوا هم حجابه وخزانه والقوام به وولاة الحكم بمكة ، وهو عامر لم يجر فيه خراب ولم يبن خزاعة فيه شيئًا بعد جرهم ولم يسرق منه شىء علمناه ولا سمعنا به ، وترافدوا على تعظيمه والذب عنه[6].

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى « بفهيرة» . والله أعلم .

(٢) سدائف - جمع سديف - قال فى النهاية (٣٥٥/٢) : شحم السنام . ا هـ . وقال فى القاموس (سديف) : - كأمير - شحم السنام .

(٣) أى : عالٍ . راجع النهاية (١٤١/٥) .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى « حليل بن حبشية » وكذلك وقع فى الروض (١٤٢/١) . والله أعلم .

(٥) راجع الهامش السابق .

(٦) أخبار مكة للأزرقى (٩٠/١ - ١٠٢) .

[فصل]

ما جاء في ولاية قصي بن كلاب البيت الحرام وأمر مكة بعد خزاعة

عن ابن جريج وابن إسحاق قالا : إقامة خزاعة على ماكانت عليه من ولاية البيت والحكم بمكة ثلاثمائة سنة ، وكان بعض[التبابعة][1] قد سار إليه وأراد هدمه وتخريبه فقامت دونه خزاعة فقاتلت عليه أشد القتال حتى رجع ثم جاء آخر فكذلك ، وأما تبع الثالث - الذى نحر له وكساه وجعل له علفًا[2] ، وأقام عنده أيامًا ينحر كل يوم مائة بدنة لا يرزؤه هو ولا أحدًا من عسكره شيء[3] منها ، يردها الناس فى اللخاخ[4] والشعاب فيأخذون منها حوائجهم ثم يقع الطير عليها فيأكل ثم يتناهبها السباع إذا أمست لا يرد عنها إنسان ولا طائر ولا سبع ثم رجع إلى اليمن - إنما كان فى عهد قريش فمكثت خزاعة على ما هى عليه وقريش إذ ذاك فى بنى كنانة متفرقة ، وقد قدم فى بعض الزمان حاج قضاعة فيهم ربيعة بن حزام[5] بن ضبة بن عبد كثير[6] بن عذرة بن سعد بن زيد / [٢٢/ب] ، وقد هلك كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب وترك زهرة وقصيًّا ابنى كلاب مع فاطمة بنت عمرو بن سعد بن شنل[7] - وزهرة أكبرهما - فتزوج ربيعة بن حزام أمهما ، وزهرة رجل بالغ وقصى فطيم أو فى سن الفطيم ، فاحتملها ربيعة إلى بلاده من أرض عدن[8] من أشراف الشام فاحتملت معها قصيًّا لصغره وتخلف زهرة فى قومه ، فولدت فاطمة بنت عمرو لربيعة رزاح بن ربيعة فكان أخا قصى بن كلاب لأمه ، ولربيعة بن حزام من امرأة أخرى ثلاثة نفر حن ومحمودة وجلهمة بنو ربيعة ، فبينا قصى بن كلاب فى أرض قضاعة لا ينتمى إلا إلى ربيعة بن حزام إذ كان بينه وبين رجل من قضاعة شيء وقصى قد بلغ فقال له القضاعى : ألا تلحق بنسبك وقومك فإنك لست منا . فرجع قصىّ إلى أمه وقد وجد فى نفسه مما قال لها القضاعى فسألها عما قال له فقالت : أنت والله يا بنى خير منه

---

(١) غير واضحة فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى هكذا . والله أعلم .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى « غلقًا » . والله أعلم .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى « شيئًا » . والله أعلم .

(٤) كذا فى الأصل ، وهى الأودية الملتفة المضايق ، وفى أخبار مكة للأزرقى « الفُجاج » - بضم الفاء - وهى الطرق الواسعة بين جبلين . والله أعلم .

(٥) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى « حرام » . والله أعلم .

(٦) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى « كبير » . والله أعلم .

(٧) لعلها هكذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى « سيل » . والله أعلم .

(٨) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى « عذرة » . والله أعلم .

وأكرم أنت ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب وقومك عند البيت الحرام وما حوله . فأجمع قصى على الخروج إلى قومه واللحاق بهم وكره الغربة فى أرض قضاعة فقالت له أمه : يا بنى لا تعجل بالخروج حتى يدخل عليك الشهر الحرام فتخرج فى حاج العرب فإنى أخشى عليك . فأقام قصى حتى دخل الشهر الحرام وخرج فى حاج قضاعة حتى قدم مكة فلما فرغ من الحج وأقام بها ، وكان قصى رجلاً جليدًا حازمًا بارعًا فخطب إلى «خليل بن حبشية»[1] الخزاعى ابنته حبى ابنة خليل ، فعرف خليل النسب فرغب فى الرجل فزوجه خليل ، وكان خليل يومئذ / [٢٣/أ] يلى الكعبة وأمر مكة ، فأقام قصى معه حتى ولدت حبى لقصى «عبد الدار» وهو أكبر ولده «وعبد مناف» و«عبد العزى» و«عبد بن قصى» . فكان خليل يفتح البيت ، فإذا اعتل أعطى ابنته حبى المفتاح ففتحته فإذا اعتلت أعطت المفتاح زوجها قصيًّا أو بعض ولدها ففتحه ، وكان قصى يعمل فى حيازته إليه وقطْع ذكر خزاعة عنه ، فلما حضرت خليلاً الوفاة نظر إلى قصى وإلى ما انتشر له من الولد من ابنته فرأى أن يجعلها فى ولد ابنته ، فدعى قصيًّا فجعل له ولاية البيت وأسلم إليه المفتاح وكان يكون عند حُبى ، فلما هلك خليل أبت خزاعة أن تدعه وذاك وأخذوا المفتاح من حبى ، ويذكر أيضًا أن أبا غُبْشان من خزاعة ، واسمه سليم ، وكانت له ولاية الكعبة باع مفاتيح الكعبة من قصى بزق خمر فقيل : «أخسر من صفقة أبي غُبْشان» ذكره المسعودى والأصبهانى فى «الأمثال» . فعند ذلك هاجت الحرب بينه وبين خزاعة[2] ، فمشى قصى إلى رجال من قومه قريش وبنى كنانة ودعاهم إلى أن يقوموا معه فى ذلك وأن ينصروه ويعضدوه فأجابوه إلى نصره ، وأرسل قصى إلى أخيه لأمه «رزاح بن ربيعة» وهو ببلاد قومه من قضاعة يدعوه إلى نصره ويعلمه ما حالت خزاعة بينه وبينه من ولاية البيت ، ويسأله الخروج إليه من إجابة قومه ، فقام رزاح فى قومه فأجابوه إلى ذلك وخرج رزاح بن ربيعة ومعه إخوته من أبيه فيمن تبعهم من قضاعة فى حاج العرب مجتمعين لنصر قصى والقيام معه ، فلما اجتمع الناس بمكة خرجوا إلى الحج فوقفوا /[٢٣/ب] بعرفة ونزلوا منى ، وقصى مجمع على ما أجمع عليه من قتالهم بمن معه من قريش وبنى كنانة ومن قدم عليه مع أخيه رزاح من قضاعة ، فلما كان آخر أيام منى أرسلت قضاعة إلى خزاعة يسألونهم أن يسلموا إلى قصى ما جعل له خليل ، وعظموا عليهم القتال فى الحرم وحذروهم الظلم والبغى بمكة وذكروهم ما كانت فيه جرهم وما صارت إليه حين ألحدوا فيه بالظلم ، فأبت خزاعة أن تسلم ذلك فاقتتلوا بمنقضى مأزمى منى فسمى

---

(١) تقدم ضبطه وفى أخبار مكة للأزرقى « حليل بن حبشية » فليعلم ذلك .

(٢) راجع الروض الأنف (١٤٢/١) ، وذكر المثل ابن ظهيرة فى «الجامع اللطيف» (ص ١١٤) .

ذلك المكان المفجر ؛ لما فجر فيه وسفك فيه من الدم وانتهك من حرمته ، فاقتتلوا قتالاً شديدًا حتى كثرت القتلى فى الفريقين جميعًا وفشت فيهم الجراحات ، وحاج العرب جميعًا من مضر واليمن مستنكفون ينظرون إلى قتالهم ثم تداعوا إلى الصلح ودخلت قبائل العرب بينهم وعظموا على الفريقين سفك الدماء والفجور فى الحرم فاصطلحوا على أن يحكموا بينهم رجلاً من العرب فيما اختلفوا فيه ، فحكموا «يعمر بن عون[1] بن كعب بن عامر بن الليث بن بكر بن عبد مناف[2] بن كنانة» وكان رجلاً شريفًا فقال لهم : موعدكم لنا الكعبة غدًا فاجتمع الناس وعدوا القتلى فكانت فى خزاعة أكثر منها فى قريش وقضاعة وكنانة ، وليس كل بنى كنانة قاتل مع قصى خزاعة إنما كانت مع قريش من بنى كنانة فلال يسير[3] واعتزلت عنها بكر بن عبد مناة قاطبة ، فلما اجتمع الناس بفناء الكعبة قام يعمر بن عون[1] فقال : ألا إنى قد شدخت ما كان بينكم من دم تحت قدمىّ هاتين فلا تباحد[4] لأحد على أحد / [٢٤/أ] فى دم وإنى حكمت لقصى بحجابة الكعبة وولاية أمر مكة دون خزاعة كما جعل له خليل وأن يخلى بينه وبين ذلك ، وأن لا تخرج خزاعة من مساكنها بمكة فسمى يعمر ذلك اليوم «الشَّدَّاخ» فسلمت خزاعة لقصى وافترق الناس[5] .

قال السهيلى : وكان الأصل فى انتقال ولاية البيت من ولاية مضر إلى خزاعة أن الحرم حين ضاق عن ولد نزار وبعث فيه إيادًا ، أخرجتهم بنو مضر بن نزار وجلوهم عن مكة ، تعجَّدُوا[6] فى الليل إلى الركن الأسود فاقتلعوه واحتملوه على بعير فورَخ[7] البعير به وسقط إلى الأرض وجعلوه على آخر فورخ أيضًا وعلى الثالث ففعل مثل ذلك دفنوه وذهبوا فلما أصبح أهل مكة ولم يروه وقعوا فى كرب عظيم ، وكانت امرأة من خزاعة قد بصرت به حين دفن وأعلمت قومها بذلك فحينئذ أخذت [على][8] خزاعة

---

(١) كذا فى الأصل ، والذى فى أخبار مكة للأزرقى ، والروض (١٤٨/١) « عوف » والله أعلم .

(٢) فى أخبار مكة للأزرقى « مناة » وسيرة ابن هشام والروض (١٤٨/١) كذلك . والله أعلم .

(٣) فى أخبار مكة للأزرقى « قبائل يسيرة » . والله أعلم .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى « تباعة » والمعنى أنه وضع الدماء بينهم ، كما أوضحه ابن هشام فى السيرة ، وراجع الروض (١٤٨/١) . والله أعلم .

(٥) أخبار مكة للأزرقى (١٠٣/١ - ١٠٧) ، وراجع الروض (١٤٧/١ ، ١٤٨) وقال السهيلى : شدخ دماء خزاعة أى : أبطلها . والله أعلم .

(٦) فى الروض « فعمدوا » وهى واضحة . والله أعلم .

(٧) فى الروض « فرزخ » أى : سقطت إعياءً أو هزالاً . والله أعلم

(٨) ليست فى الروض ، والمعنى يستقيم بدونها . والله أعلم .

على ولاة الكعبة البيت أن ينحَلوا[1] لهم عن ولايته ويدلوهم على الحجر ففعلوا ذلك ، فمن هنالك صارت ولاية البيت لخزاعة إلى أن صيرها أبو غُبْشان إلى عبد مناف هذا قول الزبير[2] . فولى قصي بن كلاب حجابة الكعبة وأمْر مكة وجمع قومه من قريش من منازلهم إلى مكة يستعز بهم وتملَّك على قومه ، وخزاعة مقيمة بمكة على رباعهم ومساكنهم لم يتحركوا و لم يخرجوا منها ، فلم يزالوا على ذلك حتى الآن ، وكان قصي أول رجل من بنى كنانة أصاف ملكًا وأطاع له به قومه ، فكانت إليه الحجابة والرفادة والسقاية والندوة واللواء والقيادة ، ولما جمع قريش قصيًّا[3] بمكة سمي مجمعًا ، فحاز قصي شرف مكة / [٢٤/ب] وابتنى دار الندوة ، وفيها كانت قريش تقضى أمورها و لم يكن يدخلها من قريش من غير ولد قصي إلا ابن أربعين سنة للمشورة وكان يدخلها ولد قصي كلهم أجمعون «وخلفاؤهم»[4] فلما كبر قصي وكان عبد الدار أكبر ولده وبكره وكان عبد مناف قد شرف فى زمان أبيه وذهب شرفه على كل مذهب وعبد الدار وعبد العزى وعبد «بنو»[5] قصي بها لم يبلغوا ولا أحد من قومهم من قريش ما بلغ عبد مناف من الذكر والشرف والعز ، وكان قصي وحبى بنت خليل يحبان عبد الدار ويرقان عليه ؛ لما يريان من شرف عبد مناف عليه وهو أصغر منه . فقالت له حبى : لا والله لا أرضى حتى يخص عبد الدار بشيء يلحقه بأخيه . فقال قصي : والله لألحقنه به ولأحبونه بذروة الشرف حتى لا يدخل أحد من قريش ولا غيرها الكعبة إلا بإذنه ولا يعصون له أمرًا ولا يعقدون لواءً إلا عنده ، فأجمع قصي على أن «يقسم»[6] أمور مكة الستة التى فيها الذكر والشرف والعِزّ بين ابنيه ، فأعطى عبد الدار السدانة وهى الحجابة ودار الندوة واللواء ، وأعطى عبد مناف السقاية والرفاة[7] والقيادة – فأما السدانة وهى الحجابة أى : خدمة البيت وتولى أمره وفتح بابه وإغلاقه ، فيروى إنها كانت قبل قريش لطسم قبيلة من عاد فاستخفوا بحقه واستحلوا حرمته فأهلكهم الله ، ثم وليته بعدهم جرهم فاستخفوا بحقه واستحلوا حرمته

---

(١) فى الروض « يتخلَّوا » . والله أعلم .

(٢) الروض الأنف (١٤٢/١) .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى « قصى قريشًا » وهو الصواب . والله أعلم . وراجع الروض (١٤٨/١ ، ١٤٩) .

(٤) فى أخبار مكة للأزرقى « وحلفاؤهم » والله أعلم .

(٥) كذا فى الأصل ، وفى جميع نسخ الأزرقى سوى « أ » ففيها « بنى » كما ذكره محققه . والله أعلم .

(٦) فى أخبار مكة للأزرقى « يقصم » والظاهر أنه تصحيف . والله أعلم .

(٧) كذا فى الأصل والصواب « والرفادة » كما فى أخبار مكة للأزرقى وغيره . والله أعلم .

فأهلكهم الله ، ثم وليته خزاعة ثم بعد خزاعة ولى قصى بن كلاب حجابة الكعبة وأمر مكة ثم أعطى ولده عبد الدار / [٢٥/أ] السدانة ودار الندوة واللواء ، وأعطى عبد مناف السقاية والرفادة والقيادة - فلما هلك قصى أقيم أمره فى قومه بعد وفاته على ما كان عليه فى حياته ، وولى عبد الدار حجابة البيت وولاية دار الندوة واللواء فلم يزل عليه حتى هلك، وجعل عبد الدار الحجابة بعده إلى ابنه عثمان بن عبد الدار ، وجعل دار الندوة إلى ابنه عبد مناف بن عبد الدار ، أما الندوة فلم تزل بنو عبد مناف بن عبد الدار يلون الندوة دون ولد عبد الدار ، فكانت قريش إذا أرادت أن تشاور فى أمر فتحها لهم عامر بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار وبعض ولده أو ولد أخيه ، وكانت الجارية إذا حاضت أدخلت دار الندوة ثم شق عليها بعض ولد عبد مناف بن عبد الدار درعها ، ثم درعها إياه وانقلب بها أهلوها فحجبوها ، فكان عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار يسمى محيِّضًا ، وإنما سميت «دار الندوة» لاجتماع الندى فيها يندونها - أى : يجلسون فيها - لإبرام أمورهم وتشاورهم .

وأما «السدانة» : فلم تزل بنو عثمان بن عبد الدار يلون الحجابة دون ولد عبد الدار، ثم وليها عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، ثم وليها ولده أبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، ثم وليها ولده طلحة من بعده حتى كان فتح مكة فقبضها رسول الله ﷺ من أيديهم ، وفتح الكعبة ودخلها ثم خرج رسول الله ﷺ من الكعبة مشتملاً على المفتاح ، فقال له العباس بن عبد المطلب ﷺ : بأبى أنت وأمى يا رسول الله أعطنا الحجابة مع السقاية / [٢٥/ب] فأنزل الله عز وجل ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها** ﴾[١]. قال عمر بن الخطاب : فما سمعتها من رسول الله ﷺ قبل تلك الساعة فتلاها ثم دعا عثمان بن طلحة فدفع إليه المفتاح[٢] وقال : غيبوه[٣] ثم قال: خذوها يا بنى طلحة[٤] بأمانة الله سبحانه فاعملوا بالمعروف خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم،

---

(١) سورة النساء : الآية (٥٨) . والحديث أورده الحافظ ابن كثير فى تفسيره (٥١٦/١) ، والسيوطى فى الدر المنثور (١٧٤/٢) عن ابن عباس مرفوعًا .

(٢) تفسير الطبرى (٤٩١/٨ ، ٤٩٢) عن ابن جريج ، وتفسير ابن كثير (٥١٦/١) ، والدر المنثور (١٧٤/٢ ، ١٧٥) .

(٣) هكذا فى المخطوط وأشار محقق ابن كثير أنه فى المخطوطة والذى فى تفسير الطبرى (٤٩٢/٨) وتفسير ابن كثير (٥١٦/١) عن الزهرى « أعينوه » ، وفى الفتح (٦١٢/٧) قال الزهرى : فلذلك يغيب المفتاح .

(٤) فى أخبار مكة (١١١/١) : « أبى طلحة » وهو جد عثمان . والله أعلم .

فخرج عثمان بن أبي طلحة ، إلى هجرته مع النبي ﷺ وأقام ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة فلم يزل يحجب هو وولده وولد أخيه وهب بن عثمان حتى قدم ولد عثمان ابن طلحة بن أبي طلحة وولده شافع بن طلحة بن أبي طلحة من المدينة وكانوا بها دهرًا طويلاً فلما قدموا حجبوا بنى عمهم فولد أبي طلحة جميعًا يحجبون[1] .

ويروى عن عثمان بن أبي طلحة أنه قال : كنا نفتح الكعبة يوم الاثنين والخميس فجاء رسول الله ﷺ يومًا يريد أن يدخل مع الناس فتكلمت بشيء فحلم عنى ثم قال: «**ياعثمان لعلك سترى هذا المفتاح يومًا سهمًا ضعه[2] حيث شئت**» فقلت : لقد هلكت قريش يومئذ وذلت . فقال : «**بل عزت**» . ودخل الكعبة ووقعت كلمته منى موقعًا ظننت أن الأمر سيصير إلى ما قال . فأردت الإسلام فأخافوني بزبر ديني زبرًا شديدًا فلما دخل رسول الله ﷺ مكة عام الغضْبة غير الله قلبي ودخله الإسلام ، ولم يقدر لى أن آتيه حتى رجع إلى المدينة ثم قدر لى الخروج إليه فأدلجت فلقيت خالد بن الوليد فاصطحبنا فلقينا عمرو بن العاص فاصطحبنا فقدمنا المدينة / [٢٦/أ] ، فبايعته وأقمت معه حتى خرجت معه في غزوة الفتح فلما دخل مكة قال : «**يا عثمان ائت بالمفتاح**» . فأتيته به فأخذه منى ثم دفعه إلىّ فقال : «**خذوها يابنى طلحة خالدة تالدة إلى يوم القيامة لا ينزعها منكم إلا ظالم**»[3]. وفي ذلك أنزل الله : ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها** ﴾[4] . وفي الصحيح ، أن رسول الله ﷺ قال : «**كل مأثرة كانت فى الجاهلية فهى تحت قدمى هاتين إلا سقاية [5] الحاج وسدانة البيت**»[6] .

---

(١) أخبار مكة للأزرقي (١/١١١) .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى الجامع اللطيف (ص ١١٤) « أضعه » . والله أعلم .

(٣) أخرج هذه القطعة : الطبراني فى الكبير (١١/١٢٠) ، وفى الأوسط (١/١٥٥) ، وهو فى كشف الخفا (١/٣٧٤) ، والمقاصد الحسنة (١/١٩٨) ، وقال فى مجمع الزوائد (٣/٢٨٥) : وفيه عبد الله بن المؤمل وثقه ابن حبان وقال : يخطئ ، وثقه ابن معين فى رواية وضعفه جماعة . اهـ . وهو فى ميزان الاعتدال (٢/٥١٠) .

(٤) سورة النساء : الآية (٥٨) ، وراجع من أول قوله ويروى عن عثمان بن طلحة .. الجامع اللطيف (ص ١١٤ ، ١١٥) .

(٥) السقاية : ما كانت قريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبوذ فى الماء ، والسدانة : خدمتها وتولى أمرها ، وفتح بابها وإغلاقه ، ويطلق على الحجابة : السدانة . راجع النهاية (٢/٣٥٥ ، ٣٨١) .

(٦) أخرجه أبو داود : كتاب الديات - باب فى دية الخطأ شبه العمد ح (٤٥٤٧) ، (٤٥٨٨) عن عبد الله بن عمرو ، وأحمد فى المسند : (٢/١١ ، ٣٦ ، ١٠٣) عن عبد الله بن عمر ، (٣/٤١٠) ، (٥/٤١٢) عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، . وابن =

وعن النبى ﷺ أنه لما فتح الكعْبة أخذ من بنى شيبة مفتاح الكعبة حتى أشفقوا أن ينزعه منهم ثم قال : «**يا بنى شيبة هاكم المفتاح وكلوا بالمعروف**»[1] . رواه سعيد بن منصور . وقال العلماء : إن هذه ولاية من رسول الله ﷺ فلا يجوز لأحد أن ينزعها منهم[2] .

قال المحب الطبرى : لايبعد أن يقال هذا إذا حافظوا على حرمته ولازموا الأدب فى خدمته ، أما إذا لم يحفظوا حرمته فلا يبعد أن يجعل عليهم ومعهم مشرف يمنعهم من هتك حرمته ، قال : وربما تعلق الجاهل المعكوس الفهم بقوله ﷺ : «**كلوا بالمعروف**» فاستباح أخذ الأجرة على دخول البيت ، ولا خلاف بين الأمة فى تحريم ذلك وأنه من أشنع البدع وأقبح الفواحش ، قال : وهذه اللفظة وإن صحت فيستدل بها على إقامة الحرمة ؛ لأن أخذ الأجرة ليس من المعروف وإنما الإشارة - والله أعلم - إلى أن ما يتصدق به من البر والصلة على وجه التبرر فلهم أخذه وذلك أكل بالمعروف لا محالة ، وإلى ما يأخذونه من بيت المال على ما يتولونه / [٢٦/ب] من خدمته والقيام بمصالحه فلا يحل لهم إلا قدر ما يستحقونه . والله أعلم[3] .

وأما اللواء : فكان فى أيدى بنى عبد الدار كلهم يليه منهم ذوا السن والشرف فى الجاهلية ، حتى كان يوم أحد فقتل عليه من قتل منهم[4] .

وأما الرفادة : فخرْجٌ كانت قريش تخرجه من أموالها فى كل موسم فتدفعه إلى قصى يصنع به طعامًا للحاج يأكله من لم يكن معه سعة ولا زاد ، وكان قصى ينحر على كل طريق من طرق مكة جزورًا وينحر بمكة جزرًا كثيرة ويطعم الناس ، وكان يحمل راجل الحاج ويكسو عاريهم ، فلما هلك قصى أقيم أمره فى قومه بعد وفاته على ما كان عليه فى حياته - ولم تزل لعبد مناف بن قصى يقوم بها حتى توفى فولى بعده هاشم بن عبد مناف فكان يطعم الناس فى كل موسم مما يجتمع عنده من ترافد قريش ، كان يشترى بما يجتمع

= ماجه: كتاب الديات - باب دية شبه العمد مغلظة ح (٢٦٢٨) عن ابن عمر ، وقال المنذرى : أخرجه النسائى وابن ماجه وأخرجه البخارى فى التاريخ الكبير . راجع عون المعبود (١٩٠/١٢) ، وذكره الأزرقى (١١٤/١) ، وابن كثير فى تفسيره (٥١٥/١) .

(١) ذكره الحافظ فى الفتح (٦١٢/٧) عن على بن أبى طلحة ، وابن ظهيرة فى الجامع اللطيف (ص ١١٥) .

(٢) الجامع اللطيف (١١٥) .

(٣) الجامع اللطيف (ص ١١٥) .

(٤) الأزرقى (١١١/١) وفيه « ذوو السن » بدلاً من «ذوا السن » ، والجامع اللطيف (ص ١١٧) .

عنده دقيقًا ويأخذ من كل ذبيحة من بدنة وبقرة[1] أو شاة فخذها فيجمع ذلك كله ثم «يخرد به الدقيق»[2] ويطعمه الحاج ، فلم يزل على ذلك من أمره حتى أصاب الناس فى سنة حدب شديد ، فخرج هاشم بن عبد مناف إلى الشام فاشترى بما اجتمع عنده من ماله دقيقًا وكعكًا فقدم به مكة فى الموسم فهشم ذلك الكعك ونحر الجزور وطبخها وجعله ثريدًا وأطعم الناس ، وكانوا فى مجاعة شديدة حتى أشبعهم ، فسمى بذلك هاشمًا وكان اسمه عمرًا ، فلم يزل هاشم على ذلك حتى توفى ، فكان عبد المطلب يفعل ذلك فلما توفى عبد المطلب قام بذلك أبو طالب فى كل موسم حتى جاء الإسلام وهو على ذلك ، وكان النبى ﷺ / [٢٧/أ] قد أرسل بمال يعمل به الطعام مع أبى بكر ﷺ حين حج أبو بكر بالناس سنة تسع ثم عمل فى حجة النبى ﷺ فى حجة الوداع ثم أقامه أبو بكر ﷺ فى خلافته ثم عمر فى خلافته ثم الخلفاء ، وهلم جرًّا[3] . قال الأزرقى : وهو طعام الموسم الذى يطعمه الخلفاء اليوم فى أيام النحر بمنى حتى تنقضى أيام الموسم[4] ، وكان معاوية ﷺ اشترى دارًا بمكة وسماها دار المراحل وجعل فيها قدورًا وكانت الجزور والغنم تذبح وتطبخ فيها وتطعم الحاج أيام الموسم ثم يفعل ذلك فى شهر رمضان[5].

وكانت الجزور والغنم تذبح وتطبخ فيها وتطعم الحاج أيام الموسم ، ثم يفعل ذلك فى شهر رمضان[6]. ويروى أن أول من أطعم الحاج «الفالوزج»[7] بمكة عبد الله بن جدعان[8]. قال أبو عبيدة : وفد عبد الله بن جُدْعان على كسرى فأكل عنده «الفالوزج»[7] فسأل عنه فقالوا : لُباب البر يلت مع العسل . فقال : أبيعونى غلامًا يصنعه. فأتوه بغلام فابتعاه فقدم به مكة فأمره فصنعه للحاج ، ووضع الموائد من الأبطح إلى باب المسجد ثم نادى مناديه ألا من أراد « الفالوزج »[7] فليحضر فحضر الناس ، وأنه مازال

---

(١) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « أو بقرة » . والله أعلم .

(٢) كذا فى الأصل ، والأقرب أن تكون « يخردله الدقيق » أى يقطعه قطعًا ، وعند الأزرقى « يخرر به » . والله أعلم .

(٣) أخبار مكة للأزرقى (١/١١١ ، ١١٢) ، والجامع اللطيف (١١٥ ، ١١٦) .

(٤) أخبار مكة (١/١١٢) .

(٥) الجامع اللطيف (١١٦) .

(٦) الجامع اللطيف (ص ١١٦) .

(٧) كذا فى الأصل ، وفى الجامع اللطيف ، والمنمق « الفالوذج » بالذال المعجمة . والله أعلم . وهو حلوان هلامية رجراجة تعمل من الدقيق والماء والعسل ومواد أخرى . « المعجم الوسيط » .

(٨) المنمق (ص ٣٧٢) ، وأخبار مكة للفاكهى (٣/٢٢٣) .

طعام فى الجاهلية[1]. وفى صحيح مسلم عن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت لرسول الله ﷺ: إن ابن جُدْعان كان يطعم الناس ويقرى الضيف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : « **لا إنه لم يقل يومًا : رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين** »[2]. وابن جدعان هو ابن عم عائشة - رضى الله عنها - .

وفى غريب الحديث لابن قتيبة : أن رسول الله ﷺ قال : «**كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان فى الهاجرة**»[3]. قال ابن قتيبة : كانت جفنته يأكل / [٢٧/ب] منها الراكب على البعير وسقط فيها صبى فمات[4].

قال السهيلى : وكان ابن جدعان فى بدء أمره صعلوكًا ترب اليدين ، وكان مع ذلك شريرًا فاتكًا لا يزال يجنى الجنايات فتغفل[5] عنه أبوه وقومه حتى أبغضته عشيرته ، ونفاه أبوه وحلف أن لا يؤويه أبدًا لما أثقله به من الغرم وحمله من الديات ، فخرج فى شعاب مكة حائرًا ثائرًا[6] يتمنى الموت أن ينزل به ، فرأى شقًا فى جبل فظن فيه حية فتعرض للشق يرجو أن يكون فيه ما يقتله فيستريح فلم ير شيئًا فدخل فيه ، فإذا فيه ثعبان عظيم له عينان يتقدان كالسراجَين ، فحمل عليه الثعبان فأفرج له فانساب عنه مستديرًا بدارة عندها بيت فخطى خطوة أخرى فَصَفَر به الثعبان وأقبل إليه كالسهم فأفرج له فانساب عنه ، فوقع فى نفسه أنه مصنوع من ذهب ومسكه بيده فإذا هو مصنوع من ذهب وعيناه ياقوتتان ، فكسره وأخذ عينيه ودخل البيت فإذا جثث على سرر طوال لم ير مثلهم طولاً وعظمًا وعند رؤوسهم لوح من فضة فيه تاريخهم ، وإذا هم رجال من ملوك جرهم وآخرهم موتًا الحارث بن مضاض ، وإذا عليهم ثياب لا يمس منها شىء إلا انتثر

---

(١) الجامع اللطيف (ص ١١٦) . ولم يذكره عن أبي عبيدة .

(٢) أخرجه مسلم : كتاب الإيمان - باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمله ح (٢١٤)، وأحمد فى المسند (٩٣/٦ ، ١٢٠) . ولفظ مسلم : عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله ! ابن جدعان ، كان فى الجاهلية يصل الرحم ، ويطعم المسكين ، فهل ذاك نافعه ؟ قال : « لا ينفعه . إنه لم يقل يومًا : رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين » .

(٣) راجع الروض الأنف (١٥٨/١) ، والقرطبى (٢٧٦/١٤) .

(٤) راجع الروض الأنف (١٥٨/١) ، والجَفْنة : أعظم ما يكون من القصاع . لسان العرب مادة «جفن» .

(٥) كذا فى الأصل ، وفى الروض « فيعقل » وبه يستقيم المعنى . والله أعلم .

(٦) كذا فى الأصل ، وفى الروض « بائرًا » ، يقال : رجل حائر بائر : إذا لم يتجه لشيء . لسان العرب « حير » . والله أعلم .

كالهباء من طول الزمن وإذا في وسط البيت كوم عظيم من الياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة والزبرجد فأخذ منه ما أخذ ثم علم على الشق علامة وأغلق بابه بالحجارة ، وأرسل إلى أبيه بالمال الذى خرج به يسترضيه ويستعطفه ووصل عشيرته كلهم فسادهم ، وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ويفعل بالمعروف - وصار / [٢٨/أ] هذا الكنز معروفًا بكنز ابن جدعان - وهو ممن حرم الخمر في الجاهلية بعد أن كان مغرًى بها وذلك أنه سكر فتناول القمر ليأخذه فأخبر بذلك حين صحا فحلف لا يشربها أبدًا ، ولما كبر وهرم أراد بنو تميم أن يمنعوه من تبذير ماله ولاموه في العطاء فكان يدعوه الرجل فإذا دنا منه لطمه لطمة خفيفة ثم قال له : قم فانشد لطمتك واطلب ديتها ، فإذا فعل ذلك أعطاه بنو تميم من مال ابن جدعان حتى يرضى. انتهى كلام السهيلي[١] .

وأما «السقاية» : فلم تزل بيد عبد مناف فكان يسقى الناس الماء من بئر خم[٢] على الإبل في المزاود والقرب ، ثم يسكب ذلك الماء في حياض من أدم بفناء الكعبة فيرده الحاج حتى يتفرقوا فكان يستعذب ذلك الماء[٣]. قال السهيلي : ذكروا أن قصيًّا كان يسقى الحجيج في حياض من أدم ، وكان ينقل الماء إليها من آبار خارجة من مكة منها « بئر ميمون الحضرمي»[٤] ، وكان ينبذ لهم الزبيب ، ثم احتفر لهم قصي «العَجُول»[٥] في دار أم هانئ بنت أبي طالب بالحزورة وهي أول سقاية احتفرت بمكة ، وكانت العرب إذا قدمت مكة يردونها فيستقون منها ويتزاحمون عليها[٦] ، وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت آبارًا ، وحفر قصيّ أيضًا بئرًا عند الردم الأعلى ثم حفر هاشم ابن عبد مناف بئرًا وقال حين حفرها : لأجعلنها للناس بلاغًا .وحفرها قصي أيضًا

---

(١) الروض الأنف (١/١٥٩ ، ١٦٠) .

(٢) بئر خُم : كانت مشرب الناس في الجاهلية ، وحفرها كلاب بن مرة ، ويقال إنها لبني مخزوم . تاريخ مكة للفاكهي (٤/٩٧) ، والأزرقي (١/١١٢) ، (٢/٢١٤) . وقال السهيلي في الروض الأنف (١/١٧٤) : هي بئر مرة ، فهي من خممت البيت إذا كنسته ، ويقال : فلان مخموم القلب أي : نقيه ، فكأنها سميت بذلك لنقائها .

(٣) تاريخ مكة للأزرقي (١/١١٢) .

(٤) بئر ميمون الحضرمي : آخر بئر حفرت من هذه الآبار في الجاهلية ، و لم يكن بمكة يومئذ ماء يشرب إلا زمزم ، وحفرها ميمون بن الحضرمي . تاريخ مكة للفاكهي (٤/١٠٤)، والأزرقي (٢/٢٢٢) .

(٥) العَجول : بئر لم يحفر أول منها . تاريخ مكة للأزرقي (٢/٢١٥) ، وتاريخ مكة للفاكهي (٣/٩٧) وقال إن الذى حفرها « قصي» . ا هـ . والروض الأنف (١/١٧٢) .

(٦) الروض الأنف (١/١٧٢) .

سجْلة[1] ، وقيل : بل حفرها هاشم وهى البئر التى يقال لها : بئر جبير بن مطعم فكانت سجلة لهاشم بن عبد مناف فلم تزل لولده حتى وهبها أسد بن هاشم لمطعم بن عدى حين حفر عبد المطلب / [٢٨/ب] زمزم واستغنوا عنها ، ويقال : وهبها له عبد المطلب حين حفر زمزم واستغنى عنها ، وسأله المطعم بن عدى أن يضع حوضًا من أدْم إلى جنب زمزم السفلى ؛ ليسقى فيه من ماء بئره فأذن له فى ذلك فكان يفعل ، فلم يزل هاشم بن عبد مناف يسقى الحاج حتى توفى فقام بأمر السقاية من بعده عبد المطلب بن هاشم فلم يزل كذلك حتى حفر زمزم فأغنت عن آبار مكة فكان منها مشرب الحاج ، قال : وكانت لعبد المطلب إبل كثيرة إذا كان يوم الموسم جمعها ثم سقى لبنها بالعسل فى حوض من أدْم عند زمزم ، ويشترى الزبيب فينبذه بماء زمزم ويسقيه الحاج ؛ ليكسر غلظ ماء زمزم وكانت إذ ذاك غليظة جدًا ، وكان الناس إذ ذاك لهم فى بيوتهم أسقفة[2] فيها الماء من هذه الآبار ثم ينبذون فيها القبضات من الزبيب والتمر ؛ لتكسر عنهم ماء آبار مكة ، وكان الماء العذب بمكة عزيزًا لا يوجد إلا لإنسان يستعذب له من بئر ميمون خارج مكة ، فلبث عبد المطلب يسقى الناس حتى توفى ، فقام بأمر السقاية بعده العباس بن عبد المطلب ﷺ فلم تزل فى يده ، وكان للعباس كرم بالطائف وكان يحمل زبيبه إليها وكان يداين أهل الطائف ويقتضى منهم الزبيب فينبذ ذلك كله ويسقيه الحاج أيام الموسم ، فدخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح فقبض السقاية من العباس بن عبد المطلب والحجابة من عثمان بن طلحة ، فقام العباس بن عبد المطلب ﷺ فبسط يده وقال : يارسول الله بأبى أنت وأمى اجمع لى / [٢٩/أ] الحجابة والسقاية فقال رسول الله ﷺ : «**أعطيكم ما تزرءون فيه ولا تزرءون منه**»[3] . فقام بين عضادتى باب الكعبة فقال : **ألا إن كل دم أو مال أو مأثرة كانت فى الجاهلية فهى تحت قدمى هاتين إلا سقاية الحاج وسدانة الكعبة ، فإنى قد أمضيتهما لأهلهما على ما كانت عليه فى الجاهلية**[4] .

فقبضها العباس فكانت فى يده حتى توفى فوليها بعده عبد الله بن عباس فكان يفعل فيها

---

(١) تاريخ مكة للأزرقى (٢/٢١٧) ، والروض الأنف (١/١٧٢ ، ١٧٣) ، وتاريخ مكة للفاكهى (٤/٩٩ ، ١٠٠) .

(٢) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى «أسقية» . والله أعلم .

(٣) المغازى للواقدى (٢/٨٣٣) ، وسيرة ابن هشام مع شرح أبى ذر الخشنى (٤/٧٩) وفيها : وقال أبو على : إنما معناه : إنما أعطيتكم ما تمنون كالسقاية التى تحتاج إلى مؤن ، وأما السدانة فيرزأ لها الناس بالبعث إليها يعنى كسوة البيت . ا هـ . « وعندهم ترزءون » بتقديم الراء . والله أعلم .

(٤) تقدم تخريجه .

كفعله دون بنى عبد المطلب ، وكان محمد ابن الحنيفة ﷺ قد كلم فيها ابن عباس فقال له ابن عباس : ما لك ولها نحن أولى بها فى الجاهلية والإسلام ، قد كان أبوك يتكلم فيها فأقمت البينة طلحةَ بن عبد الله وعامرَ بن ربيعة وأزهر بن عبد الرحمن بن عوف ومخرومة ابن نوفل أن العباس بن عبد المطلب كان يليها فى الجاهلية بعد عبد المطلب وجدك أبو طالب فى إبله فى باديته بعرنة ، وأن رسول الله ﷺ أعطاها العباس يوم الفتح دون بنى عبد المطلب فعرف ذلك مَن حضر ، فكانت بيد عبد الله بن عباس بتولية النبى ﷺ دون غيره لا ينازعه فيها منازع ولا يتكلم فيها متكلم حتى توفى ، فكانت فى يد على ابن عبد الله بن عباس يفعل فيها كفعل أبيه وجده - رضى الله عنهم - يأتيه الزبيب من ماله بالطائف وينبذه حتى توفى ، فكانت بيد ولده حتى الآن(١).

قال الأزرقى : كان لزمزم حوضان : فحوض بينها وبين الركن يشرب منه الماء ، وحوض من ورائها للوضوء له سرب يذهب فيه الماء(٢).

وأما القيادة : أى قيادة الجيوش / [٢٩/ب] - مِن قاد أى : [قود](٣) ، الواحد قائد - فوليها من بنى عبد مناف عبد شمس بن عبد مناف ثم من بعده أمية بن عبد شمس ، ثم حرب بن أمية فقاد الناس يوم عكاظ وغيره ، ثم كان سفيان(٤) بن حرب يقود قريشًا بعد أبيه حتى كان يوم بدر فقاد الناس عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وكان أبو سفيان فى الحرب(٥) فى العير يقود الناس فلما كان يوم أحد قاد الناس أبو سفيان بن حرب ، وقاد الناس ، يوم الأحزاب ، وكانت آخر وقعة لقريش وحرب حتى جاء الله تعالى بالإسلام وفتح مكة(٦).

[فصل]

ما جاء فى عبادة بنى إسماعيل الحجارة وتغيير دين إبراهيم

قال ابن إسحاق : إن بنى إسماعيل وجرهم ضاقت عليهم مكة فتفسحوا فى البلاد والتمسوا المعاش ، وأول ما كانت عبادة الحجارة فى بنى إسماعيل أنه كان لا يظعن من

---

(١) تاريخ مكة للأزرقى (١/١١٣ - ١١٥) وفيه «مخرمة» بدلاً من «مخرومة» .

(٢) تاريخ مكة للأزرقى (٢/٥٩) بسنده عن عطاء .

(٣) غير واضحة فى الأصل ، ولعلها ما أثبتناه . والله أعلم .

(٤) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « أبو سفيان » وهو الصواب . والله أعلم .

(٥) كذا فى الأصل ، ولعل معناها : فى أثناء الحرب قائمًا على العير . والله أعلم .

(٦) تاريخ مكة للأزرقى (١/١١٥) ، والجامع اللطيف (ص ١١٧ ، ١١٨) .

مكة ظاعن منهم إلا احتملوا معهم من حجارة الحرم ؛ تعظيمًا للحرم وصبابة[1] بمكة وبالكعبة حيث ما حلوا وضعوه وطافوا به كالطواف بالكعبة حتى أفضى ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من حجارة الحرم خاصة حتى خلفت الخلوف بعد الخلوف ، ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - غيره ، فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم من الضلالات ، واستباحوا ما كان يعبد قوم نوح منها على إرث[2] ما كان قد بقي فيهم مِن ذكرها ، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف بعرفة ومزدلفة وهدى البدن والإهلال بالحج والعمرة مع إدخالهم فيه / [٣٠/أ] ما ليس منه ، وكان أول مَن غير دين إسماعيل وإبراهيم ونصب الأوثان وسيّب السائبة وبحر البحيرة ووصل الوصيلة وحمى الحام عمرو بن لحي.

قال رسول الله ﷺ : «**رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار** - أي أمعاءه - **على رأسه فرْوَة**» ، فقال له رسول الله ﷺ : «**من في النار**» ؟ قال : من بيني وبينك من الأمم[3][4].

[فصل]

ما جاء في أول مَن نصب الأصنام في الكعبة والاستقسام بالأزلام

قال ابن إسحاق : إن البئر التي كانت في جوف الكعبة كانت على يمين من دخلها، وكان عمقها ثلاثة أذرع ، حفرها إبراهيم وإسماعيل ؛ ليكون فيها ما يهدى للكعبة فلم تزل كذلك حتى كان عمرو بن لحي فقدم بصنم يقال له : هبل من هيت من أرض الجزيرة ، وكان هبل من أعظم أصنام قريش عندها ، فنصبه على البئر في بطن الكعبة وأمر الناس

---

(١) الصَّبابة : الشوق ، وقيل : رقته وحرارته ، وقيل : رقة الهوى « لسان العرب » مادة : « صبب » .

(٢) قال أبو عبيد : الإرث أصله من الميراث . ا هـ . أي بقية من ورث قوم نوح ، وفرق بعض العلماء بين الإرث والميراث ، لأن الميراث في المال ، والإرث في الحسب . والله أعلم . راجع « لسان العرب» مادة : ورث ، «وغريب الحديث» لأبي عبيد (١٨١/١ ، ١٨٢) .

(٣) أخرجه البخاري : كتاب التفسير - باب ﴿ ما جعل الله من بحيرة ... ﴾ ح (٤٦٢٤ - فتح) ومسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ح (٢٨٥٦) . لكن بلفظ « رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار ، وكان أول من سيب السيوب عن أبي هريرة مرفوعًا . وعند ابن هشام (١٢٠/١ ، ١٢١) عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم مرفوعًا نحوه .

(٤) تاريخ مكة للأزرقي (١١٦/١ ، ١١٧) .

بعبادته ، فكان الرجل إذا قدم من سفره بدأ به على أهله بعد طوافه بالبيت وحلق رأسه عنده ، وهبل الذى قال له أبو سفيان يوم أحد : «أهل»[1] هبل اعل هبل أى : ظهر دينك فقال النبى ﷺ : «**الله أعلى وأجل**»[2] . وكان اسم البئر الأخسف[3] .

قال إسحاق[4] : وكان عند هبل فى الكعبة سبعة قداح ، كل قدح منها مكتوب فيه كتاب ، قدح فيه «العقل» إذا اختلفوا فى العقل من يحمله ضربوا بالقداح السبعة عليهم فعلى من خرج حمله وقدح فيه «نعم» للأمر إذا أرادوه «يضرب به فى القداح »[5] فإن ظهر قدح فيه نعم عملوا به ، وقدح فيه «لا» فإذا أرادوا الأمر ضربوا به فى القداح فإذا خرج ذلك لم يفعلوا ذلك الأمر وقدح فيه «منكم» ، وقدح فيه «ملصق» ، وقدح فيه «من غيركم»، وقدح فيه / [٣٠/ب] «المياه» فإذا أرادوا أن يحفروا الماء ضربوا بالقداح ، وفيها ذلك القدح فحيث ما خرج به عملوا به، وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلامًا أو يزوجوا أحدًا أو يدفنوا ميتًا أو شكوا فى نسب أحد ذهبوا به إلى هبل ومائة درهم وجزور فأعطوها صاحب القداح الذى يضرب بها ثم قربوا صاحبهم الذى يريدون به ما يريدون ثم قالوا : يا إلهنا هذا فلان بن فلان أردنا به كذا وكذا فأخرج الحق فيه ثم يقولون لصاحب القداح : اضربه فإن خرج «منكم» كان منهم وسيطًا ، وإن خرج عليه «من غيركم» كان حليفًا ، وإن خرج عليه «ملصق» كان ملصقًا على منزلته فيهم لا نسب له ولا حلف ، وإن خرج عليه شىء سوى هذا مما يعملون به عملوا به ، وإذا خرج «لا» أخروه عامه ذلك حتى يأتون[6] به مرة أخرى ينتهون فى أمرهم ذلك إلى ما خرجت به القداح[7] ، وكذلك فعل عبد المطلب بابنه حين أراد أن يذبحه[8] . قال ابن إسحاق : وكان هبل من خرز العقيق على

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى الرواية « اعل » وكذا عند الأزرقى . والله أعلم .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب المغازى - باب غزوة أحد ح (٤٠٤٣ - فتح) ، وأحمد فى المسند : (٢٩٣/٤) عن البراء بن عازب ، والمسند (٤٦٣/١) عن عبد الله بن مسعود ، و لم يتكرر لفظ «اعل هبل» وتكرر عند القرطبى (٧٦/٩) .

(٣) تاريخ مكة للأزرقى (١١٧/١) .

(٤) كذا فى الأصل ، والصواب « ابن إسحاق » وراجع الأزرقى (١١٧/١) ، وسيرة ابن هشام مع الروض الأنف (١٧٦/١) . والله أعلم .

(٥) فى السيرة « يضرب به القداح » ، وفى الأصل « يضرب به فى القداح » كأنه مضروب عليه .

(٦)كذا فى الأصل ، والصواب « يأتوا » كما فى الأزرقى والسيرة . والله أعلم .

(٧) تاريخ مكة للأزرقى (١١٧/١ - ١١٩) ، وسيرة ابن هشام (٢٠٣/١ ، ٢٠٤) ، والسيرة مع الروض (١٧٦/١) .

(٨) تاريخ مكة للأزرقى (١١٨/١ ، ١١٩) .

صورة إنسان وكانت يده اليمنى مكسورة [فأدركته][1] قريش فجعلت له يدًا من ذهب ، وكانت له خزانة للقربان وكان قربانه مائة بعير ، وكان له حاجب[2].

[فصل]

ما جاء في أول من نصب الأصنام وما كان من كسرها

قد تقدم أنه زنى رجل من جرهم بامرأة في الكعبة وقبَّلها فيها فمسخا حجرين[3]، واسم الرجل إساف بن بغه[4] ، وقيل : إساف بن عمرو[5] ، واسم المرأة نائلة بنت ذئب ، وقيل : بنت سهيل ، فأخرجا من الكعبة - وعليهما ثيابهما - فنصب أحدهما على الصفا والآخر على المروة ، فلم يزل الأمر يدرس ويتقادم حتى صار يمسحهما من وقف على الصفا والمروة ثم صارا وثنين يعبدان ، فلما كان عمرو بن لحي أمر الناس بعبادتهما / [٣١/أ] والتمسح بهما حتى كان قصيّ فصارت إليه الحجابة وأمر مكة فحولهما من الصفا والمروة ، فجعل أحدهما بلصق الكعبة وجعل الآخر في موضع زمزم ، وكان ينحر عندهما - وكان يطرح بينهما ما يهدى للكعبة ، ولم تكن تدنو منهما امرأة طامث - وكان الطائف إذا طاف بالبيت بدأ بإساف فاستلمه ، وإذا فرغ من طوافه ختم بنائلة فاستلمها ، حتى كان يوم الفتح فكسرهما رسول الله ﷺ مع ما كسر من الأصنام[6]. فخرج من نائلة عجوز سوداء شمطاء حبشية تخمش وجهها عريانة ناشرة الشعر تدعو بالويل والثبور ، فقيل لرسول الله ﷺ في ذلك : فقال : «**تلك نائلة قد أيست أن تعبد ببلادكم**»[7] . وعن ابن عباس قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وإن بها ثلاثمائة وستين صنمًا قد سدها[8] لهم إبليس بالطعام - وفي رواية : حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنمًا - وكان بيد رسول الله ﷺ قضيب - فطاف على راحلته وجعل يطعنها -

---

(١) غير واضحة في الأصل ، والتصويب من الأزرقي (١/١١٩) .

(٢) تاريخ مكة للأزرقي (١/١١٩)

(٣) تاريخ مكة للأزرقي (١/١١٩) ، وسيرة ابن هشام (١/١٢٧) وأورده من طريق ابن إسحاق بسنده عن عائشة موقوفًا ، والبداية والنهاية (٢/١٧٨) .

(٤) كذا في الأصل ، وفي السيرة « بغْى » . والله أعلم .

(٥) تاريخ مكة للأزرقي (١/١٢٢) ، ومغازي الواقدي (٢/٨٤١) .

(٦) تاريخ مكة للأزرقي (١/١١٩ ، ١٢٠) عن ابن إسحاق ، وما بين الاعتراضات عن عمرة .

(٧) مغازي الواقدي (٢/٨٤١) ، وتاريخ مكة للأزرقي (١/١٢٢) ، والروض الأنف (١/١٠٥) ، وهو في دلائل النبوة للبيهقي (٥/٧٥) بسنده عن ابن أبزى ، وكذا هو في «البداية والنهاية» (٤/٣٠٠ ، ٣٠١) .

(٨) كذا في الأصل ، وعند الأزرقي « سدها ، بالرصاص » والله أعلم .

ويقول : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا ﴾[1] - فما منها صنم أشار إلى وجهه إلا وقع على دبره ، ولا أشار إلى دبره إلا وقع على وجهه حتى وقعت كلها[2] وأمر بهبل فكسر وهو واقف عليه . فقال الزبير بن العوام ﷺ لأبي سفيان : يا أبا سفيان ابن حرب قد كسر هبل أما إنك قد كنت منه يوم أحد في غرور حين تزعم أنه قد أنعم عليك ، فقال أبو سفيان : دع هذا عنك يا ابن العوام فقد أرى أن لو كان مع إله محمد غيره لكان غير ما كان[3] .

وقال ابن إسحاق : لما صلى النبي ﷺ / [٣١/ب] الظهر يوم الفتح أمر بالأصنام التي حول الكعبة فجمعت ثم حرقت بالنار وكسرت[4] ، ولم يكن في قريش رجل بمكة إلا وفي بيته صنم[5]. ويقال : إن إبليس رن ثلاث رنات : رنة حين لُعن فتغيرت صورته عن صورة الملائكة ، ورنة حين رأى رسول الله ﷺ قائمًا بمكة ، ورنة حين افتتح رسول الله ﷺ [6].

وقال ابن إسحاق : نصب عمرو بن لحي الخلصة بأسفل مكة ، وكانوا يلبسونها القلائد ويهدون لها الشعير والحنطة ويصبون عليها اللبن ويذبحون لها ويعلقون عليها بيض النعام ، ونصب على الصفا صنمًا يقال له : نهيك مجاود الريح ، ونصب على المروة صنمًا يقال له : مطعم الطير[7]. وأما مناة وكانت صخرة لهذيل[8] وخزاعة فأول من نصبها عمرو ابن لحي على ساحل البحر مما يلي قديد ، وكانت الأوس والخزرج وغسان من الأزْد ومن دان دينها من أهل يثرب وأهل الشام كانوا يحجونها ويعظمونها ، فإذا طافوا بالبيت

---

(١) أخرجه البخاري : كتاب المظالم - باب هل تكسر الدنان التي فيها خمر أو تخرق الزقاق ح (٢٤٧٨ - فتح) ، ومسلم : كتاب الجهاد والسير - باب إزالة الأصنام من حول الكعبة ح (١٧٨١) بنحوه.

(٢) سيرة ابن هشام (٨٤/٤ ، ٨٥) ، وتاريخ مكة للأزرقي (١٢٠/١ ، ١٢١) وما بين الاعتراضات رواية أخرى ، ومغازي الواقدي (٨٣٢/٢) ، والبداية والنهاية (٣٠١/٤) .

(٣) مغازي الواقدي (٨٣٢/٢) ، وتاريخ مكة للأزرقي (١٢٢/١) .

(٤) تاريخ مكة للأزرقي (١٢١/١) .

(٥) تاريخ مكة للأزرقي (١٢٣/١) ولكنه عن الواقدي ، كما في مغازي الواقدي (٨٧٠/٢) بسنده عن سعيد بن عمرو الهذلي .

(٦) تاريخ مكة للأزرقي (١٢٢/١ ، ١٢٣) ، ومغازي الواقدي (٨٤١/٢ ، ٨٤٢) .

(٧) تاريخ مكة للأزرقي (١٢٤/١) .

(٨) تاريخ مكة للأزرقي (١٢٥/١) عن محمد بن السائب الكلبي .

وأفاضوا من عرفات وفرغوا من منى لم يحلقوا رؤوسهم إلا عند مناة ، وكان[1] يهلون لها ومن أهل لها لم يطف بين الصفا والمروة مكان[2] الصنمين اللذين عليهما ، وهما نهيك مجاود الريح ومطعم الطير ، وكان هذا الحى من الأنصار يهلون بمناة ، وكانوا إذا أهلوا بحج أو عمرة لم يظل أحد منهم سقف بيته حتى يفرغ من حجه أو عمرته ، فكان الرجل إذا أحرم لم يدخل بيته ، وإن كانت له فيه حاجة تسور من ظهر بيته لئلا يحف[3] رتاج الباب رأسه، فلما جاء الله بالإسلام وهدم أمر الجاهلية أنزل فى ذلك : ﴿**وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها**﴾[4] / [٣٢/أ] .

وأما اللات والعزى فكان بدء أمرهما فيما روى ابن عباس : أن رجلاً ممن مضى كان يقعد على صخرة لثقيف يبيع السمن من الحاج إذا مروا فتلت سويقهم - وكان ذا غنم - فسميت الصخرة اللات فمات ، فلما فقده الناس قال لهم عمرو : إن ربكم كان اللات فدخل فى جوف الصخرة ، وكانت العزى ثلاث شجرات سمرات[5] بنخلة ، وكان أول من دعى إلى عبادتها عمرو بن ربيعة والحارث بن كعب ، وقال لهم عمرو : إن ربكم يصيف باللات لبرد الطائف ويشتو بالعزى لحر تهامة ، وكان فى كل واحدة شيطان يعبد ثم بعث رسول الله ﷺ بعد الفتح خالد بن الوليد إلى العزى يقطعها فقطعها ثم جاء فقال له النبى ﷺ : «**ما رأيت فيهن؟**» فقال : لا شيء قال : «**ما قطعتهن فارجع فاقطع**» فرجع فقطع فوجد تحت أصلها امرأة ناشرة شعرها قائمة عليهن كأنها تنوح عليهن فرجع فقال : إنى رأيت كذا وكذا قال : «**صدقت**»[6]. ويروى أن خالد بن الوليد خرج إلى العزى يهدمها فى ثلاثين فارسًا من أصحابه حتى انتهى إليها فهدمها ثم رجع إلى النبى ﷺ فقال : «**أهدمت ؟**» قال : نعم يا رسول الله . قال : «**هل رأيت شيئًا ؟**» قال : لا .

---

(١) فى تاريخ مكة للأزرقى « وكانوا » والله أعلم .

(٢) عند الأزرقى « لمكان » . والله أعلم .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى « يجن » وهو الصواب . والله أعلم ، أى : يستر رأسه . راجع لسان العرب مادتى « رتج » ، « جنن » .

(٤) سورة البقرة : الآية (١٨٩) . وراجع تفسير القرطبى (٣٤٥/٢) ، وتاريخ مكة للأزرقى (١٢٤/١ ، ١٢٥) .

(٥) سمرات جمع سَمُرة - بضم الميم - : من شجر الطلح . لسان العرب مادة «سمر» .

(٦) تاريخ مكة للأزرقى (١٢٥/١ ، ١٢٦) ، وراجع البداية والنهاية (٣١٥/٤) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٧٧/٥) ، والدر المنثور (١٢٦/٦) ، وتفسير ابن كثير (٢٥٤/٤)، والمجمع (١٧٦/٦) وتفسير القرطبى (٩٩/١٧ ، ١٠٠) ، والحديث كذلك فى النسائى الكبرى (٤٧٤/٦) عن أبى الطفيل بنحوه .

قال ﷺ : « **فإنك لم تهدمها فارجع فاهدمها** » فخرج خالد وهو متغيظ فلما انتهى إليها جرد سيفه فخرجت إليه امرأة عريانة ناشرة شعرها فجعل السادن يصيح بها فأقبل خالد بالسيف إليها فضربها فجزلها باثنتين ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره ، قال : /[٣٢/ب] «**تلك العزى قد أيست أن تعبد ببلادكم**». [فقال][1] خالد : يا رسول الله، الحمد لله الذى أكرمنا بك وأنقذنا بك [من الهلكة][1] ، لقد كنت أرى أبى يأتى إلى العزى بخير ماله من الإبل والغنم [فيذبحها][1] للعزى ويقيم عندها ثلاثًا ثم ينصرف إلينا مسرورًا ، ونظرت إلى ما مات أبى وإلى ذلك الرأى الذى يعاش فى فضله ، وكيف خدع حتى صار يذبح لما لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ، فقال رسول الله ﷺ : «**إن هذا الأمر إلى الله فمن يسره للهدى تيسر له ومن يسره للضلالة كان فيها**»[2] . وكان هدمها لخمس ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان ، وكان سادنها أفلح بن النضر السلمى من بنى سليم ، فلما حضرته الوفاة دخل عليه أبو لهب يعوده وهو حزين ، فقال : ما لى أراك حزينًا ؟ قال : أخاف أن تضيع العزى من بعدى . فقال له أبو لهب : لا تحزن فأنا أقوم عليها بعدك . فجعل أبو لهب يقول لكل من لقيه : إن تظهر العزى كنت قد اتخذت عندها يدًا ، وإن يظهر محمد ﷺ على العزى وما أراه يظهر فابن أخى . فأنزل الله عز وجل ﴿ **تبت يدا أبى لهب وتب** ﴾[3] .

وأما ذات أنواط : فكانت شجرة عظيمة خضراء بحنين ، يقال لها : «ذات أنواط» لكفار قريش ومَن سواهم من العرب ، كانوا يعظمونها ويذبحون لها ويعكفون عندها يومًا، وكان من حج منهم وضع زاده عندها ويدخل بغير زاد تعظيمًا للحرم ، فلما ذهب رسول الله ﷺ إلى حنين قال له رهط من أصحابه فيهم الحارث بن مالك: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فكبّر / [٣٣/أ] رسول الله ﷺ وقال : « **هكذا قال قوم موسى** » : ﴿ **اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون** ﴾[4] .

---

(١) طمس بالأصل ، وتم استدراكه من أخبار مكة للأزرقى (١٢٧/١) . و لله الحمد .

(٢) تاريخ مكة للأزرقى (١٢٧/١ ، ١٢٨) ، ومغازى الواقدى (٨٧٣/٣ ، ٨٧٤) عن سعيد بن عمرو الهذلى ، وتهذيب تاريخ دمشق (١٠١/٥ ، ١٠٢) .

(٣) سورة المسد : الآية (١) . وراجع تاريخ مكة للأزرقى (١٢٥/١ - ١٢٨).

(٤) سورة الأعراف : الآية (١٣٨) . وراجع تاريخ مكة للأزرقى (١٢٩/١ ، ١٣٠) بعضه عن أبى واقد الليثى وبعضه عن ابن عباس ، وأخرجه الترمذى ح (٢١٨٠) كتاب الفتن : باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم وقال : هذا حديث حسن صحيح . اهـ . وابن حبان ح (٦٧٠٢ - إحسان) ، وأحمد فى المسند (٢١٨/٥) .

[فصل]
مسيرة تبع إلى مكة

قال ابن إسحاق : سار تبع الأول إلى الكعبة فأراد هدمها وتخريبها ، وخزاعة يومئذ تلي البيت وأمر مكة ، فقامت خزاعة دونه فقاتلت عنه أشد القتال حتى رجع ثمَّ تبع آخر كذلك ، «والتتابعة»[1] الذين أرادوا هدم الكعبة وتخريبها ثلاثة ، وقد كان قبل ذلك منهم من يسير في البلاد فإذا دخل مكة عظم الحرم والبيت ، فأما تبع الثالث الذي أراد هدم البيت إنما كان في أول زمان قريش ، وسبب مسيره إليه أن قومًا من هذيل من بني لحيان جاؤوه فقالوا له : إن بمكة بيتًا يعظمه العرب جميعًا وتفدى إليه وتنحر عنده وتحجه وتعتمره، وإن قريشًا تليه وقد حازت شرفه وذكره وأنت أولى أن يكون ذلك البيت وشرفه لك ، فلو سرت إليه وخربته وبنيت بيتًا عندك ثم صرفت حاج العرب إليه كنت أحق به منهم ، قال : فأجمع السير إليه[2] ، فلما كان تبع بالدف[3] من جمدان[4] بين «أَمَج وعسْفان»[5] ، دفت بهم[6] دوابهم وأظلمت عليهم الأرض ، فدعى أحبارًا كانوا معه من أهل الكتاب فسألهم ، فقالوا : هل هممت لهذا البيت بشيء ؟ قال : أردت أن أهدمه . قالوا : فانوِ له خيرًا أن تكسوه وتنحر عنده ، ففعل فانجلت عنهم الظلمة ، وإنما سمي الدف من أجل ذلك[7] .

وفي رواية قال له الأحبار : هل هممت لهذا البيت بسوء ؟ فأخبرهم بما قال له الهذليون وبما أراد أن يفعل فقالت الأحبار : والله / [٣٣/ب] ما أرادوا إلا هلاكك وهلاك قومك ، إن هذا بيت الله الحرام ولم يرده أحد قط بسوء إلا هلك . قال : فما الحيلة ؟ قالوا : تنوى له خيرًا أن تعظمه وتكسوه وتنحر عنده وتحسن إلى أهله ففعل ،

---

(١) كذا في الأصل وعند الأزرقي « والتبابعة » . والله أعلم .

(٢) تاريخ مكة للأزرقي (١٣٢/١) .

(٣) الدّف – بلفظ الدف الذي ينقر به – : موضع في جمدان من نواحي المدينة من ناحية عسفان . معجم البلدان (٤٥٨/٢) .

(٤) جُمْدَان – بالضم ثم سكون – : جبل بين ينبع والعيص على ليلة من المدينة ، وقيل : واد بين ثنية غزال وبين أمج . معجم البلدان (١٦١/٢) .

(٥) أَمَج – بفتح أوله وثانيه – بلد من أعراض المدينة ، وعُسْفَان بضم أوله وسكون ثانيه ثم فاء ، وآخره نون – : منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة . راجع معجم البلدان (٢٤٩/١) ، (١٢١/٤) .

(٦) أي : سارت بهم سيرًا لينًا . راجع لسان العرب مادة « دفف » .

(٧) تاريخ مكة للأزرقي (١٣٢/١ ، ١٣٣) عن موسى بن عيسى المديني .

فانجلت عنهم الظلمة وسكنت الريح وانطلقت بهم ركابهم ودوابهم ، فأمر تبع بالهذليين فضربت رقابهم وصلبهم وإنما كانوا فعلوا ذلك حسدًا لقريش على ولايتهم البيت[١].

قال السهيلى : روى نقلة الأخبار أن تبعًا لما عمد إلى البيت يريد إخرابه رمى بداء تمخض منه رأسه قيحًا وصديدًا يثج ثجًا ، وأنتن حتى لا يستطيع أحد أن يدنو منه قيد رمح - وقيل : بل أرسلت عليه ريح كتّفت منه يديه ورجليه وجلده فأصابتهم ظلمة شديدة حتى رقت[٢] خيلهم ، فقال له : الحبران تُبْ إلى الله مما نويت ففعل فبرئ من دائه وصح من وجعه[٣]. قال السهيلى : وأخلق بهذا الخبر أن يكون صحيحًا ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم** ﴾[٤]. أى : ومن يهم فيه بظلم وإن لم يفعل عُذّب تشديدًا فى حقه وتعظيمًا لحرمته كما فعله الله بأصحاب الفيل أهلكهم قبل الوصول إلى بيته[٥]. انتهى . ثم سار تبع حتى قدم مكة فكان سلاحه بقُعَيْقَعان فلذلك سمى قعيقعان ، وكانت خيله بأجياد فلذلك سمى أجياد الجياد خيل تبع ، وكانت مطابخه فى الشِّعب الذى يقال له : شعب عبد الله بن عامر بن كريز فلذلك سمى شعب المطابخ ، فأقاما[٦] بمكة أيامًا ينحر فى كل يوم مائة بدنة ولا يرزأ هو ولا أحد من عسكره منها شيئًا، يردها الناس ويأخذون منها حاجتهم ثم يقع عليها / [٣٤/أ] الطير فيأكل ثم يتناوبُها السباع إذا أمست لا يصد عنها إنسان ولا طائر ولا سبع ، يفعل ذلك كل يوم مدة مقامه ثم كسا البيت كسوة كاملة كساه العَصَب[٧] ، وجعل له بابًا يغلق بضبة فارسية ، وهو أول من كسا البيت كسوة كاملة ، أُرى فى المنام أن يكسوها فكساها الأنطاع[٨] ثم أُرى أن يكسوها فكساها الوصائل ثياب حبرة من عصب اليمن ، وهو أول من جعل لها بابًا

---

(١) تاريخ مكة للأزرقى (١٣٣/١) عن ابن إسحاق ، ونحوه فى سيرة ابن هشام (٥٩/١ - ٦١) ، والروض الأنف (٣٩/١ ، ٤٠) .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى الروض « دفّت » والله أعلم .

(٣) الروض الأنف (٣٩/١ ، ٤٠) .

(٤) سورة الحج : الآية (٢٥) .

(٥) الروض الأنف (٤٠/١) .

(٦) كذا فى الأصل وفى أخبار مكة للأزرقى « فأقام » . والله أعلم .

(٧) العَصَب : قال الخطابى فى المعالم (على حديث قلادة من عَصْب) : إن لم تكن الثياب اليمانية فلا أدرى ما هو . ا هـ . وقال أبو موسى : هى العَصَب - بفتح الصاد -: وهى أطناب مفاصل الحيوانات وهو شيء مدور ... إلخ . لسان العرب مادة « عصب » .

(٨) الأنطاع - جمع نِطْع - : وهو من الأدَم (الجلد) معروف . لسان العرب مادة « نطع » .

يغلق ولم يكن يغلق قبل ذلك[1] .

قال القتَبى : كانت قصة تبع قبل الإسلام بسبعمائة عام[2] .

[فصل]

مبتدأ حديث الفيل

كان من حديث الفيل ما ذكروا أن ملكًا من ملوك حِمير يقال له : زرعة ذو نواس، وكانوا قد تهودوا واستجمعت معه حمير على ذلك إلا أهل نجران فإنهم كانوا على النصرانية على أصل حكم الإنجيل ، ولهم رأس يقال له : عبد الله بن تامر[3] ، فدعاهم ذو نواس إلى اليهودية فأبوا فخيرهم فاختاروا المقتل ، فخد لهم أخدودًا وصنف لهم المقتل ، فمنهم من قتل صبرًا ومنهم من أوقد له النار فى الأخدود فألقاه فى النار إلا رجلاً من سبأ يقال له : دوس بن ثعلبان ، فهرب على فرس له يركض فأتى قيصر فذكر له ما بلغ منهم واستنصره ، فقال له : بعدت بلادك ونأت دارك عنا ، ولكن سأكتب إلى ملك الحبشة فإنه على ديننا فينصرك فكتب له إلى النجاشى يأمره بنصره ، فلما قدم على النجاشى بعث معه رجلاً من الحبشة يقال له : أرياط ، وقال : إن دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها واسب ثلث نسائها وذراريها وابعثهم إلىَّ وخرب ثلث بلادها ، فلما دخلوا أرض اليمن تناوشوا بسبأ[4] من / [٣٤/ب] قتال ثم ظهر عليهم ، ثم خرج ذو نواس على فرسه فاستعرض له البحر حتى لجج به فماتا جميعًا فى البحر وكان آخر العهد به ، فدخلها أرياط فعمل ما أمره به النجاشى[5] .

[فصل]

ذكر الفيل حين ساقته الحبشة

قال ابن إسحاق : لما ظهرت الحبشة على أرض اليمن كان مُلكهم إلى أرياط وأبرهة، وكان أرياط فوق أبرهة ، فأقام أرياط باليمن سنتين فى سلطانه لا ينازعه أحد ثم نازعه أبرهة الحبشى الملك ، وكان فى جند من الحبشة فانحاز إلى كل واحد منهما من الحبشة طائفة ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فكان أرياط يكون بصنعاء ومحاليفها ، وكان

---

(١) تاريخ مكة للأزرقى (١/١٣٣ ، ١٣٤) .

(٢) الروض الأنف (١/٤١) .

(٣) كذا بالأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى « ثامر » . والله أعلم .

(٤) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « شيئًا » . والله أعلم .

(٥) تاريخ مكة للأزرقى (١/١٣٤ ، ١٣٥) عن محمد بن إسحاق ، وسيرة ابن هشام (١/٧٣ - ٧٦) وقال ابن هشام : الأخدود : الحفر المستطيل فى الأرض ، كالخندق والجدول ونحوه ، وجمعه أخاديد.

أبرهة يكون بالجند ومحاليفها ، فلما تقارب الناس ودنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة إلى أرياط إنك «لاتضع»[1] بأن تلقى الحبشة بعضهم ببعض فتفنيها بسبأ ، ولكن ابرز إلىَّ وأبرز لك فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده ، فأرسل إليه أرياط أن قد صدقت وانصرف ، فخرج أرياط وكان رجلاً عظيمًا طويلاً وسيمًا وفي يده حربة له ، وخرج له أبرهة وكان رجلاً قصيرًا حادرًا[2] رحيمًا دحداحًا[3] ، وكان ذا دين في النصرانية وخلف أبرهة عبد له[4] يحمي ظهره يقال له : عتودة ، فلما دنا أحدهما من صاحبه رفع أرياط الحربة فضرب بها رأس أبرهة يريد يأفوخه - بالهمز - فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وعينه وأنفه وشفته فبذلك سمي أبرهة الأشرم ، وحمل غلام أبرهة على أرياط من خلف فزرقه بالحربة فقتله ، فانصرف جند أرياط إلى أبرهة فاجتمعت عليه الحبشة باليمن ، وكان ما صنع أبرهة من قتله / [٣٥/أ] أرياط بغير علم النجاشي ملك الحبشة بأرض البسوم[5] من بلاد الحبشة، فلما بلغه ذلك غضب غضبًا شديدًا وقال : عدا على أميري بغير أمري فقتله ، ثم حلف النجاشي لا يدع أبرهة حتى يطأ أرضه ويجز ناصيته، فلما بلغ ذلك أبرهة حلق رأسه ثم ملأ جرابًا من تراب أرض اليمن ، ثم بعث به إلى النجاشي وكتب إليه : أيها الملك إنما كان أرياط عبدك وأنا عبدك اختلفنا في أمرك وكلنا طاعته لك إلا أني كنت أقوى على أمر الحبشة منه وأضبط ، وقد حلقت رأسي كله حين بلغني قسم الملك وبعثت به إليه مع جراب من تراب أرضي ليضعه تحت قدميه فيبر بذلك قسمه ، فلما انتهى ذلك إلى النجاشي كتب إليه أن اثبت بأرض اليمن حتى يأتيك أمري ، فأقام أبرهة باليمن ، وبنى أبرهة عند ذلك القُلَّيس[6] بصنعاء إلى جنب غُمْدان[7] فبنى كنيسة وأحكمها وسماها القُلَّيس،وكتب إلى النجاشي ملك الحبشة : إني قد بنيت لك

---

(١) كذا في الأصل ، وفي أخبار مكة للأزرقي « لا تصنع » والله أعلم .

(٢) الحادر : الممتلئ لحمًا وشحمًا مع ترارة . لسان العرب مادة « حدر »

(٣) الدحداح : القصير السمين . لسان العرب مادة « دحح » قال : وفي صفة أبرهة صاحب الفيل : كان قصيرًا حادرًا دحداحًا . ا هـ .

(٤) كذا في الأصل ، وعند الأزرقي « عبدًا له » . والله أعلم .

(٥) كذا في الأصل ، وعند الأزرقي « أكسوم » . والله أعلم .

(٦) القُلَّيس : سميت الكنيسة بذلك لارتفاع بنائها وعلوها . الروض الأنف (٦٣/١) .

(٧) غُمدان - بضم أوله ، وسكون ثانيه ، وآخره نون : موضع بصنعاء ، به القصر الذي أراد بناءه يشرح بن يحصب . راجع معجم البلدان (٢١٠/٤) .

كنيسة لم يُبن مثلها لملك كان قبلك ، «وليست بمنية»[1] حتى أصرف حاج العرب إليها[2] ويتركوا الحج إلى بيتهم ، فبنى القُلَّيس بحجارة قصر بلقيس صاحبة الصرح الذى ذكر فى القرآن فى قصة سليمان -عليه السلام- ، وكان سليمان - عليه السلام - حين تزوجها ينزل عليها فيه إذا جاءها ، فوضع الرجال «تسنعًا»[3] يناول بعضهم بعضًا الحجارة والآلة ، حتى نقل ما كان فى قصر بلقيس مما احتاج إليه من حجارة ورخام وآلة البناء ، وجَدَّ فى بنائه وكان مربعًا مستوى التربيع ، وجعل طوله فى السماء ستين ذراعًا وكثفه[4] من داخله عشرة أذرع فى السماء ، فكان يصعد إليه / [٣٥/ب] بدرج الرخام ، وحوله سور بينه وبين القُليس مائتا ذراع مطيف به من كل جانب ، وجعل بناء ذلك كله بحجارة يسميها أهل اليمن الجروب منقوشة مطبقة لا تدخل بين أطباقها الإبرة ، وجعل طول بنائه من الجروب عشرين ذراعًا فى السماء ، ثم فصل ما بين حجارة الجروب بحجارة مثلثة متداخلة بعضها ببعض ، حجرًا أخضر وحجرًا أحمر وحجرًا أبيض وحجرًا أصفر وحجرًا أسود ، فيما بين كل ساقين[5] خشب ساسم مدور الرأس غليظ الخشبة ناتئ على البناء ، فكان مفصلاً لهذا البناء على هذه الصفة ، ثم فصله برخام منقوش طوله فى السماء ذراعان ناتئ على البناء بذراع ، ثم فصل فوق ذلك الرخام بحجارة بيضاء لها بريق وكان هذا ظاهر حائط القُلَّيس ، وكان عرض حائطه ستة أذرع ، وكان له باب من نحاس عشرة أذرع طولاً فى أربعة أذرع عرضًا ، وكان المدخل منه إلى بيت فى جوفه طوله ثمانون ذراعًا فى أربعين ذراعًا معمولاً بالساج المنقوش ومسامير الذهب والفضة ، ثم يدخل من البيت إلى إيوان طوله أربعون ذراعًا عن يمينه وعن يساره عقود مضروبة بالسفيسف[6] مشجرة بين أضعافها كواكب الذهب ظاهرة ، ثم يدخل من الإيوان قبة ثلاثين ذراعًا فى ثلاثين ذراعًا منقوشة جدرها بالسفيسفاء[6] والذهب والفضة ، وفيها رخامة مما يلى مطلع الشمس من

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى سيرة ابن هشام « ولست بمنته » . والله أعلم .

(٢) تاريخ مكة للأزرقى (١٣٦/١ ، ١٣٧) ، وسيرة ابن هشام (٨٠/١ - ٨٢) ، والبداية والنهاية (١٥٧/٢ ، ١٥٨) عن ابن إسحاق .

(٣) لعلها هكذا بالأصل ، وعند الأزرقى « نسقًا » . والله أعلم .

(٤) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « وكبسه » . والله أعلم .

(٥) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « سافين » مثنى « ساف » وهو الصف . والله أعلم .

(٦) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « الفسيفساء » وهى : قطع صغار ملونة من الرخام أو الحصباء أو الخرز أو نحوها ، يضم بعضها إلى بعض . المعجم الوسيط « فسافس » . وهو من المعرب . والله أعلم.

البلق[1] مربعة عشرة أذرع في عشرة أذرع ، تغشى عين من نظر إليها من بطن القبة تؤدى ضوء الشمس والقمر إلى داخل القبة ، وكان تحت الرخامة منبر من الأبنوس مفصل بالعاج الأبيض ، ودرج المنبر من / [٣٦/أ] الساج ملبسة ذهبًا وفضة ، وكان في القبة أو في البيت خشبة ساج منقوشة طولها ستون ذراعًا يقال لها: كعيب ، وخشبة من ساج نحوها في الطول يقال لها : امرأة كعيب يتبركون بها في الجاهلية ، وكان أبرهة عند بناء القليس قد أخذ العمال بالعمل أخذًا شديدًا وكان قد آلى أن لا تطلع الشمس على عامل لم يضع يده في عمله فيؤتى به إلا قطع يده . قال : فتخلف رجل ممن كان يعمل فيه حتى طلعت الشمس ، وكانت له أم عجوز فذهب بها معه لتستوهبه من أبرهة فأتته وهو بارز للناس فذكرت له علة ابنها واستوهبته منه ، فقال : لا أكذب نفسي ولا أفسد عليّ عمالى فأمر بقطع يده ، فقالت له أمه : اضرب بمعولك اليوم فاليوم لك وغدًا لغيرك ليس كل الدهر لك ، فقال : أدبوها ثم قال لها : إن لى هذا الملك أيكون لغيرى ؟ قالت : نعم ، وكان أبرهة قد أجمع أن يبنى القليس حتى يظهر على ظهره فيرى منه بحر عدن ، فقال : لا أبنى حجرًا على حجر بعد يومى هذا وأعيا[2] الناس من العمل ، فانتشر خبر بناء أبرهة هذا البيت في العرب[3] ، فدعا رجلان من بنى مالك بن كنانة فتيين[4] منهم فأمرهما أن يذهبا إلى ذلك البيت الذى بناه أبرهة بصنعاء فيحدثا فيه فذهبا ففعلا ذلك ، فدخل أبرهة البيت فرأى آثارهما فيه ، فقال : من فعل هذا ؟ فقيل له : رجلان من العرب من أهل البيت الذى تحج إليه العرب بمكة لما أن سمعا قولك : أصرف إليها حاج العرب . جاءاها ففعلا فيها[5] - أى : أنها ليست لذلك بأهل - فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه - وبعث رجلاً كان عنده إلى بنى كنانة يدعوهم إلى حج تلك الكنيسة فقتلت بنو كنانة ذلك / [٣٦/ب] الرجل ، فزاد ذلك أبرهة غضبًا وحنقًا[6] - ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ثم سار وخرج بالفيل معه ، وسمعت بذلك العرب فأعظموه وفظعوا به ، ورأوا أن جهاده حق عليهم حين سمعوا أنه يريد يهدم الكعبة بيت الله الحرام ،

---

(١) البلق : سواد وبياض . لسان العرب « بلق » . والله أعلم .

(٢) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « وأعفا » . والله أعلم .

(٣) تاريخ مكة للأزرقى (١/١٣٦ - ١٤٠) من أول قوله : « ويتركوا الحج » من قول محمد بن يحيى قال : حدثنى من أثق به من مشيخة أهل اليمن .

(٤) كذا فى الأصل ، وفوقها علامة إلحاق ولا يوجد شيء فى الهامش . والله أعلم .

(٥) أى : أحدثا فيها . من قول ابن هشام (١/٨٤) .

(٦) حنقًا أى : اشتد غيظه . المعجم الوسيط مادة « حنق » .

فخرج إليه رجل من أشراف اليمن من ملوك حمير يقال له : ذو نفر ، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة ومجاهدته عن بيت الله وما يريد من هدمه وإخرابه فأجابوه إلى ذلك ، ثم عرض له فقاتله فهُزم ذو نفر وأتى به أسيرًا فلما أراد قتله ، قال له ذو نفر : أيها الملك لا تقتلني فعسى أن يكون مقامي معك خيرًا لك من قتلي ، فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق ، وكان أبرهة رجلاً حليمًا ورعًا ذا دين في النصرانية ، ومضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج إليه ، حتى إذا كان في أرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قبائل من خثعم ومن اتبعه من قبائل العرب فقاتله ، فهزمه أبرهة وأخذ له نفيل أسيرًا فأتى به ، فقال له نفيل : أيها الملك لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب ، فهاتان يداى على قبائل خثعم بالسمع والطاعة فأعفاه وخلى سبيله وسار معه حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن مغيث[1] في رجال ثقيف ، فقال : أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون وليس عندنا لك خلاف وليس بيتنا هذا البيت الذى تريد يعنون اللات ، إنما تريد البيت الذى بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه . فتجاوز عنهم وبعثوا معه أبا رغال مولى لهم يدله على مكة ، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزلهم «بالمُغَمَّس»[2] - بفتح الميم / [٣٧/أ] الثانية وتشديدها - وقيل : بكسرها فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك فرجمت قبره العرب ، وهو قبره الذى يرجم بالمُغَمَّس وهو الذى يقول فيه جرير بن الخطنا[3] :

إذا مات الفرزدق فارجموه .·. كرجم الناس قبر أبي رغال[4]

قال السهيلي : ورُوى أيضًا أن أبا رغال من ثمود ، وأنه كان بالحرم حين أصاب قومه الصيحة ، فلما خرج من الحرم أصابه من الهلاك ما أصاب قومه فدفن هناك ، ودفن معه غصنان من ذهب ، وذكر أن رسول الله ﷺ مر بالقبر وأمر باستخراج الغصنين منه فاستخرجا[5]. انتهى .

---

(١) كذا في الأصل ، وعند الأزرقي « معتب » . والله أعلم .

(٢) بالمُغَمَّس - بالضم ثم الفتح ، وتشديد الميم وفتحها : موضع قرب مكة في طريق الطائف . معجم البلدان (١٦١/٥) ، والروض الأنف (٦٨/١) .

(٣) كذا في الأصل ، وعند الأزرقي « الخطفى » وهو الصواب . والله أعلم

(٤) الشطر الثاني من البيت : كرجمكم لقبر أبي رغال . هكذا في البداية والنهاية (١٥٩/٢) ، والروض الأنف (٦٧/١) ، وفي تاريخ مكة للأزرقي (١٤٣/١) كما ترمون قبر أبي رغال . والله أعلم.

(٥) الروض الأنف (٦٧/١) ، وراجع كلام ابن إسحاق في البداية والنهاية (١٥٨/٢ ، ١٥٩) ، =

ولما نزل أبرهة المُغَمَّس بعث رجلاً من الحبشة يقال له : الأسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموال «أهل الحرم»[1] من قريش وغيرهم فأصاب فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها ، فهمت قريش وخزاعة وكنانة وهذيل ومن كان فى الحرم بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم بقتاله فتركوا ذلك ، وبعث أبرهة حُناطة الحميرى إلى مكة ، فقالوا له : سل عن سيد أهل هذه البلدة وشريفهم ثم قل لهم : إن الملك يقول لكم : إنى لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت ، فإن لم تتعرضوا لقتال فلا حاجة لى بدمائكم ، فإن هو «لم»[2] يرد حربى فائتنى به ، فلما دخل حُناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها فقيل له : عبد المطلب فأرسل إلى عبد المطلب فأخبره بما قال أبرهة ، فقال عبد المطلب : والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة ، وهذا بيت الله الحرام وبيت خليله / [٣٧/ب] إبراهيم -عليه السلام- ، فإن يمنعه فهو بيته وحرمه ، وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع . فقال له حناطة : فانطلق إليه فإنه قد أمرنى أن آتيه بك ، فانطلق معه عبد المطلب وأردفه على بغلة له كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأل عن ذى نفر وكان له صديقًا حتى دُل عليه وهو فى مجلسه فقال : يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا ؟ فقال ذو نفر : وما غناء رجل أسير فى يدى ملك ينتظر أن يقتله بكرة وعشية ، ما عندى غناء من شىء مما نزل بك إلا أن أنيسًا سائس الفيل صديق لى ، فأرسل إليه وأوصيه بك وأعظم عليه حقك ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك وتكلمه بما بدا لك ، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك ، قال: حسبى . فبعث ذو نفر إلى أنيس فقال له : إن عبد المطلب سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس بالسهل والجبل والوحوش فى رؤوس الجبال ، وقد أصاب الملك له مائتى بعير فاستأذِن له عليه وانفعه عنده بما استطعت ، فقال : أفعل فكلم أنيس أبرهة فقال له: أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب عير مكة وهو سيدها وهو يطعم الناس بالسهل والجبل والوحوش فى رؤوس الجبال فأْذَنْ له عليك فليكلمك ، فأذن له أبرهة وكان عبد المطلب أَوْسم رجل وأعظمه وأجمله فأذنَ له ، فلما دخل عليه ورآه أبرهة أجله وكرمه عن أن يجلسه تحته ، وكره أن تراه الحبشة معه على سريره فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه

= وسيرة ابن هشام (٨٤/١ - ٨٧) ، وتاريخ مكة للأزرقى (١٤٠/١ - ١٤٣) ، وتفسير القرطبى (١٨٧/٢٠ ، ١٨٩) .

(١) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « أهل تهامة » . والله أعلم .

(٢) تكررت « لم » فى الأصل ، والصواب حذف أحدهما . والله أعلم .

قل له : ما حاجتك ؟ فقال له الترجمان : إن الملك يقول لك ما حاجتك ؟ قال : حاجتي أن يرد عليّ الملك / [٣٨/أ] مائتى بعير أصابها لى . فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه قل له : قد كنت أعجبتني حين رأيتك ثم زهدت فيك حين كلمتني ، تكلمني في مائتى بعير أصبتها لك وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك وقد جئت أهدمُه ولا تكلمني فيه . قال عبد المطلب : إني أنا رب إبلي وإن للبيت ربًّا سيمنعه . قال : ما كان ليمنع منى . قال : أنت وذاك[١].

قال ابن إسحاق : وكان قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه «حُناطة الحميرى» «يَعَمر بن نفاشة[٢] بن عدى» من بنى كنانة وهو يومئذ سيد بنى بكر ، «وخويلد بن واثلة» وهو يومئذ سيد هُذيْل ، فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم[٣] ، ورد أبرهة على عبد المطلب الإبل التى كان أصابها، فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز[٤] في شعف الجبال خوفًا عليهم من «معرة الجيش»[٥] ، ثم أقام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وعلى جنده، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

لاهمَّ إن المرء يمنـــع رحلــه فامنع حِلالــك[٦]
لا يغلبن صليبهــم ∴ ومِحالهم[٦] عدوًا مِحالك[٧]
جروا جميع بلادهــم ∴ والفيل كي يسبوا عيالك[٨]
عمدوا حمادك بكيدهــم ∴ جهلاً وما رقبوا جلالك[٧]

---

(١) تاريخ مكة للأزرقى (١٤٣/١ ، ١٤٤) ، وسيرة ابن هشام (٨٧/١ - ٨٩) والبداية والنهاية (١٥٩/٢ ، ١٦٠) ، والروض الأنف (٦٨/١ ، ٦٩) وتفسير القرطبى (٢٠ / ١٨٩، ١٩٠) عن ابن إسحاق ، وإن كان القرطبى لم يذكره عنه .

(٢) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « نفاثة » والله أعلم .

(٣) جاء فى هذا الموضع « والله أعلم أكان ذلك أم لا » وراجع تاريخ مكة للأزرقى (١٤٥/١) ، وسيرة ابن هشام (٨٩/١) ، والروض الأنف (٦٩/١) والبداية والنهاية (١٦٠/٢) .

(٤) التحرز : التمنع . لسان العرب مادة « حرز » .

(٥) معرة الجيش : شدته .

(٦) حلالك - بكسر الحاء - جمع حِلّة : وهى جماعة البيوت . المعجم الوسيط مادة « حَلَّ » .

(٧) المِحال : الكيد والقوة . المعجم الوسيط مادة « محل » .

(٨) هذا البيت ليس فى تاريخ مكة للأزرقى (١٤٥/١) ، ولا فى سيرة ابن هشام (٩٠/١) ، ولا فى البداية والنهاية (١٦٠/٢) .

إن كنت تاركهم وكعبتنا[1] فأمر ما بدا لك

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها ، وقال عبد المطلب أيضًا : / [٣٨/ب]

قلت والأشرم تردى خيله .:. إن ذا الأشرم غر بالحرم

كاد يتبع فيمن[2] جندت .:. حمير والحى من ذاك قُزم[2]

فانثنى عنه وفى أوداجه .:. جارح[3] أمسك منه بالكَظَم

نحن أهل الله فى بلدته .:. لم يزل ذاك على عهد إبرهم

نعبد الله وفيْنا شيمة .:. صلة القربى وإيفاء الذمم

إن للبيت لربًّا مانعًا .:. من يرده بآثام يُصطَلم[4]

وقوله : إبرهم يريد إبراهيم - عليه السلام - ولما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهدم الكعبة وهيأ فيله وعبأ جيشه وقدم فيله أمام جيشه ، وكان اسم الفيل محمودًا[5] وكان فيل النجاشى بعثه إلى أبرهة وكان فيلاً لم ير مثله فى الأرض عظمًا وجسمًا وقوة .

وقال مقاتل : لم يكن معهم إلا ذلك الفيل الواحد فلذلك قال تعالى : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل** ﴾[6]. وقال الضحاك : كانت الفيلة ثمانية غير الفيل الأعظم . وقيل: اثنى عشر فيلاً . وقيل : ألف فيل . وقيل : إنما وحِّد فى القرآن لوفاق رؤوس الآى . وقيل : نسبهم إلى الفيل الأعظم . فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب الخثعمى حتى قام إلى جنب الفيل فالتقم أذنه فقال : ابرك محمودًا وارجع راشدًا من حيث جئت فإنك فى بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه فبرك ، وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى صعد فى الجبل ، فضربوا الفيل ليقوم فأبى فضربوا رأسه بالطبرزين[7] فأبى فأدخلوا

---

(١) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى وابن كثير فى البداية والنهاية « قبلتنا » . والله أعلم .

(٢) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى وغيره « فيما .. قدم » والله أعلم .

(٣) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « حارج » . والله أعلم .

(٤) يُصطلم : يستأصل ويباد . المعجم الوسيط « صلمة » .

(٥) أخبار مكة للأزرقى (١/١٤٥ ، ١٤٦) ، وسيرة ابن هشام (١/٨٩ - ٩١) ، والروض الأنف (١/٦٩ - ٧١) ، والبداية والنهاية (٢/١٦٠) ، وتفسير القرطبى (٢٠/١٩٠ ، ١٩١) .

(٦) سورة الفيل : الآية (١) ، وقول مقاتل ، حكاه القرطبى بقوله : قال الأكثرون . والله أعلم .

(٧) الطبرزين : قال البكرى : الأصل فيه - بفتح الباء - ومعناه شجر قطع بفأس . ا هـ . من الروض (١/٧٢) ، وحكى فيه كذلك سكون الباء ، وقال أبو ذر : آلة معقفة من حديد . شرح السيرة -

محاجمهم[١] تحت مراقه[٢] ومرافقه فدفعوه[٣] بها ليقوم فأبى ، فوجهوه راجعًا إلى اليمن فقام يهرول ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى مكة فبرك ، / [٣٩/أ] وأرسل الله تعالى عليهم طيرًا من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر فى منقاره ، وحجران فى رجليه أمثال الحمص والعدس - وفى رواية : فوق العدسة ودون الحمصة - بتشديد الميم وبتخفيفها - فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم - فلم تصب تلك الحجارة أحدًا إلا هلك وليس كلهم أصابت[٤] ، فذلك قوله تعالى ﴿ **وأرسل عليهم طيرًا أبابيل** ﴾[٥]. أى : أقاطيع كالإبل المؤبلة يتبع بعضها بعضًا[٦] ، واحدها إبالة[٧]. وقيل : متفرقة[٨]. يقال : جاءت الخيل أبابيل - أى متفرقة - ومن هاهنا وهاهنا . قال أبو عبيد : لا واحد لها[٩]. وقيل : واحدها إبُول كعِجُول ، أو إبِّيل كسِكِّين ، أو أبولة وهى الحزمة الكبيرة من الحطب[١٠] ، شبهت الطير بها لكثرتها واجتماعها .

وقال ابن عباس : لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب . وقال عكرمة : كان لها رؤوس كرؤوس السباع لم تر قبل ذلك ولا بعده . وقال ربيع : لها أنياب

= (٩١/١) . والله أعلم .

(١) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « محاجنهم » والمحجن : عصا معقفة الرأس كالصولجان . لسان العرب « حجن » . والله أعلم .

(٢) مراقه : ما رق من أسفل البطن ولان . لسان العرب « مرق » .

(٣) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « فبزغوه » أى : أدموه كما فى الروض الأنف (٧٢/١) . والله أعلم .

(٤) تاريخ مكة للأزرقى (١٤٦/١) ، وسيرة ابن هشام (٩٢/١) ، والروض الأنف (٧١/١) ، والبداية والنهاية (١٦٠/٢ ، ١٦١) ، وتفسير القرطبى (٢٠ / ١٩١ ، ١٩٢) عن ابن إسحاق .

(٥) سورة الفيل : الآية (٣) .

(٦) نقله القرطبى فى تفسيره (١٩٧/٢٠) عن ابن عباس ومجاهد . وقوله : كالإبل المؤبلة عن إسحاق ابن عبد الله بن الحارث بن نوفل .

(٧) قال القرطبى : قال الفراء : لا واحد له من لفظه ، وزعم الرؤاسى - وكان ثقة - أنه سمع فى واحدها « إِبَّالة » مشددة ، وحكى الفراء « إبالة » مخففًا . تفسير القرطبى (١٩٨/٢٠) .

(٨) نقله القرطبى فى تفسيره (١٩٧/٢٠) عن ابن مسعود وابن زيد والأخفش . قال النحاس : وهذه الأقوال متفقة ...إلخ .

(٩) تاج العروس مادة « أبل » (١٩٩/٧) .

(١٠) راجع تاج العروس مادة « أبل » ، وتفسير القرطبى (٢٠ / ١٩٧) .

كأنياب السباع . وقال سعيد بن جبير : طير خضر لها مناقير صفر . وقالت عائشة - رضى الله عنها - : هى أشبه شيء بالخطاطيف . وقيل : أشباه الوطاويط وكانت حمرا. وقيل : سودا . وقيل : بيضاء . وقال أبو الجوزاء : أنشأها الله فى ذلك الوقت[1].

وقوله تعالى : ﴿ **ترميهم بحجارة من سجيل** ﴾[2]. أى : من طين مطبوخ بالنار كما يطبخ الآجر مكتوب فيها أسماء القوم[3]. وقيل : معرب من سنك وكل،فسنك هو الحجر وكل هو الطين والماء[4]. وقيل : من سجيل أى من السماء ، وهى الحجارة التى نزلت على قوم لوط. وقيل : من الجحيم وهى سجين ثم أبدلت اللام نونًا[5]. قال الزمخشرى : وسجيل كأنه علم للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار كما أن سجينًا / [٣٩/ب] علم لديوان أعمالهم ، كأنه قيل : بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون ، واشتقاقه من الإسجال وهو الإرسال ؛ لأن العذاب موصوف بذلك ، كقوله : ﴿ **فأرسلنا عليهم الطوفان** ﴾[6]. ﴿ **وأرسل عليهم** ﴾[7].

قال ابن مسعود : وصاحت الطير ورمتهم ، وبعث الله ريحًا فضربت الحجارة فزادتها شدة فما وقع منها حجر على رجل إلا خرج من الجانب الآخر ، وإن وقع على رأسه خرج من دبره[8]. فقوله : ﴿ **فجعلهم كعصف مأكول** ﴾[9]. أى : كزرع قد أكل حبه وبقى تبنه .

ويروى : أن الحجر كان يقع على أحدهم فيخرج كل ما فى جوفه فيبقى كقشر الحنطة إذا خرجت منه الحبة[10]. ويروى : أنها لم تصيبهم كلهم لكنها أصابت من

---

(١) راجع هذه الأقوال فى تفسير القرطبى ، وابن كثير ، والطبرى ، وهى موجودة كلها فى تفسير البغوى (٥٢٨/٤ ، ٥٢٩) .

(٢) سورة الفيل : الآية (٤) .

(٣) تفسير القرطبى (١٩٨/٢٠) .

(٤) كذا فى الأصل ، وعند ابن كثير وابن هشام « سنج وجل فسنج ... وجل » والله أعلم .وراجع تفسير ابن كثير (٥٥١/٤) ، وسيرة ابن هشام (٩٥/١) ، ومع الروض الأنف (٧٤/١) ، وفى كل هذه (سنج جل) والذى فى الكشاف (٢٣٤/٤) : (سنككل) .

(٥) تفسير القرطبى (١٩٨/٢٠) .

(٦) سورة الأعراف : الآية (١٣٣) .

(٧) سورة الفيل : الآية (٣) ، وراجع الكشاف (٢٣٤/٤) فإلى هنا انتهى النقل من الكشاف .

(٨) تفسير البغوى (٥٢٩/٤) ، وتفسير القرطبى (١٩٩/٢٠) .

(٩) سورة الفيل : الآية (٥) .

(١٠) تفسير القرطبى (١٩٩/٢٠) ، وتفسير ابن كثير (٥٥٢/٤) ، وتفسير البغوى (٥٢٩/٤) .

شاء الله منهم . وقيل : هلك القوم جميعًا فلما رأت الحبشة ذلك خرجوا هاربين يبتدرون[1] التى منه جاءوا ، ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن ، وقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من عذابه :

أين المفر والإله الطالب ∴ والأشرم المغلوب غير الغالب

وقال نفيل أيضًا فى ذلك :

ألا حييت عنا يارُدينا ∴ نعمناكم مع الإصباح عَيْنَا
ردنيه لو رأيت ولن تريه ∴ لدى جنب المحصب ما رأينا
إذا لعذرتنى وحمدت أمرى ∴ ولم تأسى على ما فات بينا
حمدت الله إذ عاينت طيرا ∴ وخفت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل ∴ كأن علىَّ للحبشان دينا

ونفيل ينظر إليهم من بعض تلك الجبال ، وقد خرج القوم وماج بعضهم فى بعض، فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل ، وبعث الله على أبرهة داءً فى جسده / [٤٠/أ] فجعل تتساقط أنامله ، كلما سقطت أنملة أتبعتها مدة من قيح ودم فانتهى إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطير ممن بقى من أصحابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه[2] ثم هلك ، وأقام بمكة ضعَف الجيش وبعض من ضمه العسكر فكانوا بمكة يعتملون ويرعون لأهل مكة . انتهت قصة أصحاب الفيل[3].

قال مقاتل بن سليمان : إن السبب الذى جر حديث أصحاب[4] هو أن فتية من قريش خرجوا تجارًا إلى أرض النجاشى فساروا حتى دنوا من ساحل البحر فى سند حقف من أحقافه ببيعة للنصارى تسميها قريش «الهيكل» ، ويسميها النجاشى وأهل أرضه «الماسرجسان» ، فنزل القوم فى سندها فجمعوا حطبًا وأججوا نارًا وشووا لحمًا ، فلما ارتحلوا تركوا النار كما هى فى يوم عاصف فعجت الرياح فاضطرم الهيكل نارًا ، وانطلق الصريخ إلى النجاشى فأخبره فأسف عند ذلك غضبًا للبيعة فبعث أبرهة لهدم الكعبة[5].

---

(١) فى الأصل إلحاق ولا يوجد فى الهامش أثره ، والذى عند الأزرقى وابن كثير « يبتدرون الطريق » . وبه يستقيم المعنى . والله أعلم .

(٢) تاريخ مكة للأزرقى (١٤٦/١ ، ١٤٧) ، وسيرة ابن هشام (٩٢/١ ، ٩٣) ، والروض الأنف (٧١/١ ، ٧٢) ، والبداية والنهاية (١٦١/٢) ، وتاريخ الطبرى (١٣٦/٢ ، ١٣٧) .

(٣) تاريخ مكة للأزرقى (١٤٧/١) .

(٤) كذا فى الأصل ، وعند القرطبى والبغوى « أصحاب الفيل » وبه يتم المعنى . والله أعلم .

(٥) تفسير القرطبى (١٩٢/٢٠ ، ١٩٣) عن الكلبى ومقاتل ، وتفسير البغوى (٥٢٧/٤) عن مقاتل=

وقال فيه : وكان بمكة يومئذ أبو مسعود الثقفي ، كان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلاً نبيهًا نبيلاً عاقلاً ، وكان لعبد المطلب خليلاً فقال عبد المطلب يا أبا مسعود : هذا يوم لا يستغنى فيه عن رأيك فماذا عندك ؟ فقال أبو مسعود لعبد المطلب: اعمد إلى مائة من الإبل فاجعلها حرمًا لله وقلدها نعلاً ثم أثبتها فى الحرم لعل بعض هؤلاء السودان يعقر منها فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ، ففعل مثل ذلك عبد المطلب فعمد القوم إلى تلك الإبل فحملوا عليها وعقروا بعضها فجعل عبد المطلب يدعو ، فقال أبو مسعود : إن لهذا البيت ربًّا يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن بصحن هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه وأظلم عليه ثلاثة أيام ، فلما / [٤٠/ب] رأى تبع ذلك كساه القباطى البيض وعظمه ونحر له جزورًا فانظر نحو اليمن هل ترى شيئًا ؟ فنظر عبد المطلب فقال : أرى طيرًا بيضًا نشأت من شاطئ البحر وحلقت على رؤوسنا فقال : هل تعرفها ؟ قال : والله ما أعرفها ما هى بنجدية ولا غربية ولا شامية وإنها لطير بأرضنا غير مؤنسة[1]. قال : ما قدرها ؟ قال : أشباه اليعاسيب[2] ، فى مناقيرها حصى كأنها حصى الخذف قد أقبلت كالليل يكسع بعضها بعضًا ، أمام كل دفعة طير يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق فجاءت حتى إذا حازت عسكر القوم ركدت فوق رؤوسهم ثم أمالت الطير ما فى مناقيرها على من تحتها ، مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم رجعت من حيث جاءت -وقيل :كان على كل حجر مكتوبًا «من أطاع الله نجا ومن عصاه غوى» - فلما أصبحا انحطا من ذروة الجبل فمشيا فلم يؤنسا أحدًا ، ثم مشيا فلم يسمعا حسًّا فقالا: بات القوم سامدين[3] فأصبحوا نيامًا ، فلما دنوا من عسكر القوم إذا هم خامدون ، وكان الحجر يقع على بيضة أحدهم فيخرقها حتى يقع فى دماغه ، ويخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر فى الأرض من شدة وقعه ، فأخذ عبد المطلب فأسًا وحفر حتى أعمق فى الأرض فملأه من الذهب الأحمر والجوهر الجيد وحفر لصاحبه فملأه ، ثم قال لأبى مسعود: هات خاتمك فاختر إن شئت أخذت حفرتى وإن شئت حفرتك وإن شئت فهما لك . فقال أبو مسعود : اختر لى على نفسك . فقال عبد المطلب : إنى لم آل أن أجعل المتاع فى حفرتى فهى لك . وجلس كل واحد منهما على حفرته ونادى عبد المطلب

= وعند البغوى «فهاجت الرياح» بدلاً من «فعجت الريح» . والله أعلم .

(١) أى : غريبة .

(٢) جمع يعسوب : وهى ملكة النحل . «المعجم الوسيط» .

(٣) كذا فى الأصل ، وعند البغوى « سامرين » أى : من السمر وهو التحدث مع الجليس ليلاً . المعجم الوسيط . والله أعلم .

فى الناس فتراجعوا وأصابوا من فضلهما حتى ضاقوا بذلك ذرعًا ، وساد عبد المطلب بذلك /[٤١/أ] قريشًا فلم يزل عبد المطلب وأبو مسعود فى غنى من ذلك المال إلى أن ماتا[١].

وقال الواقدى بإسناده : وجه النجاشى أرياط بأربعة آلاف إلى اليمن فغلب عليها فأكرم الملوك واستذل الفقراء ، فقام رجل من الحبشة يقال له : أبرهة الأشرم أبو يكسوم فدعا إلى طاعته فأجابوه فقتل أرياط وغلب على اليمن ، فرأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحج قال : أين يذهب الناس ؟ فقالوا : يحجون بيت الله بمكة . قال : مم هو ؟ قالوا : من حجارة . قال : فما كسوته ؟ قالوا : الوصائل . قال : والمسيح لأبنين لكم خيرًا منه . فبنى لهم بيتًا عمله بالرخام الأبيض والأسود والأحمر والأصفر وحلاه بالذهب والفضة وحفه بالجواهر ، وجعل له أبوابًا عليها صفائح الذهب ومسامير الذهب ورصّعها بالجواهر وجعل فيها ياقوتة حمراء عظيمة وجعل لها حجّابًا ، وكان يوقد بالمندل ويلطخ جدره بالمسك حتى يطيب الجواهر ، وأمر الناس بحجه فحجه كثير من قبائل العرب سنين ومكث فيه رجال يتعبدون ويتنسكون ، فأمهل نفيل الخثعمى حتى كان ليلة من الليالى و لم ير أحدًا يتحرك جاء بعذرة فلطخ بها قبلته وألقى فيه الجيف ، فأخبر أبرهة بذلك فغضب غضبًا شديدًا وقال : إنما فعل هذا العرب غضبًا لبيتهم لأنقضه حجرًا حجرًا . وكتب إلى النجاشى يخبره بذلك ويسأله أن يبعث إليه بفيله محمودًا[٢]، وكان فيلاً لم ير مثله فى الأرض عظمًا وجسمًا وقوة فبعث به إليه فغزا البيت كما ذكرنا إلى أن قال : أقبلت الطير من البحر مع كل طائر حجران فى رجليه وحجر فى منقاره ، فقذفت الحجارة عليهم لا تصيب شيئًا إلا هشمته وإلا نفط ذلك الموضع ، وكان ذلك أول ما رؤى الجدرى والحصبة بأرض العرب ذلك / [٤١/ب] العام ، وأول ما رؤى بها من أمرّ الشجر من الحَرْمل[٣] والحنظل والعُشَر[٤] فى ذلك العام فأهمدتهم الحجارة ، وبعث الله سيلاً آتيًا فذهب بهم إلى البحر فألقاهم فيه ، وولى أبرهة ومن بقى معه هرابًا ، فجعل أبرهة يسقط عضوًا عضوًا حتى مات، وأما محمود فيل النجاشى فربَض[٥] و لم يشجع على الحرم فنجا ، وأما الأخر فشجعت فحصبت وهلكت[٦].

---

(١) تفسير البغوى (٥٢٧/٤ ، ٥٢٨) ، وفي تفسير القرطبى (١٩٣/٢٠) نحوه .

(٢) كذا فى الأصل ، وعند الطبرى « محمود » والله أعلم .

(٣) الحَرْمل : نبات صحراوى ، من الفصيلة الرطريطية ، يستعمل فى الطب . « المعجم الوسيط » .

(٤) العُشَر : شجر له صمغ ، وفيه حراق مثل القطن يقتدح به . لسان العرب مادة « عشر » .

(٥) ربَض : طوى قوائمه ولصق بالأرض وأقام . « المعجم الوسيط » والمعنى هنا : أنه ثبت و لم يتحرك . والله أعلم .

(٦) تاريخ الطبرى (١٣٧/٢ - ١٣٩) من عدة طرق عن ابن عباس .

قال الأزرقي : وقال بعض المكيين : أول ما كانت بمكة حمام اليمام الحرمية ذلك الزمان ، يقال : إنها من نسل الطير التي رمت أصحاب الفيل حين خرجت من البحر من جدة[1].

وقال الكلبي : لما أهلكهم الله بالحجارة لم يفلت منهم إلا أبرهة أبو يكسوم ، فسار وطائر يطير فوقه و لم يشعر به حتى دخل على النجاشي فأخبره بما أصابهم ، فلما استتم كلامه رماه الطائر فسقط ميتًا فأرى الله النجاشي كيف كان هلاك أصحابه .

وقال الواقدي : كان أبرهة جدّ النجاشي الذي كان في زمن النبي ﷺ وآمن به[2].

وقال القرطبي في «التفسير» : وكان أصحاب الفيل ستين ألفًا لم يرجع منهم إلا أميرهم رجع ومعه شرذمة لطيفة ، فلما أخبروا بما رأوا أهلكوا[3] .

وقال السهيلي : فلما هلك ومزقت الحبشة كل ممزق وأقفر ما حول هذه الكنيسة فلم يعمرها أحد ، وكثرت حولها السباع والحيات ، وكان كل مَن أراد أن يأخذ شيئًا منها «أصابته الجن»[4] فبقيت من ذلك العهد بما فيها من العدد والخشب المرصع بالذهب والآلات المفضضة التي تساوي قناطير من المال ، لا يستطيع أحد أن يأخذ منها شيئًا إلى زمن «أبي العباس السفاح» ، فذكر له من أمرها وما يتهيب من جنها وحيَّاتها فلم يَرعه ذلك وبعث إليها «أبا العباس بن الربيع» / [٤٢/أ] عامله على اليمن معه أهل الحزم والجلادة[5] فخربها وحصَّلوا منها مالاً كثيرًا ، ببيع ما أمكن بيعه من رخامها وآلاتها ، فعفى بعد ذلك رسمها وانقطع خبرها واندرست آثارها ، وكان الذي يصيبهم من الجن ينسبونه إلى كعيب وامرأته[6] أصيب الذي كسرهما بجذام فافتتن بذلك رعاع الناس وطغاتهم[7].

واختلفوا في تاريخ عام الفيل : قال مقاتل : كان أمر الفيل قبل مولد النبي ﷺ بأربعين سنة[8]. وقيل : بثلاثين .

---

(١) تاريخ مكة للأزرقي (١٤٨/١) .

(٢) راجع تفسير القرطبي (١٩٣/٢٠) .

(٣) (١٩٣/٢٠) .

(٤) تكررت في الأصل .

(٥) أي : الصبر على المكروه .

(٦) في الروض الأنف (٦٣/١) : صنمين كانت الكنيسة عليهما ، فلما كسر كعيب وامرأته أصيب ... إلخ .

(٧) الروض الأنف (٦٣/١) ، والطغام : أرذال الناس وأوغادهم . المعجم الوسيط .

(٨) تفسير القرطبي (١٩٤/٢٠) ، وتفسير البغوي (٥٢٨/٤) .

وقال عبيد بن عمير والكلبى : كان قبل مولده بثلاث وعشرين سنة[١]. وقال الآخرون : بل كانت قصة الفيل فى العام الذى ولد فيه رسول الله ﷺ وعلى هذا أكثر العلماء وهو الأصح[٢] يدل عليه ما روى عن عبد الملك بن مروان أنه قال لقباث بن أشيم[٣] الكنانى الليثى : يا قُباث أنت أكبر سنًا أم رسول الله ﷺ ؟ قال : رسول الله ﷺ أكبر منى وأنا أسن منه ، ولد رسول الله ﷺ عام الفيل[٤] ، ووقفت بى أمى على روث الفيل أخضر ، وروى خرء الطير أخضر محيلاً - أى: قد أتى عليه حول - .

ويدل عليه أيضًا ما روى عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس[٥]. وقيل : بعد خمسين يومًا من الفيل[٦]. وقيل : بعد قدوم أصحاب الفيل بشهرين وكان لعشرين من نيسان . وقيل : بعد قدومهم بخمس وخمسين ليلة .

وقول عبد المطلب : لاهم إن المرء يمنع رحله إلى آخره . حذفت الألف واللام من (اللهم) واكتفى بما بقى كما تقول : لاه أبوك تريد الله أبوك قاله السُّهيلى[٧] ، والحِلال بالكسر : القوم الحلول فى المكان يريد بهم سكان الحرم . قال / [٤٢/ب] السهيلى : والحلال أيضًا : متاع البيت ، وجائز أن يستعيره هاهنا[٨] ، وقوله : فبرك الفيل : فيه نظر ؛ لأن الفيل لا يبرك فيحتمل أن بروكه سقوطه على الأرض لما جاءه من أمر الله ، ويحتمل أن يكون فَعَل فِعْل البارك الذى يلزم موضعه لا يبرح فعبر بالبروك عن ذلك . قال : وسمعت من يقول إن فى الفيلة صنفًا منها يبرك كما يبرك الجمل ، فإن صح وإلا فتأويله ما

---

(١) تفسير القرطبى (١٩٤/٢٠) ، وهو فى تفسير البغوى (٥٢٨/٤) عن الكلبى فقط .

(٢) تفسير القرطبى (١٩٤/٢٠) وصدره بقوله : والصحيح ، وتفسير البغوى (٥٢٨/٤) وصدره بقوله : والأكثرون .

(٣) كذا فى الأصل ، وعند القرطبى « أسيد » والصواب ما فى الأصل ، كما ضبطه ابن حجر وغيره راجع التقريب ، وهو بتخفيف الباء . والله أعلم .

(٤) تفسير القرطبى (١٩٥/٢٠) وباقى القصة تختلف عما هنا . والله أعلم .

(٥) دلائل النبوة للبيهقى (١٢٥/١) ، وتاريخ مكة للأزرقى (١٤٨/١، ١٤٩) ، وسيرة ابن هشام (٩٧/١ ، ٩٨) ، والبداية والنهاية (١٦٢/٢) ، وتفسير القرطبى (١٩٥/٢٠) وقد صرح ابن إسحاق فيه بالسماع .

(٦) تفسير القرطبى (١٩٤/٢٠) ونقله عن الماوردى من كتاب « أعلام النبوة » .

(٧) الروض الأنف (٧٠/١) وهو بمعناه لا بلفظه ، وعند السهيلى : « لله أبوك » وهو الصواب . والله أعلم .

(٨) الروض الأنف (٧٠/١) .

قدمناه[1] .

قال السُّهيلي : وكانت الفيلة ثلاثة عشر فيلاً فهلكت كلها إلا محمودًا وهو فيل النجاشي من أجل أنه أبى من التوجه إلى الحرم[2] . قال : وقال ابن عباس : كان أصغر الحجارة كرأس الإنسان وكبارها كالإبل ، وكانت قصة الفيل في أول المحرم من سنة اثنين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذي القرنين[3] . وقوله : «فضربوا رأسه بالطَبَرزين» بفتح الباء هذا هو الأصل كما ذكره البكري في المعجم والطبر هو الفأس ، وقد تسكن الباء ؛ لأن العرب تتلاعب بالأسماء الأعجمية تلاعبًا ولا تقرها على حال قاله ابن جني . وروى يونس عن ابن إسحاق : أن الفيل ربض فجعلوا يقسمون بالله أنهم رادوه إلى اليمن فيحرك لهم أذنيه كأنه يأخذ عليهم بذلك عهدًا ، فإذا أقسموا له قام يهرول فيردونه إلى مكة فيربض ، فيحلفون له فيحرك لهم أذنيه كالمؤكد عليهم القسم ففعلوا ذلك مرارًا ، وفي رواية : أنهم استشعروا العذاب في ليلة ذلك اليوم ؛ لأنهم نظروا إلى النجوم كالحة إليهم تكاد تكلمهم من اقترابها منهم ففزعوا لذلك[4] .

قال المرجاني في «بهجة النفوس» : وأقبلت الطير من ناحية البحر يوم الاثنين .

قال القرطبي في تفسيره : قال علماؤنا : كانت قصة الفيل فيما يعد من معجزات النبي ﷺ وإن كان قبله . قال : وقال أبو صالح : ورأيت في بيت أم هانئ بنت أبي طالب نحوًا من قفيزين من / [٤٣/أ] تلك الحجارة سوداء مخططة بحمرة[5] .

فإن قيل : كيف منع أصحاب الفيل من الكعبة قبل مصيرها قبلةً ومنسكًا ، ولم يمنع الحَجَّاجُ من هدمها وقد صارت قبلةً ومنسكًا حين أحرقها ونصب المنجنيق عليها[6] ؟! فالجواب : إن فِعْل الحجاج كان بعد استقرار الدين فاستغنى عن آيات تأسيسه ، وأصحاب الفيل كانوا قبل ظهور النبوة فجعل المنع منها آية لتأسيس النبوة ومجيء الرسالة ، وأجاب الزمخشري عنه : بأن الحجاج ما قصد التسليط على البيت وإنما تحصن به ابن الزبير فاحتال لإخراجه ثم بناه ، ولما قصد التسليط عليه أبرهة فُعِل به ما فُعِل على أن رسول الله ﷺ قد أنذر بهدمها ، فصار الهدم آيه بعد ما كان المنع آية ، وقد عاصر رسول الله ﷺ في

(١) الروض الأنف (٧١/١ ، ٧٢) .

(٢) الروض الأنف (٧٢/١) .

(٣) في يوم الأحد السابع عشر من المحرم كما ذكره في الجامع اللطيف (٢٣٥/١) .

(٤) الروض الأنف (٧٢/١ ، ٧٣) من أول قول ابن عباس .

(٥) تفسير القرطبي (١٩٥/٢٠) .

(٦) أجاب الحافظ في الفتح (٥٣٩/٣) عن هذه المسألة ، بكون ذلك يقع في آخر الزمان قرب قيام الساعة ، وأنه علامات النبوة لقوله ﷺ لن يستحل هذا البيت إلا أهله فراجعه فإنه مهم . والله أعلم .

زمان نبوته بعد هجرته جماعة شاهدوا الفيل منهم : «حكيم بن حزام» ، «وحويطب ابن عبد العزى» ، «ونوفل بن معاوية» ؛ لأن كل واحد من هؤلاء عاش مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية وستين في الإسلام .

قال كمال الدين الدميري في كتابه «حياة الحيوان» : إذا دخل إنسان على من يخاف شره فليقرأ ﴿**كهيعص**﴾[1] ، ﴿**حم عسق**﴾[2] وعدد حروف الكلمتين عشر يعقد لكل حرف إصبعًا من أصابعه يبدأ بإبهام اليد اليمنى ويختم بإبهام اليد اليسرى ، فإذا فرغ عقد جميع الأصابع ، قرأ في نفسه سورة الفيل فإذا وصل إلى قوله : «**ترميهم**» كرر لفظ ترميهم عشر مرات يفتح في كل مرة إصبعًا من الأصابع المعقودة ، فإذا فعل ذلك أمن شره وهو عجيب مجرب[3] . وكنية الفيل أبو الحجاج وأبو الحرمان وأبو دغفل وأبو كلثوم وأبو مزاحم ، والفيلة أم شبل ، وفي «ربيع الأبرار» كنية فيل الحبشة أبو العباس ، وقد / [٤٣/ب] ألغز في اسم الفيل فقيل :

ما اسم شيء تركيبه من ثلاث ∴ وهو ذو أربع تعالى الإله

قيل تصحيفه ولكن إذا ما ∴ عكسوه يكون لي ثلثاه

وهو لا يتلاقحُ إلا في بلاده ومعادنه وإن صار أهليًا ، وهو إذا اغتلم[4] أشبه الجمل في ترك الماء والعلف حتى تتورم رأسه ولم يكن لسواسه غير الهرب منه ، والذكر ينزو[5] إذا مضى له من العمر خمس سنين ، وزمان نزوه الربيع ، والأنثى تحمل سنتين فإذا حملت لا يقربها الذكر ولا يلمسها ولا ينزو عليها إلا بعد ثلاث سنين ، وقيل : تحمل سبع سنين ، ولا ينزو إلا على فيلة واحدة وله عليها غيرة شديدة ، وإذا تم حملها وأرادت الوضع دخلت النهر حتى تضع ولدها ؛ لأنها تلد وهي قائمة ولا فواصل لقوائمها فتلد ، والذكر عند ذلك يحرسها وولدها من الحيات ، ويزعم أهل الهند أن لسان الفيل مقلوب لولا ذلك لتكلم ، وفيه من الفهم ما يقبل به التأديب ويفعل ما تأمره من السجود للملوك وغير ذلك من الخير والشر في حالتي السلم والحرب ، وفيه من الأخلاق أنه يقاتل بعضه بعضًا والمقهور منهما يخضع للقاهر ، وأهل الهند يعظمونه ؛ لما اشتمل عليه من الخصال المحمودة من علو سمكه

---

(١) سورة مريم : الآية (١)

(٢) سورة الشورى : الآية (١ ، ٢) ، وكتب في الأصل كلمة واحدة وهو خطأ .

(٣) حياة الحيوان (١٩٣/٢) .

(٤) هكذا في حياة الحيوان (١٨٨/٢) ، وهو من الغُلْمة : أي هياج شهوة النكاح . « لسان العرب » مادة « غلم » . والله أعلم .

(٥) ينزو : من « نزا » وهو الوثوب .

وعظم صورته وبديع منظره وطول خرطومه وسعة أذنه ، وطول عمره وثقل حمله وخفة وطئه فإنه ربما مرّ بالإنسان ولا يشعر به لحسن خطوه واستقامته ، ولطول عمره حكى أرسطو أن فيلاً ظهر أن عمره أربعمائة سنة واعتبر ذلك بالموسم(١) . وبينه وبين السِّنور عداوة طبيعية حتى أن الفيل يهرب منه ، كما أن السبع يهرب من الديك الأبيض ، وكالعقرب وأنها متى رأت الوزغة ماتت .

وذكر القزويني أن فرج الفيلة / [٤٤/أ] تحت بطنها(٢) ، فإذا كان وقت الضراب ارتفع وبرز للفحل حتى يتمكن من إتيانه فسبحان من لا يعجزه شيء عن شيء(٣) .

ولما رد الله سبحانه الحبشة عن مكة وأصابهم ما أصابهم من النقمة ، أعظمت العرب قريشًا ، وقالوا : أهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم فجعلوا يقولون في ذلك الأشعار، ويذكرون فيها ما صنع الله تعالى بالحبشة وما دفع عن قريش من كيدهم ، ويذكرون الأشرم والفيل ومساقه إلى الحرَم وما أراد من هدم البيت واستحلال حرمته(٤) .

[فصل]

ذكر بناء قريش الكعبة في الجاهلية

كانت الكعبة قبل أن تبنيها قريش وضمًا(٥) يابسًا ليس بمدر(٦) تبروه(٧) العناق ، وكان بابها بالأرض ولم يكن لها سقف وإنما تدلى الكسوة على الجدر من خارج وتربط من أعلى الجدر من بطنها ، وكان في بطن الكعبة عن يمين من دخلها جب(٨) يكون فيه ما يهدى للكعبة من مال وحلية كهيئة الخزانة ، وكان على ذلك الجب حية تحرسه بعثه الله منذ زمن جرهم ، وذلك أنه عدا على ذلك الجب قوم من جرهم فسرقوا مالها وحليتها مرة بعد مرة ، فبعث الله تعالى تلك الحية فحرست الكعبة وما فيها خمسمائة سنة ، ثم لم تزل كذلك حتى بنت قريش الكعبة ، وكان قرنا الكبش الذي ذبحه إبراهيم – عليه السلام –

---

(١) كذا في الأصل ، وفي حياة الحيوان « بالوسم » وهو من الفراسة ، تقول : توسمت فيه الخير أي : تفرست . لسان العرب مادة « وسم » .

(٢) جاء في حياة الحيوان المطبوع (١٨٨/٢) : « إبطها » وهو تحريف . والله أعلم .

(٣) حياة الحيوان للدميري (١٨٨/٢) من أول قوله : وكنية الفيل .

(٤) تاريخ مكة للأزرقي (١٤٨/١) عن بعض المكيين .

(٥) كذا في الأصل وهو من الوضم : خشبة أو بارية يوضع عليها اللحم ، وعند الأزرقي « رضمًا » من الرضم وهو الحجارة البيض . لسان العرب مادة « رضم » .

(٦) المَدَر : الطين اللزج المتماسك ، والقطعة منه مدرة . « المعجم الوسيط » .

(٧) كذا في الأصل ، وعند الأزرقي « تنزوه » من الوقوع والوطء . والله أعلم .

(٨) الجب : البئر الواسعة « المعجم الوسيط» .

معلقين فى بطنها بالجدر تلقاء من دخلها ويطيبان إذا طيب البيت ، وكان فيها معاليق من حلية كانت تهدى للكعبة ، وسبب بناء قريش الكعبة أن امرأة ذهبت تجمر الكعبة فطارت من مجمرتها شرارة فاحترقت كسوتها ، وكانت الكسوة عليها ركامًا بعضها فوق بعض فلما احترقت الكعبة توهنت جدرانها من كل جانب وتصدعت / [٤٤/ب] ، وكانت السيول متواترة فجاء سيل عظيم وهى على تلك الحال فدخل الكعبة وصدع جدرانها وأحافها(١) ، ففزعت من ذلك قريش فزعًا شديدًا وهابو هدمها وخشوا إن ينسَوْها أن ينزل عليهم العذاب ، فبينما هم على ذلك ينتظرون ويتشاورون إذ أقبلت سفينة للروم حتى إذا كانت بالشُّعَيْبة(٢) - بضم الشين المعجمة - وهى يومئذ ساحل مكة قِبل جدة فانكسرت فسمعت بها قريش، فركبوا إليها فاشتروا خشبها ، وأذنوا لأهلها أن يدخلوا مكة فيبيعوا ما معهم من متاعهم على أن لا يعشروهم(٣) ، وكانوا يعشرون مَن دخلها من تجار الروم ، كما كانت الروم تعشر من دخل منهم بلادها ، وكان فى السفينة رومى نجار بناء يسمى باقوم(٤) .

قال السهيلى : وقال ابن إسحاق : وكان بمكة نجار قبطى ، وذكر غيره أنه كان علجًا فى السفينة وأن اسم ذلك النجار باقوم وكذلك أيضًا فى اسم النجار الذى عمل منبر رسول الله ﷺ من طرْفاء الغابة ولعله أن يكون هذا(٥) . انتهى كلامه .

فلما قدموا بالخشب مكة قالوا : لو بنينا بيت ربنا فاجتمعوا لذلك وتعاونوا وترافدوا فى النفقة ، وربعوا قبائل قريش أرباعًا ، ثم اقترعوا عند هبل فى جوف الكعبة على جوانبها، فطار قدح بنى عبد مناف وبنى زهرة على الوجه الذى فيه الباب وهو الشرقى ، وطار قدح بنى عبد الدار وبنى أسد بن عبد العزى وبنى عدى بن كعب على الشق الذى يلى الحجر وهو الشق الشامى ، وطار قدح بنى سهم وبنى جمح وبنى عامر بن لؤى على ظهر الكعبة وهو الشق الغربى ، وطار قدح بنى تميم وبنى مخزوم وقبائل من قريش ضمُّوا معهم على الشق اليمانى الذى يلى الصفا فنقلوا الحجارة ، ورسول الله ﷺ يومئذ غلام لم ينزل عليه الوحى ينقل معهم الحجارة على / [٤٥/أ] رقبته ، فبينما هو ينقلها إذا انكشفت

---

(١) عند الأزرقى « وأخافهم » . والله أعلم .

(٢) الشُّعَيْبة : مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز ، وقد كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جُدة . معجم البلدان (٣٥٠/٣ ، ٣٥١) .

(٣) من عشر المال ، أى : أخذ عُشْرَه مكسًا . المعجم الوسيط .

(٤) تاريخ مكة للأزرقى (١٥٩/١ ، ١٦٠) عن ابن أبى نجيح عن أبيه .

(٥) الروض الأنف (٢٢٥/١) .

نمرة كانت عليه فنودى يا محمد عورتك وذلك أول ما نودى - والله أعلم - فما رؤيت لرسول الله ﷺ عورة بعد ذلك ، ولُبج[1] برسول الله ﷺ من الفزع حين نودى فأخذه العباس بن عبد المطلب فضمه إليه ، وقال : لو جعلت نمرتك على عاتقك تعتل[2] الحجارة. قال : ما أصابنى هذا إلا من التعرى فشد رسول الله ﷺ إزاره وجعل ينقل معهم ، وكانوا ينقلون بأنفسهم تبررًا وتبركًا بالكعبة ، فلما اجتمع لهم ما يريدون من الحجارة والخشب وما يحتاجون إليه ، عَدَوا على هدمها فخرجت لهم الحية التى كانت فى بطنها تحرسها سوداء الظهر بيضاء البطن رأسها مثل رأس الجدى تمنعهم كلما أرادوا هدمها ، وكانت لا يدنو أحد من بئر الكعبة إلا رفعت ذَنَبها وكشت - أى : صوَّتت - ، فلما رأوا ذلك اعتزلوا عند مقام إبراهيم - عليه السلام - وهو يومئذ فى المكان الذى هو فيه اليوم ، فقال لهم الوليد بن المغيرة : يا قوم ألستم تريدون بهدمها الإصلاح . قالوا : بلى . قال : فإن الله - عز وجل - لا يهلك المصلحين ، ولكن لا تدخلوا فى عمارة بيت ربكم إلا من طيب أموالكم، ولا تدخلوا فيه مالاً من ربًا ولا مالاً من مسيس[3] ولا مهر بغى وجنبوه الخبيث من أموالكم ، فإن الله - عز وجل - لا يقبل إلا طيبًا . ففعلوا ثم وقفوا عند المقام فقاموا يدعون ربهم ويقولون : اللهم إن كان لك فى هدمها رضًى فأتمه وأشغل عنا هذا الثعبان . فأقبل طائر من جو السحاب كهيئة العُقاب[4] ظهره أسود وبطنه أبيض ورجلاه صفراوان والحية على جدار البيت فاغرة فاها فأخذ برأسها ، وفى رواية / [٤٥/ب] فغرز مخالبه فى رأسها حتى انطلق بها يجرها وذنبها أعظم من كذا وكذا ، فطار بها حتى أدخلها أجياد الصغير ، فقالت قريش : إنا لنرجوا أن يكون الله سبحانه قد رضى عملكم وقبل نفقتكم فاهدموه فهابت قريش هدمه ، فقالوا : من يبدأ فيهدم ؟ فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدؤكم فى هدمه أنا شيخ كبير ، فإن أصابنى أمر كان قد دنا أجلى ، وإن كان غير ذلك لم يزرأ بى[5] ، فعلا البيت وفى يده عتلة يهدم بها فتزعزع من تحت رجله فقال : اللهم لم نزع[6] إنما أردنا الإصلاح . وجعل يهدمها حجرًا حجرًا بالعتلة فهدم يومه ذلك ، فقالت

---

(١) لُبج : صرع وسقط من قيام . المعجم الوسيط .

(٢) لعلها هكذا فى الأصل ، وعند الأزرقى «تقيك» . والله أعلم .

(٣) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « ميسر » . والله أعلم .

(٤) العُقاب : طائر من كواسر الطير ، قوى المخالب مسرول ، له منقار قصير أعقف ، حاد البصر . المعجم الوسيط .

(٥) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى «يرزأنى » أى يصيبنى . والله أعلم .

(٦) نزع : نتتهى . راجع لسان العرب مادة « نزع » ، وفى تاريخ مكة للأزرقى (١٦٢/١) : وفى هامشه (نزع ، تزع ، نرع) والله أعلم .

قريش : نخاف أن ينزل به العذاب إذا أمسى . فلما أمسى لم ير بأسًا ، فأصبح الوليد غاديًا على عمله فهدمت قريش معه حتى بلغوا الأساس الذى رفع عليه إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - القواعد من البيت فأبصروا حجارة كأنها الإبل الخَلِف[1] ، لا يطيق الحجر منه ثلاثون رجلاً يحرك الحجر منها فترتج جوانبها قد تشبك بعضها ببعض ، فأدخل الوليد بن المغيرة عتلة بين حجرين فانفلقت منه فلقة فأخذها أبو وهب بن عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم فنزت من يده ثم عادت فى مكانها ، وطارت برقة كادت أن تخطف أبصارهم ورجفت مكة بأسرها ، فلما رأوا ذلك أمسكوا عن أن ينظروا إلى ما تحت ذلك ، فلما جمعوا ما أخرجوا من النفقة قلت النفقة عن أن تبلغ لهم عمارة البيت كله ، فتشاوروا فى ذلك وأجمع رأيهم عن أن يقصروا عن القواعد ويحجروا ما يقدرون عليه من البيت ويتركوا بقيته فى الحجر عليه جدار مدار يطوف الناس من ورائه ، ففعلوا ذلك وبنوا فى بطن / [٤٦/أ] الكعبة أساسًا يبنون عليه من شق الحجر ، وتركوا من ورائه من فناء البيت فى الحجر ستة أذرع وشبرًا فبنوا على ذلك ، فلما وضعوا أيديهم فى بنائها ، قالوا : ارفعوا بابها من الأرض واكبسوها حتى لا تدخلها السيول ولا ترقى إلا بسلم ، ولا يدخلها إلا من أردتم ثم إن كرهتم أحدًا دفعتموه ، ففعلوا ذلك وبنوها بساق[2] من حجارة وساق[2] من خشب بين الحجارة حتى انتهوا إلى موضع الركن فاختلفوا فى وضعه ، وكثر الكلام فيه وتنافسوا فى ذلك فقالت بنو عبد مناف وزهرة : هو فى الشق الذى وقع لنا . وقالت بنو تميم ومخزوم : هو فى الشق الذى وقع لنا . وقالت سائر القبائل : لم يكن الركن مما استهمنا عليه . فقال أبو أمية بن المغيرة : يا قوم إنما أردنا البر و لم نرد الشر ، فلا تحاسدوا ولا تنافسوا فإنكم إن اختلفتم نسيت أموركم وطمع فيكم غيركم ، ولكن حكموا بينكم أول من يطلع عليكم من هذا الفج . قالوا : رضينا وسلمنا فطلع رسول الله ﷺ عليه وشاحَا[3] نمرة فقالوا: هذا الأمين قد رضينا به فحكموه ، فبسط رداءه ثم وضع فيه الركن ودعا من كل ربع رجلاً فأخذوا بأطراف الثوب ، فكان من بنى عبد مناف عتبة بن ربيعة ، وكان فى الربع الثانى أبو ربيعة[4] بن الأسود وكان أسن القوم ، وفى الربع الثالث العاص

---

(١) الخلف : جمع خَلفَة ، وهى الناقة الحامل . لسان العرب مادة « خلف » .

(٢) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « بساف - وساف » وهو الصواب ، والساف هو : الصف من اللبن أو الحجارة فى البناء ، عند أهل العراق . لسان العرب « دمك » .

(٣) تثنية وشاح وهو نسيج عريض يشد على العاتق . راجع لسان العرب مادة « وشح » .

(٤) عند الأزرقى « أبو زمعة » والله أعلم .

ابن وائل ، وفى الربع الرابع حذيفة[١] بن المغيرة ، فرفع القوم الركن وقام النبى ﷺ على الجدر فوضعه هو بيده ، فذهب رجل من أهل نجد لُيناول النبى ﷺ حجرًا يشد به الركن ، فقال العباس بن عبد المطلب ﷺ : لا ، فناول العباس النبى ﷺ حجرًا فشد به الركن[٢]. وفى رواية : أمر بالركن فوضع فى ثوب ثم / [٤٦/ب] أمر سيد كل قبيلة فأعطاه ناحية الثوب ثم ارتقى ، وأمرهم بالركن أن يرفعوه إليه فرفعوه إليه فكان هو الذى وضعه[٣] .

قال الكازرونى[٤] فى سيرته : وكان وضعه ﷺ يوم الاثنين فلما وضعه غضب النجدى قال : واعجَباه لقوم أهل شرف وعقول وسن وأموال ، عمدوا إلى أصغرهم سنًا وأقلهم مالاً فرأسوه عليهم فى مكرمتهم كأنهم خدم له ، أما والله ليفوتنهم سبقًا وليقسمن عليهم حظوظًا . ويقال : إن هذا النجدى هو إبليس لعنه الله .

فبنوا حتى بلغوا أربعة أذرع وشبرًا ثم كبسوها ووضعوا بابها مرتفعًا على هذا الذرع رفعوها بمدماك[٥] على خشب ومدماك حجارة حتى بلغوا السقف ، فقال لهم باقوم الرومى : أتحبون أن تجعلوا سقفها «منكسًا»[٦] أو مسطحًا . قالوا : بل ابن بيت ربنا مسطحًا . قال : فبنوه مسطحًا وجعلوا فيه ست دعائم فى صفين ، كل صف ثلاث دعائم من الشق الشامى الذى يلى الحجر إلى الشق اليمانى ، وجعلوا ارتفاعها من خارجها من الأرض إلى أعلاها ثمانية عشر ذراعًا ، وكانت قبل ذلك تسعة أذرع ، فزادت قريش «فى السماء»[٧] فى ارتفاعها فى السماء تسعة أذرع أخرى ، وبنوها من أعلاها إلى أسفلها بمدماك من حجارة ومدماك من خشب ، فكان الخشب خمسة عشر مدماكًا والحجارة ستة عشر مدماكًا ، وجعلوا ميزابها يسكب فى الحجر ، وجعلوا درجة من خشب فى بطنها فى الركن الشامى يصعد فيها إلى ظهرها ، وزوقوا سقفها وجدرانها من بطنها ودعائمها ، وجعلوا فى دعائمها صور الأنبياء وصور الشجر وصور الملائكة ، وكان فيها صورة إبراهيم - عليه السلام - خليل الرحمن شيخ يستقسم بالأزلام ، وصورة عيسى ابن مريم

---

(١) عند الأزرقى « أبو حذيفة » .

(٢) تاريخ مكة للأزرقى (١٦٠/١ - ١٦٤) ، وراجع سيرة ابن هشام (٢٤٩/١ - ٢٥٤) .

(٣) سيرة ابن هشام (٢٥٤/١ ، ٢٥٥) بنحوه ، والروض الأنف (٢٢٨/١) .

(٤) هو على بن محمد بن محمود بن أبى العز بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم الكازرونى ثم البغدادى ، الشافعى ، من تصانيفه روضة الأريب فى التاريخ ، والسيرة النبوية . توفى ٦٩٧ هـ ، راجع معجم المؤلفين (٢٣٢/٧) .

(٥) مِدماك : الصف من اللبن أو الحجارة فى البناء . لسان العرب « دمك » .

(٦) عند الأزرقى « مكبسًا » . والله أعلم .

(٧) ليست عند الأزرقى (١٦٤/١) .

وأمه ، وصور الملائكة - عليهم السلام - / [٤٧/أ] فلما كان يوم الفتح دخل رسول الله ﷺ فأرسل الفضل بن عباس بن عبد المطلب فجاء بماء من زمزم ثم أمر بثوب فبل بالماء وأمر بطمس تلك الصور فطمست ، ووضع ﷺ كفيه على صورة عيسى ابن مريم وأمه - عليهما السلام - وقال : «**امحوا جميع الصور إلا ما تحت يدى**» فرفع يده عن عيسى وأمه ، ونظر إلى صورة إبراهيم فقال : «**قاتلهم الله جعلوه يستقسم بالأزلام ، ما لإبراهيم وللأزلام**»[(١)] . وجعلوا لها بابًا واحدًا فكان يغلق ويفتح ، وكانوا قد أخرجوا ما كان في الجبّ من حلية ومال وقرني الكبش وجعلوه عند أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عبد الدار بن قصي ، وأخرجوا هبل ونصب عند المقام حتى فرغوا من بناء البيت وردوا ذلك المال في الجب وعلقوا فيه الحلية وقرني الكبش وردوا الجب في مكانه مما يلي الشق الشامي ونصبوا هبل على الجب كما كان قبل ذلك ، وجعلوا له سلمًا يصعد فيه إلى بطنها ، وكسوها حين فرغوا من بنائها حبرات ثمانية ، وعن مشافع بن شيبة بن عثمان أن النبي ﷺ قال : «**يا شيبة امحُ كل صورة فيه إلا ما تحت يدى** »قال : فرفع يده عن عيسى ابن مريم وأمه[(٢)] .

---

(١) قوله : ووضع رسول الله ﷺ كفيه على صورة عيسى ابن مريم وأمه عليهما السلام ، وقال « امحوا .... إلا ما تحت يدى .. » هذه الزيادة لا تصح عن النبي ﷺ ، ولعلها موضوعة من قبل أعداء الإسلام ، وذلك لعدة أمور منها :

(الأول) ما ثبت في البخاري وغيره عن ابن عباس قال : دخل النبي ﷺ البيت فوجد فيه صورة إبراهيم وصورة مريم فقال : أما لهم فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة ، هذا إبراهيم مصور فما له يستقسم ح (٣٣٥١ - فتح) .

(الثاني) ما ذكره النووي في شرح مسلم (٨٨/٩) من كونه ﷺ لم يدخل الكعبة في عمرة القضاء، وقال العلماء : وسبب عدم دخوله ﷺ ما كان في البيت من الأصنام والصور ، ولم يكن المشركون يتركونه لتغييرها ، فلما فتح الله تعالى عليه مكة دخل البيت وصلى فيه وأزال الصور قبل دخوله . ا هـ . وهذا يشمل جميع الصور بلا استثناء .

(الثالث) ما ثبت في صحيح البخاري ح (٣٣٥٢ - فتح) أنه ﷺ لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحيت . و لله الحمد .

(٢) قوله : إلا ما تحت يدى قال : فرفع يده . إلخ غير ثابت عن النبي ﷺ ، والحديث في تاريخ مكة للأزرقي (١٦٨/١) وهو في المعجم الكبير للطبراني (٢٩٩/٧) عن شيبة بلفظ « يا شيبة أكفني هذه ... ولم يذكر قوله : إلا ما تحت يدى ... إلخ ، وكذلك بنحوه في التاريخ الكبير للبخاري (٧٠/٨) ولم يذكره كذلك ، وفي المجمع (٢٩٥/٣) : ومسافع لم أجد من ترجمه . ا هـ . بل هو مترجم في تهذيب الكمال (٤٢٢/٢٧) وغيره وفي الأصل مشافع وهو تصحيف . والله أعلم .

وعن جابر بن عبد الله قال : زجر النبي ﷺ عن الصور ، وأمر عمر بن الخطاب زمن الفتح أن يدخل البيت فيمحو ما فيه من صورة و لم يدخله حتى مُحِيَ[1]. وعن الحسن أن النبي ﷺ لم يدخل الكعبة حتى أمر عمر بن الخطاب أن يطمس على كل صورة فيها[2].

وعن ابن أبي تجراة عن أمه قالت : أنا أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يضع الركن بيده فقلت : لمن الثوب الذى وضع فيه الحجر ؟ قالت / [٤٧/ب] للوليد بن المغيرة . ويقال : فحمل الحجر فى كساء رومى كان للنبى ﷺ[3] روى جميع ذلك الأزرقى[4].

ويُرْوى : أن الطائر الذى اختطف الحية هو العقاب[5] . وعن ابن عباس : أن هذه الحية هى الدابة التى تكلم الناس قبل يوم القيامة[6] قال السهيلى : واسمها أقصى[7]. وقيل : إن الدابة التى تكلم الناس هى فصيل ناقة صالح ، وهو الأصح كما ذكره القرطبى ؛ لما روى أبو داود عن حذيفة قال : ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال : « **لها ثلاث خرجات من الدهر : فتخرج من أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية** – يعنى مكة – **ثم تكمن زمانًا طويلاً ، ثم تخرج خرجة أخرى دون ذلك فيفشو ذكرها فى أهل البادية ويدخل ذكرها القرية** – أى مكة – **ثم بينا الناس فى المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهى ترغو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب**»[8] . الحديث ففى قوله: ترغو . دليل على أنها الفصيل . قال القرطبى : وذلك أن الفصيل لما قُتلت الناقة هرب فانفتح له حجر فدخل فى جوفه ، ثم انطبق عليه الحجر فهو فيه حتى يخرج بإذن الله تعالى ، وقيل: إنها الجساسة .

---

(١) أخرجه أبو داود : كتاب اللباس - باب فى الصور ح (٤١٥) ، والمسند (٣/٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٨٣ ، ٣٩٦) ، وأخبار مكة للأزرقى (١/١٦٨) ، ويشهد له ما أخرجه البخارى ح (٣٣٥٢ - فتح) عن ابن عباس أن النبى ﷺ لما رأى الصور فى البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحيت .. إلخ .

(٢) أخبار مكة للأزرقى (١/١٦٨) ومراسيل الحسن ضعيفة .

(٣) أخبار مكة للأزرقى (١/١٧٢) .

(٤) أخبار مكة للأزرقى (١/١٦٤ - ١٧٢) من أول قول الكازرونى .

(٥) الروض الأنف (١/٢٢٥) .

(٦) الروض الأنف (١/٢٢٥) عن محمد بن الحسن المقرئ عن ابن عباس، والتذكرة (ص ٧٨٧) .

(٧) المصدر السابق .

(٨) أخرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده (١٠٦٩) ، ونعيم بن حماد فى الفتن (ص ٤٠١) عن أبى سريعة ، وهو حذيفة بن أسيد الغفارى وقال القرطبى فى التفسير (١٣/٢٣٦) : وقد رفع الإشكال فى هذه الدابة ما ذكرناه من حديث حذيفة ، فليعتمد عليه . اهـ . أى هذا الحديث ، وخروج الدابة ثابت فى الكتاب كما فى سورة النمل : الآية (٨٢) ، وكذا السنة كما فى صحيح مسلم ح(٢٩٤١) عن ابن عمر مرفوعًا .

واختلفوا في صفتها فقيل : إنهـا دابـة مرغيـة[1] الشعـر ذات قوائـم ، طولها سـتون ذراعًا . وقيل : على خلقـة الآدميين وهـي فـي السحاب وقوائمهـا فـي الأرض . وقيـل : جمعت من خلق كل حيوان ؛ رأسها رأس ثور ، وعـين[2] عـين خـنزير ، وأذنهـا أذن فيـل، وقرنهـا قـرن أُيَّـل[3] ، وعنقهـا عنـق نعامـة ، وصدرهـا صـدر أسـد ، ولونهـا لـون نمـر ، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش ، وقوائمها قوائم بعير ، بين كل مفصل ومفصل اثنى عشر ذراعًا بذراع آدم - عليه السلام - يخـرج معهـا عصـا موسـى وخـاتم سـليمان ، فتنكت في وجه المؤمن نكتة بيضاء بعصا موسى فيبيـض وجهـه / [٤٨/أ] ، وتنكـت فـي وجه الكافر نكتة سوداء بخاتم سليمان فيسود وجهه[4] . وقيل : ليس لها ذنـب[5]. وقيـل : ليس لها وبر وريش. ولها ثلاث خرجات آخرهن بين الركـن والمقـام كمـا تقـدم لا يخـرج ثلثاها[6] .

قال المرجاني في «بهجة النفـوس» : وفـي الركـن العراقـي مـن حيـال البيـت صـدع مستطيل فلعله المشار إليه .

واختلف في أي موضع تخرج ، فقيل : من جبل الصفا يتصدع فتخـرج منـه[7] ، أو من تهامة[8] ، أو من الطواف ، أو من مسجد الكوفة مـن حيـث فـار تنـور نـوح ، أو مـن الطائف، أو من جياد ، أو من بين الركنين ، أو من صخرة في شعب أجياد[9] ، أو من بحـر سدوم[10] ،وتخرج قبل يوم التروية بيوم . وقيل : يوم عرفة . وقيل : يوم النحر . وقد تقدم في باب الفضائل عن ابن إسحاق : أن قريشًا وجدت في الركـن كتابًـا بالسـريانية وفيـه :

---

(١) كذا في الأصل ، وعند القرطبي في تفسيره « مزغبة » من الزَّغَب وهو : الشعيرات الصفر على ريش الفرخ . لسان العرب « زغب » .

(٢) هكذا في الأصل ، والصواب «وعينها» كما يقتضيه السياق . والله أعلم .

(٣) أُيَّل : الوَعل ، وهو تيس الجبل أي ذكر الأروى ، وهـو جنـس مـن المعز الجبلية ، لـه قرنـان قويَّـان منحيان كسيفين أحديين . راجع المعجم الوسيط « أيل » ، « وعل » .

(٤) تفسير القرطبي (٢٣٥/١٣ ، ٢٣٦) عن الماوردي والثعلبي ، وكذلك التذكرة (ص ٧٨٧) .

(٥) المصدر السابق عن علي بن أبي طالب .

(٦) تفسير القرطبي (٢٣٥/١٣ ، ٢٣٦) من أول قوله : فقيل إنها دابة ... إلخ .

(٧) تفسير القرطبي (٢٣٦/١٣) عن عبد الله بن عمر موقوفًا ، والتذكرة (ص ٧٨٧) .

(٨) تفسير القرطبي (٢٣٧/١٣) ، وكذلك التذكرة (ص ٧٨٧) عن قتادة .

(٩) المصدر السابق عن عبد الله بن عمرو .

(١٠) المصدر السابق عن وهب بن منبه .

«أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض إلى آخره»[1] . وعن الزهرى قال : إن قريشًا حين بنوا الكعبة وجدوا فيه حجرًا وفيه ثلاثة صفوح ؛ فى الصفح الأول : «أنا الله ذو بكة صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر» إلى آخر كلام ابن إسحاق المتقدم فى الفضائل.وفى الصفح الثانى : «أنا الله ذو بكة خلقت الرحم واشتققت لها اسمًا من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته» . وفى الصفح الثالث : «أنا الله ذو بكة خلقت الخير والشر فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه»[2] . وحضر سيدنا رسول الله ﷺ بناء قريش وله خمس وثلاثون سنة . وقيل : خمس وعشرون سنة.حكاهما النووى[3] .

[فصل]

ذكر الوقت الذى كانوا يفتحون فيه الكعبة وأول من خلع النعل عند دخولها

عن عمرو الهُذلى قال : رأيت قريشًا يفتحون البيت فى الجاهلية يوم الاثنين والخميس، وكان حجابه يقعدون عند بابه فيرتقى الرجل إذا كانوا لا يريدون / [٤٨/ب] دخوله فيدفع ويطرح وربما عطب ، وكانوا لا يدخلون الكعبة بحذاء يعظمون ذلك ويضعون نعالهم تحت الدرجة[4] . وأول من خلع الخف والنعل فلم يدخلها بهما الوليد بن المغيرة ؛ إعظامًا لها فجرى ذلك سنة[5]. ويروى أن فاختة بنت زهير بن حرب بن الحارث ابن أسد بن عبد العزى وهى أم حكيم بن حزام دخلت الكعبة وهى حامل ، فأدركها المخاض فيها فولدت حكيمًا فى الكعبة فحملت فى نطع[6] ، وأخذ ما تحت مثبرها[7] فغسل عند حوض زمزم[8] .

---

(١) سيرة ابن هشام (٢٥٣/١) ، والروض الأنف (٢٢٧/١) .
(٢) الروض الأنف (٢٢٧/١) .
(٣) فى شرح مسلم (٨٩/٩) .
(٤) تاريخ مكة للأزرقى (١٧٤/١) .
(٥) ذكره فى تاريخ مكة للأزرقى (١٧٤/١) عن الواقدى عن أشياخه .
(٦) النِّطْع : بساط من الجلد . المعجم الوسيط .
(٧) المثبر : الموضع تلد فيه المرأة . القاموس المحيط مادة « ثبر » ، وذكر فى تاج العروس القصة .
(٨) هذه الرواية عن عبد الله بن أبى سليمان عن أبيه ، كما فى تاريخ مكة للأزرقى (١٧٤/١) ، وفيه من أول كلام عمرو الهذلى ... إلخ .

[فصل]

ذكر بناء الزبير[1] الكعبة وما زاد فيها وما نقص منها الحجاج

عن ابن جريج قال : سمعت غير واحد ممن حضر ابن الزبير حين هدم الكعبة وبناها فقالوا : لما أبطأ عبد الله بن الزبير عن بيعة يزيد بن معاوية وتخلف وخشى منهم لحق بمكة؛ ليمتنع بالحرم، وجمع مواليه وجعل يظهر عيب يزيد بن معاوية ويشتمه ويذكر شربه الخمر وغير ذلك ، ويجتمع الناس إليه فيقوم فيهم بين الأيام فيذكر مساوئ بنى أمية فيطنب فى ذلك ، فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فأقسم لا يؤتى به إلا مغلولاً فأرسل إليه رجلاً من أهل الشام فى خيل من «أهل»[2] الشام فعظم على ابن الزبير القضية ، وقال : لأن يستحل الحرم بسببك فإنه غير تاركك ولا تقوى عليه وأقسم أن لا يؤتى بك إلا مغلولاً وقد عملت لك غلاً من فضة وتلبس فوقه الثياب وتبر قسم أمير المؤمنين فالصلح خير عاقبة وأجمل بك وبه، فقال : دعونى أيامًا حتى أنظر فى أمرى فشاور أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق فى ذلك فأبت عليه أن يذهب مغلولاً وقالت : يا بنى عش كريمًا ومت كريمًا ، ولا تمكن بنى أمية من نفسك فتلعب بك فالموت أحسن من هذا ، فأبى أن يذهب إليه فى غل وامتنع فى مواليه ومن يألف إليه من أهل مكة فكان / [٤٩/أ] يقال لهم : الزبيرية ، فبينما يزيد على بعثة الجيوش إليه إذ أتى يزيد خبر أهل المدينة وما فعلوا بعامله ومن كان بالمدينة من بنى أمية وإخراجهم إياهم منها إلا من كان من ولد عثمان بن عفان ﷺ ، فجهز إليهم مسلم ابن عقبة المرى فى أهل الشام وأمره بقتال أهل المدينة فإذا فرغ من ذلك سار إلى ابن الزبير بمكة ، وكان مسلم مريضًا فى بطنه الماء الأصفر فقال له يزيد : إن حدث بك الموت فول الحصين بن نمير الكندى على جيشك ، فسار حتى قدم المدينة فقاتلوه فظفر بهم ودخلها وقتل من قتل منهم ، وأسرف فى القتل فسمى بذلك مسرفًا ، ونهب المدينة ثلاثًا ، وسار إلى مكة فلما كان ببعض الطريق حضرته الوفاة فدعا الحصين بن نمير فقال له : يا برذعة الحمار لولا أكره أنى أتزود عند الموت معصية أمير المؤمنين ما وليتك ، انظر إذا قدمت مكة فاحذر أن تمكن قريشًا من أذنك فتقول[3] فيها لكن لا يكن إلا الوقاف ثم العفاف[4] ثم الانصراف ، فتوفى مسلم المسرف ومضى الحصين بن نمير إلى مكة فقاتل ابن الزبير بها أيامًا

---

(١) كذا فى الأصل ، والصواب « ابن الزبير » كما عند الأزرقى . والله أعلم .

(٢) كذا فى الأصل ، وبهامشه بخط مخالف « خيل » وهو ما ذكره الأزرقى . والله أعلم .

(٣) عند الأزرقى « فتبول » . والله أعلم .

(٤) عند الأزرقى « الوقاف ثم الثقاف » والوقاف : الذى لا يستعجل فى الأمور ، والثقاف : الحاذق الفهم . راجع لسان العرب « وقف » ، « ثقف » . والله أعلم .

وجمع ابن الزبير أصحابه فتحصن بهم فى المسجد الحرام وحول الكعبة ، فضرب أصحاب ابن الزبير خياماً يكتنون بها من حجارة المنجنيق ويستظلون فيها من الشمس ، وكان الحصين بن نمير قد نصب المنجنيق على أخشبى مكة وهما أبو قبيس والأحمر فكان يرميهم بها فتصيب الحجارة الكعبة حتى تخرق كسوتها عليها ، فصارت كأنها جيوب النساء فوهَّن الرمي بالمنجنيق الكعبة ، فذهب رجل من أصحاب ابن الزبير يوقد ناراً فى بعض تلك الخيام مما يلى الصفا بين الركن الأسود والركن اليمانى ، والمسجد يومئذ ضيق صغير ، فطارت شرارة فى الخيمة فاحترقت وكان فى ذلك اليوم رياح شديدة، والكعبة يومئذ مبنية بناء قريش مدماك من ساج / [٤٩/ب] ومدماك من حجارة من أسفلها إلى أعلاها وعليها الكسوة ، فطارت الرياح بلهب تلك النار فاحترقت كسوة الكعبة ، واحترق الساج الذى بين البناء ، وكان احتراقها يوم السبت لثلاث ليال خلون من شهر ربيع الأول قبل أن يأتى نعى يزيد بن معاوية بتسعة وعشرين يوماً ، وجاء نعيه فى هلال شهر ربيع الآخر ليلة الثلاثاء سنة أربع وستين ، وكان توفى لأربع عشرة خلت من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ، وكانت خلافته ثلاثة سنين[1] وسبعة أشهر ، فلما احترقت الكعبة واحترق الركن الأسود وتصدع ، كان ابن الزبير بعد ذلك ربطه بالفضة وضعفت جدران الكعبة حتى أنها لتنقض من أعلاها إلى أسفلها ويقع الحمام عليها فيستأثر[2] حجارتها وهى مجردة موهنة من كل جانب ، ففزع لذلك أهل مكة وأهل الشام جميعًا والحصين بن نمير محاصر ابن الزبير ، فأرسل ابن الزبير رجالاً من أهل مكة من قريش وغيرهم منهم عبد الله بن خالد بن أسيد ورجال من بنى أمية إلى الحصين فكلموه وعظموا عليه ما أصاب الكعبة وقالوا : إن ذلك منكم رميتموها بالنفط . فأنكروا ذلك وقالوا : قد توفى أمير المؤمنين فعلى ماذا تقاتل ؟ ارجع إلى الشام حتى تنظر ماذا يجمع عليه رأى صاحبك يعنون معاوية بن يزيد وهل يجمع الناس عليه ؟ فلم يزالوا به حتى لان لهم ورجع إلى الشام ، فلما أدبر جيش الحصين بن نمير وكان خروجه من مكة لخمس ليال خلون من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين ، دعا ابن الزبير وجوه الناس وأشرافهم فشاوروهم[3] فى هدم الكعبة ، فأشار عليهم[4] ناس قليلون بهدمها وأبى كثير من الناس هدمها ، وكان أشدهم إباءً عبد الله بن عباس قال له : دعها على ما أقرها رسول الله ﷺ فإنى أخشى أن يأتى / [٥٠/أ] بعدك من يهدمها ، فلا تزال

---

(١) عند الأزرقى « ثلاث سنين » . والله أعلم .

(٢) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « فتتناثر » . والله أعلم .

(٣) عند الأزرقى « فشاورهم » . والله أعلم .

(٤) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « عليه » وبه يتم السياق . والله أعلم .

تهدم وتبنى فيتهاون الناس بحرمتها ولكن أرقعها فقال ابن الزبير: والله ما يرضى أحدهم أن يرقع بيت أبيه وأمه فكيف أرقع بيت الله تعالى ؟ وكان ممن أشار عليها[1] بهدمها جابر ابن عبد الله وعبد بن نمير[2] وعبد الله بن صفوان بن أمية، فأقام أيامًا يشاور وينظر ثم أجمع على هدمها ، وكان «يحب أن يكون»[3] هو الذى يحب أن يردها على ما قال رسول الله ﷺ على قواعد إبراهيم وعلى ما وصفه رسول الله ﷺ لعائشة ، فأرادا أن يبنيها بالورس[4] ويرسل إلى اليمن فى ورس يشترى له ، فقيل: إن الورس يذهب ولكن ابنها بالقَصَّة[5] فسأل عن القَصّة ، فأخبر أن قصة صنعاء هى أجود القصة فأرسل إلى صنعاء بأربعمائة دينار يشترى له بها قصة ويكترى عليها وأمر بتنجنج[6] ذلك ثم سأل رجالاً من أهل العلم بمكة من أين أخذت قريش حجارتها فأخبروه مبلغها ، فنقل له من الحجارة قدر ما يحتاج إليه ، فلما اجتمعت وأراد هدمها خرج أهل مكة إلى منى وأقاموا بها ثلاثًا ؛ فرقًا أن ينزل عليهم عذاب بهدمها ، فأمر ابن الزبير بهدمها فلم يجترئ على ذلك أحد ، فلما رأى ذلك علاها هو بنفسه فأخذ المعول وجعل يهدمها ويرمى بحجارتها ، فلما رأوا أنه لم يصبه شىء اجترأوا فصعدوا وهدموا وأرقى ابن الزبير فوقها عبيدًا من الجيش[7] فهدموها رجاء أن يكون فيهم صفة الحبشى الذى قال فيه رسول الله ﷺ : «**يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة**»[8]. وقال مجاهد : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : كأنى به أصيلع أفيدع[9] قائم عليها يهدمها بمسحاته . وقال مجاهد : فلما هدم ابن الزبير الكعبة جئت أنظر هل أرى الصفة التى قال عبد الله بن عمرو ؟ فلم أرها فهدموا وأعانهم

---

(١) راجع الهامش السابق .

(٢) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « عبيد بن عمير » . والله أعلم .

(٣) ملحقة من الحاشية ، والسياق يتم بدونها . والله أعلم .

(٤) الورس : نوع من الخشب النُّضار الأصفر ، شبه بالورس لصفرته . راجع لسان العرب « ورس » ، والذى فى لسان العرب « الورسى » بدلاً من « الورس » . والله أعلم .

(٥) القصة : حجارة من الجص . لسان العرب مادة « قصص » .

(٦) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « بتنجيح » أى : تيسيره وتنجيزه . المعجم الوسيط .

(٧) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « عبيدًا من الحبش » وهو الصواب . والله أعلم .

(٨) أخرجه البخارى : كتاب الحج - باب قول الله تعالى : ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام .. ﴾ الآية ح (١٥٩١ - فتح) ، ومسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ح (٢٩٠٩) عن أبى هريرة مرفوعًا .

(٩) أفيدع تصغير أفدع : وهو من الفَدَع : عوج فى المفاصل كأنها قد فارقت مواضعها ، وأكثر ما يكون فى رسغ اليد أو القدم . المعجم الوسيط « فدع » ولسان العرب .

الناس فما ترجلت[1] / [٥٠/ب] الشمس حتى ألصقوها بالأرض كلها من جوانبها ، وكان هدمها يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة أربع وستين ، ولم يقرب ابن عباس مكة حين هدمت الكعبة حتى فرغ منها ، وأرسل إلى ابن الزبير لا تدع الناس بغير قبلة انصب لهم حول الكعبة الخشب واجعل عليها الستور حتى يطوف الناس من ورائها ويصلون إليها ، ففعل ذلك ابن الزبير وقال ابن الزبير: أشهد لسمعت عائشة - رضى الله عنها - تقول : قال رسول الله ﷺ : «**إن قومك استقصروا فى بناء البيت وعجزت بهم النفقة فتركوا فى الحجر منها أذرعًا ، ولولا حداثة قومك بالكفر لهدمت الكعبة وأعدت ما تركوا منها ، ولجعلت لها بابين موضوعين بالأرض، بابًا شرقيًّا يدخل منه الناس ، وبابًا غربيًّا يخرج منه الناس ، وهل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها ؟**» قالت : قلت : لا. قال : «**تعززًا أن لا يدخلها إلا من أرادوا ، فكان الرجل إذا كرهوا أن يدخلها يدعونه أن يرتقى حتى إذا كاد أن يدخلها دفعوه فسقط ، فإن بدا لقومك هدمها فهلمى لأريك ما تركوا فى الحجر منها**» فأراها قريبًا من سبعة أذرع[2]. فلما هدم ابن الزبير الكعبة وسواها بالأرض كشف عن الأساس أساس إبراهيم - عليه السلام - فوجده داخلاً فى الحجر نحوًا من ستة أذرع وشبر ، كأنها أعناق الإبل أخذ بعضها بعْضًا كتشبيك الأصابع بعضها ببعض ، يحرك الحجر من القواعد فتحرك الأركان كلها ، فدعا ابن الزبير خمسين رجلاً من وجوه الناس وأشرافهم وأشهدهم على ذلك الأساس ، قال: فأدخل رجل من القوم - كان أيدًا - يقال له : عبد الله بن سمطيع[3] العدوى عتلة كانت فى يده فى ركن من أركان البيت فتزعزعت الأركان كلها جميعًا ، ويقال : إن مكة رجفت رجفة شديدة حين زعزع الأساس ، وخاف الناس خوفًا شديدًا حتى ندم كل من كان أشار / [٥١/أ] على ابن الزبير بهدمها وأعظموا ذلك إعظامًا شديدًا وسقط فى أيديهم ، فقال لهم ابن الزبير: اشهدوا ثم وضع البناء على ذلك الأساس ، ووضع جدار باب الكعبة على مدماك من الشاذرْوان[4] اللاصق بالأرض ، وجعل الباب الآخر بإزائه فى ظهر الكعبة مقابله ،

---

(١) ترجلت : ارتفعت . المعجم الوسيط « رجل » .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب العلم - باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا فى أشد منه ح (١٢٦ - فتح) وانظر أطرافه ، ومسلم : كتاب الحج - باب نقض الكعبة وبنائها ح (١٣٣٣) وانظر باقى طرقه ، عن عائشة مرفوعًا بنحوه .

[فائدة] فى صحيح مسلم فحوى قصة ابن الزبير فى هدم الكعبة فراجعه فى الموضع المشار إليه . والله أعلم .

(٣) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « مطيع » . والله أعلم .

(٤) الشّاذرْوان : هو بناء لطيف جدًّا ملصق بحائط الكعبة وارتفاعه عن الأرض فى بعض المواضع نحو =

وجعل عتبته على الحجر الأخضر الذى فى الشاذروان الذى فى ظهر الكعبة قريبًا من الركن اليمانى . وكان البناءون يبنون من وراء الستر ، والناس يطوفون من خارج ، فلما ارتفع البنيان إلى موضع الركن ، وكان ابن الزبير حين هدم البيت جعل الركن فى ديباجة وأدخله فى تابوت وقفل عليه ووضعه عنده فى دار الندوة ، وعمد إلى ما كان فى الكعبة من حلية وثياب وطيب فوضعه فى خزانة الكعبة فى دار شيبة بن عثمان حتى أعاد بناءها ، فلما بلغ البناء موضع الركن أمر ابن الزبير بموضعه ، فنقر فى حجرين من المدماك الذى تحته وحجر من المدماك الذى فوقه بقدر الركن وطَريق[١] بينهما ، فلما فرغوا منه أمر ابن الزبير ابنه عباد بن عبد الله بن الزبير وجبير بن شيبة بن عثمان أن يجعلوا الركن فى ثوب ، وقال لهم ابن الزبير : إذا دخلت فى صلاة الظهر فاحملوه واجعلوه فى موضعه فأنا أطول الصلاة ، فإذا فرغتم فكبروا حتى أخفف صلاتى ، وكان ذلك فى حر شديد فلما أقيمت الصلاة وكبر ابن الزبير وصلى بهم ركعة خرج عباد بالركن من دار الندوة وهو يحمله ومعه جبير ابن [مطعم][٢] شيبة بن عثمان فخرقا به الصفوف حتى أدخلاه فى الستر الذى دون البناء، وكان الذى [وضعه][٣] فى موضعه هذا عباد بن عبد الله بن الزبير وأعانه عليه جبير بن شيبة ، وقيل: الذى وضعه فى موضعه الآن حمزة بن عبد الله بن الزبير ، ذكره الزبير بن أبى بكر[٤] ، فلما قرروه فى موضعه / [٥١/ب] وطَرْيق عليه الحجران كبروا فأخف ابن الزبير صلاته وسمع الناس بذلك ، وغضب فيه رجال من قريش حين لم يحضرهم ابن الزبير ، وقالوا : والله لقد رُفع فى الجاهلية حين [وقع] بنته قريش فحكموا فيه أول من يدخل عليهم من باب المسجد ، فطلع رسول الله ﷺ جعله فى ردائه ، ودعا رسول الله ﷺ من كل قبيلة من قريش رجلاً فأخذوا بأركان الثوب ثم وضعه رسول الله ﷺ فى موضعه[٥] . وفى رواية ذكرها الأزرقى : أن ابن الزبير وضع الحجر الأسود فى موضعه هو بنفسه[٦] .

= شبرين ، وفى بعضها نحو شبر ونصف وعرضها فى بعضها نحو شبرين ونصف ، وفى بعضها نحو شبر ونصف . تهذيب الأسماء واللغات (١٧١/٣ ، ١٧٢) .

(١) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « وطوبق » . والله أعلم .

(٢) كذا فى الأصل ، والصواب حذفها . والله أعلم .

(٣) ليست فى الأصل ، والسياق يقتضيها وهى عند الأزرقى (٢٠٨/١) . والله أعلم .

(٤) الروض الأنف (٢٢٨/١) عنه .

(٥) تاريخ مكة للأزرقى (٢٠٨/١) .

(٦) تاريخ مكة (٢١٨/١) عن عكرمة بن خالد وأبى جعفر .

وكان الركن قد تصدع من الحريق ثلاث فرق فانشظت[1] منه شظية كانت عند بعض آل شيبة بعد ذلك بدهر طويل ، فشده ابن الزبير بالفضة إلا تلك الشظية من أعلاه ، موضعها بيِّن في أعلى الركن ، طول الركن ذراعان قد أخذ عرض جدار الكعبة ومؤخر الركن داخله في الجدر مضرس على ثلاثة رؤوس . قال ابن جريج : فسمعت من يصف لون مؤخره الذى فى الجدر قال بعضهم : هو مورد . وقال بعضهم : هو أبيض كالفضة .

وكانت الكعبة يوم هدمها ابن الزبير ثمانية عشر ذراعًا فى السماء ، فلما أن بلغ ابن الزبير بالبناء ثمانية عشر ذراعًا وجبرت بحال الزيادة التى زاد من الحجر فيها ، واستسمج[2] ذلك إذا[3] صارت عريضة لا طول لها فقال : قد كانت قبل قريش تسعة أذرع حتى زادت قريش فيها تسعة أذرع طولاً فى السماء ، فأنا أزيد فيها تسعة أذرع أخرى ، فبناها سبعة وعشرين ذراعًا فى السماء ، وهى سبعة وعشرون مدماكًا وعرض جدارها ذراعان ، وجعل فيها ثلاث دعائم ، وكانت قريش فى الجاهلية جعلت فيها ست دعائم ، وأرسل ابن الزبير إلى صنعاء فأتى من رخام بها يقال له : / [٥٢/أ] البلق فجعله فى الروازن[4] التى فى سقفها للضوء، وكان باب الكعبة قبل بناء ابن الزبير مصراعًا واحدًا ، فجعل لها ابن الزبير مصراعين، طولهما أحد عشر ذراعًا من الأرض إلى منتهى أعلاه اليوم ، وجعل الباب الآخر الذى فى ظهرها بإزائه على الشاذرْوان الذى على الأساس مثله ، وجعل ميزابها يسكب فى الحجْر ، وجعل لها درجة فى بطنها فى الركن الشامى من خشب منفرجة يصعد فيها إلى ظهرها .

فلما فرغ ابن الزبير من بناء الكعبة جعلها من داخلها وخارجها من أعلاها إلى أسفلها وكساها القباطى ، وقال : مَن كانت لى عليه طاعة فليخرج فليعتمر من التنعيم ، فمن قدر وأن ينحر بدنه فليفعل ، ومن لم يقدر فليذبح شاة ، ومن لم يقدر فليتصدق بقدر طَوله ، وخرج ماشيًا وخرج الناس معه مشاة حتى اعتمروا من التنعيم شكرًا لله سبحانه ، ولم ير يوم كان أكثر عتيقًا ولا أكثر بدنة منحورة ولا شاة مذبوحة ولا صدقة من ذلك اليوم ، ونحر ابن الزبير مائة بدنة ، فلما طاف بالكعبة استلم الأركان الأربعة جميعًا وقال : إنما كان ترك استلام هذين الركنين الشامى والركن الغربى ؛ لأن البيت لم يكن تامًّا.

فلم يزل البيت على بناء ابن الزبير إذا طاف الطائف استلم الأركان جميعها ،

---

(١) انشظت : تفرقت وتطايرت . راجع لسان العرب « شظى » .

(٢) استسمج : استقبح . المعجم الوسيط .

(٣) عند الأزرقى « إذ » وهو الصواب . والله أعلم .

(٤) الروازن – جمع روزنة – وهى الكوة غير النافذة . المعجم الوسيط .

ويدخل البيت من هذا الباب ويخرج من الباب الغربى وأبوابه لاصقة بالأرض ، حتى قتل ابن الزبير ﷺ ودخل الحجّاج مكة وكتب كتابًا إلى عبد الملك بن مروان: أن ابن الزبير زاد فى البيت[1] على ما كان عليه فى الجاهلية . فكتب إليه عبد الملك بن مروان : أن سُد بابها الغربى الذى فتحه ابن الزبير ، واهدم ما كان زاد فيها من الحجر، واكبسها به على ما كانت عليه . فهدم الحجّاج منها ستة أذرع وشبرًا مما يلى الحجر ، وبناها على أساس قريش الذى كانت / [٥٢/ب] استقصرت عليه ، وكبسها بما كان هدم منها ، وسد الباب الذى فى ظهرها ، وترك سائرها ولم يحرك منه شيئًا ، فكل شيء فيها بناء ابن الزبير إلا الجدار الذى فى الحجر فإنه بناء الحَجّاج ، وسد الباب الذى فى ظهرها وما تحت عتبة الباب الشرقى الذى يدخل منه اليوم إلى الأرض أربعة أذرع وشبر ، كل هذا بناء الحجّاج ، والدرجة التى فى بطنها اليوم والبابان اللذان عليهما[2] اليوم هما أيضًا من عمل الحجاج فلما فرغ الحجاج من هذا كله وفد بعد ذلك الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك : ما أظن ابن الزبير سمع من عائشة - رضى الله عنها - ما كان يزعم أنه سَمع منها فى أمر الكعبة . فقال الحارث : أنا سمعته من عائشة . قال : سمعتها تقول ماذا ؟ قال : سمعتها تقول : قال لى رسول الله ﷺ : « **إن قومك استقصروا فى بناء البيت ، ولولا حداثة عهد قومك بالكفر أعدتُ فيه ما تركوا ، فإن بدا لقومك أن يبنوه فهلمى لأُريك ما تركوا منه** » فأراها قريبًا من سبع أذرع . وقال رسول الله ﷺ : « **وجعلت لها بابين موضوعين على الأرض ، بابًا شرقيًا يدخل الناس منه ، وبابًا غربيًا يخرج الناس منه** »[3].

قال عبد الملك بن مروان : أنت سمعتها تقول هذا . قال : نعم . فجعل ينكت منكسًا بقضيب فى يده ساعة طويلة ثم قال: وددت والله أنى كنت تركت ابن الزبير وما تحمَّل من ذلك.

قال ابن جريج : وكان الباب الذى عمله ابن الزبير طوله فى السماء أحد عشر ذراعًا ، فلما كان الحجاج نقص من الباب أربع[4] أذرع وشبرًا ، وعمل لها هذين البابين وطولهما ستة أذرع وشبر ، فلما كان فى خلافة الوليد بن عبد الملك بعث إلى واليه على

---

(١) فى تاريخ مكة للأزرقى (١/ ٢١٠) زيادة وهى : « ما ليس منه وأحدث فيه بابًا آخر ، فكتب إليه يستأذنه فى رد البيت » وهى زيادة تفيد معنى . والله أعلم .

(٢) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « عليها » ، وهو الصواب . والله أعلم .

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « أربعة » وهو الجادة . والله أعلم .

مكة خالد بن عبد الله القشيرى[1] بستة وثلاثين ألف دينار ، فضرب منها على باب /[٥٣/أ] الكعبة صفائح الذهب وعلى ميزاب الكعبة وعلى الأساطين التى فى جوفها[2] .

قال الأزرقى : فكل ما على الميزاب وعلى الأركان فى جوفها من الذهب فهو من عمل الوليد بن عبد الملك ، وهو أول من ذهَّب البيت فى الإسلام ، فأما ما كان على الباب من عمل الوليد بن عبد الملك من الذهب فإنه رق وتفرق ، فرفع ذلك إلى أمير المؤمنين محمد بن الرشيد فى خلافته فأرسل إلى سالم بن الجرَّاح عامل كان له بثمانية عشر ألف دينار ؛ ليضرب بها على صفائح الذهب على بابى الكعبة فقلع ما كان على الباب من الصفائح وزاد عليها من الثمانية عشر ألف دينار ، فضرب عليه الصفائح التى هى عليه اليوم والمسامير وحلى باب الكعبة وعلى القبارين[3] والعتب ، وذلك كله من عمل محمد بن هارون الرشيد، و لم يقلع فى ذلك بابى الكعبة ولكن ضرب عليهما الصفائح والمسامير وهما على حالهما[4].

قال الأزرقى : وأخبرنى المثنى بن جبير الصواف أنه حين فرقوا ذهب باب الكعبة وجد فيه ثمانية عشر ألف مثقال فزادوا عليه خمسة عشر ألف دينار ، وأن الذى على الباب من الذهب ثلاثة وثلاثون ألف دينار . وقالوا أيضًا : أنه لما قلع الذهبُ عن الباب ألبس الباب ثوبًا أصفر[5] .

قال ابن جريج : وعمل الوليد بن عبد الملك الرخام[6] الأحمر والأخضر والأبيض الذى فى بطنها مؤزرًا به جُدرانها وفرشها بالرخام وأرسل به من الشام ، فجميع ما فى الكعبة من الرخام فهو من عمل الوليد بن عبد الملك ، وهو أول من فرشها بالرخام وأَزَّر به جدرانها ، وهو أول من زخرف المساجد[7] . انتهى ما ذكره الأزرقى .

وأهل مكة يعتمرون فى كل ليلة سبع وعشرين من رجب من كل سنة وينسبون هذه العمرة إلى ابن الزبير .

---

(١) كذا فى الأصل ، والصواب كما ذكره الأزرقى « القسرى » . والله أعلم .
(٢) أخبار مكة للأزرقى (٢١١/١ ، ٢١٢) .
(٣) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « الفيارين » وهما حديدتان يكتنفان لسان الميزان . راجع القاموس «فار» . والله أعلم .
(٤) أخبار مكة للأزرقى (٢١٢/١) .
(٥) أخبار مكة للأزرقى (٢١٢/١) .
(٦) تكررت فى الأصل .
(٧) ذكر هذا الفصل الأزرقى فى تاريخ مكة (٢٠١/١ - ٢١٣) .

قال المحب الطبرى[1] : ولا يبعد أن يكون بناء الكعبة امتد إلى هذا / [٥٣/ب] التاريخ ، وقد تقدم هذا فى باب العمرة . وذكروا أن هارون الرشيد سأل مالك بن أنس ﷺ عن هدمها وردها إلى بناء ابن الزبير للأحاديث فى ذلك . فقال مالك : نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك ، لا يشاء أحد إلا نقضه وبناه ، فتذهب هيبتُهُ من صدور الناس . هكذا ذكر النووى[2] أن السائل لمالك بن أنس هو هارون الرشيد . وقال السهيلى[3] : إن السائل هو أبو جعفر المنصور .

وقال الشافعى : أحب أن لا تهدم الكعبة وتبنى لئلا تذهب حرمتها .

وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : «**استمتعوا من هذا البيت فإنه يهدم مرتين ويرفع فى الثالثة**»[4] . رواه الطبرانى .

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «**يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة**»[5]. وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ قال : «**كأنى به أسود أفحج يقلعها حجرًا حجرًا**»[6] . رواه البخارى . وفى حديث آخر رواه الحافظ أبو موسى الأصفهانى فى غريبه : «**لايستخرج كنْزَ الكعبة إلا ذو**

---

(١) هو أحمد بن عبد الله بن محمد الحافظ أبو العباس ، محب الدين الطبرى ثم المكى ، شيخ الحرم ، وحافظ الحجاز بلا مدافعة (٦١٥ - ٦٩٤ هـ) وله كتاب فى السيرة النبوية . راجع طبقات الشافعية (٨/ ١٨ - ٢٠) ، والمنهل الصافى (٣٤٢/١ - ٣٤٩) ، والبداية والنهاية (١٣ / ٣٦١) ، والعبر (٣٨٢/٥) ، والعقد الثمين (٦١/٣ - ٧٢) وغيرها من المصادر ، وراجع قوله هذا فى القرى .

(٢) فى شرح صحيح مسلم (٨٩/٩) .

(٣) الروض الأنف (٢٢٢/١) ، وأما ابن ظهيرة فقال : روى أن هارون الرشيد أو أباه المهدى أو جده المنصور سأل مالك بن أنس ..... الجامع (ص ٩٢) .

(٤) أخرجه الطبرانى والبزار كما فى مجمع الزوائد (٢٠٦/٣) وقال : رجاله ثقات . اهـ . وهو فى كشف الأستار (١٠٧٢) وقال : لم نسمع أحدًا يحدث به إلا الحسن بن قزعة ، عن سفيان ، وقد روى عن ابن عمر موقوفًا . اهـ . بل هو عند الحاكم من طريق عمرو بن عون عن سفيان بن حبيب، وابن حبان فى صحيحه (٦٧٥٣) ، وابن خزيمة (٢٥٠٦) ، والحاكم (٤٤١/١) وقال : صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه . اهـ .

(٥) تقدم تخريجه .

(٦) أخرجه البخارى : كتاب الحج - باب هدم الكعبة ح(١٥٩٥ - فتح) .

السويقتين»[1] . فقوله : «**كأني به**» في معنى أبصر به على معنى هذه الصفة ، «**والسويقتين**» تصغير الساقين وهي مؤنثة فلذلك ظهرت التاء في تصغيرها ، وإنما صغر الساقين ؛ لأن الغالب على سوق الحبشة الدِّقة والحمُوشة[2] ، أي : يخرِّبها رجل من الحبشة له ساقان دقيقتان ، وأسود وأفحج حالان عن خبر كأن ، وكأن وإن لم تكن بفعل فإنه شبه به ، وإذا قيد منصوبُه أو مرفوعُه بالحال كان تقييدًا باعتبار معناه الذى أشبه الفعل، وأفحج بالفاء ثم الحاء المهملة ثم الجيم : الذى يتدانى صدور قدميه ويتباعد عقباه ويتفحجُ ساقَاهُ ومعناهُ : يتفرج[3] ، والفحج بجيمين فتح ما بين / [٥٤/أ] الرجلين وهو أقبح من الفحج[4] ، ويقلعها في معنى الحال والضمير للكعبة ، ومن صفة ذى السويقتين أنه أصمع أُفَيْدِع أُصَيْلع ، والأصمع - بالصاد المهملة ثم الميم ثم العين المهملة - : الصغير الأذن من الناس وغيرهم[5] ، والأفيدع - تصغير أفدع ، بالفاء ثم العين المهملتين - : وهو المفرَّج الرسغ من اليد أو الرجل[6] ، والأصَيْلع - تصغير الأصلع - : وهو الذى انحسَر الشعر عن رأسه[7] ، وفي حديث حذيفة الطويل عنه ﷺ : «**كأني بحبشي أفحج الساقين ، أزرق العينين ، أفطَس الأنف ، كبير البطن ، وأصحابه ينقضونها حجرًا حجرًا ويتناولونها حتى يرموا بها في البحر** - يعني الكعبة -» . رواه ابن الجوزى ، وهو حديث فيه طول .

وعن على بن أبي طالب : استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يحال بينكم وبينه ، فكأني برجل من الحبشة أصعل أصمع حمش الساقين قاعد عليها وهي تهدم[8] . رواه أبو عبيد القاسم بن سلام . قال الأصمعي : قوله : أصعل . هكذا يروى ، قال : وأما كلام

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٧١/٥) عن سهل بن حنيف عن رجل من الصحابة ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٧٦/٩) عن سهل عن عبد الله بن عمرو ، وكذا أخرجه أبو داود : كتاب . الملاحم - باب النهى عن تهييج الحبشة ح (٤٣٠٩) مرفوعًا عندهم .

(٢) راجع المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث (١٥٢/٢) وهو بنحوه ، والنهاية لابن الأثير (٤٢٣/٢) .

(٣) راجع لسان العرب مادة « فحج » .

(٤) راجع لسان العرب مادة « فحج » .

(٥) لسان العرب مادة « صمع » .

(٦) لسان العرب مادة « فدع » .

(٧) لسان العرب مادة « صلع » .

(٨) أخرجه عبد الرزاق (١٣٧/٥) ، والأزرقي (٢٧٦/١) ، والفاكهي (١٩٤/١ ، ٣٥٩) ، وأورده أبو عبيد في الغريب (٤٥٤/٣) ، وزاد الحافظ في الفتح (٥٣٨/٣) رواية يحيى الحماني له في مسنده عن على مرفوعًا .

العرب فهو صعل بغير ألف : وهو الصَّغير الرأس ، وكذلك الحبشة كلهم[1] ، وحمش السَّاقين - بالحاء المهملة - أى : دقيقهما . وعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : « **يبايع لرجل بين الركن والمقام ، وأول من يستحل هذا البيت أهله ، فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب ، ثم تجيء الحبشة فيخربونه خرابًا لا يعمر بعده أبدًا، وهم الذين يستخرجون كنزه** »[2] . رواه أبو داود الطيالسى .

وذكر الحليمى : أن ذلك يكون فى زمن عيسى - عليه السلام -[3] . وذكر أبو حامد فى كتاب «مناسك الحج» له وغيره ، ويقال : لا تغرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ، ولا يطلع الفجر من ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد ، وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض ، فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة ليس لها أثر، وهذا إذا أتى عليها / [٥٤/ب] سبع سنين لم يحجها أحد ، ثم يرفع القرآن من المصاحفِ فيصبح الناس فإذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ، ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة واحدة ، ثم يرجع الناس إلى الأشعار والأغانى وأخبار الجاهلية، ثم يخرج الدجال وينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال ، والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب تقرب ولادتها[4]. انتهى .

وقال غير الحليمى : إن خرابه يكون بعد رفع القرآن وذلك بعد موت عيسى ابن مريم - عليهما السلام - وصححه بعض متأخرى العلماء[5]. والله أعلم .

واعلم أن حاصل ما ذكرنا فى بناء الكعبة فيما تقدم من الروايات أنها بنيت سبع مرات : أولاهن : بناء الملائكة أو آدم على الخلاف المتقدم ، الثانية : بناء إبراهيم ﷺ على القواعد الأولى ، الثالثة : بناء العمالقة ، الرابعة : بناء جرهم ، الخامسة : بناء قريش من الإسلام بخمسة أعوام وقد حضر النبى ﷺ هذا البناء كما ذكرنا ، السادسة : بناء عبد الله

---

(١) راجع كلام الأصمعى فى غريب الحديث لأبى عبيد (٣/٤٥٤) .

(٢) أخرجه أحمد فى المسند (٢/٢٩١ ، ٣١٢ ، ٣٢٨ ، ٣٥١) ، وأبو داود الطيالسى (٢٣٧٣) ، وابن أبي شيبة (١٥ /٥٢ ، ٥٣) ، والحاكم (٤/٤٥٢ ، ٤٥٣) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه . اهـ . وتعقبه الذهبى بقوله : ما خرجا لابن سمعان شيئًا ولا روى عنه غير ابن أبي ذئب وقد تكلم فيه . اهـ . وقال الهيثمى فى المجمع (٣/٢٩٨) : فى الصحيح بعضه ورواه أحمد ، ورجاله ثقات .اهـ وقد صحح إسناده الشيخ أحمد شاكر فى تحقيق المسند (١٥/٣٦) .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص ٨٨) .

(٤) راجع إحياء علوم الدين (١/٢٤٢) .

(٥) كذلك صححه ابن ظهيرة فى الجامع (ص ٨٨) .

ابن الزبير حين احترقت فى عهده بشررة طارت من أبى قبيس فوقعت فى أستارها فاحترقت. وقيل : إن امرأة أرادت أن تجمّرها فطارت شررة من المجمرة فى أستارها فاحترقت ، السابعة : بناء الحجاج بن يوسف الثقفى وهو الشىء الذى من ناحية حجر إسماعيل الذى هو موجود اليوم .

وذكر السهيلى : أن بناءها كان خمس مرات وعدّ أولاهن : بناء شيث بن آدم عليهما السلام(1) ، قال : وكانت قبل أن يبنيها شيث خيمة من ياقوتة حمراء يطوف بها آدم(2) ، قال: وقد قيل : إنه بنى فى أيام جرهم مرة أو مرتين ؛ لأن السيل كان صدع حائطه ولم يكن بنيانًا إنما كان إصلاحًا لما وهَى منه ، وجدارًا بنى بينه وبين السيل بناه عامر الحاذر ، وقد تقدم هذا الخبر(3) . انتهى . ويقال : إنَّ قصى بن كلاب جدد بناءها بعد إبراهيم – عليه السلام – وسقفها بخشب الروم وجريد النخل ثم بنتها قريش .

[فصل]

ذكر الجب الذى كان فى الكعبة وماها الذى كان فيه

عن /[٥٥/أ] مجاهد قال : كان فى الكعبة على يمين من دخلها جب عميق حفره إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – حين رفعا القواعد ، وكان فيه ما يهدى للكعبة ليس لها سقف ، فسرق منها مال على عهد جرهم مرة بعد مرة ، وكان جرهم ترتضى لذلك رجلاً يكون عليه يحرسه ، فبينا رجل ممن ارتضوه عندها إذ سولت له نفسه فنظر حتى إذا انتصف النهار وقامت المجالس وتقلصت الظلال وانقطعت الطرق – ومكة إذ ذاك شديدة الحر – بسط رداءه ثم نزل فى البئر فأخرج ما فيها فجعله فى ثوبه ، فأرسل الله – عز وجل – عليه حجرًا من البئر فحبسه ، حتى راح الناس فوجدوه فأخرجوه وأعادوا ما وجدوا فى ثوبه من البئر فسميت بذلك البئر الأخسف ، فلما أن خسف بالجرهمى وحبسه الله،بعث الله عند ذلك ثعبانًا فأسكنه فى ذلك الجب فى بطن الكعبة أكثر من خمسمائة سنة ، يحرس ما فيه فلا يَدْخله أحد إلا رفع رأسه وفتح فاه ، فلا يراه أحد إلا ذعر منه ، وكان ربما يشرف على جدار الكعبة فأقام كذلك فى زمن جرهم وزمن خزاعة وصدرًا من عصر قريش حتى اجتمعت قريش فى الجاهلية على هدم البيت وعمارته فجاء عقاب فاختطفه ثم طار به نحو أجياد الصَّغير(4).

---

(١) الروض الأنف (٢٢١/١) .

(٢) المصدر السابق (٢٢٢/١) .

(٣) المصدر السابق (٢٢٢/١) وفيه « عامر الجارود » بدلاً من « عامر الحاذر » . والله أعلم .

(٤) تاريخ مكة للأزرقى (٢٤٤/١ ، ٢٤٥) .

وعن شقيق عن شيبة – يعني ابن عثمان – قال : قعد عمر بن الخطاب في مقعدك الذى أنت فيه فقال : لا أخرج حتى أقسم مال الكعبة . قلت :ما أنت بفاعل ؟ قال : بلى لأفعلن . قلت : ما أنت بفاعل . قال : لم ؟ قلت : لأن رسول الله ﷺ رأى مكانه هو وأبو بكر وهما أحوج منك إلى المال فلم يحركاهُ فقام فخرج[1]. رواه أبو داود والطيالسى بهذا اللفظ ، والبخارى والنسائى بنحوه ، وفى رواية للبخارى عن أبى وائل قال: جلست مع شيبة على الكرسى فى الكعبة فقال : لقد جلس هذا المجلس عمر فقال : لقد هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمته . قلت إن صاحبيك لم يفعلا . قال: هما / [٥٥/ب] المرءان أقتدى بهما[2] .

قال المحب الطبرى : لما أخبر شيبة أن النبى ﷺ وأبا بكر لم يتعرضا للمال ، رأى عمر أن ذلك الصواب وكأنه رأى حينئذ أن ما جعل فى الكعبة يجرى مجرى الوقف عليها فلا يجوز تغييره ، أو رأى ذلك تورعًا حين أخبر أنه تركه صاحباه مع رؤيته جواز إنفاقه فى سبيل الله ؛ لأن صاحبيه إنما تركاه للعذر الذى تضمنه حديث عائشة[3]. انتهى.

قال الأزرقى : وذكروا أن النبى ﷺ وجد فى الجبّ الذى كان فى الكعبة سبعين ألف أوقية من الذهب مما كان يهدى للكعبة – للبيت – . وأن على بن أبى طالب رضي الله عنه قال : يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك فلم يحركه ، ثم ذكر لأبى بكر فلم يحركه . وعن محمد بن يحيى قال : حدثنى بعض الحجبة فى سنة ثمان وثمانين ومائة أن ذلك المال بعينه فى خزانة الكعبة ثم لا أدرى ما حاله بعد[4] .

قال الأزرقى : وحدثنى جَدِّي وغيره من مشايخ أهل مكة وبعض الحجبة أن الحسين ابن على[5] العلوى عمد إلى خزانة الكعبة فى سنة مائتين فى الفتنة حين أخذ الطالبيون مكة، فأخذ مما فيها مالاً عظيمًا ونقله إليه وقال : ما تصنع الكعبة بهذا المال ، موضوعًا لا

---

(١) أخرجه أبو داود (السجستانى) : كتاب المناسك – باب فى مال الكعبة ح (٢٠٣١) ، وابن ماجه : كتاب المناسك – باب مال الكعبة ح (٣١١٦) ، وبنحوه أخرجه البخارى : كتاب الحج – باب كسوة الكعبة ح (١٥٩٤ – فتح) ، وأحمد (٣/ ٤١٠) .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة – باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ح (٧٢٧٥ – فتح) ، والأزرقى فى تاريخ مكة (١/ ٢٤٥) .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص ٩٣) .

(٤) تاريخ مكة للأزرقى (١/ ٢٤٦ ، ٢٤٧) .

(٥) فى تاريخ مكة للأزرقى : ابن الحسن .

ينتفع به ! نحن أحق به ، نستعين به على حربنا[1] .

ويروى أن مال الكعبة كان يدعى الأبرق ولم يخالط مالاً قط إلا محقه ، ولم يرزأ أحد منه إلا بان النقص فى ماله وأدنى ما يصيب صاحبه أن يشدد عليه الموت[2] . حتى أن فتى من الحجبة حضرته الوفاة فاشتد عليه الموت جدًّا فمكث أيامًا ينزع نزعًا شديدًا حتى رأوا منه ما غمهم وأحزنهم من شدة كربه ، فقال أبوه : يا بنى لعلك أصبت من هذا الأبرق شيئًا - يعنى : مال الكعبة - قال : نعم يا أبت أربعمائة دينار . فقال أبوه : اللهُمَّ إن هذه الأربعمائة دين عليَّ فى أنفس مالى للكعبة أؤديها إليها ثم انحرف إلى أصحابنا / [٥٦/أ] فقال : اشهدوا أن للكعبة عليَّ أربعمائة دينار . فسرى عن الغلام ثم لم يلبث الفتى أن مات[3] .

[فصل]
ذكر من كسا الكعبة فى الجاهلية

عن أبى هريرة - رضي الله عنه - عن النبى ﷺ أنه : نهى عن سب أسعد الحميرى - وهو تبع - وهو أول من كسا الكعبة[4] كسوة كاملة كساه العَصب[5] ، وجعل له بابًا يغلق بضبَّة ولم يكن يغلق قبل ذلك[6] . ويروى أن تبعًا أُرى فى المنام أن يكسوها فكساها الأنطاع ، ثم أرى أن يكسوها فكساها الوصائل - وهى ثياب حِبرة من عصب اليمن[7] -

---

(١) تاريخ مكة للأزرقى (٢٤٧/١) .

(٢) المصدر السابق (٢٤٧/١ ، ٢٤٨) .

(٣) تاريخ مكة للأزرقى (٢٤٧/١) عن عبد الله بن زرارة بن مصعب ، والجامع اللطيف (ص ٤٩) .

(٤) تاريخ مكة للأزرقى (٢٤٩/١) من طريق إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى عن همام بن منبه عن أبى هريرة به مرفوعًا ، وأورده فى الدر المنثور (٣١/٦) وعزاه إلى ابن مردويه ، وابن عدى فى الكامل (٢٢٤٦/٦) ، والتمهيد (١٠/ ٤٧) من طريق الواقدى عن معمر عن همام عن أبى هريرة به مرفوعًا فى الكامل والتمهيد ، وعزاه فى فتح البارى (٥٣٦/٣) إلى الحارث بن أبى أسامة .

(٥) العصب : ضرب من برود اليمن ، سمى عصبًا لأن غزله يعصب أى يدرج ثم يصبغ ثم يحاك ، وليس من برود الرقم . لسان العرب مادة « عصب » .

(٦) جاء فى تاريخ مكة للأزرقى (٢٥٠/١) عن ابن جريج نحوه .

(٧) تاريخ مكة للأزرقى (٢٤٩/١ ، ٢٥٠) عن ابن إسحاق .

وروى عبد الرزاق عن ابن جريج قال : بلغنا أن تبعًا أول من كسا الكعبة الوصائل[1] .

ويروى أن تبعًا لما كسا البيت المسوح والأنطاع[2] انتفض البيت فزال ذلك عنه ، وفعل ذلك حين كساه الخَصَف[3] ، فلما كساه الملاء[4] والوصائل قبلها ، ثم كساها الناس بعد تبع فى الجاهلية[5] .

وقال ابن جريج : وقد زعم بعض علمائنا أن أول من كسا الكعبة إسماعيل - عليه السلام[6] - ، وكانت الكعبة فى الجاهلية تكسى كسًّى شيئًا من وصائل وأنطاع وكرار وخز ونمارق عراقية ، وإذا بُلى منها شىء أخلف مكانه ثوب آخر ، ولا ينزع مما عليها شىء من ذلك[7] .

[فصل]

ذكر من كساها فى الإسلام وطيبها وخدمها

كساها سيدنا رسول الله ﷺ الثياب اليمنية ثم أبو بكر وعمر وعثمان - رضى الله عنهم - القباطى[8] ، ومعاوية وابن الزبير ومن بعدهُم[9] .

وعن ابن جريج قال : كانت الكعبة فيما مضى إنما تكسى يوم عاشوراء إذا ذهب آخر الحاج حتى كانت بنو هاشم فكانوا يعلقون عليها القمص يوم التروية من الديباج ؛ لأن يرى الناس ذلك عليها بهاءً وجمالاً فإذا كان يوم عاشوراء علقوا الإزار[10] . ويروى

---

(١) المصنف (٩٢٣٠) ضمن حديث طويل له .

(٢) المسوح - جمع مِسْح - وهو : كساء من الشعر ، والأنطاع - جمع نِطْع - وهو : بساط من جلد . راجع المعجم الوسيط .

(٣) الخَصَف : شىء ينسج من الخوص والليف ، وهو أيضًا ثياب غلاظ . راجع الروض الأنف (٤٠/١).

(٤) المُلاء - جمع مُلاءة - وهى : الملحفة أو ما يفرش على السرير . المعجم الوسيط .

(٥) راجع الروض الأنف (٤٠/١) .

(٦) مصنف عبد الرزاق (١٥٤/٥) رقم (٩٢٣٠) .

(٧) راجع تاريخ مكة للأزرقى (٢٥١/١) فقد أدخل كلام عمر بن الحكم السلمى فى كلام ابن أبى مليكة . والله أعلم .

(٨) القُباطى - جمع قُبطية - وهى : ثياب من كتان بيض رقاق ، وكانت تنسج بمصر ، وهى منسوبة إلى القِبط [على غير قياس] . المعجم الوسيط . وسيأتى معناها فى كلام المصنف رحمه الله تعالى .

(٩) راجع تاريخ مكة للأزرقى (٢٥٣/١) ، وراجع هذا الفصل فى الجامع اللطيف (ص ١٠٤ - ١١١) .

(١٠) تاريخ مكة للأزرقى (٢٥٢/١) .

أن عثمان أول من ظاهر بها كسوتين القباطي والبرود ، وكان عمر يكسوها من بيت المال[١].

ويروى أن معاوية بن أبي سفيان كان / [٥٦/ب] يكسوها كسوتين : كسوة عمر رضي الله عنه القباطي ، وكسوة ديباج ، فكانت تكسى الديباج يوم عاشوراء وتكسى القباطي في آخر شهر رمضان[٢] . وكان ابن عمر يجلل بُدنه القُباطي والأَنماط والحُلل ثم يبعث بها إلى الكعبة يكسوها إياها[٣] . أخرجه مالك . والقَباطي - بفتح القاف - : جمع قبطية بضم القاف : وهو ثوب رقيق أبيض من ثياب مصر كأنه منسوب إلى القبط ، والضم فيه من تغيير النسب ، والضم خاص بالثياب ، وأمَّا في الناس فقِبطي بكسر القاف لا غير[٤] . والأنماط ضرب من البُسط واحدها نمط .

وعن ابن عمر أنه كان يفعل ذلك فلما كساها الأمراء كان إذا نحر كساها المساكين[٥].

واختلفوا في أول من كساها الديباج ، فقيل : عبد الله بن الزبير . وقيل : يزيد ابن معاوية . وقيل : عبد الملك بن مروان[٦] . وكان الناس قبل ذلك يهدون البدن عليها الحِبَرات[٧] ثم يبعثون بالحِبَراتِ إلى البيت كسوة[٨] . ويروى أن أول عربية كست الكعبة الحرير والديباج نُتَيلة بنت جناب أم العباس بن عبد المطلب[٩] - وهي بتاء منقوطة باثنتين من فوق ، وبعضهم يصحفها بثاء مثلثة - قاله السُّهيلي .

---

(١) تاريخ مكة للأزرقي (٢٥٣/١) وليس فيه أن عثمان كسى الكعبة البرود . والله أعلم .

(٢) تاريخ مكة للأزرقي (٢٥٣/١ ، ٢٥٤) عن أبي نجيح .

(٣) الموطأ : كتاب الحج - باب العمل في الهدى حين يساق ح(١٤٦) ، ومعنى يجلل أي : يكسوها الجلال وهي ما يجعل على ظهر البعير ، ما تغطى به الدابة لتصان .

(٤) راجع النهاية مادتي « قبط » ، « نمط » .

(٥) في الموطأ (٣٧٩/١) عن مالك أنه سأل عبد الله بن دينار ما كان عبد الله بن عمر يصنع بجلال بُدنه حين كسيت الكعبة هذه الكسوة ؟ قال : كان يتصدق بها .

(٦) تاريخ مكة للأزرقي (٢٥٣/١) .

(٧) الحِبَرات - جمع حبَرة - وهي ثوب من قطن أو كتان مخطط كان يصنع باليمن . المعجم الوسيط .

(٨) تاريخ مكة للأزرقي (٢٥٤/١) عن محمد بن علي .

(٩) الروض الأنف (٤٢/١) ونقله عن جماعة ولم يذكر منهم إلا الدارقطني ، وهو في المؤتلف والمختلف له (٤٦٦/١) ، والمنمق (ص ٣٦ ، ٣٧) ، وقصة ذلك أن العباس ضل وهو صبي فنذرت إن وجدته ، أن تكسو البيت الحرام ، فوجدته ففعلت ، وراجع فتح الباري (٥٣٧/٣) . والله أعلم .

وكان المأمون يكسوها ثلاث مرات فيكسوها الديباج الأحمر يوم التروية ، والقباطي يوم هلال رجب ، والديباج الأبيض يوم سبع وعشرين من رمضان[١] . ويروى أنه ابتدأ الكسوة بالأبيض سنة ست عشرة ومائتين حين سأل عن أحسن ما يكون في الكعبة فقيل له : الديباج الأبيض[٢] . قال الأزرقي : وأول من خلق جوف الكعبة ابن الزبير ، وأول من دعا على الكعبة عبد الله بن شيبة ويُلقب الأعجم دعا لهشام بن عبد الملك[٣] وكان خليفة[٤] . انتهى .

وذكر الواقدي عن أشياخه : أن عبد الملك بن مروان لما وُلي كان يبعث إليها كل سنة بالطيب والمجمرة[٥] ، وكان عبد الله بن الزبير يجمر الكعبة الشريفة في كل يوم برطل من الطيب / [٥٧/أ] ويوم الجمعة برطلين[٦] . وأجرى لها معاوية الطيب لكل صلاة ، فكان يبعث بالطيب والمجمر والخُلوق في الموسم وفي رجب ، وأخدمها عَبيدًا بعث بهم إليها فكانوا يخدمونها ، ثم اتبعت ذلك الولاة بعد[٧] .

وعن ابن جريج قال : كان معاوية أول من طيب الكعبة بالخلوق والمجمر ، وأجرى الزيت لقناديل المسجد من بيت المال[٨] . وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : كسوة الكعبة على الأمراء[٩] . وعنها قالت : لطيب الكعبة أحب إليّ من أن أهدي لها ذهبًا وفضة[١٠] . وعنها قالت : طيبوا الكعبة البيت فإن ذلك من تطهيره[١١] . أخرجهن الأزرقي .

وكسوة الكعبة الآن سوداء من حرير ، وبطانتها من كتان أبيض ، وهي أربعة وأربعون شقة كل شقة بطول الكعبة سبعة وعشرون ذراعًا : منها عشر شقاق ما بين

---

(١) تاريخ مكة للأزرقي (١/ ٢٥٥ ، ٢٥٦) .

(٢) المصدر السابق (٢٥٥/١) وفيه أنه سنة ست ومائتين ، وتاريخ مكة للفاكهي (٢٣٣/٥) ، وفتح الباري (٥٣٧/٣) .

(٣) في تاريخ مكة للأزرقي (٢٥٣/١) لعبد الملك بن هشام .

(٤) المصدر السابق (٢٥٣/١) ، وسبب تسمية عبد الله بن شيبة بالأعجم لأنه كان في لسانه ثقل قاله الزبير وراجع العقد الثمين (١٧٦/٥) .

(٥) تاريخ مكة للأزرقي (٢٥٥/١) .

(٦) المصدر السابق (٢٥٧/١) عن هشام بن عروة .

(٧) المصدر السابق (٢٥٣/١ ، ٢٥٤) عن أبي نجيح .

(٨) تاريخ مكة للأزرقي (٢٥٤/١) .

(٩) المصدر السابق (٢٥٤/١) .

(١٠) المصدر السابق (٢٥٧/١) .

(١١) المصدر السابق (٢٥٧/١) .

الركنين اليمانيين ، واثنى عشر شقة ما بين الركن اليمانى والغربى ، وعشر ما بين الغربى والشامى وهو جانب الحطيم ، واثنى عشر شقة ما بين الركن الشامى إلى الركن الأسود وهو جانب وجه الكعبة بعد ، والكسوة الآن طراز مُدوَّر بالكعبة بين الطراز إلى الأرض قريب من عشرين ذراعًا ، وعرض الطراز ذراعان إلا شيئًا يسيرًا ، مكتوب فى الطراز على جانب وجه الكعبة بعد البسملة : ﴿ **إن أول بيت وضع للناس** – إلى قوله – **غنى عن العالمين** ﴾[1] . صدق الله العظيم . وبين الركنين اليمانيين مكتوب بعد البسملة : ﴿ **جعل الله الكعبة البيت الحرام** – إلى قوله – **بكل شىء عليم** ﴾[2]. صدق الله العظيم . وبين الركن اليمانى والغربى مكتوب بعد البسملة : ﴿ **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل** – إلى قوله – **التواب الرحيم** ﴾[3]. صدق الله العظيم . وبين الركن الغربى والشامى مكتوب بعد البسملة : كما أمر بعمل هذه الكسوة الشريفة الفقير إلى الله تعالى السلطان فلان اسم ملك مِصْر .

[فصل]

ما جاء فى تجريد الكعبة

عن أبى نجيح قال : كان / [٥٧/ب] عمر بن الخطاب ينزع ثياب الكعبة فى كل سنة فيقسمها على الحاج[4] . ويروى أن أول من جرد الكعبة وكشفها شيبة بن عثمان[5]. ويروى أنه دخل على عائشة فقال : يا أم المؤمنين تجتمع على الكعبة الثياب فتكثر ، فيعمد إلى بيار فيحفرها ويعمقها فتدفن فيها ثياب الكعبة ؛ لكيلا يلبسها الحائض والجنب . قالت عائشة – رضى الله عنها – : ما أصبت وبئس ما صنعت لا تعدْ لذلك ، فإن ثياب الكعبة إذا نزعت عنها لا يضرها من لبسها من حائض أو جنب ولكن بعها واجعل ثمنها فى سبيل الله والمساكين وابن السبيل[6] . رواهن الأزرقى .

وحج المهدى أمير المؤمنين سنة ستين ومائة فرفع إليه أنه قد اجتمع على الكعبة كسوة كثيرة حتى أنها قد أثقلتها ، ويخاف على جدرانها من ثقل الكسوة فجردها حتى لم يبق عليها من كسوتها شيئًا ثم ضمخها من خارجها وداخلها بالغالية من أسفلها إلى أعلاها

---

(١) سورة آل عمران : الآيتين (٩٦ ، ٩٧) .

(٢) سورة المائدة : الآية (٩٧) .

(٣) سورة البقرة : الآيتين (١٢٧ ، ١٢٨) .

(٤) تاريخ مكة للأزرقى (١/٢٥٨ ، ٢٥٩) .

(٥) المصدر السابق (١/ ٢٥٩ ، ٢٦٠) عن ابن أبى مليكة وعبد الحميد بن جبير بن شيبة .

(٦) المصدر السابق (١/ ٢٦١ ، ٢٦٢) عن علقمة بن أبى علقمة عن أمه .

من جوانبها كلها ، وصعد على ظهر الكعبة بقوارير الغالية فجعل يفرغها على جدران الكعبة من خارج من جوانبها كلها ، وعبيد الكعبة قد خرطوا فى البيكار[1] الذى يخاط عليها ثياب الكعبة ، ثم أفرغ عليها ثلاث كسى من قباطى وخز وديباج ، والمهدى قاعد على ظهر المسجد مما يلى دار الندوة[2] .

[فصل]
ما جاء فى أسماء الكعبة وأن لا يُبْنى بيت يشرف عليها

إنما سميت الكعبة كعبة لوجهين : الأول : لأنها مربعة ، وأكثر بيوت العرب مدورة، وعند أهل اللغة كل بيت مدور مربع فهو مكعب ، وكَعبة بفتح الكاف ، وكان فى خثعم بيت يسمُّونه كعبة اليمانية . قال سعيد بن سالم : قال ابن جريج : وكان ابن الزبير بنى الكعبة على ما بناها إبراهيم - عليه السلام - قال : وهى مكعبة على خلقة الكعب ؛ فلذلك سميت الكعبة .

قال الأزرقى : وكان الناس يبنون بيوتهم / [٥٨/أ] مدورة تعظيمًا للكعبة ، وأول من بنى بيتًا مربعًا حميد بن زهير ، فقالت قريش : ربع حميد بن زهير بيتًا إما حياة وإما موتًا[3] .

الثانى : لعُلوها ونتوها ونشورها على الأرض ، فكل ناتئٍ بارز كعبٌ ، مستديرًا كان أو غير مستدير ، ومنه كعب ثدى الجارية وكعب القدم وكعب القناة[4] .

ومن أسمائها البيت وهو اسم علم على الكعبة - زادها الله تشريفًا وتكريمًا - سميت بذلك لأنها ذات سقف وجدار وهى حقيقة البيت وإن لم يكن به ساكن ، ويسمى البيت الحرام لتحريم الله إياها ؛ لقوله ﷺ : «**إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس**»[5] . أو لأن حرمتها انتشرت فأريد بالتحريم سائر الحرم ، كما قال - عز وجل - : ﴿ **هديًا بالغ الكعبة** ﴾[6] . وأراد الحرم . ويسمى البيت العتيق وتقدم فى باب الفضائل سبب تسميتها

---

(١) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى « البكار » .

(٢) المصدر السابق (٢٦٢/١ ، ٢٦٣) عن غير واحد من مشيخة أهل مكة وجد الأزرقى ، وقد خلط المصنف بين الأثرين . والله أعلم .

(٣) تاريخ مكة (٢٧٩/١ ، ٢٨٠) عن ابن أبى نجيح ، والجامع اللطيف (ص ٢٦) .

(٤) راجع مشارق الأنوار (٣٤٣/١) ، والجامع اللطيف (ص ٢٦) .

(٥) أخرجه البخارى : كتاب العلم - باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب ح(١٠٤ - فتح) ، ومسلم : كتاب الحج - باب تحريم مكة وصيدها .. ح (١٣٥٤) ، وأحمد فى المسند (٣١/٤) ، (٣٨٥/٦) عن أبى شريح العدوى مرفوعًا .

(٦) سورة المائدة : الآية (٩٥) .

بذلك . قال الأزرقى : وكان يدعى البيت قادسيًا ، ويدعى بادرًا ، ويدعى القرية القديمة(1) . انتهى . ويسمى بكة على قول ، وأما مكة فهى القرية . وذكر صاحب المشارق: من أسمائها البنية وبنية إبراهيم ، وبنية أبى طالب . وعن شيبة بن عثمان : أنه كان يشرف فلا يرى بيتًا مشرفًا على الكعبة إلا أمر بهدمه(2) . وعن يوسف بن ماهك قال: كنت جالسًا مع عبد الله بن عمرو بن العاص فى ناحية المسجد الحرام إذ نظر إلى بيت مشرف على أبى قبيس فقال : أبيت ذلك ؟ قلت : نعم . قال : إذا رأيت بيوتها - يعنى بذلك مكة - قد علت أخشبها ، وفجرت بطونها أنهارًا فقد أزف الأمر(3).

قال الأزرقى : وحدثنى جدّى قال : لما أن بنى العباس بن محمد بن على بن عبد الله ابن عباس ﷺ داره التى بمكة على الصيارفة حيال المسجد الحرام ، أمر قوامه أن لا يرفعوها فيشرفوا بها على الكعبة ، وأن يجعلوا أعلاها / [٥٨/ب] دون الكعبة فتكون دونها ؛ إعظامًا للكعبة أن تشرف عليها ، فلم تبق بمكة دار لسلطان ولا غيره حول المسجد تشرف على الكعبة إلا هدمت وخربت إلا هذه الدار فإنها على حالها إلى اليوم(4) .

[فصل]

ذكر أول من استصبح حول الكعبة وفى المسجد الحرام

عن مسلم بن خالد الزنجى قال : بلغنا أن أول من استصبح لأهل الطواف فى المسجد الحرام عقبة بن الأزرق بن عمرو الغسانى ، وكانت داره لاصقة بالمسجد الحرام من ناحية وجه الكعبة ، والمسجد يومئذ ضيق ليس بين جدر المسجد وبين «المسجد الحرام»(5) المقام إلا شيء يسير ، فكان يضع على حرف داره مصباحًا كبيرًا يستصبح فيه فيضيء له وجه الكعبة والمقام وأعلى المسجد . وأول من أجرى للمسجد قناديل وزيتًا معاوية بن أبى سفيان(6) . فلم يزل يضع عقبة بن الأزرق ذلك المصباح على حرف الدار حتى كان خالد ابن عبد الله القسرى فوضع مصباح زمزم مقابل الركن الأسود فى خلافة عبد الملك بن مروان ، ودخلت تلك الدار فى المسجد حين وسعه ابن الزبير ثم المهدى الأول ، فرُفع ذلك

---

(١) تاريخ مكة (١/ ٢٨٠) وفيها « قادسًا .. ناذرًا » وهو الصواب ، ومعنى « قادس » مأخوذ من التقديس ، أى التطهير ، يعنى أنها تطهر من الذنوب . ذكره ابن ظهيرة فى الجامع (ص ١٥٨) ، وفيه (ص ١٦١) تسميتها « نادرة » . والله أعلم .

(٢) تاريخ مكة للأزرقى (١/ ٢٨٠) ، والجامع اللطيف (ص ٢٦) .

(٣) تاريخ مكة للأزرقى (١/ ٢٨٢) ، وكذا الجامع اللطيف (ص ٢٦) .

(٤) تاريخ مكة للأزرقى (١/ ٢٨٢ ، ٢٨٣) ، وكذا الجامع اللطيف (ص ٢٦ ، ٢٧) .

(٥) ليست فى تاريخ مكة للأزرقى (١/ ٢٨٦) ، وكأنه مضروب عليها فى الأصل .

(٦) تاريخ مكة للأزرقى (١/ ٢٨٦) .

المصباح الذى كان يوضع على حرف الدار[١]. وكان عمر بن عبد العزيز يـأمر النـاس ليلـة هلال المحرم يوقدون النار فى فجاج مكة ويضعون المصابيح للمعتمرين مخافة السرق[٢].

قال الأزرقى : فلم يزل مصباح زمزم على عمود طويل مقابل الركن الأسـود الـذى وضعه خالد بن عبد اللـه القسرى ، فلما كان محمد بن سليمان على مكة فى خلافة المأمون فى سنة ست عشرة ومائتين وضع عمودًا طويلاً مقابله بحذاء الركن الغربى ، فلما وُلى مكـة محمد بن داود جعل عمودين طويلين أحدهما بحـذاء الركـن اليمـانى والآخـر بحـذاء الركـن الشامى ، فلمـا وُلى هـارون الواثـق باللـه أمـر بعمـد مـن / [٥٩/أ] شـبه[٣] طـوال عشـرة فجعـلت حـول المطـاف ؛ ليُستَصْبح عليهـا لأهل الطواف ، وأمـر بثمان ثريـات[٤] كبـار يستصبح فيها وتعلق فى المسجد الحرام فى كل وجه اثنتان[٥] .

قال الأزرقى : وأول من استصبح بين الصفا والمروة خالد بن عبد اللـه القسـرى فـى خلافة سليمان بن عبد الملك[٦] ، وكان حول الطواف عشرة أعمدة من صفر يُستصبح بهـا على أهل الطواف بعث بها الواثق العباسى[٧]. انتهى كلامه .

وأما عددها اليوم فاثنان وثلاثون إسطوانة ثمانية عشر منهـا آجـر مجصَّص ، وأربعـة عشر منها حجارة منحوتة دقيقة ، وبين كـل واحـدة مـن الأسـاطين خشـبة ممدودة راكبـة عليها وعلى التى بإزائها لأجل القناديل التى تعلق فيها للاستصباح ، وكان فى موضع هـذه الأساطين قبل ذلك أخشاب على صفة الأساطين ، وسبب عملها هو الاسـتضاءة بالقناديل على الطائفين حول الكعبة . قال عـز الديـن بـن جماعـة : والأسـاطين التـى حـول المطـاف الشريف أحدثت للاستضاءة بالقناديل التى تعلق بينها بعد العشرين وسبعمائة ، وكانت من خشب ثم جعلت من حجارة سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، ثـم ثـارت ريـح عاصفـة سنة إحدى وخمسين وسبعمائة «فألتمتها»[٨] ثم جددت فيها . انتهى .

---

(١) تاريخ مكة للأزرقى (٢٨٦/١ ، ٢٨٧) عن أبى الحسن بن القاسم بن عقبة بن الأزرق .

(٢) المصدر السابق (٢٨٧/١) عن عطاء بن أبى رباح .

(٣) الشبه : النحاس الأصفر .

(٤) الثُريَّات – جمع ثريا – هى مجموعة المصابيح التـى يسـميها النـاس : النجفـة (وهـى محدثـة) المعجـم الوسيط .

(٥) تاريخ مكة للأزرقى (٢٨٧/١) .

(٦) المصدر السابق (٢٨٧/١) عن جد الأزرقى .

(٧) المصدر السابق (٢٨٧/١ ، ٢٨٨) .

(٨) هكذا فى الأصل ، ولعلها «فالتهمتها» . والله أعلم .

وذكر ابن محفوظ أن إحداث هذه الأساطين المذكورة فى سنة ست وثلاثين وسبعمائة . والله أعلم .

[فصل]

ذكر ذرع الكعبة من داخل وخارج

قد تقدم أن طول الكعبة في السماء سبع وعشرون ذراعًا ، وقد ذكر الأزرقى فى ذرعها من داخلها وخارجها [1]. قال عز الدين بن جماعة : وحررت أنا ارتفاعها ومقدار ما بين أركانها وغير ذلك لما كنت مجاورًا بمكة سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، فكان ارتفاعها من أعلى المُلتزم إلى أرض الشاذرْوان ثلاثة / [٥٩/ب] وعشرون ذراعًا ونصف ذراع وثلث ذراع ، وبين الركن الذى فيه الحجر الأسود وبين الركن الشامى ويقال : العراقى من داخل الكعبة ثمانية عشر ذراعًا وثلث وربع وثمن ، ومن خارجها ثلاثة وعشرين ذراعًا وربع ذراع، وارتفاع باب الكعبة الشريفة من داخلها ستة أذرع «وقيراطان»[2] ، ومن خارجها خمسة أذرع وثلث ، وعرضه من داخلها ثلاثة أذرع وربع وثمن ، ومن خارجها ثلاثة أذرع وربع، وعرض العتبة نصف ذراع وربع ، وارتفاع الباب الشريف عن أرض الشاذرْوان ثلاثة أذرع وثلث وثمن ، وارتفاع الشاذروان عن أرض المطاف ربع وثمن ، وعرضه فى هذه الجهة نصف وربع ، وذرْع الملتزم وهو ما بين الركن والباب من داخل الكعبة ذراعان ومن خارجها أربعة وسدس ، وارتفاع الحجر الأسود عن أرض المطاف ذراعان وربع «وسدس»[3] ، وبين الركن الشامى والغربى من داخل الكعبة خمسة عشر ذراعًا وقيراطان ، ومن خارجها ثمانية عشر ونصف وربع ، وبين الغربى واليمانى من داخلها ثمانية عشر ذراعًا وثلثا ذراع وثمن ذراع ، ومن خارجها ثلاثة وعشرون ذراعًا ، وبين اليمانى والركن الأسود من داخلها خمسة عشر ذراعًا وثلث ذراع ، ومن خارجها تسعة عشر - بتقديم التاء على السين - وربع ، وذرْع دائر الحجر من داخله من الفتحة إلى الفتحة أحد وثلاثون وثلث ، ومن خارج من الفتحة إلى الفتحة سبعة وثلاثون ونصف وربع وثمن ، ومن الفتحة إلى الفتحة على الاستواء سبعة عشر ذراعًا ، ومن صدر دائر الحجر من داخله إلى جدار البيت تحت الميزاب خمسة عشر ذراعًا ، وعرض جدار الحجر ذراعان / [٦٠/أ] وثلث ذراع ، وارتفاعه عن أرض المطاف مما يلى الفتحة التى من جهة المقام ذراع وثلثا ذراع وثمن ذراع، وارتفاعه مما يلى الفتحة الأخرى ذراع وثلث ونصف وثمن ، وارتفاعه من وسطه ذراع

---

(١) راجع تاريخ مكة للأزرقى (١/٢٨٨ - ٢٩٢) .

(٢) تكررت فى الأصل .

(٣) كتبت فى الهامش ، ولعلها هنا ، ولا يبدو علامة إلحاق . فالله أعلم .

وثلث ذراع ، وسعة ما بين جدار الحجر والشاذروان عند الفتحة التي من جهة المقام أربعة أذرع وثلث ، وعرض الشاذروان في هذه الجهة نصف ذراع ، والخارج من جدار الحجر في هذه الجهة عن مسامتة الشاذروان نصف ذراع وربع ذراع وثمن ، وسعة الفتحة الأخرى أربعة أذرع ونصف ، وعرض الشاذروان في هذه الجهة ثلثا ذراع ، والخارج من جدار الحجر في هذه الجهة عن مسامتة الشاذروان نصف ذراع وثلث ذراع .

قال عز الدين : كل ذلك حررته بذراع القماشي المستعمل في زماننا بمصر . انتهى كلامه .

قال الأزرقي : وذرع عرض بعد جدار الكعبة ذراعان ، والكعبة لها سقفان أحدهما فوق الآخر ، وكانت غير مسقفة في عهد إبراهيم -عليه السلام[1]- وفي سقف الكعبة أربع روازن[2] نافذة من السقف الأعلى إلى السقف الأسفل للضوء ، وعلى الروازن رخام ، وكان ابن الزبير أتى به من صنعاء يقال له : البلق وبين السقفين فرجة ، وذرع التحجير الذي فوق ظهر سطح الكعبة ذراعان ونصف ، وذرع عرض «جدار»[3] التحجير كما يدور ذراع ، وفي التحجير ملبن مربع من ساج في جدران سطح الكعبة ، كما يدور فيه حلق حديد تشد فيها ثياب الكعبة ، وكان أرض سطح الكعبة بالفسيفساء ، ثم كانت تتلف[4] عليهم إذا جاء المطر فقلعته الحجبة بعد سنة المائتين وشيدوه بالمرمر المطبوخ والجص، وميزاب الكعبة في وسط الجدر الذي يلي الحجر يسكب في بطن الحجر ، وذرع طول الميزاب أربع[5] أذرع ، وسعته ثماني[6] أصابع في ارتفاع مثلها ، والميزاب ملبس صفائح / [٦٠/ب] ذهب داخله وخارجه ، وكان الذي جعل عليه الذهب الوليد ابن عبد الملك ، وذرع مسيل الماء في الجدر ذراع وسبعة عشر إصبعًا[7].

[فصل]

ذكر ما يدور بالحجر الأسود من الفضة

وكان ابن الزبير أول من ربط الركن الأسود بالفضة لما أصابه الحريق ، ثم كانت الفضة قد رقت ونزعت حول الحجر الأسود حتى خافوا على الركن أن ينقض ، فلما اعتمر

---

(١) راجع تاريخ مكة للأزرقي (٢٨٨/١ - ٢٩٠) .

(٢) روازن - جمع روزنة - وهي الكوة غير النافذة . المعجم الوسيط .

(٣) عند الأزرقي «جدر» . والله أعلم .

(٤) عند الأزرقي «تكف» . والله أعلم .

(٥) كذا في الأصل ، والصواب «أربعة» وهو عند الأزرقي . والله أعلم .

(٦) كذا في الأصل ، والصواب «ثمانية» وهو عند الأزرقي . والله أعلم .

(٧) تاريخ مكة للأزرقي (٢٩٠/١ ، ٢٩١) .

أمير المؤمنين هارون الرشد وجاور في سنة تسع وثمانين ومائة أمر بالحجارة التي بينها الحجر الأسود فثقبت بالماس من فوقها وتحتها ثم أفرغ فيها الفضة[١].

وذكر المسبحي : أن في سنة أربعين وثلاثمائة قلع الحجبة الحجر الأسود وكان «بضه منير»[٢] وجعلوه في الكعبة خوفًا عليه ، وأحبوا أن يجعلوا له طوقًا من فضة يشد به كما كان قديمًا في عهد ابن الزبير ، فأصلحه صائغان حاذقان وعملا له طوقًا من فضة وأحكماه، قال : وعن محمد بن نافع الخزاعي : أن مبلغ ما على الحجر الأسود من الطوق وغيره ثلاثة آلاف وتسعة وتسعون درهمًا على ما قيل . انتهى .

قيل : والحلية التي على الحجر الأسود الآن غير الحلية المتقدمة ؛ لأن داود بن عيسى ابن فليتة الحسنى أمير مكة أخذ طوق الحجر الأسود قبيل عزله من مكة في سنة خمس وثمانين وخمسمائة أو في التي بعدها على ما ذكر غير واحد من أهل التواريخ ، وهذا يقتضي أن يكون قلع الحجر الأسود ليعمل له طوق يصونه[٣].

[فصل]

ما جاء في مقام إبراهيم عليه السلام

المقام في اللغة : موضع قدم القائم . ومقام إبراهيم : هو الحجر الذي وقف عليه إبراهيم . واختلفوا في المراد من المقام في قوله تعالى : ﴿ **فيه آيات بينات مقام إبراهيم** ﴾[٤]. فقال الجمهور : هو الحجر المعروف . وقيل : البيت كله مقام إبراهيم ؛ لأنه بناه وقام في جميع أقطاره . وقيل : مكة كلها . وقيل : الحرم كله . والصحيح / [٦١/أ] قول الجمهور[٥].

وفي سبب وقوفه عليه أقوال ؛ أحدها : إنه وقف عليه لبناء البيت قاله سعيد بن جبير . الثاني : إنه جاء من الشام فطلب ابنه إسماعيل فلم يجده فقالت له زوجته : انزل فأبى . فقالت : دعني أغسل رأسك ، فأتته بحجر فوضع رجله عليه وهو راكب فغسلت شقه ، ثم رفعته وقد غابت رجله فيه ، فوضعته تحت الشق الآخر وغسلته فغابت رجله فيه،

---

(١) المصدر السابق (٣٤٥/١) عن جد الأزرقي ، قال : وكان الذي عمل ذلك ابن الطحان مولى ابن المشمعل . والله أعلم .

(٢) كذا في الأصل ، ولعلها « ربضه منير » والله أعلم .

(٣) أي من السرقة وغيرها وراجع الجامع اللطيف (ص ٣٧ ، ٣٨) .

(٤) سورة آل عمران : الآية (٩٧) .

(٥) راجع تفسير ابن كثير (١٦٨/١ ، ١٦٩) وتفسير القرطبي (١١٢/٣ ، ١١٣) وصحح ما صححه المصنف وقد ثبت في البخاري ح (٣٩٥ - فتح) أنه ﷺ صلى خلف المقام ركعتين ، وكذا صححه ابن حجر كما في الفتح (٥٩٥/١) .

فجعله الله تعالى من الشعائر ، وهذا مروى عن ابن مسعود وابن عباس - رضى الله عنهم- . الثالث : إنه وقف عليه فأذن فى الناس بالحج[1].

قال الأزرقى : لما فرغ من التأذين أمر بالمقام فجعله قبلة ، فكان يصلى إليه مستقبل الباب ثم كان إسماعيل بعدُ يصلى إليه إلى باب الكعبة[2]. وعن أنس بن مالك ﷺ قال : رأيت المقام فيه أصابعه وأخمص قدميه والعقب غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم[3]. وعن قتادة فى قوله تعالى : ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** ﴾[4]. قال : إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه ، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئًا ما تكلفته الأمم قبلها ، ولقد ذكر لنا بعض من رأى أثره وأصابعه فما زالت هذه الأمة تمسحه حتى اخلولق وانماح . وعن نوفل بن معاوية الديلى قال : رأيت المقام فى عهد عبد المطلب مثل المهاة ، والمهاة : خرزة بيضاء .

[فصل]

ما جاء فى موضع المقام وكيف رده عمر إلى موضعه هذا

اختلفوا هل كان فى عهد النبى ﷺ ملصقًا بالبيت ، أو فى موضعه الآن ؟ والصحيح أنه كان فى عهد النبى ﷺ ملصقًا بالبيت .

روى الأزرقى عن المطلب بن أبى وداعة السهمى قال : كانت السيول تدخل المسجد الحرام من باب بنى شيبة قبل أن يردم / [٦١/ب] عمر بن الخطاب الردم الأعلى ، وكان يقال لهذا الباب : باب السيل ، وكانت السيول ربما رفعت المقام عن موضعه وإلى وجه الكعبة . حتى جاء سيل فى خلافة عمر بن الخطاب يقال له : سيل أم نهشل ، وسمى بذلك ؛ لأنه ذهب بأم نهشل ابنة عبيدة ابن أبى «حجيجة»[5] فماتت فيه ، فاحتمل المقام من موضعه هذا فذهب به حتى وجد بأسفل مكة ، فأتى به فربط فى أستار الكعبة فى وجهها، وكتب فى ذلك إلى عمر ﷺ فأقبل عمر فزعًا ، فدخل بعمرة فى شهر رمضان وقد عفى[6] موضعه وعفاه السيل ، فدعا عمر بالناس فقال : أنشد الله عبدًا عنده علم فى هذا المقام أين موضعه ؟ فقال المطلب بن أبى وداعة : عندى ذلك فقد كنْتُ أخشى عليه

---

(١) الجامع اللطيف (ص ٣٠) .

(٢) تاريخ مكة (٢/٣٠) .

(٣) تاريخ مكة للفاكهى (١/٤٥٠) .

(٤) سورة البقرة : الآية (١٢٥) .

(٥) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى «أحيحة» . والله أعلم .

(٦) كذا فى الأصل وعند الأزرقى «غبى» . والله أعلم .

هذا ، فأخذت قدره فى موضعه إلى الركن ، ومن موضعه إلى باب الحجر ومن موضعه إلى زمزم بميقاط[1] وهو عندى فى البيت . فقال له عمر : فاجلس عندى وأرسل إليها . فأتى بها فمدها فوجدها مستوية إلى موضعه هذا ، فسأل الناس وشاورهم فقالوا : نعم هذا موضعه. فلما استثبت ذلك عمر وحق عنده أمر به فأعلم ببناء ربضه تحت المقام ثم حوله فهو فى مكانه هذا إلى اليوم[2].

وروى الأزرقى أيضًا عن ابن أبى مليكة أنه قال : موضع المقام هو الذى به اليوم ، وهو موضعه فى الجاهلية وفى عهد النبى ﷺ وأبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - إلا أن السيل ذهب به فى خلافة عمر فجعل فى وجه الكعبة حتى قدم عمر رضي الله عنه فرده بمحضر من الناس[3].

ونقل الأزرقى عن عروة بن الزبير أن المقام كان عند صقع[4] البيت فأما موضعه الذى هو موضعه فموضعه الآن ، وأما ما يقول الناس : إنه كان هنالك موضعه فلا[5]. انتهى كلام الأزرقى .

وقال مالك فى «المدونة» : كان المقام فى عهد إبراهيم - عليه السلام - / [٦٢/أ] فى مكانه اليوم ، وكان أهل الجاهلية ألصقوه بالبيت خيفة السيل وكان ذلك فى عهد النبى ﷺ وعهد أبى بكر ، فلما وَلى عمر رضي الله عنه رده بعد أن قاس موضعه بخيوط قديمة قيس بها حين أخبروه[6]. وحكى سند عن أشهب عن مالك : أن الذى حمل عمر على ذلك - والله أعلم - ما كان النبى ﷺ يذكره من كراهية تغيير مراسيم إبراهيم- عليه السلام - ومنه قوله ﷺ لعائشة : «**لولا حدثان قومك بكفر لنقضت الكعبة**»[7]. فرأى عمر أن ذلك ليس فيه تغيير لمكان ما رآه من مراسيم إبراهيم - عليه السلام - انتهى .

وفى هذا مناقضة ظاهرة لما ذكره الأزرقى عن ابن أبى مليكة ، وأما ما ذكره المطلب

---

(١) المقاط - بكسر الميم - : الحبل الصغير الشديد الفتل . لسان العرب «قمط» وذكر القصة شاهدًا ، وفى الأصل بياء بعد الميم . والله أعلم .

(٢) تاريخ مكة للأزرقى (٢/٣٣ ، ٣٤) ، والجامع اللطيف (ص ٣١) .

(٣) تاريخ مكة للأزرقى (٢/٣٥) ، والجامع اللطيف (ص ٣٢) .

(٤) الصقع ويقال : السقع والسين أحسن : الناحية من البيت . لسان العرب «سقع» ، والذى فى تاريخ مكة للأزرقى «سفع» وله وجه : وهى آثار فى الدار تخالف من سوادها سائر لون الأرض . والله أعلم .

(٥) تاريخ مكة للأزرقى (٢/٣٥) .

(٦) الجامع اللطيف (ص ٣٢) .

(٧) تقدم تخريجه .

ابن أبى وداعة فيحتمل أمرين ؛ أحدهما : أن يكون قول عمر : أنشد الله عبدًا عنده علم فى هذا المقام أين موضعه ؟ أى : الذى كان عليه فى عهد النبوة وهو المتبادر إلى الفهم ؛ لأنه كان بحاثًا عن السنة وقافا عندها ، وكذلك فهمه ابن أبى مليكة فأثبت لذلك أن موضعه اليوم هو الموضع الذى كان فيه فى عهد النبوة ، وأن إلصاقه بالبيت إنما كان لعارض السيل .

الاحتمال الثانى : أن يكون عمر سأل عن موضعه فى زمن إبراهيم -عليه السلام- ليرده إليه لعلمه أن رسول الله ﷺ كان يؤثر مراسيم إبراهيم - عليه السلام - ويكره تغييرها ، ويكون سبيله ﷺ فى تقرير المقام ملصقًا بالبيت إلى أن توفى ﷺ سبيله فى تقرير ما كان من الكعبة فى الحجر تأليفًا لقريش فى عدم تغيير مراسيمهم ، فلذلك سأل عمر عن مكان المقام فى زمن إبراهيم - عليه السلام - ليرده إليه .

وعلى هذا التأويل فلا مناقضة بين ما رواه المطلب والإمام مالك فيكون الجمع بينهما أولى من ترك أحدهما . ويكون ابن أبى مليكة قال / [٦٢/ب] ما قاله فهمًا من سياق ما رواه المطلب والإمام مالك أثبت ما أثبته جازمًا به ، فلا يكون ذلك إلا عن توقيف فكان الجمع أولى[(١)] قاله المحب الطبرى . ويروى أن رجلاً يهوديًا أو نصرانيًا كان بمكة فأسلم يقال له : جريج فَفُقِد المقام ذات ليلة فوُجد عنده أراد أن يخرجه إلى ملك الروم فأُخذ منه وضُربت عنقه[(٢)]. وعن عبد الله بن السائب وكان يصلى بأهل مكة قال : أنا أول من صلى خلف المقام حين رد فى موضعه هذا ، ثم دخل عمر رضي الله عنه وأنا فى الصلاة فصلى خلفى صلاة المغرب[(٣)].

[فصل]
ما جاء فى الذهب الذى على المقام ومن جعله عليه

أول ما حُلّي المقام فى خلافة المهدى العباسى سنة إحدى وستين ومائة كما ذكره الفاكهى[(٤)]. وروى الأزرقى عن عبد الله بن شعيب قال : ذهبت أرفع المقام فى خلافة المهدى فانثلم قال : وهو من حجر رخو يشبه السنان فخشينا أن يتفتت ، فكتبنا فى ذلك إلى المهدى فبعث إلينا بألف دينار فضببنا بها المقام أسفله وأعلاه ، ولم يزل ذلك الذهب عليه حتى ولى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله فجعل عليه ذهبًا فوق ذلك الذهب

---

(١) وقال ابن ظهيرة فى الجامع اللطيف (ص ٣٢) : وصحح ابن جماعة ما قاله مالك . والله أعلم .

(٢) الجامع اللطيف (ص ٣٢) .

(٣) تاريخ مكة للأزرقى (٣٦/٢) .

(٤) تاريخ مكة للفاكهى (٤٧٥/١ ، ٤٧٦) .

أحسن من ذلك العمل فى مصدر الحاج سنة ست وثلاثين ومائتين[1]، ثم إن الذهب الذى حُلِّيَ به المقام فى خلافة المتوكل لم يزل عليه إلى أن أخذه جعفر بن الفضل ومحمد بن حاتم فى سنة إحدى وخمسين ومائتين ، وضرباه دنانير وأنفقاه على حرب إسماعيل العلوى فيما ذكروا ، وبقى الذهب الذى عمل فى خلافة المهدى إلى سنة ست وخمسين ومائتين ثم قلع وضم إليه ذهب آخر وحُلّي المقام بذلك كله ، وكان فى المقام حلية من فضة مع الذهب فزاد فيها فى هذا التاريخ أمير مكة على بن الحسين الهاشمى العباسي ، وكان سبب ذلك أن الحجبة ذكروا لعلى بن الحسين المذكور أن / [٦٣/أ] المقام قد وهى ويخاف عليه ، وسألوه أن يجدد عليه ويضببه حتى يشتد ، فأجابهم إلى ما سألوه وقلع ما على المقام من الذهب والفضة ، فإذا هو سبع قطع ملصقة وزال عنها الإلصاق فألزم إلصاقه بالعقاقير ، وركب عليه من حلية الذهب والفضة ما يزيده شدة ويستحسنه الناظر فيه ، وكان ابتداء عمل ذلك فى المحرم سنة ست وخمسين ومائتين والفراغ منه فى ربيع الأول منها ، وكان جملة ما فى الطوقين اللذين عملا فى المقام باللحوم التى فيهما ألفى مثقال ذهبًا إلا ثمانية مثاقيل[2]. انتهى كلام الفاكهى مختصرًا .

قال الشيخ سعد الدين الإسفرائينى فى كتاب «زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال» : وفى سنة تسع وخمسين وسبعمائة فى زمان القاضى شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد ابن محب الدين الطبرى قاضى مكة سُرق الذى كان عليه فعمل عليه الفضة وهى عليه إلى الآن . انتهى .

[فصل]
ذكر ذرع المقام

ذكر الأزرقى : أن ذرع المقام ذراع ، وأن القدمين داخلان فيه سبع أصابع[3]. وقال عز الدين بن جماعة : وحررت لما كنت بمكة سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة مقدار ارتفاعه من الأرض فكان نصف ذراع وربع ذراع وثمن ذراع بالذراع المستعمل فى زماننا بمصر فى القماش ، وأعلى المقام مربع من كل جهة نصف ذراع وربع ذراع ، وموضع «عرض»[4] القدمين فى المقام ملبَّس بفضة ، وعمقه من فوق الفضة سبع قراريط ونصف قيراط من

---

(١) إلى هنا انتهى المنقول من تاريخ مكة للأزرقى (٣٦/٢) ، وراجع تاريخ مكة للفاكهى (٤٧٦/١) .
(٢) تاريخ مكة للفاكهى (٤٧٧/١ - ٤٧٩) .
(٣) تاريخ مكة للأزرقى (٣٨/٢) .
(٤) كذا فى الأصل . والله أعلم .

ذراع القماش[1]، والمقام اليوم فى صندوق من حديد حوله شباك من حديد ، عرض الشباك عن يمين المصلى ويساره خمسة أذرع وثمن ذراع ، وطوله إلى جهة الكعبة خمسة أذرع إلا قيراطين ، وخلف الشباك المصلى وهو محوز بعمودين من حجارة وحجرين من جانبى المصلى ، وطول المصلى خمسة أذرع وسدس ذراع ، ومن صدر الشباك الذى داخله المقام إلى شاذروان الكعبة / [٦٣/ب] عشرون ذراعًا وثلثا ذراع وثمن ذراع ، كل ذلك بالذراع المتقدم ذكره . انتهى كلام ابن جماعة .

[فصل]

ما جاء فى إخراج جبريل زمزم لأم إسماعيل «ويروى لها»[2]

لما كان بين هاجر أم إسماعيل وبين سارة امرأة إبراهيم ما كان أقبل إبراهيم - عليه السلام - بهاجر وابنها إسماعيل - وهو صغير يرضعها[3] - حتى قدم بهما مكة ، ومع أم إسماعيل شنة فيها ماء تشرب منه وتدر على ابنها وليس معها زاد[4] - وفى رواية : ومعها جراب فيه تمر وسقاء فيه ماء وليس بمكة أحد وليس لها ماء - فعمد بهما إبراهيم إلى دوحة فوق زمزم فوضعهما عندها ، ثم توجه إبراهيم خارجًا على دابته فتبعته أم إسماعيل حتى وافى إبراهيم بكدا ، فقالت له أم إسماعيل : إلى من تتركها وولدها ؟ قال : إلى الله - عز وجل - قالت : رضيت بالله - وفى رواية : قالت له : أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شىء ؟ فقالت له ذلك مرارًا وجعل لا يلتفت إليها فقالت: آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قالت : إذن لا يضيعنا - ثم رجعت تحمل ابنها - فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه وقال : ﴿ **ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع** - حتى بلغ - **يشكرون** ﴾[5]. وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل حتى فنى ماء شنها فانقطع درها[6]، فجاع ابنها فاشتد جوعه حتى نظرت إليه أمه يتشحط فخشيت أم إسماعيل أن يموت ، فقالت : لو تغيبت عنه حتى يموت ولا أدرى بموته . فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها فقامت عليه ، فاستقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدًا فلم ترَ أحدًا ، فهبطت

---

(١) راجع كلام ابن جماعة هذا إلى هنا فى الجامع اللطيف (ص ٣١) .

(٢) كذا فى الأصل وليست عند الأزرقى .

(٣) فى تاريخ مكة للأزرقى (٣٩/٢) «ترضعه» وصححه من الطبعة الأوربية ، وقال المحقق : وفى جميع الأصول «يرضعها» . أى : كما هنا . والله أعلم .

(٤) تاريخ مكة للأزرقى (٣٩/٢) عن عبد الله بن عباس .

(٥) سورة إبراهيم : الآية (٣٧) وهذه الرواية فى صحيح البخارى ح(٣٣٦٤ - فتح) .

(٦) أى : انقطع در اللبن من ثديها لطفلها .

من الصفا وقالت : لو مشيت بين هذين الجبلين تعللت حتى يموت الصبى ولا أراه . فمشت بينهما أم إسماعيل حتى إذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ، ثم سعت سعى الإنسان المجهود /[٦٤/أ] حتى جاوزت الوادى ، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت فلم ترَ أحدًا ففعلت ذلك سبع مرات ، فلذلك شرع السعى بينهما سبعًا ، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا فقالت : صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضًا فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث ، فخرج لها جبريل فاتبعته حتى وصل عند زمزم فبحث بعقبه أو بجناحه حتى ظهر الماء ، وتقول بيدها هكذا وتغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف فشربت وأرضعت ولدها ، وقال لها جبريل - عليه السلام - : لا تخافى الضيعة فإن ها هُنا بيت الله - عز وجل - يبنيه هذا الغلام وأبوه ، وإن الله تعالى لا يضيع أهله[1].وفى الحديث أن النبى ﷺ قال : « **يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم أو قال : لو لم تغرف من الماء لكانت عينًا معينًا** »[2].

قال القرطبى فى «تفسيره» : لا يجوز لأحد أن يتعلق بهذا فى طرح ولده وعياله بأرض مضيعة ، اتكالاً على العزيز الرحيم ، واقتداءً بفعل إبراهيم الخليل ، كما فعله غلاة الصوفية فى حقيقة التوكل ، قال : إبراهيم فعل ذلك بأمر الله تعالى ؛ لقوله فى الحديث : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . وقد روى أن سارة لما غارت من هاجر بعد أن ولدت إسماعيل خرج بها إبراهيم - عليه السلام - إلى مكة فروى أنه ركب البراق هو وهاجر والطفل فجاء فى يوم واحد من الشام إلى مكة ، وأنزل ابنه وأمه هناك وركب منصرفًا من يومه ، وكان ذلك كله بوحى من الله - عز وجل - فلما ولّى دعا[3]. انتهى كلامه .

فبينما هاجر وابنها كذلك إذ مر ركب من جرهم قافلين من الشام فى الطريق السفلى ، فرأى الركبُ الطير على الماء فقال بعضهم : ما كان بهذا الوادى من ماء ولا أنيس فأرسلوا جريين لهم حتى أتيا أم إسماعيل فكلماها ، ثم رجعا / [٦٤/ب] إلى ركبهما فأخبراهم بمكانها ، فرجع الركب كلهم حتى حيوها فردت عليهم ، وقالوا : لمن هذا الماء ؟ قالت أم إسماعيل : هو لى . قالوا : أتأذنين لنا أن نسكن معك ؟ قالت : نعم . قال النبى

---

(١) تاريخ مكة للأزرقى (٢/٣٩ ، ٤٠) بنحوه ، والحديث فى صحيح البخارى ح (٣٣٦٤ - فتح) تقدم تخريجه ، وراجع تفسير القرطبى (٩/٣٦٨ ، ٣٦٩) .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب الأنبياء - باب يزفون النسلان فى المشى ح (٣٣٦٤ - فتح) عن ابن عباس مرفوعًا .

(٣) تفسير القرطبى (٩/٣٧٠) .

ﷺ : « **ألفى ذلك أم إسماعيل ، وقد أحبت الأنس** » فنزلوا وبعثوا إلى أهليهم ، فقدموا وسكنوا تحت الدوح واعترشوا عليها العرش ، فكانت معهم هى وابنها[1].

قال بعض أهل العلم : كانت جرهم تشرب من ماء زمزم فمكثت بذلك ما شاء الله أن تمكث ، فلما استخفت جرهم بالحرم وتهاونت بحرمة البيت ، وأكلوا مال الكعبة الذى يهدى لها سرًّا وعلانية وارتكبوا مع ذلك أمورًا عظامًا ، نضب ماء زمزم وانقطع فلم يزل موضعه يدرس ويتقادم وتمر عليه السيول عصرًا بعد عصر حتى عفى مكانه، وسلط الله خزاعة على جرهم فأخرجتهم من الحرم ووليت عليهم الكعبة والحكم بمكة ، وموضع زمزم فى ذلك داثر لا يعرف ؛ لتقادم الزمان حتى بوّأه الله لعبد المطلب بن هاشم لما أراد الله تعالى من ذلك فخصه به من بين قريش[2]. وقيل : إن جرهمًا دفنت زمزم حين ظعنوا من مكة واستولى عليها غيرهم .

قال السهيلى : ولما أحدثت جرهم فى الحرم واستخفوا بالمناسك والحُرم ، وبغى بعضهم على بعض واجترم ، تغوَّر ماء زمزم واكتُتم ، فلما أخرج الله جرهم من مكة بالأسباب التى ذكرناها ، عمد الحارث بن مضاض الأصغر إلى ما كان عنده من مال الكعبة وفيه غزالان من ذهب وأسياف قلعيَّة[3] كان أهداها ساسان ملك الفرس ، وقيل : سابور ، وذكروا أن الأوائل من ملوك الفرس كانت تحج الكعبة إلى عهد ساسان أو سابور، فلما علم ابن مضاض أنه مُخرَج منها جاء فى الليل حتى دفن ذلك فى زمزم وغطى عليها، ولم تزل دارسة عافيًا أثرها حتى آن مولد المبارك / [٦٥/أ] الذى كان يستسقى بوجهه غيث السماء ، وتتفجر من بنانه ينابيع الماء صاحب الكوثر والحوض الرَّواء ، فلما آن ظهوره أذن الله لسقيا أبيه أن تظهر ولما اندفن من مائها أن يجهر[4] ، فكان ﷺ قد سقت الناس بركته قبل أن يولد وسقوا بدعوته وهو طفل حين أجدب بهم البلد ، وذلك حين خرج به جده مستسقيًا لقريش ، وسقيت الخليقة غيوث السماء فى حياته الفينة بعد الفينة والمرة بعد المرة ، تارة بدعائه وتارة ببنانه وتارة بإلقاء سهمه ، ثم بعد موته ﷺ استشفع عمر بعمه إلى الله تعالى[إلى][5] عام الرمادة وأقسم عليه به وبنبيه ، فلم يبرح حتى قلصوا

---

(١) تاريخ مكة للأزرقى (٢/٤٠ ، ٤١) ، وهو بمعناه فى البخارى كما تقدم .

(٢) تاريخ مكة للأزرقى (٢/٤١) .

(٣) قلعيَّة : نسبة إلى قلعة ، قيل : إنها جبل بالشام ، أو هى معدن ينسب إليه الرصاص الجيد . معجم البلدان (٤/٣٨٩) .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى الروض الأنف «تجتهر» أى : تنقى . والله أعلم .

(٥) « إلى» زائدة فى الأصل ، وليست فى الروض الأنف ، والصواب حذفها . والله أعلم .

المأزر واعتلقوا الحذاء وخلصوا الغدران ، وسمعت الرفاق المقبلة إلى المدينة فى ذلك اليوم صائحًا يصيح فى السحاب : أتاك الغوث أبا حفص أتاك الغوث أبا حفص ، كل ذلك ببركة المبتعث بالرحمتين الداعى إلى الحياتين الموعود بهما على يديه فى الدارين[1]. انتهى كلام السهيلى . وقال فى تفجير زمزم جبريل بالعقب دون أن يفجرها باليد أو غيرها : إشارة إلى أنها لعقبه وراثة وهو محمد وأمته كما قال تعالى : ﴿ **وجعلها كلمة باقية فى عقبه** ﴾[2]. أى: فى أمة محمد[3]. انتهى .

[فصل]

ما جاء فى حفر عبد المطلب بن هاشم زمزم

عن الزهرى قال : أول ما ذكر من أمر عبد المطلب بن هاشم جدّ رسول الله ﷺ أن قريشًا خرجت فارة من أصحاب الفيل وهو غلام شاب ، فقال : والله لا أخرج من حرم الله أبتغى العز فى غيره فجلس عند البيت ، وأجلت عنه قريش فلم يزل ثابتًا فى الحرم حتى أهلك الله الفيل وأصحابه ، ورجعت قريش وقد عظم فيها بصبره وتعظيمه محارم الله تعالى ، فبينما هو فى ذلك وقد وُلد له أكبر بنيه - وهو الحارث بن عبد المطلب - فأدرك ، فأُتى عبد المطلب فى المنام فقال له : احفر زمزم خبئة الشيخ الأعظم /[٦٥/ب] فاستيقظ فقال : اللهم بين لى . فأُتى فى المنام مرة أخرى فقيل له : لحفرتكم بين الفرث والدم فى مبحث الغراب فى قرية النمل مستقبلة الأنصاب الحمر . فقام عبد المطلب فمشى حتى جلس فى المسجد الحرام ينتظر ما سمى له من الآيات ، فنحرت بقرة بالحزورة[4] فانفلتت من جازرها بحشاشة نفسها حتى غلبها الموت فى المسجد فى موضع زمزم ، فجزرت تلك البقرة فى مكانها حتى احتمل لحمها ، فأقبل غراب يهوى حتى وقع فى الفرث فبحث عند قرية النمل ، فقام عبد المطلب فحفر هنالك فجاءته قريش فقالت لعبد المطلب : ما هذا الصنع ؟ إنا لم نكن «نريك»[5] بالجهل لم تحفر فى مسجدنا ؟ فقال عبد المطلب : إنى لحافر هذه البئر ومجاهد من صدنى عنها . فطفق هو وابنه الحارث يحفران وليس له ولد يومئذ غيره ، فسفه عليهما ناس من قريش فنازعوهما وقاتلوهما ، وتناهى عنه

---

(١) الروض الأنف (١/١٦٦) وتكملة كلامه ﷺ صلاة تصعد ولا تنفد ، وتتصل ولا تنفصل ، وتقيم ولا تريم ، إنه منعم كريم.

(٢) سورة الزخرف : الآية (٢٨) .

(٣) الروض الأنف (١/١٦٦) .

(٤) الحزورة : وكانت سوق مكة ، كانت بفناء دار أم هانئ ابنة أبى طالب التى كانت عند الحناطين . وقيل غير ذلك . راجع تاريخ مكة للأزرقى (٢/٢٩٤) من قول أبى الوليد .

(٥) كذا فى الأصل وعند الأزرقى (٢/٤٣) «نزنك» وهو الصواب . والله أعلم .

ناس من قريش لما يعلمون من علو نسبه وصدقه واجتهاده في دينهم ، فلما اشتد عليه الأذى نذر إن وفى له عشرة من الولد أن ينحر أحدهم ، ثم حفر حتى أدرك سيوفًا دفنت في زمزم حين دفنت ، فلما رأت قريش أنه قد أدرك السيوف قالوا : يا عبد المطلب أجزنا مما وجدت . فقال عبد المطلب : هذه السيوف لبيت الله الحرام . فحفر ثلاثة أيام حتى انبط الماء في القرار ثم بحرها حتى لا ينزف ثم بنى عليها حوضًا ، فطفق هو وابنه ينزعان فيملآن ذلك الحوض فيشرب منه الحاج ، فيكسره ناس من حسدة قريش بالليل فيصلحه عبد المطلب حين يصبح، فلما أكثروا فساده دعا عبد المطلب ربه فأُرى في المنام فقيل له : قل اللهم لا أحلها لمغتسل ، ولكن هي للشارب حل وبل ثم كفيتهم ، فقام عبد المطلب ، فنادى بالذي أُرى ثم انصرف ، فلم يكن يفسد حوضه ذلك عليه أحد من قريش إلا رُمي في جسده بداء حتى تركوا حوضه ، ثم تزوج عبد المطلب النساء فولدت له عشرة رهط، فقال : اللهم / [٦٦/أ] إني كنت نذرت لك نحر أحدهم ، وإني أقرع بينهم فأصب بذلك من شئت فأقرع بينهم فطارت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب وكان أحب ولده إليه، فقال : اللهم عبد الله أحب إليك أم مائة من الإبل ، ثم أقرع بينه وبين المائة الإبل فكانت القرعة على المائة من الإبل فنحرها عبد المطلب[١]. وعن على بن أبي طالب قال : قال عبد المطلب : إني لنائم في الحجر أتاني آتٍ فقال : احفر طيبة . قال : قلت : وما طيبة ؟ قال: ثم ذهب عني فرجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال : احفر برة . قال : قلت : وما برة ؟ ثم ذهب عني فلما كان من الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال : احفر زمزم . قال : قلت : وما زمزم ؟ قال : لا تنزف ولا تذم[٢] تسقي الحجيج الأعظم ، وهي بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الأعصم عند قرية النمل. قال : فلما أبان له شأنها ودل على موضعها وعرف أنه قد صدق ، غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب ليس له يومئذ غيره ، فحفر فلما بدا لعبد المطلب الطى كبَّر ، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته ، فقاموا إليه فقالوا : يا عبد المطلب إنها بئر إسماعيل وإن لنا فيها حقًّا ، فأشركنا معك فيها . فقال عبد المطلب : ما أنا بفاعل إن هذا إلا خُصصت به دونكم وأُعطِيته من بينكم . قالوا : فأنصفنا فإنا غير تاركيك حتى نحاكمك . قال : فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه . قالوا : كاهنة بني سعد بن هذيم . قال :

---

(١) تاريخ مكة للأزرقي (٤٢/٢ - ٤٤) .

(٢) أي أن هذا برهان عظيم ؛ لأنها لم تنزف من ذلك الحين إلى اليوم قط ، وقد وقع فيها حبشي فنزحت من أجله ، فوجدوا ماءها يثور من ثلاثة أعين ، أقواها وأكثرها ماء من ناحية الحجر الأسود . قاله السهيلي في الروض الأنف (١٧٠/١) .

نعم ، وكانت بأشراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر، قال : والأرض إذ ذاك مفاوز[1] فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض المفاوز بين الحجاز والشام فنى ماء عبد المطلب وأصحابه فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة ، واستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا : إنا فى مفازة نخشى فيها على أنفسنا مثل ما أصابكم ، فلما رأى عبد المطلب ما «صنع»[2] القوم وما يتخوف على نفسه وأصحابه / [٦٦/ب] قال : ماذا ترون ؟ قالوا : ما رأينا إلا تبع لرأيك فمرنا بما شئت . قال : فإنى أرى أن يحفر كل رجل منكم لنفسه لما بكم الآن من القوة ، فكلما مات رجل دفعه أصحابه فى حفرته ، ثم واروه حتى يكون آخره رجلاً فضيعة رجل واحد أيسر منْ ضيعة ركب جميعًا . قالوا : نِعم ما أمرت به . فقام كل رجل منهم يحفر حفرته ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشًا ، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : إن إلقاءنا بأيدينا هلك للموت لعجز ألا نضرب فى الأرض ، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد فارتحِلُوا ، فارتحَلوا حتى إذا فرغوا ومن معهم من قريش ينظرون إليهم وما هم فاعلون ، تقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها فلما انبعثت انفجرت تحت خفها عين ماء عذب فكَبَّر عبد المطلب وكَبَّر أصحابه ، ثم نزل فشرب وشربوا وأسقوا حتى ملأوا أسقيتهم ثم دعى القبائل التى معه من قريش ، فقال : هلم[3] إلى الماء فقد سقانا الله تعالى فاشربوا وأسقوا . فشربوا وسقوا فقالت القبائل التى نازعته : قد والله قضى الله تعالى لك علينا يا عبد المطلب ، والله لا نخاصمك فى زمزم أبدًا ، الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذى سقاك زمزم ، فارجع إلى سقايتك راشدًا . فرجع ورجعوا معه و لم يمضوا إلى الكاهنة وخلوا بينه وبين زمزم[4] .

قال ابن إسحاق : هذا الذى بلغنى من حديث على بن أبى طالب فى زمزم ، وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أُمر بحفر زمزم :

---

(١) المفاوز - جمع مفازة - وفى اشتقاق اسمها ثلاث أقوال :
أ - عن الأصمعى أنها سميت مفازة على جهة التفاؤل لراكبها بالفوز والنجاة .
ب - عن أبى المكارم : لأن راكبها إذا قطعها وجاوزها فاز .
جـ - عن بعضهم : مهلكة لأنه يقال : فاز الرجل وفوز وفاد وفطس : إذا هلك .
راجع الروض الأنف (١٧١/١) .
(٢) كذا مصححًا من هامش الأصل ، وفى الأصل «فعل» . والله أعلم .
(٣) أى تعالوا ، وهى لغة أهل الحجاز ، وبها نزل القرآن الكريم ، وعند بنى تميم تلحقها الضمائر فيقول هنا : هلموا . والله أعلم .
(٤) تاريخ مكة للأزرقى (٤٤/٢ - ٤٦) ، وسيرة ابن هشام (١٩٣/١ - ١٩٦) .

ادع بالماء الروى غير الكدر .·. لتسقى حجيج اللـه فى كل مبر[١]

ليس يخاف عنه شيء ما عَمَر[٢]

فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش ، فقال : اعلموا أنى قد أُمرتُ أن أحفر زمزم . قالوا : فهل بين لك أين هى ؟ قال : لا . قالوا : فارجع إلى مضجعك الذى رأيت فيه ما رأيت ، فإن يك حقًا من الله يبين لك ، وإن يكن من الشيطان فلن يعود إليك . فرجع عبد المطلب إلى مضجعه فنام فيه فأُتى ، فقيل له : احفر زمزم إنك إن /[٦٧/أ] حفرتها لن تندم ، وهى تراث[٣] من أبيك الأعظم ، لا تنزف أبدًا ولا تذم ، تسقى الحجيج الأعظم مثل نعام جافل[٤] لم يقسم ينذر فيها ناذر لمنعم ، تكون ميراثًا وعقدًا محكم ، ليست كبعض ما قد تعلم ، وهى بين الفرث والدم[٥].

قال ابن هشام : هذا الكلام والذى قبله فى حديث على فى حديث حفر زمزم «عند»[٦] سجع وليس بشعر[٧]. قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين قيل له ذلك قال : وأين هى ؟ قيل له: عند قرية النمل حيث ينقر الغراب غدًا . فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحارث فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنين إساف ونائلة اللذين كانت قريش تذبح عندهما، فجاء بالمعول فحفر فلما تمادى به الحفر ، فوجد فيها غزالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنتهما جرهم فيها حين خرجت من مكة ، ووجد فيها أسيافًا قلعية وأدراعًا ، فقالت له قريش : يا عبد المطلب فى هذا شرك وحق . قال : لا ، ولكن هلموا إلى أمر ينصف بينى وبينكم . فضرب عليها بالقِداح قالوا : وكيف نصنع ؟ قال :

---

(١) مبر – مفعل من البر . قاله أبو ذر الخشنى فى شرح السيرة (١/١٩٦) ، وكذا فى الروض الأنف (١/١٧١) .

(٢) عمر – من العمر – أى : ما بقى ، ويروى : ما غبر : أى ما بقى أيضًا ، وهو من الأضداد بمعنى بقى وبمعنى ذهب . قاله أبوذر الخشنى فى شرح السيرة (١/١٩٦) .

(٣) أى : ميراث .

(٤) نعام جافل : الجافل الكثير الذى يجيء ويذهب ، وهو السريع أيضًا ، قاله أبو ذر الخشنى فى شرح السيرة (١/١٩٧) ، والروض الأنف (١/١٧١) .

(٥) راجع كلام ابن إسحاق هذا فى سيرة ابن هشام (١/١٩٦ ، ١٩٧) ، والروض الأنف (١/١٦٨) .

(٦) فى السيرة «عندنا» وهو الصواب . والله أعلم .

(٧) السيرة (١/١٩٧) ، والروض الأنف (١/١٦٨) ، وهو يشير إلى قوله : «لا تنزف ولا تذم» إلى قوله : «عند قرية النمل» . أفاده ابن هشام .

أجعل للكعبة قدحين[1] ولى قدحين ولكم قدحين ، فمن خرج قدحاه على شىء كان لـه ، ومن تخلف قدحاه فلا شىء له . قالوا : أنصفت . فجعل قدحين أصفرين للكعبة ، وقدحين أسودين لعبد المطلب ، وقدحين أبيضين لقريش ، ثم أعطوا القداح الذى يضـرب بهـا عنـد هبل ، وقام عبد المطلب يدعو اللـه - عز وجل - وضرب صاحب القداح فخرج الأصفران على الغزالين ، وخرج الأسـودان علـى الأسـياف والأدراع لعبـد المطلـب ، وتخلـف قِدحـا قريش ، فضرب عبد المطلب الأسياف بابًا للكعبة ، وضرب فى الباب الغزالين فكـانت أول حلية حليته الكعبة[2].

قال السهيلى : دل على زمزم بعلامات ثلاث : بنقرة الغراب الأعصـم ، وأنها بين الفرث والدم ، عند قرية النمل ، ويروى أنه لما قام ليحفرها رأى ما رسم له من قرية النمـل ونقرة الغراب / [٦٧/ب] ولم ير الفرث والدم ، فبينما هو كذلك ندَّت بقرة لجازرهـا فلـم يدركها حتى دخلت المسجد الحرام ونحرها فى الموضع الذى رسم لعبد المطلب فسال هنـاك الفرث والدم ، فحفر عبد المطلب حيث رُسم له ، ولم تخص هـذه العلامـات الثـلاث بـأن تكون دليلاً عليها إلا لحكمة إلهية ، وفائدة مشـاكلة فـى علـم التعبـير والتوسـم الصـادق - يعنى زمزم وماءها .

أما الفرث والدم : فإن ماءها طعام طعم وشـفاء سـقم وهـى لمـا شـربت لـه ، وقـد تقوَّت من مائها أبو ذر ثلاثين يومًا وليلة فسمن حتى تكثرت عُكَنُهُ[3] ، فهى إذًا كمـا قـال ﷺ فى اللبن : «**إذا شرب أحدكم اللبن فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه ، فإنه ليس شىء يسد مسد الطعام والشراب إلا اللبن**»[4]. وقال تعالى فى اللـبن : ﴿ **مـن بـين فـرث**

---

(١) القِدح : قطعة من الخشب تعرَّض قليلاً وتسوى ، وتكون فى طول الفِتر أو دونه ، وتخط فيـه حـزوز تميز كل قدح بعدد من الحزوز ، وكان يستعمل فى الميسر . المعجم الوسيط .

(٢) سيرة ابن هشام (١/١٩٧ - ١٩٩) ، والروض الأنف (١/١٦٨ - ١٧١) ، وحديث حفر بئر زمـزم فـى مصنـف عبـد الـرزاق (٩٧١٨) مـن طريـق الزهـرى مرسـلاً ، ودلائـل النبـوة للبيهقـى (١/٩٣ - ٩٧) من حديث على بن أبى طالب ، وطبقات ابن سعد (١/٨٣ - ٨٥) .

(٣) العكن - جمع عُكنَه - : وهى ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمنًا . المعجم الوسيط .

(٤) أخرجه بنحوه أبو داود : كتاب الأشربة - باب ما يقول إذا شرب اللبن ح (٣٧٣٠) ، والترمذى: كتاب الدعوات - باب ما يقول إذا أكل طعامًا ح (٣٤٥٥) وقال : حديث حسن ، والنسـائى فـى الكبرى (٦/٧٩) ، وأحمـد فـى المسـند (١/٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٨٤) ، والحميـدى (٤٨٢) مـن حديث عمر بن حرملة عن ابن عباس ، وهو عند ابن ماجة ح (٣٣٢٢) مـن طريـق عبيـد اللـه بـن عبد الله عن ابن عباس .

ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين ﴾[1]. فظهرت هذه السقيا المباركة بين الفرث والدم وكانت تلك من دلائلها المشاكلة لمعناها .

وأما قوله : الغراب الأعصم : قال القتَبى : الأعصم من الغربان الذى فى جناحيه بياض . واعترض على أبى عبيد لقوله فى شرح الحديث : الأعصم الذى فى يديه بياض . وقال : كيف يكون للغراب يدان ؟ وأجاب عنه السهيلى وقال : إنما أراد أبو عبيد أن هذا الوصف لذوات الأربع ولذلك قال : إن هذا الوصف فى الغربان عزيز ، وكأنه ذهب إلى الذى أراد ابن قتيبة من بياض الجناحين ولولا ذلك لقال : إنه فى الغربان محال لا يتصور . قال السهيلى : وفى مسند ابن أبى شيبة من طريق أبى أمامة عن النبى ﷺ ما يغنى عن قولهما وفيه الشفاء ، وذلك أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**المرأة الصالحة فى النساء كالغراب الأعصم**» . قيل : يارسول الله وما الغراب الأعصم ؟ قال : «**الذى إحدى رجليه بيضاء**» . قال السهيلى : فالغراب فى التأويل فاسق وهو أسود ، فدلت نقرته عند الكعبة على نقرة الأسود / [٦٨/أ] الحبشى بمعوله فى أساس الكعبة يهدمها فى آخر الزمان فكان نقر الغراب فى ذلك المكان يؤذن بما يفعله الفاسق الأسود فى آخر الزمان بقبلة الرحمن وسقيا أهل الإيمان ، وذلك عندما يرفع القرآن وتحيا عبادة الأوثان ، وفى الصحيح[2]: فى صفة الذى يخرب الكعبة أنه أفحج . وهذا ينظر إلى كون الغراب أعصم إذا تفحج تباعد فى الرجلين ، كما أن العَصَم اختلاف فيهما والاختلاف تباعد ، وقد عرف بذى السويقتين كما نعت الغراب بصفة فى ساقيه فتأمله ، فهذا من خفى علم التعبير ؛ لأنها كانت رؤيا وإن شئت كانت من باب الزجر والتوسم الصادق والاعتبار والفكر فى معالم حكمة الله، فهذا سعيد بن المسيب حين حدث بحديث البئر فى البستان ، وأن رسول الله ﷺ قعد على قفها[3]، ودلى رجليه فيها ، ثم جاء أبو بكر ففعل مثل ذلك، ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك ثم جاء عثمان فانتبذ منهم ناحية وقعد حجرة[4] قال سعيد بن المسيب : فأولت ذلك قبورهم اجتمعت قبور الثلاثة وانفرد قبر عثمان ، والله تعالى يقول: ﴿ **إن فى ذلك لآيات للمتوسمين**﴾[5]. فهذا من التوسم والفراسة الصادقة .

وأما قرية النمل : ففيها من المشاكلة والمناسبة أيضًا أن زمزم هى عين مكة التى

---

(١) سورة النحل : الآية (٦٦) .

(٢) من حديث ابن عباس ، كما فى البخارى ح (١٥٩٥) - فتح) .

(٣) قُف البئر : الدكة التى تجعل حولها . لسان العرب «قفف» .

(٤) أى : ناحية .

(٥) سورة الحجر : الآية (٧٥) .

يردها الحجيج والعمار من كل جانب فيحملون إليها البر والشعير وغير ذلك ، وهى لا تحرث ولا تزرع ؛ لقول إبراهيم : ﴿**إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع**﴾ . إلى قوله : ﴿ **وارزقهم من الثمرات** ﴾[(1)]. وقرية النمل كذلك لأن النمل لا يحرث ولا يبذر وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب ، وفى مكة قال تعالى : ﴿ **قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان** ﴾[(2)]. مع أن لفظ قرية مأخوذ من قَرَيْتُ الماء فى الحوض إذا جمعته . والرؤيا تعبر على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى ، فقد اجتمع اللفظ والمعنى فى هذا التأويل ، وقيل / [٦٨/ب] لعبد المطلب فى صفة زمزم : لا تنزف[(3)] أبدًا ولا تذم . وهذا برهان عظيم لأنها لم تنزف من ذلك الوقت إلى يومنا قط ، وقد وقع فيها حبشى فنزحت من أجله فوجدوا ماءها يثور من ثلاث أعين أقواها وأكثرها ماء عين من ناحية الحجر الأسود ، روى هذا الحديث الدارقطنى . وقوله : ولا تذم أى لا تعاب ولا تلفى مذمومة من قولك : أذممته إذا وجدته مذمومًا . وقيل : لايوجد ماؤها قليلاً من قولهم: بئر ذَمَّة إذا كانت قليلة الماء . ومنه حديث البراء فأتينا على بئر ذمَّة فنزلنا فيها أى قليلة الماء كذا قاله ابن الأثير[(4)]. وضعف السهيلى الوجه الأول وقال : قوله : ولا تذم فيه نظر وليس هو على ما يبدو من ظاهر اللفظ من أنها لا يذمها أحد ، فلو كان من الذم لكان ماؤها أعذب المياه ولتضلع منها كل من يشربه ، وقد تقدم فى الحديث أنه لا يتضلع منها المنافق فماؤها إذًا مذموم عندهم ، وقد كان خالد بن عبد الله القسرى أمير العراق يذمها ويسميها أم جعلان ، واحتفر بئرًا خارج مكة باسم الوليد بن عبد الملك ، وجعل يفضلها على زمزم ويحمل الناس على التبرك بها دون زمزم ، جراءة منه على الله تعالى وقلة حياء منه ، وهو الذى يفصح ويعلن بلعن على ﷺ على المنبر[(5)]. قال السهيلى : وإنما ذكرنا هذا ليعلم أنها قد ذمت قال : فقوله إذًا : لا تذم من قولهم بئر ذَمَّة أى قليلة الماء ، فهو من أذممت البئر إذا وجدتها ذمة كقولك : أكذبت الرجل إذا وجدته كاذبًا ، قال تعالى:

---

(١) سورة إبراهيم : الآية (٣٧) .

(٢) سورة النحل : الآية (١١٢) .

(٣) نزفت البئر : إذا نزح ماؤها كله .

(٤) النهاية (١٦٩/٢) ، والحديث الذى ذكره عن البراء أورده بسنده السهيلى فى الروض الأنف (١٧٠/١) ، وأخرجه أحمد فى المسند (٢٩٢/٤ ، ٢٩٧) ، والطبرانى الكبير (٢٦/٢) ، وقال فى المجمع (٣٠٠/٨) : هو فى الصحيح باختصار كثير فى غزوة الحديبية ، ورجاله رجال الصحيح .

(٥) الروض الأنف (١٧٠/١) .

﴿ **فإنهم لا يكذبونك** ﴾[1]. قال : فهذا أولى ما حمل عليه معنى قولـه : لا تـذم[2]. انتهى كلام السهيلى وهذا لفظه .

وقوله : ادعوا بالماء الروى غير الكـدر ، يقـال : ماء روى بـالقصر ، ورواء بـالفتح والمد. وقوله : يسقى حجيج اللـه فى كل مبر : هو مفعل من البر يريـد فـى مناسـك الحـج ومواضع الطاعة . وقوله : مثل نعام جافل لم يقسم : الجافل من /[٦٩/أ] جفلـت الغنـم إذا انقلعت بحملها ، ولم تقسم أى لم تتوزع ولم تتفرق . وقولـه : ليس يخاف منه شـىء ما عمر: أى ما عمر هذا الماء فإنه لا يؤذى ولا يخاف منـه ما يخـاف مـن المياه إذا أفـرط فـى شربها بل هو بركة على كل حال[3]. قال السهيلى : فعلى هـذا يجوز أن يحمـل قولـه : لا تنزف ولا تذم - أى لا تذم عاقبة شربها - وهذا تأويل سائغ أيضًا إلى ما قدمنا من التأويل وكلاهما صحيح فى صفتها[4]. انتهى .

وكان حفر عبد المطلب لها قبـل مولـد النبى ﷺ علـى ما ذكره ابـن إسحـاق فـى السيرة[5] عن على ، وفى تاريخ الأزرقى أن حفر [عبد][6] المطلـب لزمـزم كـان بعـد قصـة أصحاب الفيل[7] ، فعلى هذا يكون حفر [عبد][6] المطلب لها بعـد مولـد النبـى ﷺ واللـه أعلم .

ويروى أن أبا طالب عم النبى ﷺ عالج زمزم ، وكان النبـى ﷺ ينقـل فـى علاجـه الحجارة وهو غلام[8] رواه البزار فى مسنده بإسناد ضعيف .

[فصل]

ذكر علاج زمزم فى الإسلام

قال الأزرقى : كان قد قل ماؤها جـدًّا حتى كانت تجم[9] فـى سنة ثلاث وعشرين

---

(١) سورة الأنعام : الآية (٣٣) .

(٢) الروض الأنف (١/١٧٠) .

(٣) الروض الأنف (١/١٧١ ، ١٧٢) .

(٤) الروض الأنف (١/١٧٢) .

(٥) لعله يقصد ما تقدم من حديث حفر البئر ففيه أن عبد المطلب كان معه ابنه الحارث ولم يكن له ولـدٌ غيره ، وعليه فتكون هذه الحادثة قبل مولد النبى ﷺ يقينًا . واللـه أعلم . وراجع السيرة (١/١٩٤).

(٦) ليست فى الأصل ، والصواب إثباتها . واللـه أعلم .

(٧) لعله يشير بذلك إلى رواية الزهرى المرسلة ، راجع تاريخ مكة (٢/٤٢) .

(٨) أخرجه الـبزار ، كمـا فـى كشـف الأسـتار (٢/٤٥) عـن ابـن عبـاس ، وقـال الهيثمـى فـى المجمـع (٣/٢٨٧) : وفيه النضر أبو عمر وهو متروك .

(٩) تجم - يقال : جمت البئر : تراجع ماؤها بعد الأخذ منها . المعجم الوسيط .

وأربع وعشرين ومائتين ، فضرب فيها تسع[1] أذرع سحًّا في الأرض في تقوير[2] جانبها ، ثم جاء الله بالأمطار والسيول في سنة خمس وعشرين ومائتين فكثر ماؤها ، وكان سالم ابن الجراح قد ضرب فيها في خلافة هارون الرشيد أذرعًا وضرب فيها في خلافة المهدى ، وكان عمر بن ماهان قد ضرب فيها ، وكان ماؤها قد قل حتى كان رجل يقال له : محمد ابن مشير من أهل الطائف يعمل فيها فقال : أنا صليت في قعرها[3]. انتهى كلامه . وأما العيون التى في قعرها فثلاث كما تقدم ؛ عين حذاء الركن الأسود ، وعين حذاء الصفا وأبى قبيس ، وعين حذاء المروة[4] .

[فصل]

ذكر فضل زمزم وخواصها

قد تقدم في باب الفضائل الأحاديث / [٦٩/ب] الواردة فى فضائلها منها : أن ماءها لما شرب له[5] كما ثبت في الأحاديث الصحيحة ، وقد شربه جماعة من العلماء والصالحين «لمقاصد»[6] جليلة وحوائج جزيلة فنالوها ، من ذلك أن «الإمام الشافعى»[6] رضي الله عنه شربه للعلم فكان فيه غاية وللرمى فكان يصيب العشرة من العشرة والتسعة من العشرة[7] ، ومن ذلك ما حكاه القرطبى عن أبى عبد الله محمد بن على الترمذى عن أبيه

---

(١) كذا في الأصل ، والصواب «تسعة» . والله أعلم .

(٢) تقوير : توسيع . المعجم الوسيط .

(٣) تاريخ مكة (٦١/٢) .

(٤) أى كما نقله سابقًا عن السهيلى فى الروض (١٧٠/١) ، وراجع أخبار مكة للفاكهى (٧٤/٢)، وتاريخ مكة للأزرقى (٦١/٢) .

(٥) أخرجه ابن ماجه : كتاب المناسك - باب الشرب من زمزم ح (٣٠٦٢) ، وأحمد فى المسند (٣٥٧/٣) عن جابر بلفظ «ماء زمزم لما شرب له» ، وأحمد فى المسند كذلك (٣٧٢/٣) بلفظ «... لما شرب منه» ، وأخبار مكة للفاكهى (٢٧/٢) باللفظين ، وتاريخ مكة للأزرقى (٥٢/٢) باللفظ الأول ، والحديث قال عنه السخاوى فى المقاصد برقم (٩٢٨) : سنده ضعيف . اهـ . ثم ذكر له شواهد ، وحسن ما قاله الحافظ ابن حجر فى حديث معاوية أنه لما شرب له ، فإن الحافظ قال عنه : أنه حسن مع كونه موقوفًا . اهـ ، ويشهد له كذلك حديث أبى ذر رفعه فى مسلم أنه طعام طعم ، زاد الطيالسى «وشفاء سقم» ، وقد صححه كما قال السخاوى ابن عيينة ، والدمياطى والمنذرى . وبالجملة فقد جربه جماعة من الكبار وذكروا أنه صح . اهـ . ما ذكره السخاوى ملخصًا ببعض التصرف ، وراجع الجامع اللطيف (ص ٢٦١ - ٢٦٣) فإنه مفيد . والله أعلم .

(٦) طمس بالأصل ، ولعلها هكذا . والله أعلم .

(٧) راجع الجامع اللطيف (ص ٢٦٦) .

قال : دخلت الطواف في ليلة مظلمة فأخذني التبول فأشغلني فجعلت اعتصر حتى آذاني ، وخفت إن خرجت من المسجد أن أطأ بعض تلك الأقذار وذلك أيام الحاج ، فذكرت الحديث وهو أنه لما شرب له ، فدخلت زمزم فتضلعت منه فذهب عني إلى الصباح . ومن ذلك أن رجلاً شرب سويقًا فيه إبرة وهو لا يشعر بها ، فاعترضت في حلقه وصار لا يقدر يطبق فمه وكاد يموت ، فأمره بعض الناس بشرب ماء زمزم وأن يسأل الله تعالى فيه الشفاء ، فشرب منه شيئًا بجهد وجلس عند إسطوانة من المسجد الحرام فغلبته عيناه فنام وانتبه وهو لا يحس من الإبرة شيئًا وليس به بأس[(١)]. هذا ملخص ما ذكره الفاكهي في فضائل مكة .

ومن ذلك أن أحمد بن عبد الله الشريفي الفراش بالحرم الشريف المكي شربه للشفاء من العمى فشفي[(٢)]. ولا التفات إلى ما ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وأن حديث : «ماء زمزم لما شرب له» . موضوع[(٣)] بل قد صح من طرق لما قد ذكرناه في باب الفضائل ، وأما حديث «الباذنجان لما أكل له» . فهو حديث موضوع كما ذكره ابن قيم الجوزية[(٤)]. ومن فضائله : أنه لا يتضلع منه المنافقون[(٥)]. «وأن آية ما بيننا وبينهم هو التضلع»[(٦)]. ومنها: أن من شرب منه حرم الله جسده على النار . ومنها : أن الله تعالى يرفع المياه العذبة قبل يوم القيامة غير زمزم وتغور المياه غير زمزم قاله الضحاك بن مزاحم[(٧)]. ومنها : / [٧٠/أ] أن النظر إليها عبادة[(٨)]. ومنها : أنها طعام طعم وشفاء سقم ، يؤيده قضية

---

(١) أخبار مكة للفاكهي (٣٥/٢) عن أحمد بن محمد بن حمزة بن واصل عن أبيه أو عن غيره من أهل مكة ، والجامع اللطيف (ص ٢٦٤ ، ٢٦٥) .

(٢) الجامع اللطيف (ص ٢٦٥) .

(٣) ذكره في الجامع اللطيف (ص ٢٦٧) .

(٤) كما في المنار المنيف (ص ٥٤) .

(٥) تاريخ مكة للأزرقي (٥٢/٢) عن ابن عباس مرفوعًا بلفظ «التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق» وعن غيره نحوه .

(٦) أخرجه ابن ماجة : كتاب المناسك - باب الشرب من زمزم (٣٠٦١) عن ابن عباس مرفوعًا «إن آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم» قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٣٤/٣) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ، رواه الدارقطني في سننه ، والحاكم في المستدرك ... ورواه البيهقي في سننه الكبرى عن الحاكم فذكره . اهـ . وراجع أخبار مكة للفاكهي (٢٨/٢) ، والجامع اللطيف (ص ٢٦٢) .

(٧) تاريخ مكة للأزرقي (٥٩/٢) ، وأخبار مكة للفاكهي (٦٧/٢) .

(٨) أخبار مكة للفاكهي (٤١/٢) عن مكحول مرسلاً ، والجامع اللطيف (ص ٢٦٣) .

إسلام أبي ذر الثابتة في الصحيح وأنه أقام شهرًا بمكة لا قوت له إلا ماء زمزم فسمن حتى تكسرت عكن بطنه[1]، وكان أهل الجاهلية يغدون بعيالهم فيشربون منها فيكون صبوحًا لهم وكانوا يُعدونها عونًا على العيال وكانت تسمى شباعة[2]. وعن عكرمة بن خالد قال : بينما أنا ذات ليلة في جوف الليل عند زمزم إذا بنفر يطوفون عليهم ثياب بيض لم أر بياض ثيابهم لشيء قط ، فلما فرغوا صلوا قريبًا مني فالتفت بعضهم فقال لأصحابه : اذهبوا بنا نشرب من شرب الأبرار . قال : فقاموا فدخلوا زمزم فقلت : والله لو دخلت على القوم فسألتهم ، فقمت فدخلت فإذا ليس فيها أحد من البشر[3]. وعن رباح مولى لآل الأخنس أنه قال : أعتقني أهلي فدخلت من البادية إلى مكة فأصابني فيها جوع شديد حتى كنت أكوم الحصباء ثم أضع كبدي عليه قال : فقمت ذات ليلة إلى زمزم فنزعت فشربت لبنًا كأنه لبن غنم مستوخمة أنفاسًا – وفي رواية : مكثت ثلاثة أيام لا أجد شيئًا آكله فأتيت زمزم فبركت على ركبتي مخافة أن أسقي وأنا قائم فيرفعني الدلو من الجهد فجعلت أنزع قليلاً قليلاً حتى أخرجت الدلو فشربت ، فإذا أنا بصريف اللبن بين ثناياي ، فقلت : لعلي ناعس فضربت بالماء على وجهي وانطلقت وأنا أجد قوة اللبن وشبعه . والصريف : اللبن ساعة يصرف عن الضرع[4]. وعن عبد العزيز بن أبي رواد أن راعيًا كان يرعى وكان من العُبّاد فكان إذا ظمئ وجد فيها لبنًا وإذا أراد أن يتوضأ وجد فيها ماء[5].ومنها : «**أن الاطلاع فيها يحط الأوزار والخطايا**». رواه الفاكهي[6] عن النبي ﷺ مرسلاً من رواية مكحول – وفي رواية أخرى : الطهور / [٧٠/ب] منها يحبط الخطايا . ومنها : أنه خير ماء على وجه الأرض[7] كما رُوي عن النبي ﷺ في الحديث المتقدم في الفضائل، كيف

---

(١) أخرجه مسلم : كتاب فضائل الصحابة – باب من فضائل أبي ذر ح (٢٤٧٣) ، وأحمد في المسند (٥/١٧٤ ، ١٧٥) وفيهما أنه «طعام طعم» ، وليس فيهما «شفاء سقم» بل هو زيادة عند أبي داود الطيالسي (٤٥٧) ، وراجع تاريخ مكة للأزرقي (٢/٥٠ ، ٥٣) عن أبي ذر وغيره ، وأخبار مكة للفاكهي (٢/٣٧) .

(٢) راجع تاريخ مكة للأزرقي (٢/٥١ ، ٥٢) ، وأخبار مكة للفاكهي (٢/٣٦) .

(٣) تاريخ مكة للأزرقي (٢/٥١) .

(٤) راجع تاريخ مكة للأزرقي (٢/٥٣ ، ٥٤) ، وأخبار مكة للفاكهي (٢/٣٨ ، ٣٩) .

(٥) تاريخ مكة للأزرقي (٢/٥٤) ، وأخبار مكة للفاكهي (٢/٣٩) .

(٦) أخبار مكة (٢/٤١) .

(٧) أخبار مكة للفاكهي (٢/٤١) عن ابن عباس ، والطبراني الكبير (١١/٩٨) وقال في المجمع (٣/٢٨٦) ورجاله ثقات وصححه ابن حبان . اهـ . وهو في الطبراني الأوسط كذلك برقم (٣٩١٢) ، (٨١٢٩) .

وقد اختص بأن غسل منه بطن سيدنا رسول الله ﷺ على ماثبت فى الصحيحين[1] فى حديث المعراج بعد البعثة ، وفى ذلك دليل على فضيلة ماء زمزم على غيره من المياه إذ غسل منه هذا المحل الجليل فى هذا الموطن الرفيع .

قال ابن أبى جمرة لقائل أن يقول : لِمَ لم يغسل بماء الجنة الذى هو أطيب وأبْرك ؟ والجواب : أنه لو غسل بماء الجنة دون استقراره بالأرض لم يبق لأمته أثر بركته ، فلما غسل بماء زمزم وهو مما استقر من ماء السماء بالأرض على ما قاله ابن عباس فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون** ﴾[2]. فقال : كل ما فى الأرض إنما هو مما ينزل من السماء . وقد جاء فى الأثر: أن ما من مطر ينزل إلا وفيه مزاج من الجنة أو بعضه مع زوائد .

فوائد جمة ؛ منها : ما ذكرناه من إبقاء البركة للأمة . ومنها : أنه خص مقره بهذه الأرض المباركة . ومنها : أنه خص به الأصل المبارك وهو إسماعيل - عليه السلام - ومنها: أنه خص بما لم يخص به غيره من المياه بأن جعل فيه لهاجر أم إسماعيل - عليه الصلاة والسلام - غذاءً ، فكان يغنيها عن الطعام والشراب . ومنها : أن ظهوره كان بواسطة الأمين جبريل - عليه السلام - فكان أصلاً مباركًا فى مقر مبارك بواسطة فعل أمين مبارك، فاختص به هذا السيد المبارك فكان ذلك زيادة له فى التشريف والتعظيم ، والله تعالى يفضل من يشاء من مخلوقاته حيوانًا كان أو جمادًا ، فجاء بالحكمة العجيبة فى الملة الجليلة ملة إبراهيم بالمقال ، وفى الماء ملك إسماعيل بلسان الحال . انتهى كلامه .

وهل المراد بالبطن الذى غسل بزمزم البطن نفسه أو ما فى البطن وهو القلب ؟ قال ابن أبى جمرة : الظاهر أن المراد القلب ؛ لأنه جاء فى / [٧١/أ] رواية أخرى ذكر القلب ولم يذكر البطن . وقال : و يمكن الجمع بينهما بأن يقال : أخبر ﷺ مرة بغسل البطن و لم يتعرض لذكر القلب ، وأخبر مرة بغسل القلب و لم يتعرض لذكر البطن ، فيكون الغسل قد حصل فيهما جميعًا معًا مبالغة فى تنظيف المحل . انتهى .

وكان الشيخ سراج الدين البلقينى فيما يُحكى عنه يفتى بأن ماء زمزم أفضل من ماء الكوثر[3]. ويذكر أن السلطان صلاح الدين أبا المظفر يوسف بن أيوب كان إذا عاد من

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب بدء الخلق - باب ذكر الملائكة ح (٣٢٠٧ - فتح) وكذلك ح (٣٨٨٧ - فتح) ، ومسلم : كتاب الإيمان - باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ح (١٦٤) عن مالك بن صعصعة مرفوعًا .

(٢) سورة المؤمنون : الآية (١٨) .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص ٢٦٨) .

الغزو نفض ثيابه من غبار الغزو على نطع وأمر من يجمعه ، وأن ذلك الغبار عجن بماء زمزم وجعل لبنة لطيفة وجعلت تحت رأسه فى قبره .

ومن خواص ماء زمزم أنها لم تنزف من ذلك الوقت إلى يومنا هذا ولم يذم . ومنها: أنه يبرد الحمى كما رويناه عن النبى ﷺ[1] فى باب الفضائل ومنها : أنه يذهب بالصداع كما ذكره الضحاك بن مزاحم[2]. ومنها : أنه يفضل مياه الأرض كلها طبًا وشرعًا كما ذكره بدر الدين الصاحب المصرى فى تأليفه «نقل الكرام وهدية دار السلام» ، وأنشد لنفسه أبياتًا حسنة فى مدح ماء زمزم . ومنها : أن الاطلاع فيها يجلو البصر كما ذكره الطحاوى. ومنها : أن ماءها يحلو ليلة النصف من شعبان ويطيب على ما ذكره ابن الحاج المالكى فى منسكه . قال الضحاك بن مزاحم : بلغنى أنه سيأتى عليها زمان تكون أعذب من النيل والفرات[3].

قال أبو محمد الخزاعى : وقد رأينا ذلك فى سنة إحدى وثمانين ومائتين وذلك أنه أصاب مكة أمطار كثيرة فسال واديها بأسيال عظام فى سنة تسع وسبعين ، وسنة [و][4] ثمانين ومائتين فكثر ماء زمزم وارتفع حتى قارب رأسها ، فلم يكن بينه وبين شفتها العليا إلا سبع[5] أذرع أو نحوها ، وما رأيتها قط كذلك ولا سمعت من يذكر أنه رآها كذلك ، وعذبت جدًا حتى كان ماؤها أعذب من مياه مكة التى يشربها أهلها / [٧١/ب] ، وكنت أنا وكثير من أهل مكة نختار الشرب منها لعزوبته وإنا رأيناه أعزب من مياه العيون[6]. ومنها : أنه يكثر فى ليلة النصف من شعبان فى كل سنة بحيث إن البئر يغص بالماء على ما قيل ، لكن لا يشاهد هذا إلا الأولياء ، وممن شاهد ذلك الشيخ الصالح أبو الحسن على المعروف بكرباج على ما نقله بعضهم عن الشيخ فخر الدين النورى عنه[7]. ومنها : أن من حثى على رأسه ثلاث حثيات منها لم تصبه ذلة أبدًا على ما وجد فى كتاب

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند (٢٩١/١) ، وابن أبى شيبة (٤٣٩/٧) وصحيح ابن حبان (٤٣٢/١٣) وأخبار مكة للفاكهى (٢٨/٢) ، والحديث أخرجه البخارى : كتاب بدء الخلق - باب صفة النار وأنها مخلوقة ح(٣٢٦١ - فتح) وفيه «فأبردوها بالماء أو قال بماء زمزم» شك همام (الراوى عن أبى جمرة) .ا هـ . والحديث من رواية أبى جمرة عن ابن عباس .

(٢) أخبار مكة للأزرقى (٥٤/٢) .

(٣) أخبار مكة للأزرقى (٥٤/٢) ، والجامع اللطيف (ص ٢٦٩) .

(٤) الصواب حذفها . والله أعلم .

(٥) كذا فى الأصل ، والصواب «سبعة» . والله أعلم .

(٦) أخبار مكة للأزرقى (٥٤/٢) .

(٧) الجامع اللطيف (ص ٢٦٩) .

الروم كما ذكره الفاكهى بسنده عن بعض ملوك الروم[1]. ومنها : أن ماءها يعظم فى الموسم ويكثر كثرة خارقة لعادة الآبار كما ذكره ابن عطية فى «التفسير» . وتقدم فى باب الفضائل وفى الباب العاشر تمام ما يتعلق بزمزم من فضائلها وآداب شربها ، وثبت أن النبى ﷺ عام حجة الوداع جاء زمزم فقال : «**ناولونى دلوًا . فناولوه فشرب منها ثم مضمض فمج فى الدلو ثم أمر بما فى الدلو فأفرغ فى البئر**»[2]. قال مسعر : مَجَّ فى الدلو مسكًا أو أطيب من المسك .

[فصل]

ذكر ذرع بئر زمزم

قال الأزرقى : كان ذرع زمزم من أعلاها إلى أسفلها ستين ذراعًا ، ثم قل ماؤها حتى كانت تجم ، فضرب فيها تسع[3] أذرع سحًّا فى الأرض فى تقوير جوانبها ، قال : فغورها من رأسها إلى الجبل أربعون ذراعًا ذلك كله بنيان ، وما بقى فهو جبل منقور وهو تسعة وعشرون ذراعًا ، قال : وذرع حنك زمزم فى السماء ذراعان وشبر ، وذرع تدوير فم زمزم أحد عشر ذراعًا ، وسعة فم زمزم ثلاثة أذرع وثلثا ذراع ، وأول من عمل الرخام على زمزم وعلى الشباك وفرش أرضها بالرخام أمير المؤمنين أبو جعفر فى خلافته ثم عملها المهدى فى خلافته ثم غيرت فى خلافة أمير المؤمنين المعتصم بالله سنة عشرين ومائتين ، وكانت مكشوفة قبل ذلك إلا قبة صغيرة على موضع البئر[4]. وذكر الأزرقى فى تاريخه / [٧٢/أ] صفة ما كانت عليه زمزم وحجرتها وحوضها قبل أن تغير فى خلافة المعتصم بالله مما كان عمله المهدى فى خلافته[5]، ثم ذكر ما غير من عمل زمزم فى خلافة المعتصم بالله، وذرعها[6] إلى أن غيرت فى خلافة الواثق بالله فى سنة تسع وعشرين ومائتين[7] فمن أراد ذلك كله فلينظره ثمة . ومن الحجر الأسود إلى جدار الحجرة التى فيها بئر زمزم أحد وثلاثون ذراعًا بذراع القماش المتقدم ذكره ، وأما صفة الحجرة التى فيها بئر زمزم فى زماننا هذا فهو بيت مربع ، سقف فى جدرانه تسعة أحواض للماء تملأ من بئر زمزم يتوضأ

---

(١) أخبار مكة للفاكهى (٣٩/٢) ، والجامع اللطيف (ص٢٦٩ ، ٢٧٠) .

(٢) أخبار مكة للأزرقى (٥٧/٢) ، وأخبار مكة للفاكهى (٥٤/٢) عن عبد الجبار بن وائل عن أبيه ، ونحوه عن ابن عباس فى المسند (٣٧٢/١) ، وأخبار مكة للفاكهى (٥٥/٢) .

(٣) كذا فى الأصل ، والصواب «تسعة» .والله أعلم .

(٤) تاريخ مكة (٦١/٢) .

(٥) المصدر السابق (١٠٠/٢ ، ١٠١) .

(٦) المصدر السابق (١٠١/٢ ، ١٠٤) .

(٧) المصدر السابق (١٠٤/٢ - ١٠٦) .

الناس منها ، والخلوة التى إلى جانب هذه الحجرة مما يلى اليمن عملت على ما هى عليه اليوم فى سنة سبع وثمانمائة ، وكانت قبل ذلك على غير هذه الصفة ، وإنما بنيت على هذا الوضع الآن ؛ ليتوضأ الناس من الزبازيب التى عملت فى أسفلها .

[فصل]

ذكر سقاية العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه

هذه السقاية إلى الآن حجرة مربعة عليها قبة كبيرة ساترة لجميعها ، والقبة من آجر معقود بالنورة ، وفى أسفل جدرانها خلاء الجنوب شبابيك من حديد تشرف على المسجد الحرام ، فى كل جهة شباكان ، وفى جانبها الشمالى من خارجها حوضان من رخام مفردين ، وباب السقاية بينهما ، وفى هذه الحجرة بركة كبيرة تملأ من بئر زمزم يسكب الماء من البئر فى خشبة طويلة على صفة الميزاب متصلة بالجدار الشرقى فى حجرة زمزم ، ويجرى الماء منها إلى الجدار المذكور ثم إلى قناة تحت الأرض حتى تخرج فى البركة من فوارة فى وسطها ، وآخر وقت عُمرت فيه هذه السقاية سنة سبع وثمانمائة ، وسبب عمارتها فى هذه السنة سقوط القبة التى كانت على هذه السقاية وكانت من عمل الجواد ، وكلام الأزرقى[(١)] فى أصل هذه السقاية مخالف ما هى عليه الآن ، وقد ذكر الأزرقى ذرع ما بينها وبين الحجر الأسود وغير ذلك من جوانب المسجد .

[فصل]

ذكر حد / [٧٢/ب] المسجد الحرام وما يتعلق بالنوم والوضوء فيه وأول من أدار الصفوف حول الكعبة

عن أبى هريرة قال : إنا لنجد فى كتاب الله تعالى أن حد المسجد الحرام من الحزورة إلى المسعى[(٢)] . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : أساس المسجد الحرام الذى وضعه إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - من الحزورة إلى المسعى إلى مخرج سيل أجياد. قال : والمهدى وضع المسجد على المسعى[(٣)].وعن عطاء بن أبى رباح قال : المسجد الحرام الحرم كله[(٤)]. وأول من أدار الصفوف حول الكعبة خالد بن عبد الله القسرى[(٥)]، وكان الناس يقومون قيام شهر رمضان فى أعلى المسجد الحرام تركز حربة خلف المقام

---

(١) فى تاريخ مكة (١٠٤/٢ - ١٠٦) ، وأخبار مكة للفاكهى (٨٧/٢) .

(٢) تاريخ مكة للأزرقى (٦٢/٢) ،وأخبار مكة للفاكهى (٨٦/٢ ، ٨٧) .

(٣) نفس المصدر السابق .

(٤) تاريخ مكة للأزرقى (٦٢/٢) .

(٥) المصدر السابق (٦٥/٢) عن سفيان بن عيينة .

بربوة فيصلى الإمام خلف الحربة والناس وراءه ، فمن أراد صلى مع الإمام ومن أراد طاف وركع خلف المقام ، فلما ولى خالد بن عبد الله القسرى مكة لعبد الملك بن مروان وحضر شهر رمضان أمر خالد القراء أن يتقدموا فيصلوا خلف المقام وأدار الصفوف حول الكعبة ، وذلك أن الناس ضاق عليهم أعلى المسجد فأدارهم حول الكعبة فقيل لـه : يقطع الطواف لغير المكتوبة . قال : فأنا آمرهم يطوفون بين كل ترويحتين بسبع . فقيل له : إنه يكون فى مؤخر الكعبة وجوانبها من لا يعلم بانقضاء طواف الطائف من مصل وغيره فيتهيأ للصلاة . فأمر عبيد الكعبة أن يكبروا حول الكعبة يقولون : الحمد لله والله أكبر فإذا بلغوا الركن الأسود فى الطواف السادس سكتوا بين الركنين سكتة حتى يتهيأ الناس ممن فى الحجر ومن جوانب المسجد من مصل أوغيره فيعرفون ذلك بانقطاع التكبير ، ويصلى ويخفف المصلى صلاته ثم يعودون إلى التكبير حتى يفرغوا من السبع ، ويقوم مسمع فينادى الصلاة رحمكم الله . وكان عطاء وعمرو بن دينار ونظراؤهم من العلماء يرون ذلك ولا ينكرونه[(١)]. وعن ابن جريج قال : قلت لعطاء : إذا قل الناس فى المسجد / [٧٣/أ] الحرام أحب إليك أن يصلوا خلف المقام أو يكونوا صفًا واحدًا حول الكعبة ؟ قال : أن يكونوا صفًا واحدًا حول الكعبة . وتلا : ﴿ **وترى الملائكة حافين من حول العرش** ﴾[(٢)(٣)].وعنه قال : قلت لعطاء : أتكره النوم فى المسجد الحرام ؟ قال : بل أحبه[(٤)]. وعن عطاء أنه كان يتوضأ فى المسجد الحرام[(٥)]. روى ذلك كله الأزرقى .

[فصل]

ذكر ما كان عليه المسجد الحرام وسعته وعمارته إلى أن صار على ما هو عليه الآن

لما استخلف عمر بن الخطاب وكثر الناس ، وسع المسجد واشترى دُورًا واتخذ للمسجد جدارًا قصيرًا دون القامة وكانت المصابيح توضع عليه[(٦)] ، ثم اشترى عثمان فى خلافته دورًا وهدمها ووسعه بها وبنى المسجد والأروقة[(٧)]، ثم زاد فيه ابن الزبير زيادة

---

(١) المصدر السابق (٢/٦٥ ، ٦٦) عن عبد الرحمن بن حسن بن القاسم بن عقبة الأزرقى عن أبيه .

(٢) سورة الزمر : الآية (٧٥) .

(٣) تاريخ مكة للأزرقى (٢/٦٦) .

(٤) المصدر السابق (٢/٦٨) .

(٥) المصدر السابق (٢/٦٨) .

(٦) تاريخ مكة للأزرقى (٢/٦٨ ، ٦٩) عن ابن جريج ، وأخبار مكة للفاكهى (٢/١٥٧ ، ١٥٨) عن محمد بن عمر الواقدى .

(٧) تاريخ مكة للأزرقى (٢/٦٩) عن ابن جريج ، وأخبار مكة للفاكهى (٢/١٥٨) عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان .

كبيرة ثم عمّره عبد الملك بن مروان ولم يزد فيه لكن رفع جداره وسقفه بالساج وعمّره عمارة حسنة ، ثم زاد فيه الوليد بن عبد الملك وحمل إليه أعمدة الرخام ، ثم زاد فيه أبو جعفر المنصور ، ثم زاد فيه المهدى بعده مرتين الزيادة الأولى سنة ستين ومائة والثانية سنة سبع وستين إلى سنة تسع وستين ومائة وفيها مات المهدى ، وكانت الكعبة فى جانب فأحب أن تكون متوسطة فاشترى من الناس الدور ووسطها واستقر الحال على ذلك إلى وقتنا هذا[١] .

[فصل]
ذكر عمل عمر بن الخطاب وعثمان – رضى الله عنهما –

عن ابن جريج قال : كان المسجد الحرام ليس عليه جدران محيطة ، إنما كانت الدور محدقة به من كل جانب غير أن بين الدور أبوابًا يدخل منها الناس من كل نواحيه ، فضاق على الناس فاشترى عمر بن الخطاب ﷺ دورًا فهدمها وهدم على «قرب»[٢] من المسجد ، وأبى بعضهم أن يأخذ الثمن وتمنع من البيع ، فوضعت أثمانها فى خزانة الكعبة حتى أخذوها بعدُ ، ثم أحاط عليه جدارًا قصيرًا ، ثم كثر الناس فى زمان عثمان بن عفان ﷺ فوسع / [٧٣/ب] المسجد فاشترى من قوم وأبى آخرون أن يبيعوا فهدم عليهم فصيحوا به، فدعاهم فقال : إنما جرأكم علىّ حلمى عنكم فقد فعل بكم عمر هذا فلم يصح به أحد، فأحدثت على مثاله فصحتم بى . ثم أمر بهم إلى الحبس حتى كلمه فيهم عبد الله ابن خالد بن أسيد[٣] .

[فصل]
ذكر بنيان ابن الزبير وعبد الملك بن مروان

قال الأزرقى : كان المسجد الحرام محاطًا بجدار قصير غير مسقف ، إنما يجلس الناس حول المسجد بالغداة والعشى يتبعون الأفياء فإذا قلص الظل قامت المجالس[٤]، فزاد ابن الزبير فى المسجد الحرام واشترى من الناس دورًا وأدخلها فى المسجد ، وكان قد انتهى بالمسجد إلى أن أشرعه على الوادى مما يلى الصفا والوادى يومئذ فى موضع المسجد اليوم ،

---

(١) راجع تاريخ مكة للأزرقى (٦٩/٢ – ٨١) ، وأخبار مكة للفاكهى (١٥٩/٢ -١٧٤) .
(٢) عند الأزرقى «من قرب» وهو أوضح . والله أعلم .
(٣) تاريخ مكة للأزرقى (٦٨/٢ ، ٦٩) ، وأخبار مكة للفاكهى (١٥٧/٢ ، ١٥٨) عن غير ابن جريج . وذكره عن الواقدى فى عمل عمر ، ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان فى عمل عثمان .
(٤) تاريخ مكة (٦٩/٢) عن جد الأزرقى ، وأخبار مكة للفاكهى (١٥٩/٢ ، ١٦٠) وذكر فيه زيادة ابن الزبير .

ووسع المسجد من جميع نواحيه ، وكانت دار الندوة يومئذ داخلة فى المسجد الحرام وبابها فى وسط الصحن ، ولم يزل باب دار الندوة فى موضعه حتى زاد أبو جعفر فى المسجد فأخره إلى ما هو عليه اليوم[1]. قال الأزرقى : وسمعت من يذكر أن ابن الزبير كان سقفه فلا أدرى كله أم بعضه ، ثم عمره عبد الملك بن مروان ولم يزد فيه ولكنه رفع جدرانه وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة[2]، كما ذكرنا ، وجعل فى رؤوس الأساطين خمسين مثقالاً من ذهب فى رأس كل إسطوانة[3]. قال الأزرقى : وذلك زمان ابن الزبير[4].

[فصل]

ذكر عمل الوليد بن عبد الملك

عمر الوليد بن عبد الملك بن مروان المسجد الحرام وكان إذا عمل المساجد زخرفها فنقض عمل عبد الملك وعمل عملاً محكمًا ، وهو أول من نقل إليه الأساطين الرخام وسقفه بالساج المزخرف ، وعلى رؤوس الأساطين الذهب على صفائح الشبه من الصفر ، وأزر المسجد بالرخام من داخله وجعل فى وجه الطيقان فى أعلاه الفسيفساء ، وهو أول من عمله فى المسجد الحرام وجعل للمسجد شرافات ، وكانت هذه عمارة الوليد بن عبد الملك[5] . / [٧٤/أ]

[فصل]

عمل أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور

لم يعمر المسجد الحرام بعد الوليد بن عبد الملك أحد من الخلفاء ولم يزد فيه شيئًا حتى كان أبو جعفر أمير المؤمنين ، فزاد فى شقه الشامى الذى فيه دار النخلة ودار الندوة فى أسفله ، ولم يزد عليه فى أعلاه ولا فى شقه الذى على الوادى ، فاشترى من الناس دورهم الملاصقة بالمسجد من أسفله حتى وضعه على منتهاه اليوم[6].

---

(١) تاريخ مكة للأزرقى (٦٩/٢ ، ٧٠) عن عبد الرحمن بن الحسن بن القاسم بن عقبة عن أبيه ، وما هنا مختصر .

(٢) تاريخ مكة للأزرقى (٧١/٢) .

(٣) تاريخ مكة للأزرقى (٧١/٢) عن سعيد بن فروة عن أبيه .

(٤) تاريخ مكة (٧١/٢) عن جد الأزرقى ، وقاله عقب قول زاذان بن فروخ : مسجد الكوفة تسعة أجربة ، ومسجد مكة تسعة أجربة وشيء . ا هـ .والأجربة - جمع جريب - قال الأزهرى : الجريب من الأرض مقدار معلوم الذراع والمساحة ، وهو عشرة أقفزة ، كل قفيز منها عشرة أعشراء ، فالعشير جزء من مائة جزء من الجريب . ا هـ . لسان العرب «جرب» .

(٥) تاريخ مكة للأزرقى (٧١/٢ ، ٧٢) عن جد الأزرقى .

(٦) المصدر السابق ، وأخبار مكة للفاكهى (١٦١/٢ ، ١٦٢) بنحوه .

[فصل]
ذكر زيادة المهدى الأولى

حج المهدى أمير المؤمنين سنة ستين ومائة فجرد الكعبة مما كان عليها من الثياب ، وأمر بعمارة المسجد الحرام وأمر أن يزاد فى أعلاه ، واشترى ما كان فى ذلك الموضع من الدور وأمر بأساطين الرخام فنقلت فى السفن من الشام حتى أنزلت بجدة ثم جرت على العجل من جدة إلى مكة وجعلت أساطين ، ولما وضعها حفر لها أرباضًا[١] على كل صف من الأساطين جدارًا مستقيمًا[٢] .

[فصل]
ذكر زيادة المهدى الثانية

ولما بنى المهدى المسجد الحرام وزاد الزيادة الأولى اتسع أعلاه وأسفله وشقه الذى يلى دار الندوة ، وضاق شقه اليمانى الذى يلى الصفا فكانت الكعبة فى شق المسجد ، وذلك أن الوادى كان داخلاً لاصقًا بالمسجد فى بطن المسجد اليوم ، وكانت الدور وبيوت من ورائه فى موضع الوادى اليوم ، وإنما كان يسلك من المسجد إلى الصفا فى بطن الوادى ثم يسلك فى زقاق ضيق حتى يخرج إلى الصفا من التفاف البيوت فيها بين الوادى والصفا ، وكان المسعى فى موضع المسجد الحرام اليوم ، فلما حج المهدى سنة أربع وستين ومائة ورأى الكعبة فى شق المسجد كره ذلك وأحب أن تكون متوسطة فى المسجد ، فدعى المهندسين فشاورهم فى ذلك فقدروا فى ذلك فإذا هو لا يستوى لهم من أجل الوادى والسيل وقالوا : إن وادى مكة له سيول جارفة وهو وادى حدور ، ونحن نخاف إن حولنا الوادى عن مكانه / [٧٤/ب] أن لا ينصرف لنا على ما نريد ؛ لأن وراءه من الدور والمساكن ما تكثر فيه المئونة ولعله أن لا يتم . فقال المهدى : لا بد لى أن أوسعه حتى أوسط الكعبة فى المسجد على كل حال ، ولو أنفقت فيه ما فى بيوت الأموال وعظمت فى ذلك نيته واشتدت رغبته فقدروا ذلك وهو حاضر ، ونصب الرماح على الدور من أول موضع الوادى إلى آخره ، ثم ذرعه من فوق الرماح حتى عرفوا ما يدخل فى المسجد من ذلك وما يكون للوادى فيه فلما نصبوا الرماح على جنبتى الوادى على ما يدخل فى المسجد من ذلك وزنوه مرة بعد مرة وقرروا ذلك ، ثم خرج المهدى إلى العراق وخلفوا الأموال فاشتروا من الناس دورهم وأرسل إلى الشام وإلى مصر فنقلت أساطين الرخام فى السفن حتى أنزلت

---

(١) أرباض – جمع رُبض – وهو أساس البناء . المعجم الوسيط .

(٢) تاريخ مكة للأزرقى (٧٤/٢ – ٧٨) وما ذكره هنا مختصرًا ، وأخبار مكة للفاكهى (١٦٥/٢ – ١٧١) بنحوه .

بجدة ثم نقلت على العجل من جدة إلى مكة ، ووضعوا أيديهم فهدموا الدور ، وبنوا المسجد منحدرًا حتى دخل دار أم هانئ بنت أبى طالب وكان عندها بئر جاهلية كان قصى حفرها فدخلت تلك البئر فى المسجد ، فحفر المهدى عوضًا عنها البئر التى على باب البقالين التى فى حدّ ركن المسجد الحرام اليوم - وتعرف هذه البئر اليوم ببئر حزورة[1]- ثم مضوا فى بنائه بأساطين الرخام وسقفه بالساج المذهب المنقوش حتى توفى المهدى سنة تسع وستين ومائة ، وقد انتهى إلى آخر منتهى أساطين الرخام من أسفل المسجد ، فاستخلف موسى أمير المؤمنين فبادروا اليوم[2] بإتمام المسجد وأسرعوا فى ذلك، وبنوا أساطينه بحجارة ثم طليت بالجص وعمل سقفه عملاً دون عمل المهدى فى الإحكام والحسن ، فهذا جميع ما عمر فى المسجد الحرام وأحدث فيه إلى اليوم[3].

[فصل]

ذكر ذرع المسجد الحرام

قال الأزرقى : ذرع المسجد الحرام مكسرًا مائة ألف ذراع ، وعشرون ألف ذراع، وذرع المسجد طولاً من باب بنى جمح إلى باب بنى هاشم الذى عنده / [٧٥/أ] العلم الأخضر مقابل دار العباس بن عبد المطلب أربعمائة ذراع وأربعة أذرع ، وعرضه من باب دار الندوة إلى الجدر الذى يلى الوادى عند باب الصفا ثلاثمائة ذراع وأربعمائة ذراع[4]. انتهى كلامه .

قال عز الدين بن جماعة : ومساحة المسجد الحرام ستة أفدنة ونصف وربع ، والفدان عشرة آلاف ذراع بذراع العمل المستعمل فى البنيان بمصر وهو ثلاثة أشبار تقريبًا.

[فصل]

ذكر عدد أساطين المسجد الحرام التى بالرواقات غير الزيادتين وغير الأساطين التى بصحن المسجد فى المسجد الحرام الآن غير الزيادتين وغير أساطين المطاف الشريف

أربعمائة إسطوانة وتسعة وستون إسطوانة فى جوانبه الأربعة ، وعلى أبواب المسجد من داخله وخارجه سبعة وعشرون إسطوانة ، فيصير الجميع أربعمائة إسطوانة وستة

---

(١) ليست هذه الجملة من كلام الأزرقى ، بل هى من كلام المصنف - رحمه الله - .

(٢) كذا فى الأصل ، والصواب «القوام» كما عند الأزرقى . والله أعلم .

(٣) تاريخ مكة للأزرقى (٢/٧٨ - ٨١) ، وأخبار مكة للفاكهى (٢/١٧١ - ١٧٥) وذكر عقبه عمارة أبى أحمد الموفق بالله فى المسجد الحرام وتفسيره .

(٤) تاريخ مكة (٢/٨١ ، ٨٢) ، والصواب «وأربعة أذرع» كما ذكره الأزرقى . والله أعلم .

وتسعين إسطوانة - بتقديم التاء على السين - وما ذكرناه يزيد على مـا ذكـره الأزرقـي[1] فى أساطين المسجد الحرام بعشرة أساطين ، وكل هذه الأساطين رخام ما عدا مائة إسطوانة وتسعة وعشرين إسطوانة فإنها حجارة منحوتة غالبها ، ومنها ثلاثة أساطين آجر بجصص ، وتقدم ذكر عدد الأساطين التى بصحن المسجد الحرام ، وأما عدد أساطين زيادة دار الندوة فستة وستون إسطوانة فى جوانبها الأربعة وكلها حجارة منحوتة ، وأما عدد أساطين زيادة باب إبراهيم فسبعة وعشرون إسطوانة حجارة منحوتة أيضًا ، وأمـا عـدد طاقـات المسجد الحرام وهى العقود التى على الأساطين بجوانبه الأربعة غير الزيادتين فأربعمائة طـاق وأربعـة وثمانون طاقًا ، وهذا يخالف ما ذكره الأزرقى[2] فى عدد طاقات المسجد الحـرام ، وكلامـه يقتضى أنها تزيد على ما ذكرناه أربعة عشـر طاقًـا ، وأمـا عـدد طاقـات زيـادة دار النـدوة فثمانية وستون طاقًا ، وأما عـدد طاقـات / [٧٥/ب] زيـادة بـاب إبراهيـم فستة وثلاثـون طاقًا، وأما عدد شرافات المسجد التى تلى بطن المسجد فهى أربعمائة وثلاثة عشر شـرافة ، وأما عدد قناديل المسجد الحرام الآن المرتبة فيه غالبًا فثلاثة وتسعون قنديـلاً - بتقديـم التـاء على السين - ويزاد فى القناديل فى شـهر رمضـان خصوصًـا فـى العشـر الآخـر منـه وفـى الموسم ، وعدد قناديل المسجد الحرام الآن وسلاسله تنقصُ كثيرًا عما ذكره الأزرقى[3] فـى قناديل المسجد ؛ لأنه ذكر أن فيـه مـن القنـاديل أربعمائـة قنديـل وخمسـة وستين قنديـلاً . انتهى.

[فصل]

ذكر عدد أبواب المسجد وأسمائها وصفتها

عدد أبوابه اليوم تسعة عشر بابًـا - بتقديـم التـاء علـى السـين - تنفتـح علـى ثمانيـة وثلاثين طاقًا - الأول : باب بنى شيبة ويقال له : باب السلام . وهو باب بنى عبـد شمس ابن عبد مناف وبهم كان يعرف فى الجاهلية والإسلام عند أهل مكة فيـه ثـلاث طاقـات .

قال الأزرقى : وهو الذى يدخل منه الخلفاء ، قال : وفى عتبـة هـذا البـاب حجـارة طوال مفروش بها العتبة . قال : سألت جدى عنها فقلت : أبلغك أن هذه الحجارة الطوال كانت أوثانًا فى الجاهلية تعبد ؟ فضحك. وقال: لا ، لعمرى ما كانت بأوثان ما يقول هذا

---

(١) فى تاريخ مكة (٨٢/٢) ، وكذلك فى أخبار مكة للفاكهى (١٨١/٢) ففيهما أن عددها أربعمائة وأربع وثمانون إسطوانة ، فتكون الزيادة اثنا عشر إسطوانة .

(٢) فى تاريخ مكة (٨٤/٢) ، وكذا أخبار مكة للفاكهى (١٨٥/٢) والذى ذكراه أن عددها أربعمائة طاقة وثمان وتسعون طاقة .

(٣) تاريخ مكة (٩٨/٢) .

إلا من لا علم له ، إنما هى حجارة كانت فضلت مما قلع القسرى لبِرْكته التى يقال لها بركة البردى بفم الثقبة ، وأصل ثبير كانت حول البركة مطروحة حتى نقلت حين بنى المهدى المسجد فوضعت حيث رأيت[1]. انتهى .

الثانى : باب النبى ﷺ ويعرف اليوم بباب الجنائز ، وإنما قيل لـه بـاب النبى ﷺ ؛ لأنه ﷺ كان يخرج منه إلى بيت خديجة - رضى الله عنها - وفيه طاقان[2].

الثالث : باب العباس بن عبد المطلب وعنده علم المسعى من خارج ، وفيه ثلاث طاقات[3]، وسماه صاحب النهاية وابن / [٧٦/أ] الحاج فى منسكه بـاب الجنائز ، ولعله كانت الجنائز يصلى عليها فيه ، ويؤيد ذلك ما ذكر الفاكهى أنـه يصلى على الجنائز فى باب بنى شيبة وباب العباس وباب الصفا قال : وكان الناس فيما مضى يصلون على الرجل المذكور فى المسجد الحرام[4]. انتهى . وأراد بالمذكور المشهور المعروف . وأما فى زماننا هذا فيصلى على الموتى جميعهم داخل المسجد الحرام ، وبعض علماء الحنفية جاور بمكة المشرفة وأوصى أن يصلى عليه عند باب الجنائز خارج المسجد فصلى عليه فيه ، والمشهور من الناس اليوم يصلى عليه عند باب الكعبة الشريفة ، ويُحكى أنهم كانوا يصلون عند باب الكعبة على الأشراف وقريش ، ورأيناهم فى زماننا يصلون عند باب الكعبة على غيرهم من الأعيان ، وبعض الناس نازع فى ذلك وزعم أنه لا يصلى عند باب الكعبة على غير الأشراف وقريش وأنه لا يخرج غيرهم ، وإن كان من العلماء والأعيان من باب بنى شيبة، وهذا شىء لم يرد به أثر . ولو قيل : بأولوية إخراج الميت من باب الجنائز لكان له وجه ؛ لكونه باب النبى ﷺ وطريقه إلى باب زوجته خديجة - رضى الله عنها - وأما ما يفعله الأشراف فى زماننا هذا من الطواف بالميت حول الكعبة الشريفة إسبوعًا فبدعة شنيعة قبيحة ، لم ينقل عن السلف الصالح فعلها ، ويجب على ولى الأمر - وفقه الله تعالى - إزالتها ؛ لأنه يكره إدخال الميت المسجد والصلاة عليه فيه ، بل يصلى عليه خارجه ، فضلاً عن الطواف به ، وأما الصلاة على الموتى عند باب الكعبة فكلام الفاكهى يقتضى أن آدم - عليه الصلاة والسلام - صُلى عليه عند باب الكعبة . انتهى . ومن لا يصلى عليه اليوم عند باب الكعبة يصلى عليه خلف مقام إبراهيم عند مقام الشافعى، والفقراء الطرحى يصلى عليهم عند باب الحزورة داخل المسجد الحرام / [٧٦/ب] أمام الرواق تجاه الركن

---

(١) تاريخ مكة (٢/٧٧ ، ٧٨) .

(٢) تاريخ مكة للأزرقى (٢/٨٧ ، ٨٨) ، وأخبار مكة للفاكهى (٢/١٨٩) .

(٣) تاريخ مكة للأزرقى (٢/٨٨) ، وأخبار مكة للفاكهى (٢/١٨٩) .

(٤) تاريخ مكة للأزرقى (٢/٩٧) ، وأخبار مكة للفاكهى (٢/٢٠٢) .

اليمانى ، والظاهر أن ذلك لكونه بقرب الموضع الذى يغسلون فيه وكونه أقرب إلى موضع دفنهم . والله أعلم .

الرابع : باب علىّ وفيه ثلاث طاقات[1] . وهذه الأبواب الأربعة فى الشق الذى يلى المسعى وهو الشرقى .

الخامس : باب بنى عائذة . ويقال له اليوم : باب بازان وفيه طاقان[2] .

السادس : باب بنى سفيان بن عبد الأسد[3] . ويقال له اليوم : باب البغلة وفيه طاقان ، وسماه صاحب النهاية باب الحناطين .

السابع : باب الصفا . قال الأزرقى : وكان يقال له باب بنى عدى بن كعب ، كانت دور بنى عدى ما بين الصفا إلى المسجد فتحولت بنو عدى إلى دور بنى سهم وباعوا رباعهم ومنازلهم هناك . ويقال له اليوم : باب بنى مخزوم[4] . انتهى . وفيه خمس طاقات .

الثامن : باب أجياد الصغير ، وفيه طاقان[5] .

التاسع : باب المجاهدية ، وفيه طاقان . ويقال له : باب الرحمة وهو من أبواب بنى مخزوم ، وكذا باب أجياد الصغير كما ذكره الأزرقى عنهما[6] .

العاشر : باب مدرسة الشريف عجلان بن رميثة ، وفيه طاقان . ويقال له : باب بنى تميم[7] . وسماه صاحب النهاية : باب العلافين .

الحادى عشر : باب أم هانئ بنت أبى طالب ، وفيه طاقان . وهذا الباب مما يلى دور بنى عبد شمس وبنى مخزوم[8] . ويقال لهذا الباب : باب الملاعنة . ويقال له : باب

---

(١) تاريخ مكة للأزرقى (٢/٨٨) وسماه باب بنى هاشم ، وأخبار مكة للفاكهى (٢/١٨٩ ، ١٩٠) ولم يذكر اسمه ، وهو الباب الخامس عندهما ، ولم يذكر المصنف بابًا فى نفس هذه الجهة كان يسمى «باب دار القوارير» وهو الباب الثانى عند الأزرقى والفاكهى . والله أعلم .

(٢) تاريخ مكة للأزرقى (٢/٨٨ ، ٨٩) ، وأخبار مكة للفاكهى (٢/١٩٠) .

(٣) تاريخ مكة للأزرقى (٢/٨٩) ، وأخبار مكة للفاكهى (٢/١٩٠) وسماه «باب أبى سفيان بن عبد الأسد» .

(٤) تاريخ مكة للأزرقى (٢/٨٩ ، ٩٠) ، وأخبار مكة للفاكهى (٢/١٩٠ ، ١٩١) .

(٥) تاريخ مكة للأزرقى (٢/٩٠) وقال هذا الباب من أبواب بنى مخزوم ، ولم يسميه بأجياد الصغير ، وكذلك فعل الفاكهى (٢/١٩٣) من أخبار مكة له .

(٦) تاريخ مكة (٢/٩٠) ، وكذلك الفاكهى فى أخبار مكة (٢/١٩٣ ، ١٩٤) .

(٧) تاريخ مكة للأزرقى (٢/٩٠) ، وأخبار مكة للفاكهى (٢/١٩٤) .

(٨) تاريخ مكة للأزرقى (٢/٩١) ، وأخبار مكة للفاكهى (٢/١٩٤) .

الفرج على ما وجد بخط الأقشهرى[١]. وسماه صاحب النهاية[٢] : باب أبى جهل . وهذه الأبواب السبعة فى الشق الذى يلى الوادى وهو الجانب اليمانى .

الثانى عشر : باب الحزورة وهو الذى تلى المنارة التى تلى أجياد الكبير ، وعامة مكة يسمونه باب عزورة بالعين ، وإنما هو بالحاء المهملة ، وفيه طاقان . قال الأزرقى : وهو يقال له : باب حكيم بن حزام وبنى الزبير بن العوام ، والغالب عليه باب الحزامية ؛ لأنه يلى خط الحزامى[٣].

الثالث عشر : باب إبراهيم ، وفيه طاقان واحد / [٧٧/أ] كبير . وذكر أبو عبيد البكرى أن إبراهيم المنسوب إليه هذا الباب هو خياط كان عنده على ما قيل[٤]. ونسبه سعد الدين الإسفرائينى فى كتاب «زبدة الأعمال» فقال : إبراهيم الأصبهانى . وبعضهم نسبه إلى إبراهيم الخليل عليه السلام[٥]. ولا وجه لخصوصيته دون الأبواب بالنسبة إليه . والله أعلم . قال الأزرقى : ويقال له : باب الخياطين[٦].

الرابع عشر : باب بنى سهم[٧] ويعرف اليوم بباب العمرة ، وفيه طاق واحد . وهذه الأبواب الثلاثة فى الجانب الغربى مما يلى خلف الكعبة .

الخامس عشر : باب السدة . وقال صاحب النهاية : باب سدة الرهوط . انتهى . ويقال له : باب عمرو بن العاص[٨]، وفيه طاقان واحد صغير .

السادس عشر : باب دار العجلة ، وفيه طاق واحد صغير[٩].

السابع عشر : باب دار الندوة ، وفيه طاق واحد[١٠].

الثامن عشر : باب زيادة دار الندوة . قال الأزرقى : وهو باب دار شيبة بن عثمان

---

(١) راجع الجامع اللطيف (ص ٢١٨ ، ٢١٩) .

(٢) لعل المصنف يقصد «ابن الأثير» صاحب الكامل فى التاريخ ، وهو أخو صاحب النهاية . والله أعلم .

(٣) تاريخ مكة (٩١/٢) ، وأخبار مكة للفاكهى (١٩٤/٢ ، ١٩٥) .

(٤) فى كتاب «المسالك والممالك» كما نقله الفاسى عنه وقال : إن العوام نسبوه إليه . راجع الجامع اللطيف (ص ٢١٨) .

(٥) وقع للحافظ أبى القاسم ابن عساكر وابن جبير وغيرهما من العلماء ، راجع الجامع اللطيف (ص ٢١٨) قال وهو بعيد لا وجه له . والله أعلم .

(٦) تاريخ مكة (٩٢/٢) ، وأخبار مكة للفاكهى (١٩٥/٢) .

(٧) تاريخ مكة للأزرقى (٩٣/٢) ، وأخبار مكة للفاكهى (١٩٦/٢) .

(٨) تاريخ مكة للأزرقى (٩٣/٢) ، وأخبار مكة للفاكهى (١٩٦/٢ ، ١٩٧) .

(٩) الأزرقى (٩٣/٢) ، والفاكهى (١٩٧/٢) .

(١٠) المصدرين السابقين .

يسلك منه إلى السويقة ، وفيه طاقان[1] .

التاسع عشر : باب الدريبة ، وفيه طاق واحد صغير[2] . وهذه الأبواب الخمسة فى الجانب الشامى مما يلى الحطيم فهذه جملة أبواب الحرم الآن ، وأسماؤها وصفاتها .

[فصل]

ذكر منارات المسجد الحرام وما وضع فيه لمصلحة المسجد الحرام الآن

خمس منائر منها أربعة فى أركانه ، وواحدة فى زيادة دار الندوة . وقال ابن جبير : إنه كان للمسجد الحرام سبع منائر عد منها هذه الخمس ، ثم قال : وأخرى على باب الصفا وهى أصغرها وهى علم لباب الصفا وليس يصعد إليها لضيقها ، قال : وعلى باب إبراهيم صومعَة . انتهى . وهذه الصومعة باقية إلى الآن لكن أعلاها منهدم ، وعمّر أبو جعفر المنصور من منائر المسجد الحرام منارة باب العمرة[3]، وعمّر ابنه المهدى المنارة التى على باب بنى شيبة والتى على باب علىّ والتى على باب الحزورة[4]، وعمّر الوزير الجواد[5] منارة باب العمرة فى سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، ويُذكر أنه / [٧٧/ب] عمر منائر المسجد الحرام ، وعمرت منارة الحزورة فى دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر بعد سقوطها فى سنة إحدى وسبعين ، وفرغ من عمارتها فى المحرم سنة اثنين وسبعين وسبعمائة. وعمرت منارة باب بنى شيبة فى دولة الملك الناصر فرج صاحب مصر بعد سقوطها فى سنة تسع وثمانمائة[6] وعمرت فى سنة عشر وفى التى بعدها ، وجاءت عمارتها حسنة البناء . وذكر الفاكهى[7] منائر المسجد الحرام الأربع التى بأركانه الأربع وبدأ فى ذكرها بمنارة باب بنى سهم ، قال : وفيها يؤذن صاحب الوقت بمكة ، وثنى بمنارة باب الحزورة قال : وفيها يسحر المؤذن فى شهر رمضان ، وثلث بمنارة باب علىّ ، وختم بمنارة بنى شيبة . انتهى . وهى الآن منارة صاحب الوقت خلافًا لما ذكره الفاكهى[8] ،

---

(١) تاريخ مكة للأزرقى (٢/٩٤) ، وأخبار مكة للفاكهى (٢/١٩٧) .

(٢) الجامع اللطيف (ص ٢١٧) .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص ٢٠٥) .

(٤) المصدر السابق .

(٥) هو جمال الدين محمد بن على الأصفهانى ، وزير صاحب الموصل . راجع الجامع اللطيف (ص ٢٠٥) .

(٦) راجع الجامع اللطيف (ص ٢٠٥) .

(٧) أخبار مكة (٢/٢٠٢ - ٢٠٣) ، وراجع الأزرقى (٢/٩٧ ، ٩٨) .

(٨) فى أخبار مكة (٢/٢٠٣) أن المنارة التى تلى باب بنى سهم ، هى التى يؤذن بها صاحب الوقت ، ومراده بصاحب الوقت : رئيس المؤذنين ، وما ذكره المصنف هو ما ذكره الفاسى فى شفاء الغرام .

وفى جميع منائر المسجد الحرام الخمس يسحر المؤذنون فى شهر رمضان الآن ، وكلام الفاكهى كما قدمناه يقتضى أن المؤذن كان يسحر فى منارة باب الحزورة فقط ، وذكر أيضًا أنه كان يؤذن على منارة كبيرة عمرت فى رؤوس جبال مكة وظاهرها ، منها فى أبى قبيس أربع منارات ، ومنها فى الجبل الأحمر المقابل له منارتان ، ومنها فى العُلق منارة . وقد ذكر الفاكهى(١) بأوضح من هذا . وفى أبى قبيس وغيره من الجبال التى ذكرناها يسحر بعض الناس فى شهر رمضان ويؤذن ، ومما وضع فى المسجد الحرام وبُنى فيه لمصلحته قبة كبيرة بين زمزم وسقاية العباس ﷺ وعمرت فى زمن الناصر العباسى وكانت موجودة من قبل كما ذكره ابن عبد ربه فى العقد .

[فصل]

ومن ذلك المنابر التى يخطب عليها

وأول من خطب على منبر بمكة معاوية بن أبى سفيان - رحمه الله - قدم به من الشام سنة حج فى خلافته ، وهو منبر صغير على ثلاث درجات ، وكانت الخلفاء والولاة قبل ذلك يخطبون يوم الجمعة على أرجلهم قيامًا فى وجه الكعبة وفى الحجر ، وكان ذلك المنبر الذى / [٧٨/أ] جاء به معاوية ربما خرب فيعمر ولا يزاد فيه ، ولم يزل يخطب عليه حتى حج هارون الرشيد فى خلافته ، وموسى بن عيسى عامل له على مصر فأهدى له منبرًا عظيمًا فى تسع درجات منقوشًا فكان منبر مكة ، ثم أخذ منبر مكة القديم فجعل بعرفة حتى أراد الواثق بالله الحج فكتب ، فعمل له ثلاثة منابر : منبر بمكة ، ومنبر بمنى ، ومنبر بعرفة . هذا ما ذكره الأزرقى(٢) من خبر المنابر . وذكر الفاكهى ذلك(٣) وزاد : أن المنتصر بن المتوكل العباسى لما حج فى خلافة أبيه جعل له منبر عظيم ، فخطب عليه بمكة ، ثم خرج وخلفه بها(٤) . انتهى . ثم جعل بعد ذلك عدة منابر للمسجد الحرام ؛ منها : منبر عمله وزير المقتدر العباسى وكان منبرًا عظيمًا استقام بألف دينار ولما وصل إلى مكة أحرق؛ لأنه كان بعث به ليخطب عليه للخليفة المقتدى فمنعَ من ذلك المصريون ، وخطبوا للمنتصر العبيدى صاحب مصر وأحرقوا المنبر المذكور ، ومنها : منبر عمل فى دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر فى سنة ست وستين وسبعمائة ، ومنها منبر بعث به الملك الظاهر برقوق صاحب مصر فى سنة سبع وتسعين وسبعمائة وهو باق يخطب عليه الخطباء

---

(١) راجع أخبار مكة (٨٧/٢ ، ٨٨) .

(٢) تاريخ مكة (٩٩/٢ ، ١٠٠) عن عبد الرحمن بن حسن عن أبيه .

(٣) أخبار مكة (٥٨/٣ - ٦٢) .

(٤) المصدر السابق (٦٢/٣) .

إلى الآن ، وأصلح بعد وصوله إلى مكة غير مرة .

[فصل]

ومن ذلك المقامات[1] التى هى الآن بالمسجد الحرام .

أما صفتها فإنها غير مقام الحنفى إسطوانتان من حجارة ، عليها عقد يشرف من أعلاه ، وفيه خشبة معترضة فيها خطاطيف للقناديل ، وما بين الإسطوانتين من مقام الشافعي لا بناء فيه ، وما بينهما من مقام المالكى والحنبلى مبنى بحجارة مبيضة بالنورة ، وفى وسط هذا البناء محراب ، وكان عمل هذه المقامات على هذه الصفة فى سنة سبع وثمانمائة لتبقى زمانًا طويلاً . وأما صفة مقام الحنفى الآن : فأربع أساطين من حجارة منحوتة عليها سقف مدهون مزخرف بالذهب واللازورد ، / [٧٨/ب] وأعلى السقف مما يلى السماء مدكوك بالآجر مطلى بالنورة ، وبين الإسطوانتين المتقدمتين بناء فيه محراب مرخم ، وكان ابتداء عمله على هذه الصفة فى شوال أو فى ذى القعدة من سنة إحدى وثمانمائة ، وفرغ منه فى أوائل سنة اثنين وثمانمائة . وكان بعض الناس أنكر عمله على هذه الصفة ، وأفتى بهدمه جماعة ممن عاصرناه[2] من علماء مصر ، وأفتى بعض علماء الحنفية بجواز بنائه وإبقائه على حاله وعدم تغييره ؛ لأن ذلك من باب التمكين لإقامة الصلاة وفيه مصلحة عظيمة لأهل المسجد ، وهى دفع الحر والبرد والمطر ، وإذا كان هذا سبيله فإنه يجوز إحداثه فى المسجد ، يؤيد ذلك ما ذكره قاضى خان فى الديَات فى فضل ما يُحدَث فى المسجد أن كل مسلم مندوب إلى عمارة المسجد ، وإلى ما كان من باب التمكين لإقامة الصلاة . انتهى .

قال الشيخ عز الدين بن فهد فى حاشيته على تاريخ الفاسى : رأيت بخط والدى ما صورته : أفتى جماعة من الحنفية من أهل العلم بجواز بنائه ؛ لما فيه من النفع لعامة المسلمين من الاستظلال من الشمس والاستكفاف من البرد ودفع المطر ، وأن حكمه كالأروقة والأساطين الكائنة بالمسجد الحرام ، وقد أخرب سقف مقام الحنفية الأمير سُودون المحمدى فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة ، وعمره أتقن مما كان ووضع عليه من أعلاه قبة من خشب زوج مبيضة بالجص ليس لها أثر من داخل سقف المقام ، وزاده فرشًا بحجارة حمر رخوة تعرف بحجارة الماء ، ولم يكن هذا الفرش فيه ولا فى غيره من المقامات فيما تقدم ، وهذا

---

(١) ذكر هذه المقامات ابن ظهيرة فى الجامع اللطيف (ص ٢٠٩) .

(٢) منهم الشيخ العلامة زين الدين الفارسكوى الشافعي ، وألف فيه تأليفًا حسنًا ، والشيخ سراج الدين البلقينى ، وولده الإمام العلامة قاضى القضاة بالديار المصرية شيخ الإسلام جلال الدين وكان إذ ذاك متوليًا ، وباقى القضاة ، وأفتوا بهدم هذا المقام وتعزير من أفتى بجواز بنائه على هذه الصفة . ذكره الفاسى ، ونقله عنه فى الجامع اللطيف (ص ٢٠٩) فراجعه .

الفرش مستعل عن الأرض وله إزار مرتخ عليه من الحجارة الصلبة السود المنحوتة ، تدور على المقام من الجوانب الثلاثة فإن الجانب القبلى فيه جدر المحراب ، ثم فى سنة ثمان وخمسين وثمانمائة كشط ناظر المسجد الحرام الأمير طوعان دهان سقف المقام المذكور / [٧٩/أ] وزخرفه أحسن من زخرفته الأولى(١). انتهى .

قال الشيخ المذكور : والذى أفتى بجواز بنائه على هذه الصفة قاضى مكة الشهاب ابن الضياء هكذا أخبرنى والدى رحمه الله .

وأما مواضعها من المسجد الحرام : فإن مقام الشافعى خلف مقام إبراهيم - عليه السلام - والحنفى بين الركن الشامى والغربى مما يلى الحطيم ، والمالكى بين الركن الغربى واليمانى ، والحنبلى تجاه الحجر الأسود(٢).

وأما كيفية الصلاة بهذه المقامات فإنهم يصلون مرتين(٣) الشافعى ثم الحنفى ثم المالكى ثم الحنبلى(٤). وكلام ابن جبير يقتضى أن المالكى كان يصلى قبل الحنفى ، ثم تقدم عليه الحنفى من بعد سنة تسعين وسبعمائة ، واضطرب كلام ابن جبير فى الحنفى والحنبلى؛ لأنه ذكر ما يقتضى أن كلاً منهما يصلى قبل الآخر(٥). وهذا كله فى غير صلاة المغرب . أما فيها فإنهم يصلونها جميعًا فى وقت واحد ثم بطل ذلك فى موسم سنة إحدى عشرة وثمانمائة بأمر الملك الناصر(٦)، وصار الشافعى يصلى بالناس المغرب وحده ، واستمر ذلك إلى أن ورد أمر الملك المؤيد أبى النصر شيخ صاحب مصر بأن يصلى الأئمة الثلاثة المغرب ، كما كانوا يصلون قبل ذلك ففعلوا ذلك ، وأول وقت فعل فيه ذلك ليلة السادس من ذى الحجة سنة «ست عشرة»(٧) وثمانمائة ، وكذلك تجتمع الأئمة الثلاثة غير الشافعى على صلاة العشاء فى شهر رمضان فى وقت واحد ، ويجتمع أيضًا الأئمة الأربعة المذكورون وغيرهم من الأئمة الصغار والكبار بالمسجد الحرام فى صلاة التراويح فى حاشية المطاف وغيرها من المسجد ، وتعلو أصوات الأئمة والمكبرين خلفهم فيتشوش بذلك الطائفون والمصلون ،

---

(١) راجع الجامع اللطيف (ص ٢٠٩ ، ٢١٠) وقد أرخ ما حصل بعد ذلك حتى سنة تسعة وأربعين وتسعمائة .

(٢) الجامع اللطيف (ص ٢١٤ ، ٢١٥) .

(٣) كذا فى الأصل ، والصواب «مرتبين» كما فى الجامع اللطيف . والله أعلم .

(٤) الجامع اللطيف (ص ٢١٣) .

(٥) ذكره الفاسى ، وراجع الجامع اللطيف (ص ٢١٤) .

(٦) هو الملك الناصر فرج بن برقوق الجركسى صاحب مصر . كما فى الجامع اللطيف (ص ٢١٤) . والله أعلم .

(٧) فى الجامع اللطيف «عشر» والله أعلم .

فيحصل للمصلين خلفهم لبس كبير بسبب الْتباس أصوات المبلغين واختلاف حركات المصلين ، ومع ذلك يكثر اللغط واللغو وأحاديث الدنيا من المستمعين غير المصلين ، / [٧٩/ب] ويجتمعون بذلك أمام كل إمام حلقًا حلقًا وأفواجًا مستدبرين القبلة متوجهين إلى الإمام ، ويختلط الرجال بالنساء متزينات متعطرات فيزداد التشويش على الطائفين ، وقل من يحصل له حضور فى طواف أو غيره مع اجتماع مثل ذلك الجمع العظيم ، ويعظم ذلك فى العشر الأخر من رمضان ليالى الختم فيجتمع فيها الجم العظيم من الرجال والنساء والصبيان ، ويهرع إليها الأعراب وأهل البوادى والأودية من قرى شتى خصوصًا ليلة الخامس والعشرين والسابع والعشرين من رمضان ، وبعد الفراغ من الختم يصعد صغير على منبر والجم الغفير تحته ، ويخطب ويعظهم بصوت عال ، بحيث يبلغ الطائفين ويشوش عليهم ويجلس فى الخطبة جلسات ، ويقرأ القراء الجالسون تحته عقيب كل جلسة عشرًا من القرآن بأصوات عالية وألحان متنوعة ، ويحصل فى تلك الليالى الفتن بين الرجال والنساء ، وكل هذه بدع شنيعة ومنكرات قبيحة - وفق الله ولى الأمر لإزالتها ، وأثاب المتسبب فى إطفاء رسومها[١] .

وفى صلاة التراويح خلف الصبيان اختلاف ، قال مشائخ العراق وبعض مشائخ بلخ: لا تجوز . وقال غيرهم : تجوز[٢] . وعن نصر بن يحيى أنه سئل عنها قال : تجوز إذا كان ابن عشر سنين . وقال السرخسى : الصحيح أنها لا تجوز ؛ لأنه غير مخاطب وصلاته ليست بصحيحة على الحقيقة ، فلا تجوز إمامته كإمامة المجنون ، أما إذا أَمَّ الصبى الصبيان فإنه يجوز ؛ لأن صلاة الإمام مثل صلاة المقتدى . وقال القرطبى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **فى بيوت أذن الله أن ترفع** ﴾[٣] . قال العلماء : يستحب أن ينور البيت الذى يقرأ فيه القرآن بتعليق القناديل ونصب الشموع ويزاد فى شهر رمضان فى أنوار المساجد[٤] . انتهى .

وأما حكم صلاة الأئمة الثلاثة الحنفى والمالكى والحنبلى فى المكتوبات / [٨٠/أ] على الصفة التى ذكرناها : فاجتمع أصحابنا على أن المسجد إذا صلى فيه جماعة بعد جماعة بغير أذان ثان فإنه يباح كذا ذكره شارح الجمع ؛ لأنه قال : قال أصحابنا : المسجد إذا

---

(١) وقد استجاب الله تعالى دعوة المصنف ، وأخمدت هذه البدع والمنكرات القبيحة . ولله الحمد والمنة .

(٢) راجع المبسوط (١٤٩/٢) .

(٣) سورة النور : الآية (٣٦) .

(٤) (٢٧٥/١٢) .

كان له إمام معلوم وجماعة معلومون فى محلة خاصة ، فصلى فيه أهله جماعة لا يباح تكرار الجماعة فيه بأذان ثان وإقامة ثانية . وقال الشافعى : مباح ذلك . قال : والتقييد بالمسجد المختص بالمحلة احتراز من الشارع ، والأذان الثانى احتراز عما إذا صلى فى مسجد المحلة جماعة بغير أذان ثان حيث يباح إجماعًا . انتهى . وعن أبى سعيد أن رجلاً دخل المسجد وقد صلى رسول الله ﷺ بأصحابه فقال رسول الله ﷺ : «**من يتصدق على هذا فيصلى معه ؟**» فقام رجل من القوم فصلى معه[1]. رواه أحمد وأبو داود والترمذى وحسنه . قال الترمذى : وهو قول غير واحد من أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ وغيرهم من التابعين ، وقالوا : لا بأس أن يصلى القوم جماعة فى مسجد قد صلى فيه جماعة وبه يقول أحمد وإسحاق[2]. وأما وقت حدوثهم فلم يعرف تحقيقه وقد ذكر أن الحنفى والمالكى كانا موجودين فى عام «سبعة»[3] وتسعين وأربعمائة ، وأما الحنبلى فلم يكن موجودًا فيها ، وقد ذكر أن الحنبلى كان موجودًا فى عشر الأربعين وخمسمائة[4]. ولما حج مرجان خادم المقتفى العباسى قلع الحطيم الذى للحنابلة بمكة وأبطل إمامتهم بها على ما ذكر سبط ابن الجوزى فى «المرآة» وذكر أنه كان يقول : قصدى أن أقلع مذهب الحنابلة .

[فصل]

ذكر درج الصفا والمروة

قال الأزرقى : كانت الصفا والمروة [ ][5] يستند فيهما من سعى بينهما ، ولم يكن بينهما بناء ولا درج حتى كان عبد الصمد بن على فى خلافة أبى جعفر المنصور فبنى درجهما / [٨٠/ب] التى هى اليوم درجهما ، فكان أول من أحدث بناءهما ثم كحل بعد ذلك بالنورة فى خلافة المأمون[6].

(١) أخرجه أحمد فى المسند (٣/٥ ، ٤٥ ، ٦٤) ، وأبو داود : كتاب الصلاة - باب [فى] الجمع فى المسجد مرتين - ح (٥٤٧) ، والترمذى : أبواب الصلاة - باب ما جاء فى الجماعة فى مسجد قد صلى فيه مرة - ح(٢٢٠) .

(٢) سنن الترمذى (٤٢٩/١ ، ٤٣٠) .

(٣) كذا فى الأصل ، والصواب «سبع» . والله أعلم . وراجع الجامع اللطيف (ص ٢١٤) .

(٤) الجامع اللطيف (ص ٢١٤) .

(٥) كلمة غير واضحة فى الأصل ، والسياق يتم بدونها ، كما فى أخبار مكة للأزرقى . والله أعلم .

(٦) أخبار مكة (١٢٠/٢) عن جد الأزرقى وهو أحمد بن محمد .

[فصل]

ذكر آيات البيت الحرام زاده الله تشريفًا وتعظيمًا

تقدم في باب الفضائل ذكر أشياء من آيات الكعبة الشريفة مجملة ونذكر جملة الآيات هنا مفصلة . فنقول : من آياتها : الحجر الأسود وما روى فيه «أنه من الجنة» ، وما أشربت قلوب العالم من تعظيمه قبل الإسلام . ومنها : بقاء بنائها الموجود الآن ولا يبقى هذه المدة غيرها من البنيان على ما يذكره المهندسون ، وإنما بقاؤها آية من آيات الله تعالى- وهذا معلوم ضرورة ؛ لأن الرياح والأمطار إذا تواترت على مكان خرب ، والكعبة المعظمة ما زالت الرياح العاصفة والأمطار العظيمة تتوالى عليها منذ بنيت إلى تاريخه وذلك سبعمائة سنة وتسعة وأربعون سنة ، ولم يحدث فيها بحمد الله تعالى تغير في بنائها ولا خلل ، وغاية ما حدث فيها انكسار فلقة من الركن اليماني وتحرك البيت مرارًا وذلك في سنة اثنين وتسعين وخمسمائة ، كما ذكره أبو شامة في «الذيل» وذكر ابن الأثير[1] والمؤيد صاحب حماه في أخبار سنة خمس عشرة وخمسمائة : أن الركن اليماني تضعضع فيها . وذكر صاحب «المرآة» أن في سنة سبع عشرة وأربعمائة شعب البيت الحرام . وذكر أبو عبيد البكري : أن في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة انكسرت من الركن اليماني فلقة قدر إصبع . ولا تزال الكعبة الشريفة باقية إلى أن يأتي أمر الله وقضاؤه بتخريب الحبشي لها في آخر الزمان . ومنها : على ما قاله الجاحظ : إنه لا يرى البيت الحرام أحد ممن لم يكن رآه إلا ضحك أو بكى[2]. ومنها : وقع هيبتها في القلوب . ومنها : كف الجبابرة عنها مدى الدهر . ومنها : إذعان نفوس العرب وغيرهم قاطبة لتوقير هذه البقعة دون ناه ولا زاجر[3] ذكره ابن عطية . ومنها : كونها بواد غير ذي زرع ، والأرزاق / [٨١/أ] من كل قطر تجيء إليها عن قرب وعن بعد . ومنها : الأمنة الثابتة فيها على قديم الدهر ، وأن العرب كانت يغير بعضها على بعض ويتخطف الناس بالقتل وأخذ الأموال وأنواع الظلم إلا في الحرم ، وابتنى على هذا أمن الحيوان فيه وسلامة الشجر ، وذلك كله للبركة التي خصها الله بها وللدعوة من الخليل - عليه السلام - في قوله : ﴿ **اجعل هذا بلدًا آمنًا** ﴾[4]. والعرب تقول : آمن من حمام مكة . تضرب المثل بها في الأمن ؛ لأنها لا تهاج

---

(١) الكامل (٣٠٤/٨) .

(٢) الجامع اللطيف (ص ٥١) .

(٣) الجامع اللطيف (ص ٥٠) .

(٤) سورة البقرة : الآية (١٢٦) .

ولا تضاد[1]. وحكى النقاش عن بعض العباد قال : كنت أطوف حول الكعبة ليلاً فقلت : يا رب إنك قلت : ﴿ **ومن دخله كان آمنًا** ﴾[2]. فمما ذا هو آمن يا رب ؟ فسمعت ملكًا يكلمنى وهو يقول : من النار . فنظرت وتأملت فما كان فى المكان أحد[3]. ومنها : حجر المقام وذلك أنه قام عليه إبراهيم – عليه السلام – وقت رفعه القواعد من البيت لما طال البناء ، فكلما علا الجدار ارتفع الحجر به فى الهَوْى ، فما زال يبنى وهو قائم عليه وإسماعيل يناوله الحجارة والطين حتى أكمل الجدار ، ثم إن اللـه تعالى لما أراد [إبقاء][4] ذلك آية للعالمين لين الحجر فغرقت فيه قدما إبراهيم – عليه السلام – كأنها فى طين ، فذلك الأثر العظيم باق فى الحجر إلى اليوم ، وقد نقلت كافة العرب ذلك فى الجاهلية على مرور الأعصار كذا[5] قاله ابن عطية . وقال أبو طالب : وموطئ إبراهيم فى الصخر ، «وطئه» على قدميه حافيًا غير ناعل . وما حُفِظ أن أحدًا من الناس نازع فى هذا القول . وقال الزمخشرى فى قوله تعالى : ﴿**فيه آيات بينات مقام إبراهيم** ﴾[6] : إن فى مقام إبراهيم آيات كثيرة وهى أثر قدميه الشريفة فى الصخرة الصماء وإبداؤه دون سائر آيات الأنبياء – عليهم السلام – وحفظه مع كثرة أعدائه من المشركين ألوف سنة[7]. انتهى .

ومنها : أن الفرقة من الطير من / [٨١/ب] الحمام وغيره يقبل حتى إذا كادت أن تبلغ الكعبة انفرقت فرقتين ، فلم يعل ظهرها شىء منها . ذكره الجاحظ[8] وأبو عبيد البكرى . وذكر مكى أن الطير لا يعلوه وإن علاه طير فإنما ذلك لمرض به فهو يستشفى بالبيت[9]. انتهى . وأنشد فى ذلك :

والطير لا يعلو على أركانها ∴ إلا إذا أضحى بها متألمًا[10]

وقال ابن عطية : وهذا عندى ضعيف ، والطير يعاين أنها تعلوه ، وقد علاه العقاب

---

(١) راجع الجامع اللطيف (ص ٥٠ ، ٥١) .

(٢) سورة آل عمران : الآية (٩٧) .

(٣) الجامع اللطيف (ص ٥١) .

(٤) طمس بالأصل ، ولعلها هكذا . والله أعلم .

(٥) راجع أخبار مكة للأزرقى (٢/٣٠) ، وتفسير ابن كثير (١/١٧٠) .

(٦) سورة آل عمران : الآية (٩٧) .

(٧) الكشاف (١/٢٠٤) .

(٨) راجع الجامع اللطيف (ص ٥٨) .

(٩) المصدر السابق ، ونقله عن جمع من العلماء منهم العز بن جماعة .

(١٠) المصدر السابق .

الذى أخذ الحية المشرفة على جداره وتلك كانت من آياته[1]. انتهى .

قال التوربشتى فى «شرح المصابيح» : ولقد شاهدت من كرامة البيت المبارك أيام مجاورتى بمكة أن الطير كان لا يمر فوقه ، وكنت كثيرًا أتدبر تحليق الطير فى ذلك الجو ، فأجدها مجتنبة عن محاذاة البيت ، وربما انقضت من الجو حتى تدانت فطافت به مرارًا ثم ارتفعت ، ثم قال : ومن آيات الله البينة فى كرامة البيت أن حمامات الحرم إذا نهضت للطيران طافت حوله مرارًا من غير أن تعلوه ، فإذا وقفت عن الطيران وقعت على شرفات المسجد أو على بعض الأسطحة التى حول المسجد ، ولا تقع على ظهر البيت مع خلوها عما ينفرها ، وقد كنا نرى الحمامة إذا مرضت وتساقط ريشها وتناثر ترتفع من الأرض حتى إذا دنت من ظهر البيت ألقت بنفسها على الميزاب أو على طرف ركن من الأركان [فتبقى به][2] زمانًا طويلاً [حائمة][3] كهيئة المتخشع لا حراك فيها ثم تنصرف منها بعد حين من غير أن تعلو شيئًا من سقف البيت[4]. قال [بعض حجابه][3]: قد تدبرتها كرة بعد أخرى فلم [تختلف فيه كما][5] قال سواه :

[كانت][6] الطير [ممنوعة][4] عن استعلاء البيت بالطبع ، فلا غرو أن يكون الإنسان ممنوعًا عنه بالشرع كرامة للبيت . انتهى كلامه .

ومنها : أن مفتاح الكعبة إذا وضع فى فم الصغير الذى / [٨٢/أ] ثقل لسانه عن الكلام يتكلم سريعًا بقدرة الله تعالى ذكر ذلك الفاكهى[7] ، وذكر أن المكيين يفعلونه . انتهى . وهو يفعل فى عصرنا هذا . ومنها : أنه لا يجيء سيل من الجبل فيدخل الحرم ، وإنما يخرج من الحرم إلى الحل ، وإذا انتهى سيل الحل إلى الحرم وقف و لم يدخل فيه ، ولا يدخل الحرم إلا سيل الحرم . وقال الأزرقى : ولا يسيل واد من الحل فى الحرم إلا من موضع واحد عند التنعيم عند بيوت غفار[8].

---

(١) راجع الجامع اللطيف (ص ٥٨ ، ٥٩) ، وفى هذا القول طمس بالأصل ، وقد أصلحناه من الجامع اللطيف وكذلك تفسير ابن عطية (٣/١٦٧) . ولله الحمد .

(٢) غير واضحة فى الأصل ، وهى هكذا فى الجامع اللطيف . والله أعلم .

(٣) لعلها هكذا فى الأصل ، وليست فى الجامع اللطيف ، والسياق يتم بدونها . والله أعلم .

(٤) راجع الجامع اللطيف (ص ٥٩ ، ٦٠) ، وقد كان فى الأصل طمس كثير فأتممناه منه . ولله الحمد.

(٥) غير واضحة فى الأصل لكثرة السواد ، ولعلها هكذا . والله أعلم .

(٦) طمس فى الأصل ، ولعلها هكذا . والله أعلم .

(٧) راجع الجامع اللطيف (ص ٤٩) ونقل عنه قوله : إن ذلك مجرب .

(٨) تاريخ مكة (٢/١٣٠) ، وفى الأصل طمس ببعض الكلمات ، وأصلحناه من الأزرقى .

ومن آيات البيت والحرم : ائتلاف الظباء والسباع فيه حتى أن الظبى يجتمع مع الكلب فى الحرم فإذا خرجا منه تنافرا . ويتبع الجارح للصيد فى الحل فإذا دخل الحرم تركه ذكره القرطبى وغيره[١]. وقد تقدم فى الفضائل أن الحيتان الكبار لم تأكل الصغار زمن الطوفان فى الحرم [تعظيمًا له][٢]. ومنها : فيما ذكر الناس قديمًا وحديثًا أن المطر إذا كان ناحية الركن اليمانى كان الخصب باليمن ، وإذا كان ناحية الركن الشامى كان الخصب بالشام ، وإذا هبط المطر من جوانبه الأربع فى العام الواحد أخصبت آفاق الأرض، وإن لم يصب جانبًا منه لم يخصب ذلك الأفق الذى يليه فى ذلك العام ذكر ذلك القرطبى[٣] وابن عطية وغيرهما . ومنها : [تعجيل الانتقام][٤] لمن عتى فيه . من ذلك قصة الرجل الذى كان فى الطواف فبرز له ساعد امرأة ، فوضع ساعده على ساعدها متلذذًا به فلصق ساعداهما[٥] ، وقصة إساف لما فجر بنائلة فى البيت فمسخا حجرين[٦]. وقصة المرأة التى جاءت إلى البيت تعوذ به من ظالم فمد يده إليها فصار أشل[٧]. وقصة الرجل الذى سالت عينه على خده من نظره إلى شخص فى الطواف استحسنه[٥]. وقد تقدم كل ذلك فى الرقائق، ومن أعظم ذلك أمر تبع[٨]. وما جرى لأصحاب الفيل ورمى طير الله عنه بحجارة السجيل[٩]، وذلك أمر لم يختلف كافة[١٠] العرب فى نقله وصحته إلى أن أنزله الله فى كتابه . / [٨٢/ب] ومنها : أن الكعبة تفتح بحضرة الجم الغفير من الناس ، فيدخلها الجميع متزاحمين فيسعهم بقدرة الله تعالى ، ولم يعلم أن أحدًا مات فيها من الزحام إلا سنة إحدى

---

(١) راجع تفسير القرطبى (١٣٩/٤) ، وفى الأصل طمس ببعض الكلمات .

(٢) طمس بالأصل ، ولعله هكذا . والله أعلم ، وراجع أخبار مكة للأزرقى (١٣٢/٢) عن أبى نجيح .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص ٦٠) ، وتفسير القرطبى (١٣٩/٤) .

(٤) فى الأصل طمس ، وأصلحناه من الجامع اللطيف (ص ٥٧) و لله الحمد .

(٥) راجع الجامع اللطيف (ص ٥٧) ، وبقية القصة : فقال له بعض الصالحين : ارجع إلى المكان الذى فعلت فيه فعاهد رب البيت أن لا تعود بإخلاص وصدق نية ، ففعل فخلى عنه ، وانفصل ساعده .

(٦) راجع الجامع اللطيف (ص ٥٧) وقد تقدمت قصتهما .

(٧) المصدر السابق .

(٨) راجع الجامع اللطيف (ص ٥١ – ٥٣) وقد تقدمت قصته .

(٩) راجع الجامع اللطيف (ص ٥٥ – ٥٧) وقد تقدمت قصته .

(١٠) كافة : لا تستعمل مضافة ولا بالألف واللام . راجع تهذيب الأسماء واللغات (١١٦/٣ ، ١١٧) والقاموس المحيط (١٠٩٨) ، وعن بعضهم أنه قليل . والله أعلم .

وثمانين وخمسمائة مات فيها أربعة وثلاثون نفرًا[1]. قال ابن النقاش : والكعبة تسعُ ألف إنسان وإذا انفتح الباب فى أيام الموسم دخلها آلاف كثيرة[2]. انتهى . فعلى هذا الكعبة تتسع كما ورد أن منى تتسع كاتساع الرحم[3] وهى إحدى آياتها المتقدمة فى باب الفضائل . والثانية : إمحاق حصى الجمار على كثرة الرمى وطول الزمان . والثالثة : امتناع تخطى الطير الدور المشرفة بمنى على الجدران وغيرها وهى محروسة بحراسة القادر المقتدر . والرابعة : امتناع وقوع الذباب على الطعام فى أيام منى «على كل الزبل»[4] ونحوه مما يجمع الذباب فيحوم عليه فى «السماء»[4] ولا يقع فيه وقد تقدم ذلك كله فى الفضائل .ومنها : أن الماء لم يعلها زمن الطوفان ولكنه أقام حولها . ومنها : طواف سفينة نوح بالبيت أربعين يومًا كما ذكر ابن الجوزى[5] ، أو طاف بالبيت أسبوعًا كما ذكر القرطبى .

وذكر الثعلبى فى «العرائس» : أنها طافت بالحرم أسبوعًا[6] كما تقدم ذلك فى الفضائل .

ومنها : أن جبال مكة متماثلة برؤوسها كالسجود للكعبة يرى هذا مَن يسير قاله ابن النقاش . قال : وفوقها جبال من ذهب وفضة وكنوز وجواهر وربما يكشف عن بعضها. ومنها : على ما قال ابن النقاش أيضًا : إن الكعبة تزاد فى طولها فى أوقات الصلوات ونصف الليل وليالى الأعياد ، ويوم عرفة يعطى الناس نور ، قال : ويخيل للواحد إذا كان فوقها كأنه فوق العالم كله وأنه قريب من السماء ، قال : وتحت القواعد مجمرة من النور كشف عنها مرة فسطع النور فى الحرم ، قال : وتحت الحرم مجوف ، قال : والطيب بمكة أطيب منه فى سائر الآفاق ، وظلال مكة أطيب من سائر الظلال ، والبركات فيها أعم وأشيع / [٨٣/أ] وتجىء إليها ثمرات كل شىء ، قال : والبدر ليلة أربعة عشر

---

(١) راجع الجامع اللطيف (ص ٥٧ ، ٥٨) وفيه أنهم كانوا : أربع وثمانون نفرًا . فالله أعلم .

(٢) راجع الجامع اللطيف (ص ٥٨) .

(٣) نقلها فى الجامع اللطيف (ص ٥٨) عن جده ، وفى أخبار مكة للأزرقى (١٧٩/٢) عن ابن عباس وفى الطبرانى الصغير والأوسط عن أبى الدرداء مرفوعًا نحوه ، قال الهيثمى فى المجمع (٢٦٥/٣) : وفيه من لم أعرفه .

(٤) فى الأصل طمس ، ولعله ما أثبتناه . والله أعلم .

(٥) فى مثير الغرام (ص ٣٠٩) عن ابن عباس ، وكذا الأزرقى (٥٢/١) .

(٦) العرائس (ص ٥٦) ، وقال الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية – تعقيبًا على القول بأن السفينة طافت به أربعين يومًا أو نحو ذلك – : ولكن كل هذه الأخبار عن بنى إسرائيل ، وقد قررنا أنها لا تصدق ولا تكذب ، فلا يحتج بها ، فأما إن ردها الحق فهى مردودة . ا هـ . وقد ذكر قبل ذلك أنه لم يجئ فى خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنيًا قبل الخليل عليه السلام .

ليس فيه سواد أحسن ما يكون وفيه كتابة ببياض ، والشمس يوم عرفة من جدد النظر إليها رأى لها نورًا آخر وفيها كتابة بيضاء . انتهى كلامه .

ويذكر أن الشمس مكتوب فيها ولا يظلمون وفي القمر فتيلاً ، أما ما هو مكتوب في القمر فمشاهد محسوس لمن تأمله . ومنها على ما ذكره ابن عطية : زمزم في نبعها لهاجر بهمز جبريل - عليه السلام - بعقبه[1] ، وفي حفر عبد المطلب لها آخرًا بعدد ثورها بتلك الرؤيا المشهورة وما نبع من الماء تحت خف ناقته في سفره إلى منافرة قريش ومخاصمتها في أمر زمزم ، كما ذكره ابن إسحاق مستوعبًا وقدمناه[2].

ومنها : على ما ذكره ابن عطية أيضًا : نفع ماء زمزم لما شرب له ، وأنه يعظم ماؤها في الموسم ويكثر كثرة خارقة لعادة الآبار . ومن الآيات ما روى : أن الحجاج بن يوسف نصب المنجنيق على جبل أبي قبيس بالحجارة والنيران فاشتعلت أستار الكعبة بالنار فجاءت سحابة من نحو جدة يسمع فيها الرعد ويرى البرق ، فمطرت فجاوز مطرها الكعبة والمطاف ، فأطفأت النار وأرسل الله عليهم صاعقة فأحرقت منجنيقهم فتداركوه[3]. قال عكرمة : وأحسب أنها أحرقت تحته أربعة رجال . فقال الحجاج : لا يهولنكم هذا فإنها أرض صواعق . فأرسل الله صاعقة أخرى فأحرقت المنجنيق وأحرقت معه أربعين رجلاً وذلك في سنة ثلاث وسبعين في أيام عبد الملك بن مروان[4]. وفي هذه السنة المذكورة دام القتال أشهر إلى أن قتل عبد الله بن الزبير بن العوام أمير المؤمنين في جمادى الأولى وطيف برأسه في مصر وغيرها وقتل معه جماعة ، وتوفيت أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين أم ابن الزبير بعد مصابه بيسير ، وفيها استوثق الأمر لعبد الملك بن مروان ، وولى الحجاج أمر الحجاز فنقض بعض الكعبة وأعادها إلى بنائها في زمن / [٨٣/ب] النبي ﷺ وكانت قد تشعبت من المنجنيق ، وأصيب الحجر الأسود وأصلحوه ورفعوه ،وتوفي الحجاج بن يوسف الثقفي الطائفي في ليلة مباركة على الأمة ليلة سبع وعشرين من رمضان وله خمس وخمسون أو دونها ، وكان شجاعًا مقدامًا مهيبًا ذا هيبة ، فصيحًا بليغًا ، سفاكًا للدماء ، ولي الحجاز والعراق عشرين سنة . وفي «جامع الأصول» قال هشام ابن حسان : أحصى مَن قتل الحجاج صبرًا فوجد مائة ألف وعشرين ألفًا . أخرجه

---

(١) راجع أخبار مكة للأزرقي (٢/٥٠) وفيه أنها هزمة جبريل بعقبه . قال أبو الوليد : والهزمة : الغمزة بالعقب في الأرض ، وقال : زمزم شقت من الهزمة .ا هـ.

(٢) تقدم ، وراجع أخبار مكة للأزرقي (٢/٤٢ - ٤٩) .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص ٥٠) .

(٤) المصدر السابق .

الترمذى[1].

ومنها : ما روى عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أن أبا طالب قال فى الجاهلية لقرشى قتل هاشميًّا خطأ وأنكر قتله : اختر منا إحدى ثلاث ؛ إن شئت أن تؤدى مائة من الإبل ، وإن شئت حلف خمسون من قومك أنك لم تقتله ، فإن أبيت قتلناك به . قال : فأتاه قومه فذكر لهم ذلك فقالوا : نحلف .فأتته امرأة من بنى هاشم كانت تحت رجل منهم قد ولدت له فقالت : يا أبا طالب أحب أن تخير ابنى هذا ولا تصبر يمينه ، حيث تصبر الأيمان – يعنى الموضع الذى كانوا يحلفون فيه ، وهو حطيم الكعبة ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر ؛ لأن الناس كانوا يحطمون هناك بالأيمان ويستجاب فيه الدعاء على الظالم للمظلوم ، فقل من دعا هنالك على ظالم إلا أهلك ، وقل من حلف هنالك إثمًا إلا عجلت له العقوبة . فكان ذلك يحجز الناس عن الظلم ويتهيب الناس الأيمان هناك ، فلم يزل ذلك كذلك حتى جاء الله بالإسلام فأخر الله ذلك ؛ لما أراد إلى يوم القيامة ففعل أبو طالب ذلك وأتاه رجل منهم فقال : يا أبا طالب هذان بعيران فاقبلهما عنى ، ولا تصبر يمينى حيث تصبر الأيمان فقبلهما وجاءه ثمانية وأربعون رجلاً فحلفوا . قال ابن عباس : فوالذى نفسى بيده ما حال الحول ومن الثمانية والأربعين عين تطرف . وقال ابن عباس : إن ذلك أول قسامة فى الجاهلية كانت[2]. ويقال : أول من بغى من قريش بمكة فأهلكهم البغى بنو الشيبان بن عدى / [٨٤/أ] بن قصى .

ويروى أن خمسين رجلاً من بنى عامر بن لؤى حلفوا فى الجاهلية عند البيت على قسامة وحلفوا على باطل ثم خرجوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق نزلوا تحت صخرة ، فبينما هم قائلون إذ أقبلت الصخرة عليهم فخرجوا من تحتها يشتدون ، فانفلقت خمسين فلقة فأدركت كل فلقة رجلاً فقتلته[3]. ويروى أن عمر بن الخطاب ﷺ سأل رجلاً من بنى سليم عن ذهاب بصره فقال : يا أمير المؤمنين كنا بنى ضبعاء عشرة وكان لنا ابن عم فكنا نظلمه ونضطهده ، فكان يذكرنا بالله والرحم أن لا نظلمه ، وكنا أهل جاهلية نركب كل الأمور فلما رآنا ابن عمنا لا نكف عنه ولا نرد ظلامته أمهل حتى إذا دخلت الأشهر الحرم انتهى إلى الحرم ، فجعل يرفع يديه إلى الله سبحانه ويقول :

لاهم أدعوك دعاءً جاهدا .·. اقتل بنى الضبعاء إلا واحدا

(١) فى سننه (٤/٤٣٣) .

(٢) راجع الجامع اللطيف (ص ٦٠) مختصرًا .

(٣) المصدر السابق (ص ٦٠ ، ٦١) ، وأخبار مكة للأزرقى (٢/٤٢) .

ثم اضرب الرجل فارمه قاعدا ∴ أعمى إذا ما قيد عنى القائدا[1]

فمات إخوة لى تسعة فى تسعة أشهر فى كل شهر واحد ، فبقيت أنا فعميت وليس يلائمنى قائد ورمى الله فى رجلى . فقال عمر : سبحان الله إن هذا هو العجب[2]. وقال ابن عباس : سمعت عمر يسأل ابن عمهم الذى دعا عليهم قال : دعوت عليهم ليالى رجب الشهر كله بهذا الدعاء فأهلكوا فى تسعة أشهر وأصاب الباقى ما أصابه[3].

وروى عن حويطب بن عبد العزى أنه قال : كان فى الجاهلية فى الكعبة حلق أمثال لُجْم البهم يُدخل الخائف يده فيها فلا يريبُه أحد ، فلما كان ذات يوم ذهب خائف ليدخل يده فيها فاجتذبه رجل فشلت يمينه فأدركه الإسلام وإنه لأشل[4]. وعن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث قال : عدا رجل من بنى كنانة من هذيل فى الجاهلية على ابن عم له بمظلمة واضطهده ، فناشده بالله وبالرحم فعظم عليه فأبى إلا ظلمه ، فقال : والله لألحقن بحرم الله والشهر الحرام فلأدعون / [٨٤/ب] الله عليك ، فقال له بزعمه مستهزءًا به : هذه ناقتى فلانة فأنا أقعدك على ظهرها فاذهب فاجتهد . قال : فأعطاه ناقته وخرج حتى جاء الحرم فى الشهر الحرام فقال : اللهم إنى أدعوك دعاء جاهد مضطر على فلان ابن عمى لترميه بداء لا دواء له . قال : ثم انصرف فوجد ابن عمه قد رمى فى بطنه فصار مثل الزق فما زال ينتفخ حتى انشق[5]. قال عبد المطلب : فحدثت هذا الحديث ابن عباس - رضى الله عنهما - فقال : أنا رأيت رجلاً دعا على ابن عمّه بالعمى فرأيته يقاد أعمى[6]. وعن ابن عباس قال : دعا رجل على ابن عم له استاق ذودًا له فخرج فطلبه حتى أصابه فى الحرم ، فقال : ذودى . فقال اللص : كذبت ليس الذود لك . فقيل له : لا سبيل لك عليه . فقام رب الذود بين الركن والمقام باسطًا يديه يدعو على صاحبه ، فما برح من مقامه يدعو عليه حتى دَله[7]، فذهب عقله وجعل يصيح بمكة مالى وللذود مالى

---

(١) ذكر ابن ظهيرة هذا البيت هكذا :

ثم اضرب الرجل فذره قاعدا ∴ أعمى إذا ما قيد يعيا القائدا

وذكره الأزرقى كما هنا دون لفظة «فارمه» فعنده «فذره» مثل ابن ظهيرة . والله أعلم .

(٢) راجع الجامع اللطيف (ص ٦١) ، وأخبار مكة للأزرقى (٢٦/٢) .

(٣) أخبار مكة للأزرقى (٢٦/٢) .

(٤) راجع الجامع اللطيف (ص ٦١) ، وأخبار مكة للأزرقى (٢٤/٢) ولجم البهم من اللجام فى فم الدابة . والله أعلم .

(٥) أخبار مكة للأزرقى (٢٥/٢) والزَّق : رمى الطائر بذرقه ، وإطعامه فرخه . راجع القاموس المحيط .

(٦) المصدر السابق .

(٧) دله : تحير واندهش ، وفى أخبار مكة للأزرقى (٢٧/٢) «وَله» أى : ذهب عقله وتحير من شدة -

ولفلان رب الذود ، فبلغ ذلك عبد المطلب فجمع ذوده ودفعها إلى المظلوم فخرج بها وبقى الآخر مدلهًا حتى وقع من جبل فتردى فأكلته السباع[1].

وروى الواقدى عن أيوب بن موسى : أن امرأة كانت فى الجاهلية معها ابن عم لها صغير فكانت تخرج فتكسب عليه ثم تأتي فتطعمه من كسبها ، فقالت له : يا بنى إنى أغيب عنك وإنى أخاف أن يظلمك ظالم ، فإن جاءك ظالم بعدى فإن لله تعالى بمكة بيتًا لا يشبه شيئًا من البيوت ولا يقاربه مفسد وعليه ثياب ، فإن ظلمك ظالم يومًا فعذ به فإن له ربًّا سيمنعك . قال : فجاءه رجل فذهب به فاسترقه قال : وكان أهل الجاهلية يعمرون أنعامهم فأعمر سيده ظهره ، فلما رأى الغلام البيت عرف الصفة ، فنزل يشتد حتى تعلق بالبيت ، وجاء سيده فمد يده إليه فيبست ، فاستفتى فى الجاهلية فأفتى بأن ينحر عن كل واحدة من يديه بدنة ففعل فأطلقت له يداه ، ونزل الغلام وخلى / [٨٥/أ] سبيله[2].

وعن ابن عباس قال : قال عمر بن الخطاب وذكر ما كان يعاقب به من حلف على ظلم فقال : إن الناس اليوم ليركبون ما هو أعظم من هذا ، ولا تعجل لهم العقوبة مثل ما كانت لأولئك فما ترون ذلك ، فقالوا : أنت أعلم يا أمير المؤمنين قال : إن الله - عز وجل - جعل فى الجاهلية إذ لا دين حرمة حرمها وعظمها وشرفها ، وعجل العقوبة لمن استحل شيئًا مما حرم لينتهوا عن الظلم مخافة تعجيل العقوبة ، فلما بعث الله تعالى محمدًا ﷺ توعدهم فيما انتهكوا مما حرم بالساعة فقال : ﴿ **والساعة أدهى وأمر** ﴾[3]. فأخر العقاب إلى يوم القيامة[4].

وعن طاووس قال : كان أهل الجاهلية لا يصْنعون فى الحرم شيئًا إلا عجل لهم ثم قد كان من أمر قد رأيتم يوشك أن لا يصيب أحد منهم شيئًا إلا عجل له حتى لو عادت به أمه سوداء لم يعرض لها أحد .

ومن الآيات ما روى عن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن «كرز»[5] : أنه قدم مع جدته أم عبد الله بن عامر معتمرة فدخلت عليها صفية بنت شيبة فأكرمتها وأجازتها ، فقالت صفية : ما أدرى ما أكرم به هذه المرأة أما دنياهم فعظيمة ، فنظرت حصاة مما كان

- الوجد . والله أعلم .

(١) أخبار مكة للأزرقى (٢/٢٦ ، ٢٧) وفيه «متولهًا» بدلاً من «مدلهًا» وراجع الهامش السابق ليتضح المعنى . والله أعلم .

(٢) أخبار مكة للأزرقى (٢/٢٧) .

(٣)سورة القمر : الآية (٤٦) .

(٤) الجامع اللطيف (ص ٦١) .

(٥) كذا بالأصل ، ولعل الصواب « كريز » . والله أعلم .

ينقد من الركن الأسود حين أصابه الحريق فجعلتها لها في حِق ثم قال[1] لها : انظرى هذه الحصاة فإنها حصاة من الركن الأسود فاغليها للمرضى ، فإنى أرجو أن يجعل الله سبحانه لهم فيها الشفاء فخرجت فى أصحابها ، فلما خرجت من الحرم ونزلت فى بعض المنازل صرع أصحابها فلم يبق منهم أحد إلا أخذته الحمى ، فقامت وصلت ودعت ربها عز وجل ثم التفتت إليهم ، وقالت : ويحكم انظروا ماذا خرجتم به من الحرم ؟ فماذا الذى أصابكم إلا بذنب ؟ قالوا : ما نعلم خرجنا من الحرم بشىء . قال : قالت لهم : أنا صاحبة الذنب انظروا أمثلكم حياة وحركة . قال : فقالوا : لا نعلم أحدًا منا أمثل من عبد الأعلى. قالت : فشدوا / [٨٥/ب] له رحله . ففعلوا ثم دعته فقالت : خذ هذه الحصاة التى فى هذا الحق ، فاذهب بها إلى أختى صفية بنت شيبة فقل لها : إن الله تبارك وتعالى وضع فى حرمه وأمنه أمرًا لم يكن لأحد أن يخرجه من حيث وضعه ، فخرجنا بهذه الحصاة فأصابتنا فيها بلية عظيمة فصرع أصحابنا كلهم ، فإياك أن تخرجيها من حرم الله عز وجل. قال عبد الأعلى : فما هو إلا أن دخلت الحرم فجعلنا نُبعث رجلاً رجلاً .

ومنها : أن الكعبة منذ خلقها الله تعالى ما خلت من الطائف يطوف بها من جن أو إنس أو ملك أو طائر كما تقدم فى الفضائل ، وتقدم فيه قضية الحية التى رئيت طائفة بالبيت ، وكذلك الجمل طاف به يوم قتل ابن الزبير .

وعن أبى الطفيل قال : كانت امرأة من الجن فى الجاهلية تسكن ذا طوى ، وكان لها ابن ولم يكن لها ولد غيره وكانت تحبه حبًا شديدًا ، وكان شريفًا فى قومه ، فتزوج وأتى زوجته فلما كان يوم سابعه قال لأمه : إنى أحب أن أطوف بالكعبة سبعًا نهارًا . قالت له : أى بنى إنى أخاف عليك سفهاء قريش . فقال : أرجو السلامة . فأذنت له فولى فى صورة جان ، فلما أدبر جعلت تعوذه وتقول : أعيذه بالكعبة المستورة ، ودعوات ابن أبى محذورة ، وما تلا محمد من سورة ، إنى إلى حياته فقيرة ، وإننى بعيشه مسرورة . فمضى الجان نحو الطواف فطاف بالبيت سبعًا وصلى خلف المقام ركعتين ثم أقبل منقلبًا حتى إذا كان ببعض دور بنى سهم ، عرض له شاب من بنى سهم أحمر أزرق أحول أعسر فقتله ، فثارت بمكة غبرة حتى لم تر الجبال ، قال أبو الطفيل : وبلغنا أنه إنما تثور تلك الغبرة عند موت عظيم من الجان قال : فأصبح من بنى سهم موتى كثيرة من قتلى الجن فكان فيهم سبعون شيخًا أصلع سوى «الشاب»[2]. قال : فنهضت بنو سهم / [٨٦/أ] وحلفاؤها ومواليها وعبيدهم فركبوا الجبال والشعاب بالثنية ، فما تركوا حية ولا عقربًا ولا

(١) كذا بالأصل ، ولعل الصواب « قالت » . والله أعلم .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى «الشباب» . والله أعلم .

شيئًا يدب من الهوام على وجه الأرض إلا قتلوه ، فأقاموا على ذلك ثلاثًا فسمعوا فى الليلة الثالثة على أبى قبيس هاتفًا يهتف بصوت جهورى يُسمَع به من بين الجبلين : يا معشر قريش الله الله فإن لكم أحلامًا وعقولاً ، اعذرونا من بنى سهم فقد قتلوا منا أضعاف ما قتلنا منهم ، ادخلوا بيننا وبينهم بالصلح ، نعطهم ويعطونا العهد والميثاق أن لا يعود بعضنا لبعض بسوء أبدًا ، ففعلت قريش ذلك واستوثقوا للبعض من البعض فسميت بنو سهم «الغياطلة» (١) قتلة الجن(٢).

وعن محمد بن هشام السهمى قال : كنت بمال لى أجد به نخلاً وبين يدى جارية لى فارهة ، فصرعت قدامى فقلت لبعض خدمنا : هل رأيت هذا منها قبل هذا ؟ قالوا : لا . قال : فوقفت عليها فقلت : يا معشر الجن أنا رجل من بنى سهم ، وقد علمتم ما كان بيننا فى الجاهلية من الحرب ، وما صرنا إليه من الصلح والعهد والميثاق أن لا يغدر بعضنا ببعض ، فإن وفيتم وفينا وإن غدرتم غدرنا إلى ما تعرفون . قال : فأفاقت الجارية ورفعت رأسها فما عيد إليها بمكروه حتى ماتت (٣) . ويروى أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان فى جماعة جالسين بالمسجد الحرام بعدما ارتفع النهار وقلصت الأفياء ، وإذا هم ببريق أيم دخل من باب بنى شيبة فاشرأبت أعينهم إليه ، فطاف بالبيت سبعًا وصلى ركعتين وراء المقام فقمنا إليه فقلنا : ألا أيها المعتمر قد قضى الله نسكك وإن بأرضنا عبيدًا وسفهاء وإنا نخشى عليك منهم ، فكوم برأسه كومة بطحاء فوضع ذنبه عليها فسما فى السماء حتى غاب فما يُرى . قال أبو محمد الخزاعى : الأيم الحية الذكر(٤).

وقال الأزرقى : جاء طائر من ناحية أجياد الصغير لونه لون الخبرة بريشة حمراء وريشة / [٨٦/ب] سوداء ، دقيق الساقين طويلهما له عنق طويلة رقيق المنقار طويله ، كأنه من طير البحر يوم السبت يوم سبع وعشرين من ذى القعدة سنة ست وعشرين ومائتين حين طلعت الشمس ، والناس إذ ذاك فى الطواف كثير من الحاج وغيرهم ، فوقع فى المسجد الحرام قريبًا من مصباح زمزم مقابل الركن الأسود ساعة طويلة ، ثم طار حتى صدم الكعبة فى نحو صدرها بين الركن اليمانى والأسود وهو إلى الركن الأسود أقرب، ثم

---

(١) كذا فى جميع أصول أخبار مكة للأزرقى كما قال محققه سوى (ح، هـ ، و) «العياطلة» بالعين المهملة. أخبار مكة (١٦/٢) ، وفى الجامع اللطيف (ص٦٤) «العباطلة» . والله أعلم .

(٢) أخبار مكة للأزرقى (١٥/٢،١٦) ، والجامع اللطيف (ص٦٣،٦٤) .

(٣) أخبار مكة للأزرقى (١٦/٢) .

(٤) أخبار مكة للأزرقى (١٧/٢) ، والجامع اللطيف (ص٦٢) وقال صاحب النهاية (٨٦/١) الأيم والأين : الحية اللطيفة . والله أعلم .

وقع على منكب رجل محرم من الحاج من أهل خراسان فى الطواف عند الركن الأسود ، فطاف الرجل به أسابيع وعيناه تدمعان على خديه ، والطائر على منكبه الأيمن ، والناس يدنون منه وينظرون إليه وهو ساكن غير «متوحش» [١] منهم ، ثم طار من قبل نفسه حتى وقع على يمين المقام ساعة طويلة وهو يمد عنقه ويقبضها إلى جناحه ، فأقبل فتى من الحجبة فضرب بيده فيه فأخذه ؛ ليريه رجلاً منهم كان يركع خلف المقام فصاح الطير فى يده أشد الصياح وأوحشه لا يشبه صوته أصوات الطير ففزع منه ، فأرسله من يده فطار حتى وقع بين يدى دار الندوة ، ثم طار من قبل نفسه فخرج من باب المسجد الذى بين دار الندوة وبين دار العجلة نحو قعيقعان [٢].

ويُروى أنه أقبل طائران فى الجاهلية كأنهما نعامتان يسيران كل يوم ميلاً أو يزيدان حتى أتيا مكة فوقعا على الكعبة ، فكانت قريش تطعمهما وتسقيهما فإذا خف الطواف من الناس نزلا فدنيا [٣] حول الكعبة حتى إذا اجتمع الناس طارا فوقعا على الكعبة فمكثا كذلك شهرًا ونحوه ثم ذهبا [٤] .

ومن آيات الحجر الأسود : أنه أزيل عن مكانه غير مرة ثم رده الله إليه ، ووقع ذلك من جرهم وإياد والعماليق وخزاعة والقرامطة كذا ذكر عز الدين بن جماعة ، ولم أرَ ما ذكره عن العماليق ، وآخر من أزاله عن موضعه / [٨٧/أ] أبو طاهر سليمان بن الحسن القرمطى يوم التروية سنة سبع عشرة وثلاثمائة [٥] لما سنذكره بعده .

واعلم أن ابتداء خروج القرامطة كان سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ، وكان أبو طاهر سليمان بن الحسن القرمطى رئيسهم فدخل البصرة فى الليل فى ألف وسبعمائة فارس ، نصبوا السلاليم على السور ونزلوا فوضعوا السيف فى البلد وأحرقوا الجامع ، وهرب خلق إلى الماء فغرقوا وسبوا الحريم ، والله المستعان [٦] .

---

(١) فى أخبار مكة للأزرقى «مستوحش» ، وفى الجامع اللطيف (ص٦٣) كما هنا . والمعنى قريب . والله أعلم .

(٢) أخبار مكة للأزرقى (٢/١٧، ١٨) ، والجامع اللطيف (ص٦٢، ٦٣) .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى الجامع اللطيف «فدفا» ومعناه كما ذكره ابن ظهيرة (ص٦٢) : فسارا ، يدفون إليك دفيف النسور ، قال فى الصحاح : الدفيف : الدبيب وهو السير اللين . اهـ . والله أعلم.

(٤) الجامع اللطيف (ص٦٢) .

(٥) راجع الجامع اللطيف (ص٣٧، ٣٨) .

(٦) العبر (٢/١٤٧) ، والكامل (٦/١٧٥) .

وفى سنة اثنتى عشرة فى المحرم عارض ركب العراقى ومعه ألف فارس وألف راجل فوضعوا السيف ، واستباحوا الحجيج وساقوا الجمال بالأموال والحريم ، وهلك الناس جوعًا وعطشًا، ونجا من نجا بأسوأ حال ، ووقع النوح والبكاء ببغداد وغيرها ، وامتنع الناس من الصلوات فى المساجد [1] ، وفى سنة ثلاث عشرة سار الركب العراقى ومعهم ألف فارس فاعترضهم القرمطى وناوشهم القتال فردوا الناس ، ولم يحجوا ونزل القرمطى على الكوفة فقاتلوه فغلب على البلد فنهبه [2] ، وفى سنة أربع عشرة لم يحج أحد من العراق خوفًا من القرامطة ونزح أهل مكة عنها خوفًا منهم [3] . وفى سنة سبع عشرة وثلاثمائة حج بالناس منصور الديلمى ودخلوا مكة سالمين ، فوافاهم يوم التروية عدو الله أبو طاهر القرمطى فقتل الحجاج قتلاً ذريعًا فى المسجد وفى فجاج مكة ، وقتل أمير مكة ابن محارب ، وقلع باب الكعبة ، واقتلع الحجر الأسود وأخذه إلى هجر ، وكان معه تسعمائة نفس فقتلوا فى المسجد ألفًا وسبعمائة ، وصعد على باب البيت وصاح :

أنا بالله وبالله أنا ∴ يخلق الخلق وأفنيهم أنا

وقيل : إن الذى قُتل بفجاج مكة وظاهرها زهاء ثلاثين ألفًا وسبى من النساء والصبيان نحو ذلك ، وأقام بمكة ستة أيام ولم يحج أحد .

وقال محمد الأصبهانى / [٨٧/ب] : دخل قرمطى وهو سكران فصفر لفرسه فبال عند البيت ، وقتل جماعة ، وضرب الحجر الأسود بدبوس فكسر منه ، ثم قلعه وبقى الحجر الأسود بهجر نيفًا وعشرين سنة [4] ، ودُفع لهم فيه خمسون ألف دينار فأبوا هكذا ذكر الذهبى فى «العبر» . وذكر غيره : أنه لما دخل مكة فى هذه السنة سفك الدماء حتى سال بها الوادى ، ثم رمى بعض القتلى فى زمزم وملأها منهم ، وأصعد رجلاً ليقلع الميزاب فتردى على رأسه ومات ، ثم انصرف ومعه الحجر الأسود وعلقه على الإسطوانة السابعة من جامع الكوفة ، يعتقد أن الحج ينتقل إليها ، واشتراه منه المطيع لله أبو القاسم . وقيل : أبو العباس الفضل بن المقتدر بثلاثين ألف دينار ، وأعيد إلى مكانه سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، وبقى عندهم اثنين وعشرين سنة إلا شهرًا [5] . هكذا ذكر عز الدين بن جماعة

---

(١) العبر (٢/١٥٠،١٥١) ، والكامل (٦/١٧٧) ، وإتحاف الورى (٢/٣٧٠) .

(٢) العبر (٢/١٥٤،١٥٥) ، وإتحاف الورى (٢/٣٧١) .

(٣) العبر (٢/١٥٨) ، وذكرها ابن فهد فى إتحاف الورى (٢/٣٧١) فى أخبار سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة . والله أعلم .

(٤) العبر (٢/١٦٧،١٦٨) ، والبداية والنهاية (١١/١٧١،١٧٢) ، وإتحاف الورى (٢/٣٧٤،٣٧٥) .

(٥) راجع الجامع اللطيف (ص٣٧،٣٨) ، والبداية النهاية (١١/١٧٢) .

أن المطيع اشتراه من أبى طاهر القرمطى وفيه نظر ؛ لأن أبا طاهر مات قبل خلافة المطيع فى سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة بهجر من جدرى - هلكه فلا رحم الله منه مغرز إبرة - على ما ذكره ابن الأثير[1] وغيره . ولما أخذه القرمطى هلك تحته أربعون جملاً ولما [حمل][2] أعيد إلى مكانه حمل على قعود أعجف فسمن تحته [3] . قال المسبحى : كانت مدة كينونة الحجر الأسود عند القرمطى وأصحابه اثنين وعشرين سنة إلا أربعة أيام[4]. وفى كتاب «السير» من شرح الطحاوى لأبى بكر الرازى : استحقاق القتل لا يزول عن القرامطة المتسمية بالباطنية - لعنهم الله - بزعمهم أنهم مقرون بكلمة التوحيد والنبوة ؛ لأنهم ينقضون ذلك للحال بقولهم : إن للشريعة باطنًا مرادًا غير ما نقلته الأمة ، وكذلك أشباههم من معاير الملحدين [5] . انتهى . قال الذهبى فى «العبر» فى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة : تقدم بعض الباطنية من البصريين فضرب الحجر الأسود بدبوس فقتلوه فى الحال . قال محمد / [٨٨/أ] بن على بن عبد الرحمن العلوى : قام فضرب الحجر ثلاث ضربات . قال : إلى متى يعبد الحجر ؟ ولا محمد ولا على فيمنعنى محمد مما أفعله ، فإنى اليوم أهدم هذا البيت . فالتفّاه أكثر الحاضرين وكاد أن يفلت ، وكان أحمر أشقر جسيمًا طويلاً ، وكان على باب المسجد عشرة فوارس ينصرونه فاحتسب رجل ووجاه بخنجر ، ثم تكاثروا عليه فهلك وأحرق ، وقتل جماعة ممن اتهم بمعاونته واختبط الوفد ، ومال الناس على ركب البصريين بالنهب ، وتخشن وجه الحجر وتساقط منه شظايا يسيرة وتشقق ، وظهر مكسره أسمر يضرب إلى صفرة محببًا مثل الخشخاش ، فأقام الحجر على ذلك يومين ثم إن بنى شيبة جمعوا الفتات وعجنوه بالمسك واللك وحشوا الشقوق وطلوها بطلاء من ذلك فهو بين لمن تأمله[6]. وذكر ابن الأثير : أن هذه الحادثة كانت فى سنة أربع عشرة وأربعمائة[7]. وذكر المسبحى : أن نافع بن محمد الخزاعى دخل الكعبة فيمن دخلها للنظر إلى الحجر الأسود لما كان فى الكعبة بعد رد القرامطة له ، وأنه تأمل الحجر الأسود فإذا

---

(١) راجع الكامل (٢٩٩/٦) .

(٢) كأنها مضروب عليها فى الأصل ، وليست فى الجامع اللطيف (ص٣٨) والسياق يتم بدونها . والله أعلم .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص٣٨) وقعود أعجف أى : هزيل . والله أعلم .

(٤) راجع البداية النهاية (١٧٢/١١) .

(٥) ذكر الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (١٧٣/١١) هذا الكلام بمعناه .

(٦) راجع العبر (١١٠/٣، ١١١) ، وكذلك البداية والنهاية (١٥/١٢) ، وإتحاف الورى (٤٤٨/٢-٤٥٠) واللك : دهان للخشب . والله أعلم .

(٧) راجع الكامل (٣١٤/٧، ٣١٥) .

السواد فى رأسه ، دون سائره وسائره أبيض ، قال : وكان مقدار طوله فيما حررت مقدار عظم الذراع ، أو كالذراع المقبوضة الأصابع ، والسواد فى وجهه غير ماض فى سائره جميعه . انتهى . وما ذكره العلوى فى صفة نوى الحجر يخالف هذا . وقيل فى طوله أكثر مما ذكره الخزاعى .

ومن آياته : حفظ الله له من الضياع منذ أهبط إلى الأرض مع ما وقع من الأمور المقتضية لذهابه كالطوفان[1] ، ودفن بنى إياد ، وكما وقع من جرهم وغيرهم كما قدمناه. ومنها : أنه لما حمل إلى هجر هلك تحته أربعون جملاً ، فلما أعيد حمل على قعود أعجف فسمن كما قدمناه . وقيل : هلك تحته ثلاثمائة بعير . وقيل : خمسمائة . ومنها : أنه يطفو على الماء إذا وضع فيه ولا يرسخ . ومنها : أنه لا يسخن من النار ، ذكر هاتين / [٨٨/ب] الآيتين ابن أبى الدم فى «الفرق الإسلامية» فيما حكاه عنه ابن شاكر الكتبى المؤرخ ، ونقل ذلك عن بعض المحدثين ورفعه إلى النبى ﷺ وهذه صفة المسجد الحرام والكعبة المشرفة - زادها الله تعالى شرفًا وتعظيمًا . / [٨٩/أ]

فصل[2]

فى ذكر الأماكن المباركة بمكة المشرفة وحرمها وقربه التى يستحب زيارتها والصلاة والدعاء فيها رجاء بركتها

وهذه الأماكن مساجد ودور وجبال ومقابر . والمساجد أكثر من غيرها إلا أن بعض المساجد اشتهر باسم المولد ، وبعضها باسم الدار ، وسنذكر كلاً منها على حدة ، أما ما اشتهر باسم المسجد فمن ذلك : مسجد بقرب الجزرة الكبيرة من أعلاها على يمين الهابط إلى مكة ويسار الصاعد منها يقال : إن النبى ﷺ صلى فيه المغرب على ما هو مكتوب فى حجرين بهذا المسجد[3]؛ أحدهما بخط عبد الرحمن بن أبى حرمى وفيه : أنه عمر فى رجب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، وفى الآخر : أنه عمر فى سنة سبع وأربعين وستمائة . وذكر الأزرقى فى المواضع التى يستحب فيها الصلاة بمكة منها : مسجد بأعلى مكة عند سوق الغنم عند قرن «مقلة»[4] قال : ويزعمون أن عنده بايع «النبى رسول الله» ﷺ الناس بمكة يوم الفتح[5]. انتهى. وزعم بعض أهل العصر أن هذا المسجد الذى ذكره الأزرقى هو الذى

---

(١) راجع الجامع اللطيف (ص٤٧،٤٨) .

(٢) كلمة « فصل » هنا من وضع المصنف - رحمه الله .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص٣٣١،٣٣٢) .

(٤) كذا فى الأصل ، وعند الأزرقى «مسقلة» . والله أعلم .

(٥) أخبار مكة (٢/٢٠١) ، وقال ابن ظهيرة (ص٣٣٨) : لا يعرف الآن . والله أعلم .

ذكرناه ، وإنما توهم هذا ؛ لأن المسجد الذى ذكرناه هو بلحف جبل وعنده الآن سوق الغنم . وقيل : ليس هذا التوهم صحيحًا ؛ لأن الجبل الذى عنده هذا المسجد هو المشرف على المروة ، ويسمى جبل الديلم كما ذكره الأزرقى[1] ، وهو فى شق معلا مكة الشامى ، وأما قرن «مقلة»[2] الذى ذكره الأزرقى فقد ذكره فى شق معلا مكة اليمانى . والله أعلم. قال الأزرقى فى تعريف قرن «مقلة» [2] : هو قرن قد بقيت منه بقية بأعلى مكة قال : «ومقلة» [2] رجل كان يسكنه فى الجاهلية . وعن ابن جريج قال : لما كان يوم فتح مكة جلس رسول الله ﷺ على قرن «مقلة»[2] فجاءه الناس يبايعونه بأعلى مكة عند سوق الغنم[3]./ [٨٩/ب] ومن ذلك مسجد فوقه بأعلى مكة عند الردم عند بئر جبير بن مطعم يقال : إن النبى ﷺ صلى فيه[4] ، وهو يعرف اليوم بمسجد الراية[5] كما ذكره المحب الطبرى . قال الأزرقى : وقد بناه عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس - رضى الله عنهم[6] - وعمره المعتصم بالله العباسى فى شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة ، وعمره فى زماننا الأمير قطلبك الحامى المنجلى عمارته التى هو عليها الآن فى أوائل سنة إحدى وثمانمائة . ومن ذلك مسجد بسوق الليل بقرب مولد النبى ﷺ يقال له : المختبى ، يزوره الناس كثيرًا فى صبيحة اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول من كل سنة ، ولم أر أحدًا تعرض لذكره ، ولا يعرف شيئًا من أخباره[7] ومن ذلك مسجد بأسفل مكة ينسب لأبى بكر الصديق ، ويقال : إنه من داره التى هاجر منها إلى المدينة[8].

ومن ذلك مساجد خارج مكة من أعلاها من ذلك مسجد بأعلى مكة يقال له :

---

(١) أخبار مكة (٢/ ٢٨٤) وسماه جبل الديلمى . والله أعلم . قال : والديلمى مولى لمعاوية كان بنى فى ذلك الجبل دارًا لمعاوية فسمى به ، والدار اليوم لخزيمة بن حازم . ا هـ .

(٢) كذا فى الأصل وعند الأزرقى « مستقلة » . والله أعلم .

(٣) أخبار مكة (٢/ ٢٧٠،٢٧١) .

(٤) أخبار مكة للأزرقى (٢/ ٢٠٠) ، والجامع اللطيف (ص٣٣١) .

(٥) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣١) .

(٦) إلى هنا انتهى كلام الأزرقى المنقول من أخبار مكة (٢/ ٢٠٠) .

(٧) راجع الجامع اللطيف (ص٣٣٢) ، وقوله : لم أر أحدًا .. إلخ نقله ابن ظهيرة عن الفاسى ، ونقل عن الشيخ العلامة سراج الدين عمر بن فهد - رحمه الله - أن هذا المحل معبد عثمان بن عفان ، وأن النبى ﷺ كان يختبئ فيه من الكفار . وعزاه إلى كتاب الكوكب المنير ، لنصر الله . ا هـ .

(٨) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣٢) وقال : ويعرف الآن بدار الهجرة وهو بالقرب من بركة الماجن . ا هـ .

مسجد الجن . قال الأزرقي : وهو الذي يسميه أهل مكة مسجد الحرَس - وعرفه الأزرقي بأنه مقابل للحجون بأعلى مكة وأنت مصعد على يمينك[1]- وإنما سمى مسجد الحرس ؛ لأن صاحب الحرس كان يطوف بمكة حتى إذا انتهى إليه وقف عنده و لم يجز حتى يتوافى عنده عرفاؤه وحرسه يأتونه من شعب عامر ، وإذا توافوا عنده رجع منحدرًا إلى مكة قال : وهو فيما يقال له : موضع الخط الذي خط رسول الله ﷺ لابن مسعود ليلة استمع عليه الجن ، قال : وهو يسمى مسجد البيعة . يقال : إن الجن بايعوا النبي ﷺ في ذلك الموضع[2]. ومن ذلك مسجد يقال له : مسجد الشجرة بأعلى مكة مقابل مسجد الجن . يقال : إن النبي ﷺ دعا شجرة كانت في موضعه - وهو في مسجد الجن - يسألها عن شيء فأقبلت تخط بأصولها وعروقها / [٩٠/أ] الأرض حتى وقفت بين يديه ، فسألها عما يُريد ثم أمرها فرجعت حتى انتهت إلى موضعها[3]. ومن ذلك المسجد الذي يقال له : مسجد الإجابة على يسار الذاهب إلى منى في شعب بقرب ثنية إذاخر ، وهو مسجد مشهور عند أهل مكة . يقال : إن النبي ﷺ صلى فيه[4] وهذا المسجد الآن منخرب جدًّا وجدرانه ساقطة إلا القبلي ، وفيه حجر مكتوب فيه إنه مسجد الإجابة ، وإنه عمر في سنة عشرين وسبعمائة . ومن ذلك المسجد الذي يقال له : مسجد البيعة . وهي البيعة التي بايع رسول الله ﷺ فيه الأنصار بحضرة عمه العباس بن عبد المطلب على ما ذكره أهل السير وهذا المسجد بقرب العقبة التي هي حد منى من جهة مكة ، وهو وراء العقبة بيسير إلى مكة في شعب على يسار الذاهب إلى منى[5]، وفيه حجران مكتوب في أحدهما إن المنصور العباسي أمر ببنيان هذا المسجد - مسجد البيعة - التي كانت أول بيعة بايع بها رسول الله ﷺ ، وفي الآخر ذكر أنه مسجد البيعة ، وأنه بني في سنة أربع وأربعين ومائة ، وعمره بعد ذلك المستنصر العباسي في سنة تسع وعشرين وستمائة ، وهو الآن منخرب جدًّا . ومن ذلك مسجد بمنى عند الدار المعروفة بدار النحر بين الجمرة الأولى والوسطى على يمين الصاعد إلى عرفة ، يقال : إن النبي ﷺ صلى فيه الضحى ونحر هديه على ما هو موجود في حجر فيه مكتوب ذلك[6]، وفيه أن الملك قطب الدين أبا بكر بن

---

(١) أخبار مكة (٢/١٦٠) عن أبي محمد الخزاعي .

(٢) أخبار مكة (٢/٢٠٠ ، ٢٠١) ، والجامع اللطيف (ص ٣٣٢ ، ٣٣٣) .

(٣) أخبار مكة للأزرقي (٢/ ٢٠١) ، والجامع اللطيف (ص ٣٣٨) وقال : وقد دثر . ا هـ .

(٤) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣٣) وذكر أن تعريفه من الفارسي رحمه الله .

(٥) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣٣) وقد ذكره ابن ظهيرة ضمن المساجد التي في منى وجهتها .

(٦) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣٣) وسماه مسجد النحر .

الملك المنصور صاحب اليمن أمر بعمارته فى سنة خمس وأربعين وستمائة. ومن ذلك المسجد الذى يقال له : مسجد الكبش بمنى على يسار الصاعد إلى عرفة «بلحف ثبير»[1]، وهو مشهور بمنى ، والكبش الذى نسب هذا المسجد إليه هو الكبش الذى فُدى به إسماعيل أو إسحاق بن إبراهيم[2]. وذكر الفاكهى خبرًا عن علىّ يقتضى أن هذا الكبش نحر بين / [٩٠/ب] الجمرتين بمنى[3] ، ويؤيد هذا ما ذكره المحب الطبرى عن ابن عباس أن إبراهيم نحر الكبش فى المنحر الذى ينحر فيه الخلفاء اليوم . قال المحب الطبرى: وذلك فى سفح الجبل المقابل له - يعنى : المقابل لثبير - وأشار المحب بذلك إلى الموضع الذى يقال له اليوم دار النحر بمنى فإن أمامها ينحر هدى صاحب اليمن ، وهو بقرب المسجد الذى تقدم ذكره قبل هذا المسجد[4]. ومن ذلك مسجد الخيف وهو مسجد مشهور عظيم الفضل ، تقدمت فضائله[5] فى كتاب المناسك ، وتقدم تعريف موضع مصلى رسول الله ﷺ ، وأنه الأحجار التى بين يدى المنارة[6] وهذا الموضع معروف عند الناس إلى الآن . وذكر الأزرقى صفته وذرعه وعدد أبوابه[7]. والمنارة التى فيها الآن عمرها الملك المظفر صاحب اليمن فى سنة أربع وسبعين وستمائة وفيها عمر ما تشعث من مسجد الخيف ، وممن عمره والد

---

(١) اللِّحف - بالكسر - : أصل الجبل . راجع القاموس «لحف» .

(٢) أخبار مكة للفاكهى (٤ / ١٨) ، والأزرقى (٢ / ١٧٥) والصواب أنه إسماعيل .

(٣) أخبار مكة للفاكهى (٤ / ٢٧٥) .

(٤) يعنى - والله أعلم -: مسجد النحر المتقدم ذكره ، وهو الذى أشار إليه المصنف بقوله : ومن ذلك مسجد بمنى عند الدار المعروفة بدار النحر .. إلخ ، وراجع الجامع اللطيف (ص ٣٣٣ ، ٣٣٤) فقد ذكر ما أورده المصنف هنا بمعناه . والله أعلم . وذكر الأزرقى هذا المسجد فى أخبار مكة (٢/ ١٧٥) .

(٥) ذكر ابن ظهيرة فى الجامع اللطيف (ص ٣٣٤) طرفًا من فضائله ، منها ما أخرجه الطبرانى فى معجمه الكبير عن ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال : «صلى فى مسجد الخيف سبعون نبيًّا منهم موسى» وأخرجه أيضًا الأزرقى (٢/ ١٧٤) . ا هـ . وقال الهيثمى فى المجمع (٣ / ٢٩٧) : وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط .

(٦) أورده الأزرقى (٢ / ١٧٤) عن جده ، وأعقبه بقوله : لم نزل نرى الناس وأهل العلم يصلون هنالك وقال ابن ظهيرة (ص ٣٣٥) : والمراد بالمنارة هى الصغيرة التى فى وسط المسجد الملاصقة لجدار القبة الكبيرة ، لا المنارة التى على الباب ، والمحراب الذى فى القبة هو موضع مصلاه ﷺ ؛ لأنه فى موضع الأحجار التى ذكرها الأزرقى . كذا نقله الجد - رحمه الله - .ا هـ . ومراد ابن ظهيرة بالجد : جد ابن ظهيرة . والله أعلم .

(٧) راجع أخبار مكة للأزرقى (٢ / ١٨١ - ١٨٣) .

الخليفة العباسي الناصر واسمه مكتوب على بابه الكبير ، وعمره من قبل ذلك الجواد وزير صاحب الموصل ، وعمره في سنة عشرين وسبعمائة تاجر دمشقي يقال له ابن المرجاني بأزيد من عشرين ألف درهم وعمر فيه بعد ذلك مواضع وهو الآن كثيرًا تشعث . ومن ذلك مسجد عن يمين الموقف يعرف بمسجد إبراهيم . قال الأزرقي : وليس هو بمسجد عرفة الذي يصلي فيه الإمام بعرفة(١) . ومن ذلك مسجد التنعيم حيث أمر رسول الله ﷺ عبد الرحمن يعمر عائشة منه(٢)، وتقدم بعرفة في الباب الرابع عشر . ومن ذلك مسجد بذي طوى نزل هنالك رسول الله ﷺ حين اعتمر وحين حج تحت سمرة في موضع المسجد(٣) قال ابن الجوزي في «المثير» : وبنته زبيدة(٤) . ومن ذلك مسجد بأجياد ، وفيه موضع يقال له المتكئ يقال : إن النبي ﷺ اتكئ هناك(٥) ذكره المحب الطبري والأزرقي ، وقال : سمعت جدي أحمد بن / [٩١/أ] محمد ويوسف بن محمد بن إبراهيم يسألان عن المتكئ وهل صح عندهما أن النبي ﷺ اتكئ فيه ؟ فرأيتهما ينكران ذلك ، ويقولان : لم نسمع به مِن ثبت . قال : قال جدي : سمعت جماعة (٦) من أهل العلم يقولون : إن أمر المتكئ ليس بالقوي عندهم ، بل يضعفونه غير أنهم يثبتون أن النبي ﷺ صلى بأجياد الصغير لا يثبت ذلك الموضع ولا يوقف عليه . قال : و لم أسمع أحدًا من أهل مكة يثبت أمر المتكئ(٧) . ومن ذلك مسجد على جبل أبي قبيس يقال له : مسجد إبراهيم . قال الأزرقي: سمعت يوسف بن محمد بن إبراهيم يُسأل عنه هل هو مسجد إبراهيم خليل الرحمن - عليه السلام - ؟ فرأيته ينكر ذلك ويقول : إنما قيل هذا حديثًا من الدهر ، و لم أسمع أحدًا من أهل العلم يثبته(٨) . قال الأزرقي : وسألت جدّي عنه فقال لي : متى بني هذا المسجد ؟ إنما بني حديثًا من الدهر . ولقد سمعت بعض أهل العلم من أهل مكة يسأل عنه

---

(١) أخبار مكة للأزرقي (٢ / ٢٠٢) ، والجامع اللطيف (ص ٣٣٩) وذكر أنه لا يعرف الآن .

(٢) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣٦) ونقل خلافًا في تسميته ، ثم أتبعه بفائدتين . فراجعه إن شئت .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣٨) ، وأخبار مكة للأزرقي (٢/ ٢٠٣) ، وذكر ابن ظهيرة أنه لا يعرف الآن .

(٤) أفاده قبل ابن الجوزي الأزرقيُّ ، كما في أخبار مكة (٢/ ٢٠٣) ، وكتاب ابن الجوزي هو مثير الغرام (ص ٣٤٥) قال : وبنته زبيدة بأزج . والله أعلم .

(٥) أخبار مكة للأزرقي (٢/ ٢٠٢) ، والجامع اللطيف (ص ٣٣٨) .

(٦) قال في أخبار مكة (٢/ ٢٠٢) الزنجي مسلم بن خالد ، وسعيد بن سالم القداح وغيرهما .

(٧) أخبار مكة للأزرقي (٢/ ٢٠٢) ، والجامع اللطيف (ص ٣٣٨) .

(٨) أخبار مكة (٢/ ٢٠٢) .

أهل المسجد - مسجد إبراهيم خليل الرحمن - فينكر ذلك ، ويقول : هل[1] هو مسجد إبراهيم القبيسى إنسان كان فى جبل أبى قبيس يسأل عنده[2]. انتهى . ومن ذلك مسجد بقرب مسجد الخيف من جانبه يعرف بمسجد المرسلات ، فيه نزل على النبى ﷺ سورة المرسلات[3]، وفيه غار وهو مشهور اليوم بمنى خلف مسجد الخيف ، أسفل الجبل مما يلى اليمن ، كذلك يأثره الخلف عن السلف[4]. وقد تقدم ذكره فى الكتاب المشهور . ومن ذلك مسجد الجعرانة أحرم رسول الله ﷺ من هنالك[5]. وتقدم ذكره فى الباب الرابع عشر من المناسك . ومن ذلك مسجد يقال له : مسجد الفتح بقرب الجموم من وادى مر يقال : إن النبى ﷺ صلى فيه[6]، وعمّر هذا المسجد أبو نمى صاحب مكة على ما ذكر ، ثم السيد حَناش بن راجح ، وبيضه / [٩١/ب] فى عصرنا ورفع أبوابه السيد الشريف حسن ابن عجلان صاحب مكة ، وذكر الأزرقى فى تاريخه مساجد أخر غير معروفة الآن[7] فاختصرناها .

وأما المواضع المباركة بمكة المعروفة بالمواليد : فاعلم أن هذه المواضع مساجد لكنها مشهورة عند الناس باسم المواليد فأفردت عن المساجد بالذكر لهذا المعنى ، ومنها : الموضع الذى يقال له : مولد النبى ﷺ وهو عند أهل مكة مشهور فى الموضع المعروف بسوق الليل. قال الأزرقى : البيت الذى ولد فيه رسول الله ﷺ هو فى دار محمد بن يوسف ، كان عقيل بن أبى طالب أخذه حين هاجر النبى ﷺ وفيه وفى غيره يقول النبى ﷺ عام حجة الوداع «**وهل ترك لنا عقيل من ظل؟**»[8] فلم يزل بيده وبيد ولده حتى باعه ولده من

---

(١) كذا فى الأصل ، والصواب «بل» كما فى أخبار مكة (٢/ ٢٠٢) . والله أعلم .

(٢) أخبار مكة للأزرقى (٢/ ٢٠٢ ، ٢٠٣) ، والجامع اللطيف (ص ٣٣٢) ونقل عنه الأزرقى قوله لجده فى ذلك ، وأجاب عنه جوابًا شافيًا . فراجعه فإنه مفيد . و الله أعلم .

(٣) أخرجه البخارى : كتاب جزاء الصيد - باب ما يقتل المحرم من الدواب ح (١٨٣٠ - فتح) .

(٤) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣٥ ، ٣٣٦) .

(٥) أخبار مكة للأزرقى (٢/ ٢٠٧) ، والجامع اللطيف (ص ٣٣٧) ، والجعرانة : بكسر الجيم وإسكان العين وتخفيف الراء وفتحها ، وقيل : بكسر الجيم والعين وفتح الراء المشددة لغتان حكاهما النووى فى تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٥٨ ، ٥٩) .

(٦) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣٨) .

(٧) قد ذكر هذه المساجد ابن ظهيرة فى الجامع اللطيف (ص ٣٣٨ ، ٣٣٩) .

(٨) أخرجه البخارى : كتاب الحج - باب توريث دور مكة وبيعها وشرائها - ح(١٥٨٨ - فتح) ، ومسلم : كتاب الحج - باب النزول بمكة للحاج وتوريث دورها ح (١٣٥١) عن أسامة بن زيد ، لكن بلفظ «رباع ، دور ، منزل» . والله أعلم .

محمد بن يوسف أخ الحجاج فأدخله فى داره التى يقال لها البيضاء ثم تعرف بدار ابن يوسف ، فلم يزل ذلك البيت فى الدار حتى حجت الخيزران أم الخليفتين موسى الهادى وهارون الرشيد فجعلته مسجدًا تصلى فيه وأخرجته من الدار ، وأشرعته فى الزقاق الذى على أصل تلك الدار يقال له : زقاق المولد[1]. قال الأزرقى : سمعت جدى ويوسف بن محمد يثبتان أمر المولد وأنه ذلك البيت لا اختلاف فيه عند أهل مكة ، وعن سليمان بن أبى مرحب مولى بنى جشم[2] قال : حدثنى ناس كانوا يسكنون ذلك البيت قبل أن تنزعه الخيزران من الدار ثم انتقلوا عنه حين جعل مسجدًا، قالوا : لا والله ما أصابنا فيه جائحة ولا حاجة فأخرجنا منه فاشتد الزمان علينا . رواه الأزرقى[3]. وموضع سقطه ﷺ فى هذا المسجد معروف حتى الآن ، وهو موضع مثل التنور الصغير .

قال السهيلى : ولد بالشعب وقيل : بالدار /[٩٢/أ] التى عند الصفا ، وكانت بعد لمحمد بن يوسف أخ الحجاج ثم بنتها زبيدة مسجدًا حين حجت[4]. انتهى . وهذا غريب وأغرب من هذا ما قيل : إن النبى ﷺ ولد بالردم . وقيل : بعسفان . ذكر هذين القولين مغلطاى فى سيرته[5]. والمراد بالردم : دور بنى جمح بمكة على ما ذكر البكرى ، وليس المراد منه الردم الذى بأعلى مكة ؛ لأن ذلك لم يكن إلا فى خلافة عمر رضي الله عنه ، والمعروف من موضع مولده ﷺ ما سبق[4] . وممن عمّر هذا البيت الذى ذكرناه أولاً الناصر العباسى سنة ست وسبعين وخمسمائة ، ثم المظفر صاحب اليمن فى سنة ست وستين وستمائة ، ثم حفيده الملك المجاهد على بن المؤيد سنة أربعين وسبعمائة وبعد ذلك غير مرة. ومنها : الموضع الذى يقال له : مولد على بن أبى طالب رضي الله عنه وهذا الموضع مشهور عند الناس بقرب مولد النبى ﷺ بأعلى الشعب الذى فيه المولد و لم يذكره الأزرقى ، وذكره ابن جبير . وعلى بابه حجر مكتوب فيه هذا مولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، وفيه رُبى رسول الله ﷺ[6]، وفى الحجر مكتوب إن الناصر العباسى أمر بعمله فى سنة ثمان وستمائة. وقيل : وُلد على بن أبى طالب فى جوف الكعبة . وهذا ضعيف عند العلماء

---

(١) أخبار مكة للأزرقى (٢/ ١٩٨) ، والجامع اللطيف (ص ٣٢٥ ، ٣٢٦) .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة للأزرقى (٢/ ١٩٩) «خثيم» . والله أعلم .

(٣) فى أخبار مكة (٢/ ١٩٩) ، وراجع الجامع اللطيف (ص ٣٢٦) .

(٤) الروض الأنف (١/ ١٨٤) ، وراجع الجامع اللطيف (ص ٣٢٦) .

(٥) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٢٦ ، ٣٢٧) .

(٦) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٢٨) .

كما قاله النووى فى «تهذيب الأسماء»[1]. والمعروف ما قدمناه . وفى هذا البيت موضع مثل التنور يقال : إنه مسقط رأس على بن أبى طالب[2]. قال سعد الدين الإسفرائينى فى كتاب «زبدة الأعمال» : وفى جداره فى الزاوية حجر مركب يقال : كان هذا الحجر يكلم النبى ﷺ [2] ومنها : الموضع الذى يقال له : موضع حمزة بن عبد المطلب عم النبى ﷺ وهو بأسفل مكة بقرب باب الماجن /[٩٢/ب] عند عين باذان[3]. ومنها : الموضع الذى يقال له : مولد عمر بن الخطاب ﷺ فى الجبل الذى تسميه أهل مكة النوبى بأسفل مكة[4]. ومنها : الموضع الذى يقال له : مولد جعفر بن أبى طالب فى الدار المعروفة بدار أبى سعيد عند دار العجلة ، وعلى بابه حجر مكتوب فيه : هذا مولد جعفر الصادق ودخله النبى ﷺ[5]، وفيه أن بعض المجاورين عمره فى صفر سنه ثلاث وعشرين وستمائة .

وأما الدور المباركة بمكة : فاعلم أن بمكة دورًا مباركة معروفة عند الناس غالبها مساجد ، ولكنها اشتهرت بالدور عند أهل مكة فلذلك أفردناها بالذكر عن المساجد . منها : دار أم المؤمنين خديجة -رضى الله عنها - بالزقاق المعروف بزقاق الحجر ، ويقال له قديمًا : زقاق العطارين كما ذكره الأزرقى[6]. ويقال لهذه الدار : مولد فاطمة - رضى الله عنها - ؛ لأن فيها ولدت[7]. قال الأزرقى : كان يسكنها رسول الله ﷺ وخديجة ، وفيها ابتنى بخديجة ، وولَدت فيها أولادها جميعًا ، وفيها توفيت ، فلم يزل النبى ﷺ فيها ساكنًا حتى خرج إلى المدينة مهاجرًا ، فأخذها عقيل بن أبى طالب ، واشتراها منه معاوية وهو خليفة فجعلها مسجدًا يصلى فيه وبناها بناءها هذا ، وفتح معاوية فيها بابًا من دار أبى سفيان بن حرب وهو قائم إلى اليوم وهى الدار التى قال فيها رسول الله ﷺ: «**من دخل دار أبى سفيان فهو آمن**»[8]. قال الأزرقى : وفى بيت خديجة -رضى الله عنها-

---

(١) (١/١٦٦) فى ترجمة حكيم بن حزام .

(٢) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٢٨) .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٢٨) .

(٤) المصدر السابق ، وذكر أنه : غار لطيف فى أعلى الجبل المجاور لضريح الشيخ عبد الكبير بن بس الحضرمى ، وذكر أن الفاسى قال : ولا أعلم فى ذلك شيئًا يستأنس فيه .. إلخ . والله أعلم .

(٥) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٢٩) .

(٦) أخبار مكة للأزرقى (٢/ ١٩٩) وذكره محققه فى الهامش . فالله أعلم ، وراجع الجامع اللطيف (ص ٣٢٧) .

(٧) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠) .

(٨) أخرجه مسلم : كتاب الجهاد والسير - باب فتح مكة ح (١٧٨٠) عن أبى هريرة مرفوعًا ، وراجع أخبار مكة (٢/ ١٩٩) ، والجامع اللطيف (ص ٣٢٧) .

هذا صفيحة من حجر مبنى عليها فى الجدر جدر البيت الذى يسكنه النبى ﷺ قد اتّخذ قدام الصفيحة مسجدًا ، وهذه الصفيحة مستقلة فى الجدر من الأرض قدر ما يجلس تحتها الرجل، وذرعها ذراع فى ذراع وشبر[1]. قال الأزرقى : سألت جدى /[٩٣/أ] ويوسف ابن محمد وغيرهما من أهل العلم من أهل مكة عن هذه الصفيحة و لم جعلت هناك، وقلت لهم : إنى أسمع الناس يقولون : إن رسول الله ﷺ كان يجلس تحت تلك الصفيحة فيستدرى بها من الرمى بالحجارة إذا جاءه من دار أبى لهب ودار عدى بن أبى الحمراء الثقفى ، فأنكروا ذلك وقالوا: لم نسمع بهذا من ثبت ، ولقد سمعنا من يذكرها من أهل العلم فأصبح ما انتهى إلينا من خبر ذلك أن أهل مكة كانوا يتخذون فى بيوتهم صفائح من حجارة تكون شبه الرفاف ، يوضع عليها المتاع والشىء من الصبى والداجن يكون فى البيت، فقل بيت يخلو من تلك الرفاف[2]. انتهى . وغالب هذه الدار الآن على صفة المسجد وفيها قبة يقال لها : قبة الوحى . قال سعد الدين الإسفرائينى وفى هذه القبة حفرة عند الباب يقول : كان يجلس النبى ﷺ فيها وقت نزول الوحى وجبريل - عليه السلام - يجلس فى محراب القبة . انتهى . وإلى جنبها موضع يزوره الناس معها يسمونه المختبئ[3]، ويتصل بهذه القبة أيضًا الموضع الذى ولدت فيه فاطمة - رضى الله عنها . قال سعد الدين الإسفرائينى : وفى بيت من بيوت هذه الدار حفرة مثل التنور يقولون : إنها مسقط رأس فاطمة - رضى الله عنها - . قال المحب الطبرى : هذه الدار أفضل الأماكن بعد المسجد الحرام[4]. وممن عمرها الناصر العباسى ، وعُمِّر منها شىء فى دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر ، وفى أول دولة الملك الناصر فرج صاحب مصر، ومما عُمّر فى دولته قبة الوحى بعد سقوطها ، ويُذكر أن القبة التى كانت قبل هذه القبة من عمارة الملك المظفر صاحب اليمن ، وفى الرواق المقدم من هذه الدار مكتوب : إن المقتدر العباسى أمر بعمله ، وإلى جانب هذه الدار حوش كبير عمره / [٩٣/ب] الناصر العباسى ، ووقفه على مصالح دار خديجة - رضى الله عنها - على ما هو موجود فى حجر مكتوب فيه ذلك على باب الحوش ، وفيه أيضًا إن هذا الموضع مربد فاطمة - رضى الله عنها . ومنها : دار أبى بكر الصديق بزقاق الحجر ويقال له : زقاق المرفق أيضًا ، وهذه الدار معروفة مشهورة ، وعلى

---

(١) أخبار مكة (٢/ ١٩٩) .

(٢) أخبار مكة (٢/ ١٩٩ ، ٢٠٠) ، والجامع اللطيف (ص ٣٢٧ ، ٣٢٨) مختصرًا .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٢٧) .

(٤) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٢٨) .

بابها حجر مكتوب فيه : إنها دار أبي بكر الصديق ﷺ[1] وإنها عمرت بأمر الأمير الكبير نور الدين عمر بن على بن رسول الملك المسعودى فى سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، ويقابل هذه الدار حجر فى جدار يقال: إنه الذى كلم النبى ﷺ على ما ذكره ابن رشيد بضم الراء - فى رحلته[2] نقلاً عن العلم أحمد بن أبى بكر بن خليل العسقلانى ، عن عمه سليمان بن خليل ، عن ابن أبى الصيف عن الميانشى عن كل من لقيه بمكة ، وذكر ذلك ابن جبير والناس يتبركون بمسح هذا الحجر إلى الآن . وذكر سعد الدين الإسفرائينى فى كتاب «زبدة الأعمال» : أن أهل مكة يمشون فى المواليد من دار خديجة إلى مسجد يقولون: إنه كان دكان أبى بكر الصديق ﷺ كان يبيع فيه الخز ، وأسلم فيه على يده عثمان بن عفان وطلحة والزبير وغيرهم من الصحابة قال وفى جدار هذا الدكان أثر مرفق رسول الله ﷺ يروى : أنه جاء دكان أبى بكر ذات يوم واتكئ على هذا الجدار ونادى بأبى بكر مرتين. قال : وفى هذا الزقاق حجر مركب على جدار يزوره الناس ويقولون : هذا الحجر سلم على رسول الله ﷺ ليالى بُعث[3]. انتهى . وروى الترمذى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : «**إنى لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم على قبل أن ينزل على**»[4]. قال السهيلى فى «الروض الأنف» : وفى بعض المسندات زيادة أن هذا الحجر الذى كان يسلم / [٩٤/أ] عليه هو الحجر الأسود . قال : وهذا التسليم الأظهر فيه أن يكون حقيقة ، وأن يكون الله أنطقه إنطاقًا كما خلق الحنين فى الجذع ، وليس من شرط الكلام الذى هو حرف وصوت الحياة والعلم والإرادة ؛ لأنه صوت كسائر الأصوات ، والصوت عرض فى قول الأكثرين ، ولم يخالف فيه إلا النّظام فإنه زعم أنه جسم وجعله الأشعرى اصطكاكًا فى الجواهر بعضها لبعض - فهو عنده من الأكوان[5]- وقال أبو بكر بن الطيب : ليس الصوت نفس الاصطكاك ولكنه معنى زائد عليه[6]. قال السهيلى : ولو قدرنا الكلام صفة قائمة بنفس الحجر ، والصوت عبارة عنه ، لم يكن بُدّ من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام ، والله أعلم أى ذلك كان ، أكان كلامًا مقرونًا بحياة وعلم ، فيكون الحجر به مؤمنًا ، أم كان صوتًا

---

(١) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٢٩) .

(٢) ملء العيبة (ص ١٣٠ ، ١٣١) .

(٣) الجامع اللطيف (ص ٣٢٩) مختصرًا .

(٤) أخرجه مسلم : كتاب الفضائل - باب فضل نسب النبى ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ح (٢٢٧٧) ، والترمذى : كتاب المناقب - باب فى آيات إثبات نبوة النبى ﷺ ح (٣٦٢٤) عن جابر بن سمرة .

(٥) ليست فى الروض الأنف .

(٦) الروض الأنف (١/ ٢٦٧) .

مجردًا غير مقرون بحياة ؟ وفى كلا الوجهين هو علم من أعلام النبوة . وأما حنين الجذع فقد سمى حنينًا ، وحقيقة الحنين تقتضى شرط الحياة ، ويحتمل تسليم الحجارة أن يكون مضافًا فى الحقيقة إلى ملائكة يسكنون تلك الأماكن ويعمرونها فيكون مجازًا من باب قوله: ﴿ **واسأل القرية** ﴾[1]. والأول أظهر[2]. انتهى كلامه .

قال المحب الطبرى فى أحكامه فى ذكر تسليم الحجر والشجر عليه ﷺ عن جابر بن سمرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنى لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم علىَّ قبل أن أبعث ، وإنى لأعرفه الآن**»[3]. أخرجه مسلم وأبو حاتم ، وأخرجه الترمذى وقال : «**كان يسلم علىَّ ليالى بعثت**» . وقال : حسن غريب[4]. وقال عياض : قيل : إنه الحجر الأسود. قال المحب الطبرى : والظاهر أنه غيره ، فإن شأن الحجر الأسود عظيم ، ولو كان إياه لذكر ولما أنكره ، قال : واليوم بمكة حجر عند أبنية تعرف بدكان أبى بكر ، أخبرنا شيخنا /[٩٤/ب] أبو الربيع سليمان بن خليل أن أكابر أشياخ أهل مكة أخبروا أنه الحجر الذى كان يسلم عليه ﷺ . انتهى كلام الطبرى .

وقال المرجانى فى «بهجة النفوس» : قيل : هو الحجر الأسود . وقيل : الحجر المستطيل بباب دار أبى سفيان بزقاق الحجر . قال : وهذا الحجر على الدار باق إلى اليوم . انتهى . وهو كذلك باق إلى الآن . ومنها : دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى المعروفة بدار الخيزران التى عند الصفا ، والمقصود من زيارتها مسجد مشهور فيها[5]. ذكره الأزرقى وذكر أن رسول الله ﷺ كان مختفيًا فيه ، وأن فيه أسلم عمر بن الخطاب[6]. وقال غيره : كان ﷺ مستترًا فيه فى بدء الإسلام ، وكان به اجتماع من أسلم من الصحابة، وبه أسلم عمر بن الخطاب وحمزة وغيرهما ، ومنه ظهر الإسلام وله أيضًا فضل كثير[7]، قال [الأرقم][8] المرجانى : وأرقم بن أبى الأرقم اشترى المهدى داره بسبعة عشر ألف درهم ، ووهبها للخيزران أم الخليفتين الهادى والرشيد .

---

(١) سورة يوسف : الآية (٨٢) .

(٢) الروض الأنف (١/ ٢٦٧) .

(٣) تقدم تخريجه ، وأخرجه أبو حاتم فى صحيحه ح (٦٤٨٢) .

(٤) راجع سنن الترمذى (٥/ ٢٩٣) وكذلك هو فى تحفة الأشراف (٢/ ١٥٤) .

(٥) أخبار مكة للأزرقى (٢ / ٢٠٠) ، والجامع اللطيف (ص ٣٣٠) .

(٦) أخبار مكة (٢ / ٢٠٠) .

(٧) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣٠) .

(٨) كأنها مضروب عليها فى الأصل والصواب حذفها . والله أعلم .

قال سعد الدين الإسفرائيني : والمسجد الذى فى هذه الدار بنته جارية المهدى[1]، وممن عمر هذا المسجد الوزير الجواد ثم المستنصر العباسى ، وعمر فى آخر القرن الثامن بعض المجاورات . ومنها : دار العباس ﷺ عم النبى ﷺ التى بالمسعى المعظم ، وهى الآن رباط يسكنه الفقراء[2]. ومن الدور المباركة بمكة رباط الموفق بأسفل مكة[3]. وتقدم فى كتاب المناسك فى ذكر الأماكن المستجاب فيها الدعاء أنه يستجاب فيه الدعاء[4]. ومنها : معبد الجنيد بلحف الجبل الذى يقال له : الأحمر أحد أخشبى مكة ، وهو مشهور عند الناس[5]. وقال سعد الدين الإسفرائينى : إنه معبد الجنيد ومعبد إبراهيم بن أدهم[6].

وأما الجبال المباركة بمكة وحرمها : فمنها : الجبل المعروف بأبى قبيس ، وهو الجبل المشرف على الصفا وهو أحد / [٩٥/أ] أخشبى مكة ، والآخر الأحمر ، وإنما سمى أبا قبيس لثلاثة أوجه ؛ أحدهما : أنه سمى برجل من إياد يقال له : أبو قبيس بنى فيه فلما صعد البناء فيه سمى جبل أبى قبيس كذا ذكر الأزرقى[7] ، وقيل : إن هذا الجبل من مذحج ذكره ابن الجوزى . والثانى : أن الحجر الأسود استودع فيه عام الطوفان ، فلما بنى الخليل الكعبة نادى أبو قبيس : الركن منى بمكان كذا وكذا كما قدمناه . والثالث : سمى بقبيس ابن سالخ رجل من جرهم كان قد وشى بين عمرو بن مضاض وبين ابنة عمه ميَّة ، فنذرت أن لا تكلمه وكان شديد الكلف بها ، فحلف ليقتلن قبيسًا فهرب منه فى الجبل المعروف به وانقطع خبره ، فإما مات فيه وإما تردى منه ، وهو خبر طويل ذكره ابن هشام فى عبر السيرة . وصحح النووى فى «التهذيب» الوجه الأول ، وقال : إن الوجه الثانى ضعيف أو غلط[8]. وقال الأزرقى : الأول أشهر عند أهل مكة وكان يسمى فى الجاهلية الأمين ؛ للمعنى الذى ذكرناه فى الوجه الثانى وهذا مما يقويه ويرجحه على الوجهين الأخيرين[9].

---

(١) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣٠) .

(٢) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣٠) وقال : وفى جدارها أحد الميلين الأخضرين اللذين يسن الجرى بينهما حالة السعى .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣٠) .

(٤) نقله ابن ظهيرة (ص ٣٣٠) عن الشيخ خليل المالكى وأنه كان يكثر إتيانه للدعاء . والله أعلم .

(٥) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٣١) وقال الفاسى - رحمه الله - : ويقال له الآن قعيقعان وجبل أبى الحارث أيضًا .

(٦) نقله ابن ظهيرة (ص ٣٣١) عن جده . والله أعلم .

(٧) أخبار مكة (٢ / ٢٦٦ ، ٢٦٧) .

(٨) تهذيب الأسماء واللغات (٣ / ١٠٨ ، ١٠٩) .

(٩)راجع أخبار مكة (٢/ ٢٦٦ ، ٢٦٧) ، والجامع اللطيف (ص ٣٤٠) .

والله أعلم . وعن مجاهد قال : أول جبل وضعه الله على الأرض حين مادت أبو قبيس ثم حدثت منه الجبال[1] ذكره الأزرقي والواحدي ، وقبر آدم فيه على ما قال وهب بن منبه في غار يقال له : غار الكنز وهو غير معروف الآن[2]. وقيل : إن قبره بمسجد الخيف بعد أن صلى عليه جبريل عند باب الكعبة حكاه الفاكهي عن عروة بن الزبير[3]، وذكره ابن الجوزي في «درياق القلوب» وقال : دفنته الملائكة به . وقيل : عند مسجد الخيف ذكره الذهبي ، وفي منسك الفارسي . وقيل : عند منارة مسجده ، وقيل : قبره في الهند في الموضع الذي أهبط إليه من الجنة وصححه الحافظ ابن كثير[4]. وقال الأزرقي : إن قبر آدم وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف في بيت المقدس[5]. وقد تقدمت هذه الأقوال مع زيادة فوائد في أوائل هذا / [٩٥/ب] الباب . وفي أبي قبيس على ما قيل : قبر شيث بن آدم وأمه حواء[2] كذا ذكر الذهبي في جزء ألفه في تاريخ مدة آدم وبنيه ؛ لأنه قال : ودفن شيث مع أبويه في غار أبي قبيس .

وتقدم في باب الفضائل وغيره حديث الكتاب الموجود في الركن وفيه : أن مكة لا تزول حتى يزول أخشباها . وتقدم في أول الباب أن إبراهيم - عليه السلام - أذَّن في الناس بالحج على أبي قبيس على أحد الأقوال . وقال ابن النقاش في «فهم المناسك» : من صعد في كل جمعة إلى أبي قبيس رأى الحرم مثل الطير يزهر ، وإن صعد إلى ثور أو حراء أو ثبير كان أثبت لنظره ومشاهدته ، وخصوصًا ليالي رجب وشعبان ورمضان وليالي الأعياد . وجبال مكة تسمى جبال فاران كذا وجد في الفصل العشرين من السفر الخامس عن موسى - عليه السلام - أن الرب جاء من طور سيناء وأشرق من «ساعين»[6] واستعلن من جبال فاران . فمجيء الله من طور سيناء هو إنزاله التوراة على موسى ، وإشراقه من «ساعين»[6] إنزاله الإنجيل على عيسى ؛ لأنه كان يسكن في «ساعين»[6] أرض الخليل في قرية ناصرة ، واستعلاؤه من جبال فاران إنزاله القرآن على محمد ﷺ ، وفاران هي جبال مكة في قول الجميع[7].

---

(١) أخبار مكة للأزرقي (٢/ ٢٦٧) ، والجامع اللطيف (ص ٣٤٠) ونسبه كذلك لابن عباس . والله أعلم .

(٢) راجع الجامع اللطيف (ص٣٤٠) .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص٣٤٠) ، وأنه لُحد في مسجد الخيف راجع الفاكهي (٤ / ٢٧١) .

(٤) راجع البداية والنهاية (١ / ٩٢) .

(٥) أخبار مكة (١/ ٧٣) .

(٦) كذا في الأصل ، وفي تفسير القرطبي (١٥٩/١٣) «ساعير» وهو الصواب . والله أعلم .

(٧) راجع تفسير القرطبي (١٥٩/١٣) .

قال علماء التاريخ : جميع ما عرف في الأرض من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلاً ، من أعجبها سرنديب[1] ، وهو أقرب ذرا الأرض إلى السماء . وقيل : صخرة بيت المقدس أقرب ذرا الأرض من السماء بثمانية عشر ميلاً حكاه القرطبي . وطول جبل سرنديب مائتان ونيّف وستون ميلاً ، فيه أثر قدم آدم وعليه شبه البرق ، لا يذهب شتاء ولا صيفًا ، وحوله الياقوت وفي واديه الماس ، وفيه العود والفلفل ودابة المسك وهر الزباد، ووادي سرنديب متصل إلى قرب سيلان . وجبل الردم الذي / [٩٦/أ] فيه السد طوله سبعمائة فرسخ ، وينتهي إلى البحر المظلم[2] . وجبل قاف من زمردة خضراء محيط بالسموات والأرض ، ومنه اخضرت السماء ، دائر بالأرض من وراء البحر المحيط والسماء عليه مقببة ، وما أصاب الناس من زمرد كان مما تساقط من ذلك الجبل .

وقال وهب : أشرف ذو القرنين على جبل فرأى تحته جبالاً صغارًا فقال له : ما أنت . قال : أنا قاف . قال : فما هذه الجبال حولك ؟ قال : هي عروقي وما من مدينة إلا وفيها عرق من عروقي، فإذا أراد الله أن يزلزل مدينة أمرني فحركت عرقي ذلك فتزلزل تلك الأرض . فقال : يا قاف أخبرني بشيء من عظمة الله تعالى . قال : إن شأن ربنا لعظيم ، وإن ورائي أيضًا مسيرة خمسمائة عام في خمسمائة عام من جبال ثلج ، يحطم بعضها بعضًا لولا هي لاحترقت من حر جهنم . قال المرجاني : واسم جبل قاف «عيْلهون». قال : ولأجل هذا الاسم منع استعمال تلك الحفيظة حكاه المازري ، قال : ووراء قاف أرض بيضاء كافورية مثل الدنيا سبع مرات ، ومن خلفها السبعة الأبحر : أولها: يبطس ، الثاني : قيس ، الثالث : الأصم ، الرابع : المظلم ، الخامس : مايس ، السادس: الساكن ، السابع : الباكي وهي محيطة بعضها ببعض حكاه الكسائي .

قال وهب : خلقها الله في اليوم الثالث . وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**لما تجلى الله لجبل طور سيناء تشظى منه شظايا ، فنزلت بمكة ثلاثة ؛ حراء وقديد وثور ، وبالمدينة أحد وعير وورقان**»[3] . وعنه أيضًا قال : «**صار لعظمة الله ستة أجبل ، فوقعت ثلاثة بالمدينة : أحد وورقان ورضوى ، ووقعت ثلاثة بمكة ثور وثبير وحراء**»[4] . وقيل : نزلت بمكة أربعة حراء وثبير وثور وقديد . انتهى .

---

(١) المدهش (ص٥٨) .

(٢) راجع المدهش (ص٥٨) ، وراجع معجم البلدان (٣/٢١٥ ، ٢١٦) .

(٣) أخبار مكة للأزرقي (٢/٢٨٠،٢٨١) بإبدال «جبل قديد» بثبير . والله أعلم .

(٤) أورده في الدر المنثور (٣/١١٩) وعزاه لأبي الشيخ ، وابن مردويه ، وابن أبي حاتم . اهـ وهو كذلك في تفسير البغوي (٢/١٩٧،١٩٨)، وأورده ابن كثير في تفسيره (الأعرف /١٤٣) عن ابن=

قال المرجانى : ولم نعلم أن بحرم مكة جبلاً يقال له : قديدًا ، إنما قديد بينها وبينه مقدار أربعة أيام أو خمسة . / [٩٦/ب] والطور اسم الجبل الذى كلم الله عليه موسى ، وهو أحد جبال الجنة ، وعن عمرو بن عوف قال : قال رسول الله ﷺ : «**أربعة جبال من جبال ، وأربعة أنهار من أنهار الجنة ، وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة**» . قيل : فما الأجبل ؟ قال : «**أحد جبل يحبنا ونحبه، والطور من جبال الجنة ، ولبنان من جبال الجنة – وخصيب من جبال الجنة وهو بالروحاء – والأنهار : النيل والفرات وسيحان وجيحان ، والملاحم : بدر وأحد والخندق وخيبر**»[1] . قال : التوربشتى شارح المصابيح وفى قوله ﷺ: «**أربعة أنهار من أنهار الجنة**». الحديث وجهان ؛ أحدهما : أن نقول : إنما جعل الأنهار الأربعة من أنهار الجنة ؛ لما فيها من السلاسة والعذوبة والهضم وتضمنها البركة الإلهية وتشرفها بورود الأنبياء إليها وشربهم منها ، وذلك مثل قوله ﷺ فى عجوة المدينة : «**إنها من ثمار الجنة**»[2] . والآخر : أن نقول : يحتمل أنه سمى الأنهار التى هى أصول أنهار الجنة بتلك الأسامى ؛ ليعلم أنها فى الجنة بمثابة الأنهار الأربعة فى الدنيا ، أو لأنها مسميات بتلك المسميات فوقع الاشتراك فيها. انتهى . والطور هو الذى أقسم الله تعالى به بقوله : ﴿ **والطور وكتاب مسطور** ﴾[3] . لفضله على الجبال إذ روى أن الله أوحى إلى الجبال أنى مهبط على أحدكم أمرى – يريد رسالة موسى – فتطاولت كلها إلا الطور فإنه استكان لأمر الله وقال : حسبى الله . فأهبط الله الأمر عليه ذكره ابن عطية . وروى أن

= أبى حاتم بسنده ، وقال : وهذا حديث غريب ، بل منكر . اهـ . ، وذكره القرطبى فى تفسيره (١٧/٥٨) . وهو فى أخبار مكة للفاكهى (٤/٨٢) ، وقال ابن الجوزى فى الموضوعات (١/١٢٠) : حديث موضوع لا أصل له .

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير (١٧/١٨، ١٩) ، وليس فيه «وخصيب من جبال الجنة وهو بالروحاء» ، وقال فى المجمع (٤/١٤) وفيه كثير بن عبد الله وهو ضعيف . اهـ . وقال الحافظ فى التقريب ضعيف أفرط من نسبه إلى الكذب ، اهـ . وسقط من المصنف قوله «الجنة» من قوله ﷺ أربعة جبال من جبال .. إلخ وعند الطبرانى « وحنين » بدلاً من « وخيبر » .

(٢) عن أبى هريرة مرفوعًا : «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين ، والعجوة من الجنة ، وهى شفاء من السم» أخرجه الترمذى : كتاب الطب – باب ما جاء فى الكمأة والعجوة ح (٢٠٦٨) ، والنسائى فى الكبرى : الأطعمة – الكمأة (٤/١٥٧) ، وابن ماجة : كتاب الطب – باب الكمأة والعجوة ح(٣٤٥٥) ، وأحمد فى المسند (٢/ ٣٠١،٣٠٥،٣٢٥،٣٥٦،٣٥٧،٤٢١،٤٨٨،٤٩٠،٥١١) وقال الترمذى : حديث حسن . اهـ . وكذا هو فى تحفة الأشراف (١٣٤٩٦) عنه ، وجاءت بمعناه أحاديث أخرى عن جابر وأبى سعيد ورافع بن عمرو المزنى . والله أعلم .

(٣) سورة الطور : الآية (١) .

الله تعالى أوحى إلى الجبال أن السفينة - أى سفينة نوح - ترسو على واحد منها فتطاولت ، وبقى الجودى لم يتطاول تواضعًا لله تعالى فاستوت السفينة عليه وبقيت عليه أعواده[1] . وقال مجاهد : تشامخت الجبال وتطاولت لئلا ينالها الغرق ، فعلا الماء فوقها خمسة عشر ذراعًا ، وتواضع / [٩٧/أ] الجودى فلم يغرق ورست السفينة عليه . ويقال: إن الجودى من جبال الجنة فلهذا استوت عليه . ويقال : أكرم الله ثلاثة جبال بثلاثة نفر : الجودى بنوح ، وطور سيناء بموسى ، وحراء بمحمد ﷺ ذكره القرطبى[2] . وقال : لما تواضع الجودى وخضع عز ، ولما ارتفع غيره واستعلا ذل ، وهذه سُنة الله فى خلقه يرفع من يخشع ويضع من ترفع . ولقد أحسن القائل :

وإذا تذللت الرقاب «تخضعًا»[3] .·. منا إليك فعزّها فى ذلها

ومن ذلك قصة «القصواء»[4] ناقة النبى ﷺ التى كانت لا تسبق فسبقها قعود لأعرابى يومًا، فقال ﷺ : «**إن حقًّا على الله أن لا يرفع شيئًا فى الدنيا إلا وضعه**»[5] . انتهى .وبحرم مكة اثنا عشر ألف جبل ذكره الأزرقى فى الجبال ، وفى أبى قبيس انشق القمر للنبى ﷺ كما ذكره الحافظ قطب الدين الحلبى[6] ؛ لأنه قال : كان يرى نصفه على قعيقعان ونصفه الآخر على أبى قبيس . وذكر القطب أن أبا نعيم الحافظ روى بسنده إلى ابن عباس أن ذلك - يعنى انشقاق القمر - ليلة أربع عشرة فانشق القمر نصفين نصفًا على الصفا ونصفًا على المروة . انتهى . والصفا محسوب من أبى قبيس على ما ذكره العلماء فلا يضاد ما ذكره القطب من أن نصف القمر على أبى قبيس . وذكر القرطبى فى ذلك خبرًا وقال : اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ وقالوا : إن كنت صادقًا فاشقق لنا القمر فرقتين ؛ نصف على أبى قبيس ونصف على قعيقعان . فقال لهم رسول الله ﷺ : «**إن فعلت تؤمنون بى**». قالوا : نعم . وكانت تلك ليلة بدر فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما قالوا ، فانشق القمر فرقتين ورسول الله ﷺ ينادى المشركين : «**يا فلان يا فلان** / [٩٧/ب] **اشهدوا**»[7]. وأما كون الانشقاق وقع فى أبى قبيس فى الموضع الذى يقوله الناس

---

(١) راجع تفسير القرطبى (٤١/٩) .

(٢) فى تفسيره (٤١/٩،٤٢) .

(٣) وعند القرطبى «تخشعًا» وهى بمعناها . والله أعلم .

(٤) عند البخارى «العضباء» وكذا هى فى تفسير القرطبى . والله أعلم .

(٥) أخرجه البخارى : كتاب الرقاق - باب التواضع ح (٦٥٠١-فتح) عن أنس بن مالك .

(٦) راجع الجامع اللطيف (ص٣٤١) .

(٧) راجع البداية والنهاية (١١٧/٣) ، وأورده عن أبى نعيم بسنده ، وعزاه فى الدر المنثور (١٣٣/٦) إلى أبى نعيم فى الحلية ، والقرطبى (١٢٧/١٧) عن ابن عباس .

اليوم فلم أر ما يدل على ذلك ، وقد اختلفت الأحاديث فى موضع انشقاق القمر ، ففى مسند عبد حميد والترمذى عن أنس أنه وقع بمكة[1] . وفى صحيح مسلم حديث ابن مسعود أنه وقع بمنى[2] . وفى تفسير ابن عطية : قال ابن مسعود : رأيته انشق فذهب فرقة وراء جبل حراء. وقد تقدم فى الأماكن المستجاب فيها الدعاء أن الدعاء يستجاب فى أبى قبيس[3] ، ومن عجائبه ما ذكر القزوينى فى كتابه «عجائب المخلوقات» : من أنه يزعم الناس أن من أكل عليه الرأس المشوى يأمن أوجاع الرأس ، قال : وكثير من الناس يفعل ذلك[4] . انتهى .

قال قوام الدين فى «التبيين» شرح الأخسيكثى فى باب حروف المعانى : لما ذكر عن الشافعى ﷺ أن الواو للترتيب ، وقال : قد أنكر عليه أصحابه فى هذا ؛ لأنه قول لم يقل به أحد لمخالفته لموضوع اللغة ، ثم قال قوام الدين : والعجب من الغزالى حيث قرع صفات الحسن البصرى وطعن على مالك وشنع على أبى حنيفة فى آخر منخوله[5] فقال : وأما أبو حنيفة فلم يكن مجتهدًا ، لأنه لا يعرف اللغة وعليه يدل قوله : لو رماه بأبو قبيس. ثم غفل عن سهو إمامه ولقد صدقوا فى قولهم : حبك للشىء يعمى ويصم . والجواب عنه من وجوه :

أحدها : إنا نقول : لا نسلم أن أبا حنيفة تكلم بهذه الكلمة أصلاً وما ذاك إلا افتراء عليه ، فأى مسألة تعلقت بها وأى كتاب من كتب أصحابه حواها ، وأى دليل دل عليها، والله والله إن بعض الظن إثم .

والثانى : فرضنا أنه تكلم بمثل هذه الكلمة لكن لا نسلم أنه أخطأ ؛ لأنه يجوز بطريق الحكاية مثل هذا لقوله :

وجدنا فى كتاب بنى تميم ∴ أحقُّ الخيل بالركض المعارُ

---

(١) عن أنس قال : «إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر» . أخرجه البخارى : كتاب المناقب - باب سؤال المشركين أن يريهم النبى ﷺ آية ح (٣٦٣٧- فتح) ، ومسلم : كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - باب انشقاق القمر ح (٢٨٠٢) ، وعبد بن حميد ح(١١٨٤) ، والترمذى : كتاب التفسير - باب من سورة القمر ح (٣٢٨٦) .

(٢) أخرجه مسلم : كتاب صفات المنافقين - باب انشقاق القمر - ح (٢٨٠٠) .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص٣٤٠) ، وذكره الفاكهى واستشهد لذلك بحكاية الوفد الذين استسقوا فيه فأجيب لهم وسقوا .

(٤) بهامش « حياة الحيوان » للدميرى (٢٣٢/١) .

(٥) قال الذهبى فى سير أعلام النبلاء (٣٤٤/١٩) : وفى أواخر «المنخول» للغزالى كلام فج فى إمام لا أرى نقله هنا . ا هـ .

برفع القاف والراء . وكقولهم : قرأت ﴿ **سورة أنزلناها** ﴾[1]. بضم سورة . وقولهم : بدأت بالحمدُ لله . بضم الدال ، / [٩٨/أ] ولا تنكر الحكاية ، وهو أن ينقل القول على ما كان إلا من لا يمس بعلم الإعراب أو من له مس من الجنون ، والجنون فنون .

والثالث : فرضنا أنه أخطأ كما زعم هذا القائل ، لكن لا نسلم أن الشخص لا يكون مجتهدًا إذا أخطأ في شيء ؛ لأن القول بإصابة كل مجتهد ليس بمذهب المسلمين ، بل المجتهد يجوز له الخطأ والصواب ؛ لأنه ليس بمعصوم ، ثم نقول : هلا أورد الغزالي في كتابه ما أخذ أهل اللغة على إمامه في أشياء من الغلط ! .

الأول : قوله في «أحكام القرآن» : ﴿**ذلك أدنى أن لا تعولوا**﴾[2]. أي : لا تكثر عيالكم ، وإنما معناه لا تميلوا ، والثاني : قوله في كتابه هذا : إن الواو للترتيب ، وإنما هي لمطلق الجمع . والثالث : قوله في كتابه : ماء مالح ، وإنما هو ماء ملح ؛ لقوله تعالى : ﴿ **ملح أجاج** ﴾[3] . والرابع قوله : إذا أشلى كلبه – يريد به أغراه – وإنما يقال : أشلاه إذا استدعاه. والخامس : الغرم الهلاك ، وإنما الغرم اللزوم إلى غير ذلك[4].

ثم الغزالي شنع في كتابه «المنخول» في أشياء من غير حجة على دعواه ولا دليل على ما خيل له ، والله إنا كنا نعتقده غاية الاعتقاد لأجْل ما جمع في «إحيائه» من كلمات المشايخ بالنظر إلى الظاهر ، ثم لما رأينا طعنه على الكبار بلا إقامة برهان حصل بنا منه ما حصل ، ولقد صدقوا في قولهم : تسمع بالمعيدى خير من أن تراه . اللهم ارزقنا الصدق والوفاء ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا وهيئ لنا من أمرنا رشدًا . انتهى كلام قوام الدين وهذا لفظه .

ومنها : جبل حراء بأعلى مكة وهو ممدود ، ومنهم من يذهب فيه إلى التذكير فيصرفه ، ومنهم من يذهب فيه إلى التأنيث فيمنعه الصرف[5]. وهذا الجبل من مكة على ثلاثة أميال كما ذكره صاحب المطالع وغيره ، وهو مقابل لثبير والوادى بينهما ، وهما على يسار السالك إلى منى ، وحراء قِبلى ثبير مما يلى شمال الشمس، وأما ثور فمن جهة

---

(١) سورة النور : الآية (١) .

(٢) سورة النساء : الآية (٣) .

(٣) سورة الفرقان : الآية (٥٣) ، وسورة فاطر : الآية (١٢) .

(٤) قد تولى الرد على هذه المزاعم الإمام فخر الدين الرازى فى كتابه « مناقب الشافعى » فراجعه فإنه مفيد . والله أعلم .

(٥) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٤١ ، ٣٤٢) .

الجنوب من على / [٩٨/ب] يمين الشمس ، «ويسمى هذا الجبل بعضهم جبل النور ، ولعمرى إنه كذلك لكثرة مجاورة النبى ﷺ وتعبده فيه ، وما خصه الله فيه من الكرامة بالرسالة إليه ونزول الوحى فيه عليه ، وذلك فى غار فى أعلاه مشهور يَأثره الخلف عن السلف - رحمهم الله - ويقصدونه بالزيارة»[١]، وأما ما ذكر الأزرقى فى تاريخه[٢] فى ذكر الجبال : من أن النبى ﷺ أتى هذا الجبل واختبئ فيه من المشركين فى غار فى رأسه مشرف مما يلى القبلة . فقال بعض مَن عاصرناه : إن هذا ليس بمعروف ، والمعروف أن النبى ﷺ لم يختبئ من المشركين إلا فى غار ثور بأسفل مكة[٣] . انتهى .

ويؤيد ما ذكره الأزرقى ما قاله القاضى عياض ثم السهيلى فى «الروض الأنف»[٤]: أن قريشًا حين طلبوا رسول الله ﷺ كان على ثبير فقال له ثبير وهو على ظهره : اهبط عنى يا رسول الله ، فإنى أخاف أن تقتل على ظهرى فيعذبنى الله ، فناداه حراء إلىّ يا رسول الله . فيحتمل أن يكون النبى ﷺ اختبئ فيه من المشركين فى واقعة ثم اختفى فى ثور فى واقعة أخرى وهى خبر الهجرة .

وقال السهيلى فى حديث الهجرة : وأحسب فى الحديث أن ثورًا ناداه أيضًا لما قال له ثبير : اهبط عنى . وهذا الغار الذى فى الجبل مشهور بالخير والبركة ؛ لحديث بدء الوحى الثابت فى الصحيحين([٥]) ، وأورد ابن أبى جمرة سؤالاً وهو : أنه لم اختص ﷺ بغار حراء فكان يخلو فيه ويتحنث دون غيره من المواضع ولم يبدله فى طول تحنثه ؟ وأجاب عن ذلك بأن هذا الغار له فضل زائد على غيره من قبل أن يكون فيه منزويًا مجموعًا لتحنثه وهو يبصر بيت ربه والنظر إلى البيت عبادة ، فكان له اجتماع ثلاث عبادات وهى الخلوة والتحنث والنظر إلى البيت ، وجمع هذه الثلاث أولى من الاقتصار على بعضها / [٩٩/أ] دون بعض ، وغيره من الأماكن ليس فيه ذلك المعنى ، فجمع له ﷺ فى المبادى كل حسن بادى[٦]. انتهى . وعن ابن أبى مليكة قال : جاءت خديجة إلى النبى ﷺ بحيس وهو بحراء فجاءه جبريل فقال : يا محمد هذه خديجة قد جاءتك تحمل حيسًا معها والله يأمرك أن تقرئها السلام وتبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب ، فلما أن رقت

(١) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٤٢) .

(٢) أخبار مكة (٢/٢٨٨) .

(٣) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٤٢) .

(٤) راجع (١/٢٦٨) ، والجامع اللطيف (ص ٣٤٢) .

(٥) أخرجه البخارى ح (٣) ، ومسلم ح (١٦٠) عن عائشة .

(٦) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٤٢) وأضاف أن هذا الجبل كان يختلى فيه أجداده ﷺ ، ثم ذكر أن هذا أحسن ما قيل . والله أعلم .

خديجة قال لها النبي ﷺ : «**يا خديجة إن جبريل جاءنى والله يقرئك السلام ، ويبشرك ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب**» . فقالت خديجة : الله السلام ومن الله السلام وعلى جبريل السلام[1] . رواه الأزرقى . وذكر المرجانى فى «بهجة النفوس» عجيبة قال : خرجت فى بعض الأيام إلى زيارة حراء وكان يوم السبت الثانى من جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، وكان يوم غيم فلما كان بعد الظهر سمعت لبعض تلك الأحجار فيه أصواتًا عجيبة فرفعت حجرين منها فى كل كف حجر ، فكنت أجد رعدة الحجر فى يدى وهو يصيح ، ثم إنى رفعت يدى فصاحت كل واحدة من أصابعى أيضًا وكان محل الصياح قامة من الأرض فما كان على سمتها صاح وما كان أرفع من ذلك أو أخفض لم يتكلم فعلمت أن ذلك تسبيح فدعوت الله تعالى بما تيسر فلما طلعت الشمس سكت فقست الشمس فوجدت ظل كل شيء مثله ومثل ربعه فقدرته بعد ذلك بالإسطرلان فكانت تلك هى الساعة العاشرة وكان صوت الحجر يسمع من مدى مائة خطوة قال : فذكرت ما رأيته لوالدى - رحمه الله - فقال : وأنا جرى لى بحراء شبه ذلك وذلك أنا كنا جماعة بائتين به وكانت ليلة غيم فقمت فى أثناء الليل وإذا بإبريق للفقراء وشبه النار خارج منه وقد أضاء / [٩٩/ب] المكان من ذلك قال : فأيقظت الجماعة وكنت أفتح كفى فيبقى على رأس كل إصبع شعلة نار مثل الشمع قال : فوضعت عمامتى على عكاز ورفعته فأشعل كالشعل فذكرنا ذلك لبعض الصالحين فقال : مرت بكم سحابة السكون قال المرجانى : والصفتان واحدة إلا أنى رأيت ذلك نهارًا فكان ضوءًا وهم رأوه ليلاً فكان نورًا قال : ثم إنى صعدت الجبل أيضًا يوم السبت الثامن عشر من شوال سنة أربع وخمسين وسبعمائة وكان معى جماعة منهم [به][2] فاتفق لى مثل ذلك ورآه الجماعة قال المرجانى : وحدثنى والدى عن بعض من أدركه من كبراء وقته أنه كان يصعد معه إلى حراء فى كل عام مرة فيلتقط ذلك الشخص من بعض الحجارة قال : فسألته عن ذلك فقال : أخرج منها نفقتى [به][2] العام ذهبًا إبريزًا . انتهى كلام المرحانى وله شعر أنشده فى فضائل حراء وما اختص به من الكرامات وهو :

تأمل حراء فى جمال محياه ∴ فكم من أناس فى حُلا حسنه تاهوا

---

(١) أخبار مكة للأزرقى (٢/ ٢٠٤) ، وعن أبى هريرة بنحوه ، أخرجه البخارى : كتاب مناقب الأنصار - باب تزوج النبى ﷺ خديجة وفضلها - رضى الله عنها - ح(٣٨٢٠ - فتح) ، ومسلم : كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل خديجة أم المؤمنين - رضى الله تعالى عنها - ح(٢٤٣٢) .
والقصب : اللؤلؤ المجوف ، والصخب : الصوت المختلط المرتفع ، والنصب : المشقة والتعب .

(٢) لعلها هكذا فى الأصل . والله أعلم .

فمما حوى من هجا لعلياه زيـرًا ∴ يفرَّج عنه الهم فى حال مرقـــــاه
به خلوة الهادى الشفيع محمـــدٍ ∴ وفيه له غار له كان يرقـــــــاه
وقبلته للقدس كانت بغـــــاره ∴ وفيه أتاه الوحى فى حال مبـــداه
وفيه تجلى الروح بالموقف الـذى ∴ به اللـه فى وقت البداءة ســـــوَّاه
وتحت تخوم الأرض فى السبع أصله ∴ ومن بعد هذا اهتز بالسفل أعـــلاه
ولما تجلى اللـه قدس ذكـــــره ∴ لطور تشظى فهو إحدى شظايـــاه
ومنها ثبير ثم ثور بمكـــــــة ∴ كذا قد أتى فى نقل تاريخ مبـــداه
وفى طيبة أيضًا ثلاثًا نعدهـــــا ∴ فعيرًا وورقانًا وأحدًا روينــــــاه
ويقبل فيه ساعة الظهر من دعـا ∴ به وينادى من دعانا أجبنـــــــاه
وفى أحد الأقوال فىعقبت حرا ∴ أتى ثم قابيل لهابيل غشـــــــاه
ومما حوى سرًّا حوته صخـوره ∴ من التبر إكسيرًا يقام سمعنها/[١٠٠/أ]
سمعت به تسبيحها غير مـــــرة ∴ وأسمعته جمعًا فقالوا سمعنـــــــاه
به مركز النور الإلهى مثبتـــًا ∴ فللـه ما أحلى مقامًا بأعــــــلاه

قيل : كان ﷺ يصلى فيه إلى القدس وقيل : إنما كان يصلى ذلك الوقت إلى الكعبـة ثم انتقل إلى بيت المقدس ثم بعد ذلك تحول إلى الكعبـة قـالوا : وفـى حـراء رأى النبى ﷺ جبريل فى الخلقة الأولى له ستمائة جناح قد سد الأفق . ومنها جبل ثور بأسفل مكة وسمـاه البكرى أبا ثور والمعروف فيه ثور كما ذكره الأزرقى[١] والمحب الطبرى وهو من مكة علـى ثلاثة أميال كما ذكره ابن الحاج وابن جبير وقال البكرى : إنـه علـى ميلـين مـن مكـة وإن ارتفاعه نحو ميل[٢] . قال المرجانى : وسمى الجبل ثورًا وإنما اسمه المحل سمى بثور بن منـاة بـن طائخة ؛ لأنه كان ينزله . وصح أن النبى ﷺ وأبا بكر الصديق اختليا فيه فى غار بـه وهـو مشهور يأثره الخلف عن السلف ، وهو الذى ذكره اللــه سبحانه فـى القـرآن فـى قولـه : ﴿ **ثانى اثنين إذ هما فى الغار** ﴾[٣] وفى حديث الهجرة[٤] أن النبى ﷺ وأبا بكر لحقا بغـار فى جبل ثور بأسفل مكة فدخلاه وأمر أبو بكر رضي الله عنه ابنه عبد اللـه أن يتسمع لهما ما يقـول

---

(١) أخبار مكة (٢/٢٩٤) .

(٢) راجع الجامع اللطيف (ص٣٤٣) .

(٣) سورة التوبة : الآية (٤٠) .

(٤) ممن أخرج حديث الهجرة بنحـو مـا ذكـره المصنـف ، البخـارى : كتـاب الإجـارة – بـاب اسـتئجار المشـركين عنـد الضـرورة .. إلخ ح (٢٢٦٣ – فتـح) وراجـع أطرافـه – ح (٤٧٢) عـن عائشـة – رضى اللـه عنها – .

الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر وأمر عامر ابن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما إذا أمسى في الغار وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما من الطعام بما يصلبهما فأقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثًا ومعه أبو بكر وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن رده عليهم وكان عبد الله بن أبى بكر يكون في قريش ومعهم يتسمع ما يقولون في شأن رسول الله ﷺ وأبى بكر ثم يأتيهما إذا أمسى ويخبرهما الخبر وكان عامر ابن فهيرة مولى أبى بكر يرعى في رعيان أهل مكة فإذا أمسى أراح عليهما / [١٠٠/ب] غنم أبى بكر فاحتلبا وذبحا فإذا غدا عبد الله بن أبى بكر من عندهما إلى مكة اتبع عامر ابن فهيرة أثره بالغنم حتى يعمى عليهم حتى إذا مضت الثلاث وسكن عنهم الناس أتاهما صاحبهما الذى استأجراه بعيرهما وأتتهما أسماء بنت أبى بكر بسفرتهما وارتحلا الحديث بطوله ، وفي رواية : لما دخلا غار ثور أمر الله العنكبوت فنسجت على بابه والراءة[١] فنبتت[٢] وحمامتين وحشيتين فغشيتا على بابه فأقاما في الغار بضعة عشر يومًا ثم خرج منه ليلة الاثنين لأربع ليال خلون من شهر ربيع الأول على ناقته الجذعاء .

قالت أسماء : فمكثنا ثلاثًا لا ندرى أين وجه النبى ﷺ حتى أنشد رجل من الجن من أسفل مكة أبياتًا من الشعر وأن الناس يتبعونه يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلى مكة .

ويروى أن أبا بكر لما خرج مع رسول الله ﷺ متوجهًا إلى الغار جعل يمشى طورًا أمامه وطورًا خلفه وطورًا عن يمينه وطورًا عن شماله قال : «**ما هذا يا أبا بكر ؟**» قال : يا رسول الله بأبى أنت وأمى أذكر الرصد فأحب أن أكون أمامك وأتخوف الطلب فأحب أن أكون خلفك وأحفظ الطريق يمينًا وشمالاً فقال : «**لا بأس عليك يا أبا بكر إن الله معنا**» قال : وكان رسول الله ﷺ غير مخصر القدم يطأ بجميع قدمه الأرض وكان حافيًا فحفى رسول الله ﷺ فحمل رسول الله أبو بكر على كاهله حتى انتهى إلى الغار فلما وضعه ذهب النبى ﷺ ليدخل فقال أبو بكر : والذى بعثك بالحق لا تدخل حتى أدخل فأسبره قبلك فدخل رضي الله عنه فجعل يلتمس بيده في ظلمة الليل الغار مخافة أن يكون فيه شيء يؤذى رسول الله ﷺ فلما لم ير شيئًا دخل رسول الله ﷺ فكانا فيه ، فلما / [١٠١/أ]

---

(١) قال قاسم : هى شجرة معروفة ، وقال أبو حنيفة : من أغلاف الشجر ، وتكون مثل قامة الإنسان ، ولها خيطان وزهر أبيض تحشى به المخاد ، فيكون كالريش لخفته ولينه ، لأنه كالقطن . وراجع الروض الأنف (٢/٢٣٢) .

(٢) ذكر هذه الرواية قاسم بن ثابت في الدلائل . راجع الروض الأنف (٢/٢٣١،٢٣٢) .

استقر بعض الإسفار رأى أبو بكر خرقًا فى الغار فألقمه قدمه حتى الصباح مخافة أن يخرج منه هامة أو ما يؤذى رسول الله ﷺ[1].

وعن مجاهد عن ابن عباس قال : كان أبو بكر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ فى الغار فعطش أبو بكر عطشًا شديدًا فشكى إلى رسول الله ﷺ ذلك فقال له رسول الله ﷺ : «**اذهب إلى صدر الغار فاشرب**» قال أبو بكر : فانطلقت إلى صدر الغار فشربت ماء أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأزكى رائحة من المسك ثم عدت إلى رسول الله ﷺ فقال : **شربت ؟** فقلت : شربت يا رسول الله فقال : «**ألا أبشرك ؟**» فقلت : بلى فداك أبى وأمى يارسول الله قال ﷺ :«**إن الله أمر الملك الموكل بأنهار الجنان أن اخرق نهرًا من جنة الفردوس إلى صدر الغار ليشرب أبو بكر**» قال أبو بكر رضي الله عنه : ولى عند الله هذه المنزلة ؟ قال ﷺ: «**نعم وأفضل والذى بعثنى بالحق نبيًا لا يدخل الجنة مبغضك ولو كان له عمل سبعين نبيًا**»[2]. وفى الصحيحين والترمذى عن أبى بكر رضي الله عنه قال : نظرت إلى أقدام المشركين ونحن فى الغار وهم على رؤوسنا فقلت : يارسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدمه أبصرنا تحت قدميه فقال : «**ياأبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»[3] وعن طلحة البصرى قال : قال رسول الله ﷺ : « **لبثت مع صاحبى** - يعنى أبا بكر رضي الله عنه - **فى الغار بضعة عشر يومًا**

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة (٢/ ٤٧٦ ، ٤٧٧) ، وعزاه فى الدر المنثور (٣ / ٢٤١) للبيهقى وابن عساكر ، وهو فى الإحياء (٢/ ٣٤٥) وقال العراقى فى تخريجه : بإسناد ضعيف ، وقصة الهجرة رواها البخارى من حديث عائشة بغير هذا السياق ، واتفق عليها الشيخان من حديث أبى بكر بلفظ آخر ، ولهما من حديثه قال : قلت يا رسول الله ﷺ لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ، وأما قتاله لأهل الردة ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة : لما توفى رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبى بكر كيف تقاتل الناس .. اهـ ، وأما حديث سد الخرق بقدمه فأخرجه أبو نعيم فى الحلية (١ / ٣٣) ، وعزاه السيوطى فى الدر (٣ / ٢٤٢) إلى ابن مردويه عن أنس ، والحديث الذى ذكره المصنف من رواية ضبة بن محصن العنزى عن عمر فى قصة ، وهو من مرسل ابن أبى مليكة عند أبى القاسم البغوى كما أفاده الحافظ فى الفتح (٧ / ٢٧٩) . والله أعلم .

(٢) فى الدر المنثور (٣ / ٢٤٢ ، ٢٤٣) وقال أخرجه ابن عساكر فى تاريخه بسند واه عن ابن عباس وذكره بنحوه .

(٣) أخرجه البخارى : كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب المهاجرين .. ح (٣٦٥٣ - فتح) ، ومسلم : كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل أبى بكر الصديق رضى الله عنه ح (٢٣٨١) ، والترمذى : كتاب تفسير القرآن - باب من سورة التوبة ح (٣٠٩٦) عن أنس أن أبا بكر حدثه .

ومالنا طعام إلا ثـمر البرير»[1] قال أبو داود [2] : البرير الأراك .

وقد ثبت في صحيح البخارى[3] أنهما مكثا فى الغار ثلاثًا وهذا القول هو الراجح لإجماع أهل التاريخ عليه ويحتمل أن يكون كلا القولين صحيحًا ووجه الجمع أنهما مكثا فى الغار ثلاثًا ويكون معنى الحديث : مكثت مع صاحبى مختفيين من المشركين فى الطريق والغار بضعة عشر يومًا ويروى أن الله تعالى أمر شجرة ليلة / [١٠١/ب] الغار فثبتت فى وجه النبى ﷺ فسترته وأمر الله تعالى حمامتين وحشيتين فوقعتا بفم الغار وأقبل فتيان قريش من كل بطن رجل بعصيهم «وهراوتهم»[4] وسيوفهم حتى إذا كانوا من النبى ﷺ بقدر أربعين ذراعًا تعجل رجل منهم لينظر فى الغار فرأى الحمامتين بفم الغار فرجع إلى أصحابه فقالوا له : لم تنظر فى الغار ؟ فقال : رأيت حمامتين بفم الغار فعلمت أنه ليس فيه أحد فسمع النبى ﷺ ما قال فعلم أن الله تعالى قد درء عنه بهما فدعا لهما وسمت عليهما وفرض «أجزاءهما»[5] وانحدرا فى الحرم [6] رواه أبو مصعب المكى . وعن ابن عباس قال : استأجر المشركون رجلاً يقال له : كرز بن علقمة الخزاعى فقفا لهم الأثر حتى أتى بهم إلى ثور وهو بأسفل مكة فقال : انتهى إلى هاهنا أثره فما أدرى أخذ يمينًا أم شمالاً أم صعد الجبل

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند (٣ / ٤٨٧) ، عن طلحة وليس هو طلحة بن عبيد الله ، والحاكم فى المستدرك (٣ / ١٤ ، ١٥) عن طلحة البصرى ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . اهـ . قال الذهبى : صحيح سمعه جماعة من داود وهو فى مسند أحمد . اهـ . وفى المستدرك كذلك (٤ / ٥٤٨ ، ٥٤٩) عن طلحة النضرى ، وقال فيه مثلما قال فى الموضع السابق ، وقال الحافظ فى الفتح (٧ / ٢٧٩) : لم يقع فى رواية أحمد ذكر الغار ، وهى زيادة فى الخبر من بعض رواته ، ولا يصح حمله على حالة الهجرة لما فى الصحيح .. إلخ .

(٢) كذا فى الأصل ، والصواب «داود» وذلك لأن داود بن هند سأل أبا حرب بن الأسود الراوى عن طلحة ، عن معنى البرير فأجابه أبو حرب ، كذا وقع عند الحاكم فى روايته . والله أعلم .

(٣) أخرجه البخارى : كتاب الإجارة - باب استئجار المشركين عند الضرورة ح (٢٢٦٣ - فتح) عن عائشة ، وفيه أنهما واعده - أى الدليل صبيحة ليال ثلاث . والله أعلم .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى الرواية «هراواتهم» . والله أعلم .

(٥) كذا فى الأصل ، والصواب «جزاءهما» كما فى الرواية . والله أعلم .

(٦) عزاه فى الدر المنثور (٣ / ٢٤٢) إلى ابن سعد وابن مردويه عن ابن مصعب قال : أدركت أنس بن مالك وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة فسمعتهم يتحدثون . وذكره ابن سعد فى الطبقات (١/ ٢٢٨ ، ٢٢٩) ، وأخرجه البزار ح (١٧٤١ - كشف) وقال البزار : لا نعلم رواه إلا عون ابن عمير ، وهو بصرى مشهور ، وأبو مصعب فلا نعلم حدث عنه إلا عوين ، وكان عوين ورباح أخوين . اهـ .

فلما انتهوا إلى فم الغار قال قائل منهم : ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف : ما أربُكم إلى الغار إن عليه لعنكبوتًا كان قبل ميلاد محمد ﷺ ثم جاء فبال في صدر الغار حتى سال بوله بين يدى النبى ﷺ وأبى بكر ، فنهى النبى ﷺ عن قتل العنكبوت وقال : « **إنهـا لخيـل مـن جنود اللـه تعالى** »[1] رواه عبد الملك بن محمد النيسابورى فى كتاب «شرف المصطفى» .

وعن إبراهيم التيمى قال : لما دخل النبى ﷺ الغار دعا شجرة كانت على باب الغار فقال لها : ائتنى فأقبلت حتى وقفت على باب الغار قال : وكان الذى بـال مستقبل الغار عطية بن أبى معيط . وفى كتاب «الدلائل» للسيرقسطى : لما دخـل رسـول اللـه ﷺ الغار أنبت الله تعالى على بابه الراءة وهى شجرة معروفة ، قـال أبـو حنيفـة : هـى مـن أغـلاف الشجر وتكون مثل قامة الإنسان ولها زهر أبيض يحشى منه المخـاد وقيـل : هـى شـجرة أم غيلان وفى مسند البزار[2] أن الله تعالى / [١٠٢/أ] أرسل حمامتين وحشيتين فوقعتا علـى وجه الغار وأن نسل حمام الحرم من نسل تلك الحمامتين . ذكره السهيلى[3]. وفـى حديـث الهجرة وقوله ﷺ: «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»[4].

فوائد منها : بيان فضل أبى بكر الصديق حيث قرنه النبـى ﷺ بنفسه وقـال : «**ما ظنك باثنين اللـه ثالثهما**» معناه ثالثهما بالحفظ والعصمة والنصر والمعونـة والتسديد وهـو داخل فى قوله تعالى : ﴿**إن اللـه مع الذين اتقـوا والذيـن هـم محسنون**﴾[5] وقيـل : هـو معنى قوله : ﴿**إذ يقول لصاحبه لا تحـزن إن اللـه معنا**﴾[6] ومنهـا عظـم قـدر النبـى ﷺ وارتفاع شأنه وتعالى رتبته ومكانه عن التأثر بنوائب الدنيا والتغير بمصائبها ومتاعبهـا حيـث اهتم أبو بكر بوصولهم إلى باب الغار متبعين لأثرهما وخاف من اطلاعهم عليهما و لم يهتـم و لم يبال بأمرهم رسول الله ﷺ وثبّت جاش أبى بكر وأزال روعه وطمأن نفسه علـى أن المفسرين ذكروا أن كثرة خوف أبى بكـر رضي الله عنه إنما كـانت لرسـول اللـه ﷺ لا لنفسـه ، ويروى أنه قال لما خاف الطلب : يا رسـول اللـه إن قتلـت فأنـا رجـل واحـد وإن أصبت

---

(١) أورد السيوطى فى الدر المنثور (٣ / ٢٤٠) حديثًا عن محمد بن إبراهيم التيمى مرفوعًا ، وفيـه ذكـر العنكبوت والنهى عن قتلها وأنها من جند الله ، وقال : أخرجه أبو نعيم ، وحديثًا عن ابن عباس فيـه ذكر القائف ، وهو عند ابن مردويه وأبى نعيم فى الدلائل . والله أعلم .

(٢) أخرجه البزار ح (١٧٤١ - كشف) وفيه - أحسبه قال : فأصل كل حمام فى الحرم من فراخهما . اهـ . وقد تقدم تخريج الحديث .

(٣) الروض الأنف (٢/ ٢٣٢) .

(٤) تقدم تخريجه .

(٥) سورة النحل : الآية (١٢٨) .

(٦) سورة التوبة : الآية (٤٠) .

هلكت الأمة وفيه بيان عظم توكل النبى ﷺ حتى فى هذا المقام . قال النووى : وفيه فضيلة لأبى بكر وهى أجل مناقبه من أوجه - أحدها : هذا اللفظ المعطى تكريمه وتعظيمه.وثانيها : بذل نفسه ومفارقته أهله وماله ورياسته فى طاعة الله ورسوله وملازمة النبى ﷺ ومعاداة الناس فيه . وثالثها : جعل نفسه وقاية عنه[1] انتهى كلامه قيل : ورابعها تخصيص الله تعالى إياه فى أمر نبيه ﷺ باستصحابه دون غيره من سائر الناس ومن فوائد الحديث بيان كراهة المكث بين الكفار والفجار / [١٠٢/ب] والفساق الذين لا يتدينون بالحق ولا يمكن حملهم عليه ومنها جواز التحصن بالقلاع عند الخوف من العدو ومنها : أن تعهد الأسباب فى الحاجات لا يقدح فى التوكل والاعتماد على الله تعالى ومنها : أنه يجوز الأخذ بالحزم وإظهار ظن السوء المتوقع من العدو ، وليس ذلك من الظن المنهى عنه لأن أبا بكر رضى الله عنه قال : لأبصرنا تحت قدميه ولم ينكر عليه النبى ﷺ ومنها أنه يجوز المسافرة بالرفيق الواحد عند الحاجة بلا كراهة وإن ورد خير الرفقاء أربعة فإنه ﷺ لم يستصحب سوى أبى بكر ومنها أنه يجوز لأحد الرفيقين أن يظهر لصاحبه خوفه مما يخاف منه ليخفف عن نفسه ببث الشكوى وليكون صاحبه واقفًا على الحال مستعدًّا لما عساه أن يعرض . ومنها : أنه ينبغى للمشكو إليه أن يسكن جأش الشاكى ويعده الجميل من الله تعالى ويحثه على حسن الظن به ومنها استعمال الأدب فى المخاطبات بذكر الإنسان بكنيته ونحو ذلك مما يتضمن الإكرام لقوله ﷺ : يا أبا بكر . ومنها : جواز التكنية بأبى فلان وإن لم يكن للمكنى ابن مسمى بذلك إذ لم يكن لأبى بكر ابن يسمى بكرًا . وعن غالب بن عبد الله عن أبيه عن جده أنه قال : شهدت مع رسول الله ﷺ قال لحسان بن ثابت : «**قلت فى أبى بكر شيئًا قل : حتى أسمع**» قال : قلت :

وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد ∴ طاف العدو به إذ صاعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا ∴ من الخلائق لم يعدل به بدلا

فتبسم رسول الله ﷺ وفى الحديث : بيان فضل جبل ثور بما خصه الله بهذه المزية الكريمة والمنقبة العظيمة من بين سائر الأطواد والأعلام حيث جعله متحصن خير الأنام وقلعة رسول الله وحبيبه عليه أفضل الصلاة والسلام . وفيه : / [١٠٣/أ] بيان فضيلة هذا الغار الشريف على سائر المغائر حيث كان صدفًا لأشرف الجواهر ، وكهفًا لكهف الأنبياء والمرسلين وكنفًا لكنف الخلائق من الأولين والآخرين وأنشد للرافعى :

فخص بذكر الله خير مغار ∴ ولا تتغافل عن هجوم مغار
وكن حذرًا من غيرة الله واستقم ∴ لديه لئلاً تبتلى بصغار

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٥ / ١٥٠) .

وقلت فى «تخليص الزبدة فى تخميس البردة» عند قوله : وما حوى الغار من خير ومن كرم .. الأبيات :

فهو الذى ريقه يشفى من السقـــم .·. بتفله حلت الآبار فى الطعـــــم
فاعجب لتغريد كالدر منتظـــم .·. وما حوى الغار من جود ومن كرم
وكل طرف من الكفار عنه عمى

لما رأوا غار ثور كلهم عميـــا .·. وصار بدر الدجى باللطف مختفيا
وقال يا صاح لا تحزن فلن يريـا .·. فالصدق فى الغار والصديق لم يريا
وهم يقولون ما بالغار من أدم

باض الحمام به والعشب قد لمندلا .·. والعنكبوت أجادت نسجها حُللا
وشجرة الراء رمت فى قلبهم عللا .·. ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على
خير البرية لم تنسج ولم يحم

فكم أسود بنار الحرب عارفـة .·. وفى مثاقفة بل فى مسابقـة
وفى الدروع مع التجفاف خائفة .·. وقاية اللـه أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الأطُم

قال المرجانى فى «بهجة النفوس» : وذكر بعض الحمالين أنه عرف رجلاً كان له جماعة بنين وأموال كثيرة وأنه أصيب فى ذلك كله فلم يحزن على شىء من ذلك لقوة صبره، قال : فسألته عن ذلك فقال : إنه روى أن من دخل غار ثور الذى آوى إليه رسول اللـه ﷺ وأبو بكر ﷺ وسأل اللـه تعالى أن يذهب عنه الحزن لم يحزن على شىء من /[١٠٣/ب] مصائب الدنيا وقد فعلت ذلك فما ترى منه .

قال المرجانى : والخاصة فى ذلك من قوله تعالى : **﴿ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن اللـه معنا﴾**[1]. قال : ورأيت بهذا الجبل حيوانًا يسمى الحلقوم له ألف كراع فى مائتى رجل ، ورأيته أيضًا بأرض الطائف ونخله وبالقدس من أرض فلسطين . انتهى . والناس يدخلون غار جبل ثور من بابه الضيق ومن بابه المتسع وبعض الناس يتجنبُ دخوله من بابه الضيق ويقولون : من لم يدخل منه ليس لأبيه[2]. وقد وسع الباب الضيق فى زماننا لأن بعض الناس انحبس فيه لما ولج فلم يقدر أن يخرج ولا يدخل ومكث على ذلك قريبًا من ليلة فراح إليه المجاورون ووسعوا له وقطعوا عنه الحجر من

---

(١) سورة التوبة : الآية (٤٠) .

(٢) قال ابن ظهيرة فى الجامع اللطيف (ص ٣٤٣) : وهو باطل لا أصل له .

الجوانب فانفتح حتى اتسع الموضع[1].

ومنها : جبل ثبير وهو جبل المزدلفة الذى على يسار الذاهب كما عرفه الأزرقى[2] وغيره وقد تقدم فى أول الباب الحادى عشر ضبطه وتعريفه وهو جبل مشهور عند أهل مكة.

قال القزوينى : إنه جبل مبارك يقصده الزوار[3] وتقدم النقل عن ابن النقاش أنه يستجاب الدعاء به[4] وتقدم أيضًا قبيل هذا أنه تعالى لما تجلى للجبل تشظى منه شظايا فوقعت بمكة ثلاثة منها ثبير[5] قال السهيلى : ذكروا أن ثبيرًا كان رجلاً من هذيل مات فى ذلك الجبل فعرف الجبل به[6].

ومنها : الجبل الذى يلحقه مسجد الخيف وفيه غار المرسلات يأثره الخلف عن السلف كما ذكره المحب الطبرى وعلى ذلك أدركنا الناس فى عصرنا يقولون فى أمره ويدل له الحديث الثابت فى صحيح البخارى عن ابن مسعود قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ فى غار بمنى إذ نزلت عليه : ﴿ **والمرسلات عرفًا** ﴾[7] الحديث . وقد تقدم ذكره فى الفضائل أول هذا الفصل .

[فصل]

ذكر السقايات بمكة المشرفة وحرمها

وبمكة المشرفة عدة سقايات ويقال لها السبل منها / [١٠٤/أ] سبيل عطية بن ظهيرة وسبيل قاسم الزانكى عند مسجد الراية ، وسبيل أم الحسين بنت القاضى شهاب الدين أحمد بالمسعى وسبيل ابن بفلحة عند عين بازان بالمسعى ، وسبيل السيد حسن بن عجلان برباطه ، ومنها خارج مكة من أعلاها سبيل أم سليمان المتصوفة ، وسبيل عطية المطيبين فى طرف المقبرة من أعلاها وسبيل القائد سعد الدين جبروه فى بستانه وسبيل إمامه السيد

---

(١) قال ابن ظهيرة : أنه وسع فى حدود عام ثمانمائة ، راجع الجامع اللطيف (ص ٣٤٣) .

(٢) أخبار مكة (٢/ ٢٨٠) وسماه ثبير النِّصْع ، وقال : وهو الذى كانوا يقولون فى الجاهلية إذا أرادوا أن يدفعوا من المزدلفة : أشرق ثبير ؛ كيما نغير ، ولا يدفعون حتى يرون الشمس عليه . اهـ ، وفى الجامع اللطيف (ص ٣٤٥) أن ثبير اسم لثمانية أماكن وذكر أن هذا يسمى ثبيرالأثيرة لكونه أعلاها وأطولها ، وهو على يسار الذاهب إلى عرفة . والله أعلم .

(٣) عجائب المخلوقات (١/٢٣٤ ، ٢٣٥) .

(٤) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٤٤) .

(٥) تقدم ، وقوله هنا «منها ثبير» يوافق رواية الأزرقى فتنبه . والله أعلم .

(٦) راجع الجامع اللطيف (ص ٣٤٥) .

(٧) تقدم تخريجه .

حسن بن عجلان وسبيل الست بطريق منى ويقال له : سبيل ابن مزنة باسم رجل كان فيه، والست المنسوب إليها هذا السبيل هى أخت الملك الناصر حسن صاحب مصر ، وتاريخ عمارته لها سنة إحدى وستين وسبعمائة ، وبمنى عدة سبل وفيما بين منى وعرفة عدة سبل أيضًا إلا أنها منخربة جدًّا وبأسفل مكة مما يلى التنعيم عدة سقايات منها سبيل الزنجبيلى ويقال له : سبيل أبى راشد لتجديده له وسبيل المكين لتجديده له أيضًا ومنها سبيل السيدة زينب بنت القاضى أحمد الطبرى وهو الآن منخرب معطل لخرابه ووجد فى حجر مكتوب ملقى فيه أن المقتدى العباسى ووالدته أمرا بعمارة هذه السقاية والآبار التى وراءها وتصدقا بها فى سنة اثنين وثلاثمائة وسبيل دون هذا السبيل إلى مكة عمره الشهاب المكين فى سنة ثمان وثمانمائة وإلى جانب ذلك حوض للبهائم وكان بمكة سقايات أكثر مما ذكرنا قال الفاكهى لما ذكر السقايات : وبمكة فى فجاجها وشعابها من باب المسجد إلى منى ونواحيها ومسجد التنعيم نحو من مائة سقاية انتهى .

[فصل]

ذكر البرك بمكة وحرمها

فيها عدة برك : منها بركتان عند باب المعلى متلاصقان على يسار الخارج من مكة إلى المعلى جددتا فى دولة الملك الناصر حسن صاحب مصر سنة تسع وأربعين وسبعمائة ومنها بركتان متلاصقتان على يمين الخارج إلى المعلى إحداهما بلصق / [١٠٤/ب] سور باب المعلى ببستان الصارم ، وكانتا معطلتين فعمرت إحداهما فى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة وملئت من عين بازان ، ومنها بركتان عند مولد النبى ﷺ بسوق الليل ببستان المسلمانى على ما ذكر ، ومنها بأسفل مكة بركة يقال لها : بركة الماجن وبحرم مكة مما يلى منى وعرفة عدة برك منها البركة المعروفة ببركة السلم ولم يعرف من أنشأها وجددها الأمير المعروف بالملك نائب السلطنة بمصر وعمر العين التى تصل إليها الماء من منى وذلك فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة وبطرف منى مما يلى المزدلفة وفى طريق عرفة عدة برك أخر معطلة أيضًا لخرابها وبعرفة عدة برك وغالبها الآن ممتلئ بالتراب حتى صار ذلك مساويًا للأرض وبعضها من عمارة العجوز والدة المقتدى وذلك خمس برك وتاريخ عمارتها سنة خمس عشرة وثلاثمائة وبعضها عمره المظفر صاحب إربل فى سنة أربع وتسعين وخمسمائة وفيما بعدها وبعضها عمره أقبال الرابى المستنصرى العباسى فى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة واسم أقبال باق فى بعض البرك التى حول جبل الرحمة وعمر بعضها الملك نائب السلطنة بمصر فى دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر .

[فصل]

ذكر الآبار بمكة وحرمها

ذكر الأزرقي[1]- رحمه الله - شيئًا من خبر الآبار الجاهلية والإسلامية بمكة وحرمها وبعرفة ، وليس يعرف الآن مما ذكره إلا النادر ، وجملة ما احتوى عليه سور مكة من الآبار ثمانية وخمسون بئرًا ، وكلها مسيلة إلا البئر التى فى بيت المطيبين بأعلى مكة والبئر التى فى بيت القائد زين الدين شكر مولى الشريف حسن بن عجلان والبئر التى فى بيت أحمد بن عبد الله الدورى الفراش بالحرم الشريف المكى والبئر التى فى البيت المعروف ببيت السقى بقرب بيت الدورى ولم يذكر فى ذلك الآبار التى لا ماء فيها .

ومن الآبار المعروفة بمكة مما /[١٠٥/أ] ذكره الأزرقى البئر التى برباط السدرة وتعرف بسجلة[2] حفرها هاشم بن عبد مناف وقيل : قصى قال الأزرقى : وهى البئر التى يقال لها : بئر جبير بن مطعم دخلت فى دار أمير المؤمنين بين الصفا والمروة فى أصل المسجد الحرام التى يقال لها : دار القوارير أدخلها حماد البربرى حين بنى الدار لأمير المؤمنين هارون الرشيد وكانت البئر شارعة فى المسعى يقال : إن جبيرًا ابتاعها من ولد هاشم وقال بعض المكيين : وَهبَها له أسد حين ظهرت زمزم ويقال : وهبها عبد المطلب حين حفر زمزم واستغنى عنها لمطعم بن عدى وأذن له أن يضع حوضًا من أدم عند زمزم يستقى فيه منها ويسقى الحاج قال الأزرقى : وهو أثبت الأقاويل عندنا[2] انتهى كلامه . وأما الآبار التى بين باب المعلا ومنى فستة عشر بئرًا فيها الماء : منها البئر المعروفة ببئر ميمون بن الحضرمى أخ العلاء بن الحضرمى وهى البئر التى فى السبيل المعروف بسبيل الست على ما ذكره عبد الرحمن بن «أبى»[3] حرمى فى حجر مكتوب بخطه فى هذا البئر يتضمن أن المظفر صاحب أربل عمرها سنة أربع وستمائة .

وقال الأزرقى : وكانت آخر بئر حفرت فى الجاهلية قال : وعن مجاهد وعطاء وغيرهما من أهل العلم فى قوله تعالى : ﴿**فمن يأتيكم بماء معين**﴾[4]. قالوا : زمزم وبئر ميمون ابن الحضرمى[5]. وذكر بعض الناس أن بئر ميمون بطريق وادى مر الظهران قيل : وفيه نظر ومنها البئر المعروفة بصلاصل قال الأزرقى : وهى البئر التى بفم شعب البيعة عند

---

(١) راجع أخبار مكة (٢/ ٢١٤ - ٢٢٣) الآبار التى بمكة قبل زمزم ، (٢/٢٢٣ ، ٢٢٤) الآبار التى حفرت بعد زمزم فى الجاهلية ، (٢/ ٢٢٤ - ٢٢٧) الآبار الإسلامية .

(٢) راجع أخبار مكة للأزرقى (٢/ ٢١٧) .

(٣) كتبت فوق السطر ولعلها هنا . والله أعلم .

(٤) سورة الملك : الآية (٣٠) .

(٥) أخبار مكة (٢/ ٢٢٢) .

عقبة منى[1] والناس يسمون البئر التى بفم هذا الشعب ببركة مهير ويسمون بصلاصل بئرًا فى الجانب الذى يكون على عين الذاهب إلى منى وهى بئر مشهورة عند الناس بقرب هذه البئر وذكر الأزرقى أنها من الآبار الإسلامية[2] وسميت صلاصل بصلصل بن أوس بن محاسن بن معاوية بن شريف من بنى عمرو بن تميم قاله الفاكهى . وأما الآبار /[١٠٥/ب] التى بمزدلفة فهى ثلاثة وأما الآبار التى بعرفة فهى آبار كثيرة والتى فيها الماء الآن ثلاثة آبار وبعض الآبار التى لا ماء فيها من عمارة المظفر صاحب إربل وبين عرفة ومزدلفة بئر يقال لها : السقيا[3] على يسار الذهاب إلى عرفة . وأما الآبار التى بظاهر مكة من أعلاها فيما بين بئر ميمون بن الحضرمى والأعلام التى هى حد الحرم فى طريق وادى نخلة فهى خمسة عشر بئرًا منها أربعة آبار تعرف بآبار العسيلة وفى رأس طى بعضها ما يقتضى أن المقتدى العباسى أمر بحفر بئرين منها وفى طى بعضها ما يقتضى أن العجوز والدة المقتدى عمرتها مع سقايات هناك والبئر الرابعة من آبار العسيلة جددها بعدد ثورها بعض الأمراء المصريين فى سنة اثنين وتسعين وسبعمائة وبقية الآبار لا ماء فيها إلا بئر لأبى بكر الحصار وهى تلى آبار العسيلة وأما الآبار التى بأسفل مكة فى جهة التنعيم فهى ثلاثة وعشرون بئرًا بجادة الطريق منها بئر الملك المنصور صاحب اليمن عند سبيله تعرف بالزاكية ومنها الآبار المعروفة بآبار الزاهر الكبير وبعض هذه الآبار من عمارة المقتدى العباسى ، وبقرب الشبيكة آبار أخر يقال لها : آبار الزاهر الصغير وهى ثلاثة آبار منها واحدة لا ماء فيها ولها قرنان فى أحدهما حجر مكتوب فيه تاريخ عمارتها وتعرف هذه الآبار ببطن ذى طوى على ما ذكره الأزرقى[4] فى تعريف ذى طوى وبأسفل مكة أيضًا بئر يقال لها : الطنبداوية وبأسفل مكة مما يلى باب الماجن عدة آبار منها بئر بقربه من خارجه وبئر بالشعب الذى يقال له : خم بخاء معجمة مضمومة وهو غير خم الذى يروى أن النبى ﷺ قال : عندى[5] غديره «**من كنت مولاه فعلىّ مولاه**»[6]. لأن خمًّا هذا عند الجحفة وذكرها الأزرقى فى الآبار التى

---

(١) أخبار مكة (٢/٢٢٦) .

(٢) أخبار مكة (٢/٢٢٤ - ٢٢٧) .

(٣) ذكره الأزرقى فى أخبار مكة (٢/٢٢٧) .

(٤) راجع أخبار مكة (٢/٢٢٦) وذكر من هذه الآبار : بئر بكار وبئر وردان .

(٥) كذا فى الأصل ، والصواب «عند» . والله أعلم .

(٦) أخرجه الترمذى : كتاب المناقب - باب مناقب على بن أبى طالب رضى الله عنه ح (٣٧١٣) ، والنسائى فى الكبرى (٥/٤٥، ١٣٠) عن زيد بن أرقم ، وشك شعبة هل هو زيد بن أرقم أم أبو سريعة حذيفة بن أسيد ؟ كما فى رواية الترمذى ، وقال الترمذى عقبه : حسن صحيح ، والذى فى تحفة الأشراف (٣٦٦٧) عن الترمذى أنه قال : حسن غريب ، وقال الحافظ فى الفتح (٧/٩٣) =

بمكة قبل زمزم قال : وحفرها كلاب بن مرة[1] . قال السهيلي : وهي من خممت البيت إذا كنسته ويقال : فلان مخموم القلب أي نقيه فكأنها سميت بذلك لنقائها / [١٠٦/أ] قال : وأما غدير خم الذي عند الجحفة فسمي به لغيضة عنده يقال لها : خم فيما ذكروا[2] انتهى.

[فصل]

ذكر عيون مكة

قال الأزرقي : كان معاوية قد أجرى في الحرم عيونًا واتخذ لها أحيافًا ، فكانت حوائط وفيها النخل والزرع ثم سردها الأزرقي وذكر أنها عشر عيون[3] ثم قال : وكان عيون معاوية قد انقطعت وذهبت فأمر أمير المؤمنين الرشيد بعيون منها فعملت وأحييت وصرفت في عين واحدة ثم انقطعت هذه العيون فكان الناس بعد انقطاعها في شدة من الماء وكان أهل مكة والحاج يلقون من ذلك المشقة حتى أن الراوية لتبلغ في الموسم عشرة دراهم وأكثر وأقل فبلغ ذلك أم جعفر بنت أبي الفضل جعفر بن أمير المؤمنين المنصور فأمرت في سنة أربع وتسعين ومائة بعمل بركتها التي بمكة فأجرت لها عينًا من الحرم فجرت بماء قليل فلم يكن فيه ري لأهل مكة وقد غرمت في ذلك غرمًا عظيمًا فبلغها فأمرت المهندسين أن يجروا لها عيونًا من الحل وكان الناس يقولون : إن ماء الحل لا يدخل الحرم لأنه يمر على عقاب وجبال فأرسلت بأموال عظام ثم أمرت من يزن عينها الأولى فوجد فيها فسادًا فأنشأت عينًا أخرى إلى جنبها وأبطلت تلك العيون فعملت عينها هذه بأحكم ما يكون العمل وعظمت في ذلك رغبتها وحسنت نيتها ، فلم تزل تعمل فيها حتى بلغت ثنية جبل فإذا الماء لا يظهر في ذلك الجبل فأمرت بالجبل فضرب فيه وأنفقت في ذلك من الأموال ما لم تكن تطيب به نفس أحد حتى أجراها الله تعالى لها وأجرت فيها عيونًا من الحل منها عين المشاش واتخذت لها بركًا تكون السيول إذا جاءت تجتمع فيها ثم أجرت لها عيونا من حنين فصارت لها مكرمة لم تكن لأحد قبلها وطابت نفسها بأن أنفقت فيها ما لم تكن تطيب به نفس أحد ، فأهل مكة والحاج إنما يعيشون بها بقدرة الله تعالى ثم

= وهو كثير الطرق جدًا ، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد ، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان . والله أعلم .

(١) أخبار مكة (٢/٢١٤) .

(٢) الروض الأنف (١/١٧٤) .

(٣) وهي «حائط الحمام ، وحائط عوف ، وحائط الصفي ، وحائط مورش ، وحائط خرمان ، وحائط مقيصرة ، وحائط حراء ، وحائط ابن طارق ، وحائط فخ ، وحائط بلدح ، ثم أضاف حائطين اتخذت ببلدح ، هما حائط ابن العاص ، وحائط سفيان . أخبار مكة (٢/٢٢٧ - ٢٣٠) .

أمر أمير المؤمنين المأمون صالح بن العباس فى سنة عشر ومائتين أن يتخذ له برك خمس فى السوق /[١٠٦/ب] لئلا يتعنى أهل أسفل مكة والثنية وأجيادين إلى بركة أم جعفر وأجرى عيناً من بركة أم جعفر من فضل مائها فى عين تسكب فى بركة البطحاء ثم تمضى إلى بركة عند الصفا ثم تمضى إلى بركة عند الحناطين ثم تمضى إلى بركة بفوهة سكة الثنية دون دار أويس ثم تمضى إلى بركة عند سوق الحطب بأسفل مكة ثم تمضى فى سرب ذلك إلى «ماجن»(١) أبى صلابة ، ثم إلى «الماجنين»(٢) اللذين فى حائط ابن طارق وبأسفل مكة وكان صالح بن العباس لما فرغ منها ركب بوجوه الناس إليها فوقف عليها حين جرى فيها الماء ونحر عند كل بركة جزورًا وقسم لحمها على الناس(٣) انتهى كلام الأزرقى.

وذكر المسعودى فى تاريخه مقدار ما صرفت زبيدة وهى أم جعفر بنت أبى الفضل المذكورة فى عمارة هذه العين ، وذكر فيما ذكر وأحصى ألف ألف وسبعمائة ألف دينار نقل ذلك المسعودى عن محمد بن على المصرى الخراسانى الأخبارى والظاهر أن هذه هى عين مكة المعروفة اليوم بعين بازان - بباء موحدة وألفين بينهما زاى - لأنها فى هذه الجهة التى ذكرها الأزرقى . والله أعلم .

وقد عمر هذه العين جماعة من الخلفاء والملوك ، منهم المستنصر العباسى فى سنة خمس وعشرين وستمائة وفى سنة أربع وثلاثين وستمائة ومنهم الأمير جوبان نائب السلطنة بالعراقين عن السلطان أبى سعيد بن خربيدا ملك التتر وذلك فى سنة ست وعشرين وسبعمائة ووصلت إلى مكة فى العشر الأخير من جمادى الأولى من هذه السنة وعم نفعها وعظم ، وكان جريانها هذا رحمة من الله تعالى لأمة نبيه ﷺ فإنهم كانوا فى جهد عظيم بسبب قلة الماء بمكة وعمرت مرات كثيرة فى عصرنا وفيما قبله وممن أحسن أمرها فى عصرنا وقام بعمارتها وصرف عليها الأموال الجزيلة الشهاب بركوت المكين لأنه الذى يقوم بأمرها من سنة ثلاث عشرة إلى تاريخه وهو سبع عشرة ، ومن العيون التى أجريت بمكة عين أجراها الملك الناصر محمد بن / [١٠٧/أ] قلاوون صاحب مصر سنة ثمان وعشرين وسبعمائة فى مجرى عين بازان وتعرف هذه العين بعين جبل ثقبة وجملة المصروف عليها خمسة آلاف درهم وذلك على يد ابن هلال الدولة مشيد العمارة ومنها عين أجراها الأمير المعروف بالملك نائب السلطنة بمصر فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة من منى إلى بركة السلم بطريق منى .

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى أخبار مكة «ماجل» وكلاهما صواب . والله أعلم .

(٢) فى أخبار مكة «الماجلين» وكلاهما صواب . والله أعلم .

(٣) أخبار مكة (٢٣٠/٢ - ٢٣٢) .

[فصل]
ذكر المطاهر التى تمكن[1] بمكة المشرفة مطاهر

منها : مطهرة الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر عند باب بنى شيبة، وتاريخ عمارتها سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وفيها وقفت ، ومنها مطهرة الأمير المعروف بالملك نائب السلطنة بمصر عند باب الحزورة ولعل عمارته لها كانت فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، وهى الآن معطلة ، ومنها مطهرة الأمير ضرغمش الناصرى أحد كبار الأمراء فى دولة الملك الناصر حسن صاحب مصر وهى فيما بين البيمارستان المستنصرى ورباط أم الخليفة وتاريخ عمارته لها سنة تسع وخمسين ثم عمرت بعد ذلك غير مرة ، ومنها مطهرة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر بالمسعى قبالة باب علىٍّ أحد أبواب المسجد الحرام وكانت عمارتها فى سنة ست وسبعين وسبعمائة والمتولى لأمر عمارتها الأمير أبو بكر بن سنقر الجبالى وللإشراف عليها وقف بمكة ربع فوقها ودكاكين ووقف بضواحى القاهرة، وتخربت ثم عمرها فى سنة سبع عشرة وثمانمائة ، ومنها مطهرة خلفها عمرتها أم سليمان المتصوفة صاحبة الزاوية بسوق الليل وفرغ من عمارتها فى سنة ست وتسعين وسبعمائة، ومنها مطهرة الأمير زين الدين بركة العثمانى رأس نوبة النوب بالقاهرة وأحد مديرى المملكة بها وهى المطهرة التى بسوق العطارين بقرب باب بنى شيبة على يسار الخارج من الباب وبابها مقابل باب المطهرة الناصرية المذكورة ، ومنها مطهرة تنسب للأمير طنبغا الطويل أحد الأمراء / [١٠٧/ب] المقدمين بالديار المصرية عمرت فى أوائل عشر السبعين وسبعمائة وهى بأسفل مكة عند باب العمرة الآن ، والآن هى معطلة ، ومنها : مطهرة عند باب الحزورة يقال لها : مطهرة الواسطى ، ولم يعرف المنسوبة إليه ولا متى وقفت ، والله تعالى أعلم .

---

(١) تقرأ هكذا فى الأصل ، ولعل الصواب « تمكنت » . والله أعلم .

الباب الثانى

فى تاريخ المدينة وما يتعلق بالمسجد النبوى الشريف والحجرة المقدسة والمنبر الشريف وزيارة النبى ﷺ ومزارات المدينة والجوار بها وآداب الرجوع .

وفيه عشرة فصول

الفصل الأول
فى أول ساكنى المدينة
وسكنى اليهود الحجاز
ثم نزول الأوس والخزرج بالمدينة .

ذكر أول من نزل المدينة الشريفة

قال أهل السير : أول من نـزل المدينـة بعـد الطوفـان قـوم يقـال لهـم صعـل وفـالح ، فغزاهم داود - عليه السلام - فأخذ منهم مائة ألف عذراء ، ثم سلط الله عليهم الدود في أعناقهم فهلكوا ، فقبورهم هذه التي في السهل والجبل[١] ، وداود - عليه السلام - هو من ولد يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، بينه وبين يهوذا عشرة آبـاء[٢] ، عـاش مائـة سنة[٣] ، وقيل : مائة وأربعين ، وقيل : سبعين ، وكـان يدعـو إلى شـريعة موسـى - عليـه السلام - لأن الزبور لم يكن فيه أحكام فكان خمسين ومائة سـورة : فـي خمسـين ذكـر مـا يلقون من بختنصر وأهل بابل ، وفي خمسين ذكر ما يلقون من أهـل إيـرون ، وفـي خمسـين مواعظ وحكم[٤]، وكان يقرأه بسبعين لحنًا[٥]. وكل كتاب يكون غليظ الكتابة يقال لـه : زبور . وقيل : الزبور : كـل كتـاب يصعـب الوقـوف عليـه مـن الكتـب الإلهيـة . وقيـل : الزبور: الكتاب المقصور على الحكمة الإلهية العقليـة دون الأحكـام الشـرعية . ونـزل عليـه الزبور بالعبرانية[٦]، وكان مدة ملكه أربعين سنة[٧]، كـان يبيـع الـدرع بأربعـة آلاف وهـو أول من عمل الدرع[٨]، قال الله تعالى : ﴿وألنا له الحديد﴾[٩]. الآية .

قال أهل السير : وكان سكنى العماليق غزة وعسقلان وساحل بحر الـروم ومـا بيـن مصر وفلسطين / [١٠٨/أ] ثم سكنوا مكـة والمدينـة والحجـاز كلـه وعتـوا ، فبعـث إليهـم موسى جندًا من بني إسرائيل فقتلوهم . وعن زيد بن أسـلم قـال : بلغنـي أن ضبعًـا رئيـت وأولادها رابضة في حجاج عير رجل من العماليق قال : ولقد كان يمضي في ذلـك الزمـان أربعمائة سنة وما يسمع بجنازة ، وكان جالوت من العماليق وكـان عُـوج وأمـه عنـاق مـن العماليق اللذين كانوا بأريحا .

---

(١) راجع الدرة الثمينة (ص ٣٥) .

(٢) راجع قصص الأنبياء لابن كثير (ص ٤٨٠) .

(٣) قصص الأنبياء لابن كثير (ص ٤٩٣) عن قول الحسن

(٤) قصص الأنبياء للثعلبي (ص ٢٧٩ ، ٢٨٠) .

(٥) قصص الأنبياء للثعلبي (ص ٢٨٠) ، واللحن هو اللغة والنحو . والمراد أنه كان يقرأ الزبـور بسـبعين لغة . والله أعلم .

(٦) قصص الأنبياء للثعلبي (ص ٢٧٩) .

(٧)قصص الأنبياء لابن كثير (ص ٤٩٢) .

(٨) راجع الوسائل في معرفة الأوائل للسيوطي (ص ٥٨) .

(٩) سورة سبأ : الآية (١٠) .

عن ابن عمر قال : كان طول عُوج ثلاثة وعشرين ألف ذراع وثلاثمائة وثلاثين ذراعًا وثلثى ذراع بذراع الملك ، وعاش ثلاثة آلاف سنة ، وأخذ إحدى بنات آدم لصلبه ، وهى أول من تغنى على وجه الأرض فهلكت ، كان كل أصبع من أصابعها ثلاثة أذرع فى ذراعين ، ولدت حواء على أثرها قابيل ثم هابيل .

قال ابن قتيبة فى «تأويل مختلف الحديث» : ومن العجب أن عُوجًا كان فى زمن موسى - عليه السلام - وله هذا الطول ، وفرعون ضده فى القصر على ما ذكره الحسن قال : ما كان طول فرعون إلا ذراعًا وكانت لحيته ذراعًا . وقيل : كان طوله ذراعين ، وكان لفرعون موسى من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال ، فيها معادن الذهب والفضة والزبرجد والياقوت ، طمس الله عليها فصارت حجارة ؛ لقول موسى : ﴿**ربنا اطمس على أموالهم**﴾[1]. وفرعون أول من خضب بالسواد .

ذكر سكنى اليهود الحجاز بعد العماليق

اعلم أن موسى - عليه الصلاة والسلام - لما أهلك فرعون وطئ الشام وأهلك من بها ، وبعث بعثًا من اليهود إلى الحجاز وأمرهم أن لا يستبقوا من العماليق أحدًا بلغ الحلم ، فقدموا فقتلوهم وقتلوا ملكهم وكان يقال له : الأرقم بن أبى الأرقم ، واستحيوا ابنًا له شابًا وقدموا به فقبض موسى - عليه السلام - قبل قدومهم ، فتلقتهم بنو إسرائيل فوجدوا الغلام معهم ، فقالوا لهم : إن هذه لمعصية منكم لما خالفتم من أمر نبيكم ، والله لا تدخلوا علينا بلادنا وحالوا بينهم وبين الشام فرجعوا فسكنوا الحجاز ، وكانت الحجاز إذ ذاك أشجر بلاد الله / [١٠٨/ب] وأظهرها ، قالوا : وكان هذا أول سكنى اليهود الحجاز بعد العماليق ، وكان جميعهم بزهرة بين الحرة والسافلة مما يلى القف ، وكانت لهم الأموال بالسافلة ، ونزل جمهور بمكان يقال له يثرب بمجتمع السيول سيل بطحان والعقيق وسيل قناة مما يلى زغابة ، وخرجت قريظة وإخوتهم بنو هذل وهم بنو الخزرج والنضير بن النحام ابن الخزرج وقيل : قريظة والنضير أخوان وهما بنو أبناء الخزرج بن الصريح فخرجوا بعد هؤلاء فتتبعوا آثارهم فنزلوا بالعالية على واديين يقال لهما : مذينب ومهْزُور ، فنزلت بنو النضير على مذينب واتخذوا عليه الأموال ، ونزلت قريظة وهذل على مهرور واتخذوا عليه الأموال ، وكانوا أول من احتفر بها البنار واغترس الأموال وابتنى الآطام والنازل ، فكان جميع ما ابتنى اليهود بالمدينة من الآطام تسعًا وخمسين أطمًا ، والآطام : الحصون واحدها

---

(١) سورة يونس : الآية (٨٨) .

أُطم[1]. قال الخطابى : هو بناء من الحجارة ، ومثلهُ الآجام[2] والعياص. ثم نزل أحياء من العرب على يهود وذلك أنه كان بالمدينة قرى وأسواق من يهود بنى إسرائيل وكان قد نزلها عليهم أحياء من العرب وابتنوا معهم الأطام والمنازل قبل نزول الأوس والخزرج وهم بنو أنيف حى من بلى ، ويقال : إنهم لمن بقية العماليق وبنو مرثد حى من بلى ، وبنو معاوية ابن الحارث بن بهية من بنى قيس بن عيلان ، وبنو الجذمى حى من اليمن ، وكان جميع ما ابتنى العرب من الآطام بالمدينة ثلاثة عشر أُطمًا[3] .

ذكر نزول الأوس والخزرج المدينة

لم تزل اليهود الغالبة على المدينة حتى جاء سيل العرم ، وكان منه ما كان وما قص الله فى كتابه ، وذلك أن أهل مأرب - وهى أرض سبأ - كانوا آمنين فى بلادهم تخرج المرأة بمغزلها لا تتزود شيئًا تبيت فى قرية وتقيل فى أخرى حتى تأتى الشام ، ولم يكن فى أرضهم حية ولا عقرب ولا ما يؤذى ، فبعث الله إليهم ثلاثة عشر نبيًا فكذبوهم وقالوا : ﴿**ربنا باعد بين أسفارنا**﴾[4] فسلط الله عليهم سيل / [١٠٩/أ] العرم - وهو السيل الشديد الذى لا يطاق - وقيل : العرم اسم الوادى . وقيل : اسم المياه . وذلك أن الله بعث عليهم جرذًا يسمى الخُلد - والخُلد هو الفأر الأعمى - فنقب السد من أسفله حتى دخل السيل عليهم فغرقت أرضهم . وقيل : أرسل عليهم ماء أحمر فخرب السد وتمزق من سلم منهم فى البلاد ، وكان السد فرسخًا فى فرسخ بناه لقمان الأكبر العادى للدهر على زعمه ، وكان يجتمع إليه مياه اليمن من مسيرة شهر ، وتقدم فى الباب قبل هذا قضية طريفة الكاهنة وما قالت لقومها وأنها قالت لهم : من كان منكم يريد الراسيات فى الوحل المطعمات فى المحل فليلحق بيثرب ذات النخل . فلحق بها الأوس والخزرج فوجدوا الآطام والأموال والقوة لليهود فعاملوهم زمانًا فصار لهم مالاً وعددًا ، فمكث الأوس والخزرج معهم ما شاء الله ثم سألوهم أن يعقدوا بينهم وبينهم جوارًا وحلفًا يأمن به بعضهم من بعض ، ويمتنعون به ممن سواهم ، فتعاقدوا وتحالفوا واشتركوا وتعاملوا ، فلم يزالوا على ذلك زمانًا طويلاً حتى قويت الأوس والخزرج وصار لهم مال وعدد فلما رأت قريظة والنضير حالهم خافوهم أن يغلبوهم على دورهم وأموالهم فتنمروا لهم حتى قطعوا الحلف الذى كان بينهم ، وكانت قريظة والنضير أعز وأكثر فأقامت الأوس والخزرج فى منازلهم

---

(١) الآطام : جمع أطم - بضمتين - بناء مرتفع كالحصون . راجع النهاية لابن الأثير (١/٥٤) .

(٢) الآجام : جمع أجم - بضمتين - الحصن . القاموس المحيط مادة «أجم» .

(٣) راجع الدرة الثمينة (ص ٣٦ - ٣٩) .

(٤) سورة سبأ : الآية (١٩) .

وهم خائفون أن تجليهم يهود حتى نجم[1] منهم مالك بن العجلان أخو بنى سالم بن عوف ابن الخزرج[2] .

ذكر قتل اليهود واستيلاء الأوس والخزرج على المدينة

لما نجم مالك بن العجلان سودة الجنان عليهما فبعث هو وجماعة قومه إلى من وقع بالشام من قومهم يخبرونهم حالهم، ويشكون إليهم غلبة اليهود لهم ، وكان رسولهم الرمق ابن زيد بن امرئ القيس أحد بنى سالم بن عوف بن الخزرج ، وكان قبيحًا ذميمًا ، شاعرًا بليغًا ، فمضى حتى قدم الشام على ملك من ملوك غسان الذين ساروا من يثرب إلى الشام يقال له أبو حبيلة من ولد حفنة بن عمرو بن عامر . وقيل : أحد بنى جشم بن الخزرج ، وكان قد أصاب ملكًا بالشام / [١٠٩/ب] وشرفًا ، فشكا إليهم الرمق حالهم وغلبة اليهود لهم وما يتخوفون منهم وأنهم يخشون أن يخرجوهم ، فأقبل أبو حبيلة فى جمع كثير لنصرة الأوس والخزرج ، وعاهد الله أن لا يبرح حتى يخرج من بها من اليهود ويذلهم أو يصيرهم تحت أيدى الأوس والخزرج ، فسار وأظهر أنه يريد اليمن حتى قدم المدينة - وهى يومئذ يثرب - فلقيه الأوس والخزرج وأعلمهم ما جاء به فقالوا : إن علم القوم ما تريد تحصنوا فى آطامهم فلم نقدر عليهم ، ولكن ندعوهم للقائك وتلطفهم حتى يأمنوك ويطمئنوا فنتمكن منهم ، فصنع لهم طعامًا وأرسل إلى وجوههم ورؤسائهم فلم يبق من وجوههم أحد إلا أتاه ، وجعل الرجل منهم يأتى بحاشيته وحشمه رجاء أن يحبوهم الملك ، وكان قد بنى لهم حيزًا وجعل فيها قومًا وأمرهم من دخل عليهم منهم أن يقتلوه حتى أتى على وجوههم ورؤسائهم ، فلما فعل ذلك عزت الأوس والخزرج بالمدينة ، واتخذوا الديار والأموال وانصرف أبو حبيلة وتفرقت الأوس والخزرج فى عالية المدينة وسافلها ، وكان منهم من جاء إلى عفاء من الأرض لا ساكن فيه فنزله ، ومنهم من لجأ إلى قرية من قراها واتخذ الأموال والآطام ، وكان ما ابتنوا من الآطام مائة وسبعة وعشرين أطمًا ، وأقاموا كلمتهم واحدة وأمرهم مجتمع ، ثم دخلت بينهم حروب عظام وكانت لهم أيام ومواطن وأشعار ، فلم تزل تلك الحروب بينهم حتى بعث الله تعالى رسوله ﷺ فأكرمهم الله باتباعه[3] ، والأوس والخزرج حيان ينسبان إلى قحطان ، لأن من قحطان افترقت سبع وعشرون قبيلة منهم الأوس والخزرج ، وهما الأنصار وهو جمع نصير ، وسموا أنصارًا حين

---

(١) نجم : طلع وظهر .

(٢) راجع الدرة الثمينة (ص ٣٩ - ٤١) .

(٣) راجع الدرة الثمينة (ص ٤١ ، ٤٢) .

آووا رسول الله ﷺ ونصروه ، وعنه ﷺ : «**أسلمت الملائكة طوعًا ، والأوس والخزرج طوعًا ، وجميع العرب كرهًا**»[1].

---

(١) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/٢٨) بلفظ : «أسلمت الملائكة طوعًا ، وأسلمت الأنصار طوعًا ، وأسلمت عبد القيس طوعًا » . وقال : رواه الطبراني في «الأوسط» عن شيخه علي بن سعيد ابن بشير ، وفيه لين ، وبقية رجاله ثقات .

الفصل الثانى

فى ذكر فتح المدينة وهجرة النبى ﷺ وأصحابه إليها

ذكر ما جاء فى فتحها

قالت /[١١٠/أ] عائشة - رضى الله عنها - : كل البلاد افتتحت بالسيف ، وافتتحت المدينة بالقرآن[١] . قال الحافظ محب الدين بن النجار فى «تاريخه»[٢]: فالمدينة الشريفة لم تفتح بقتال إنما كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه فى كلِّ موسم على قبائل العرب ويقول: «**ألا رجل يحملنى إلى قومه فإن قريشًا قد منعونى أن أبلغ كلام ربى** » . فيأبونه ويقولون له : قوم الرجل أعلم به . حتى لقى فى بعض السنين عند العقبة نفرًا من الأوس[٣] والخزرج قدموا فى المنافرة التى كانت بينهم فقال لهم : «**من أنتم ؟**» . قالوا : نفر من الخزرج . قال : «**أمن موالى يهود ؟**» . قالوا : نعم . قال : «**أفلا تجلسون كلكم؟**»[٤] قالوا: بلى . فجلسوا معه فدعاهم إلى الله - عز وجل - وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن وكانوا أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا إذا كان بينهم وبين اليهود الذين معهم بالمدينة شئ قالت اليهود لهم - وكانوا أصحاب كتاب وعلم - : إن النبى مبعوث الآن وقد أظل زمانه فنتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم . فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعض : ياقوم تعلمون والله أنه النبى الذى توعدكم به يهود فلا سبقتكم[٥] إليه فاغتنموه وآمنوا به ، فأجابوه فيما دعاهم إليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا : لقد تركنا قومنا وبينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم وندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك . ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا وكانوا ستة : سعد[٦] بن زرارة وهو جد النقباء فى العقبة الأولى والثانية ، وعوف بن عفراء - وهى أمه - وأبوه الحارث

---

(١) أخرجه البزار فى كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمى ، (٤٩/٢) رقم ١١٨٠ ، وابن عدى فى الكامل (٢١٨٠/٦) ، وابن الجوزى فى الموضوعات (٢١٦/٢ - ٢١٧) ، وعزاه السيوطى فى اللآلى المصنوعة (١٢٧/٢) إلى الخطيب البغدادى .

(٢) الدرة الثمينة (ص ٤٥ ، ٤٦) .

(٣) هكذا فى الأصل ، وفى سيرة ابن هشام والبداية والنهاية وغير ذلك من المصادر أنه «رهط من الخزرج» ، ويؤيده ما روى عن الزهرى والشعبى «أنهم كانوا ليلتئذ ستة نفر من الخزرج» . والله أعلم.

(٤) هكذا فى الأصل وفى سيرة ابن هشام ، والبداية والنهاية عن ابن إسحاق «أفلا تجلسون أكلمكم» . وهو أليق بالسياق . والله أعلم .

(٥) هكذا فى الأصل ، وفى السيرة لابن هشام «فلا تسبقنكم» .

(٦) هكذا فى الأصل ، وفى جميع المصادر «أسعد بن زرارة» ، وهو صحابى جليل مشهور . والله أعلم.

ابن رفاعة ، ورافع بن مالك بن العجلان ، وقطبة بن عامر بن حديدة ، وعقبة /[١١٠/ب] ابن عامر بن نابى ، وجابر بن عبد الله بن رئاب ، فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ وما جرى لهم ودعوهم إلى الإسلام ، ففشا فيهم حتى لم يبق دار من دور الإسلام إلاّ ولرسول الله ﷺ فيها ذكر ، فلما كان العام المقبل وافى الموسم منهم اثنا عشر رجلاً فلقوا رسول الله ﷺ بالعقبة وهى العقبة الأولى(١) فبايعوه ، فلما انصرفوا بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير إلى المدينة وأمره أن يُقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ويفقههم فى الدين ، وكان منزَله على سعد(٢) بن زرارة ، ولقيه فى الموسم الآخر سبعون رجلاً من الأنصار منهم امرأتان(٣) فبايعوه(٤)، وأرسل رسول الله ﷺ أصحابه إلى المدينة ثم خرج إلى الغار بعد ذلك ثم توجه هو وأبو بكر ﷺ إلى المدينة .

ذكر هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة الشريفة

اعلم أن هجرة النبى ﷺ إلى المدينة هى من بعض معرفة دلائل صفات نعوته فى الكتب الإلهية ، وقد نطقت الأخبار بأن المدينة دار هجرة نبى يخرج فى آخر الزمان .

ذكر صاحب «الدر المنظم» والشهرستانى فى كتابه «أعلام النبوة» فى قصة يلخصها: أن سيف بن ذى يزن الحميرى لما ظفر بالحبشة وذلك بعد مولد النبى ﷺ قصدته وفود العرب بالهنية ، وخرج إليه وفد قريش وفيهم عبد المطلب إلى صنعاء وهو فى قصره المعروف بغمدان ، فلما دخلوا عليه وأنفق ما أنفق قال سيف لعبد المطلب : إنى وجدت فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى اخترناه لأنفسنا دون غيرنا خبرًا جسيمًا ، وخطرًا عظيمًا فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة ، وهو للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة ، ثم قال له : إذا ولد بتهامة غلام به علامة كانت له الإمامة ، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة، ولولا / [١١١/أ] أن الموت يجتاحنى قبل مبعثه لسرت بخيلى ورجلى حتى أصير بيثرب دار ملكى ، فإنى أجد فى الكتاب الناطق والعلم السابق أن يثرب استحكام ملكه وأهل نصرته وموضع قبره ، ولولا أنى أقيه الآفات وأحذر عليه العاهات لأوطأته العرب ، ولكنى صارف إليك ذلك عن غير يقينى بمن معك ثم أمر لكل واحد من قومه بجائزة وأجاز

---

(١) كانت بيعة العقبة الأولى فى موسم الحج فى السنة الثانية عشر من مبعث النبى ﷺ ، وكانت بيعة العقبة الثانية فى السنة الثالثة عشر من النبوة . والله أعلم .

(٢) هكذا فى الأصل ، وفى جميع المصادر «أسعد بن زرارة» . والله أعلم .

(٣) هما أم عمارة – نسيبة بنت كعب – من بنى مازن بن النجار ، وأم منيع – أسماء بنت عمرو – من بنى سلمة . والله أعلم .

(٤) راجع : سيرة ابن هشام (٢١/٢) ، والبداية والنهاية (١٩٣/٣) ، وزاد المعاد (٤٥/٣) .

عبد المطلب بأضعافها ، ثم قال : ائتنى بخبره وما يكون من أمره على رأس الحول ، فمات سيف قبل أن يحول عليه الحول .

وقد جاء فى بعض الأحاديث : أخبرنا رسول الله ﷺ عن صفته فى التوراة : «عبدى أحمد المختار ، مولده بمكة ، ومهاجره بالمدينة . أو قال : طيبة ، أمته الحمادون لله على كل حال» . وقيل : معنى قوله تعالى : ﴿**ووجدك ضالاً فهدى**﴾[1]. أى : ضالاً عن الهجرة فهداك إليها . وقيل : وجدك ضالاً بين مكة والمدينة فهداك إلى المدينة . وقيل فى قوله تعالى : ﴿**التائبون العابدون الحامدون السائحون**﴾[2]. إن السائحين المهاجرين . وقيل : لم يهاجر ﷺ حتى طلب الهجرة ؛ لقوله تعالى : ﴿**ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليًا واجعل لنا من لدنك نصيرًا**﴾[3]. فالداعى محمد ﷺ والقرية مكة ، والولى والنصير الأنصار .

وعن على رضي الله عنه عنه ﷺ قال : أتانى جبريل – عليه السلام – فقلت له : «**يا جبريل من يهاجر معى ؟**» قال : أبو بكر وهو يلى أمتك من بعدك وهو أفضل أمتك»[4]. وفى صحيح البخارى من حديث الهجرة أن النبى ﷺ قال للمسلمين : «**إنى رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان** »[5]. وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «**رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهَلى**[6] **إلى أنها اليمامة أو هجر ، فإذا هى المدينة يَثرب**»[7]. / [١١١/ب] فلما ذكر النبى ﷺ هذا المنام لأصحابه هاجر من هاجر منهم قِبل المدينة ، ورجع عامة مَن كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة ، وكان أول من هاجر إلى الحبشة حاطب بن عمرو ، وقيل : عبد الله بن عبد الأسد بن هلال . وأول مولود ولد فى الإسلام بأرض الحبشة

---

(١) سورة الضحى : الآية (٧) .

(٢) سورة التوبة : الآية (١١٢) .

(٣) سورة النساء : الآية (٧٥) .

(٤) أخرجه الحاكم فى مستدركه . وصححه ، ووافقه الذهبى .

(٥) البخارى : كتاب مناقب الأنصار – باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه ح (٣٩٠٥ – فتح) عن عائشة – رضى الله عنها – . قال الحافظ فى الفتح (٢٧٦/٧) : قوله «بين لابتين وهما الحرتان» هذا مدرج فى الخبر وهو من تفسير الزهرى . والحرة أرض حجارتها سود . ثم قال : هذه الرؤيا غير الرؤيا التى فى حديث أبى موسى التى تردد فيها .

(٦) وهلى : بفتح الواو والهاء – أى وظنى – فتح البارى (٢٦٩/٧) .

(٧) البخارى : كتاب مناقب الأنصار – باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه (٢٦٧/٧ – فتح) ومسلم : كتاب الرؤيا – باب رؤيا النبى ﷺ ح (٢٢٧٢) .

عبد الله بن جعفر بن على بن أبى طالب ﷺ . وتجهز أبو بكر ﷺ قبل المدينة فقال له رسول الله ﷺ: «على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لى» فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبى أنت وأمى ؟ قال : «نعم» . فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده الخبط[1] أربعة أشهر»[2]. قالت عائشة - رضى الله عنها - : بينما نحن يومًا جلوس فى بيت أبى بكر فى نحو الظهيرة قال قائل لأبى بكر : هذا رسول الله ﷺ متقنعًا - فى ساعة لم يكن يأتينا فيها - قال أبو بكر : فداء له أبى وأمى ، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر قال[3]: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له ، فدخل فقال رسول الله ﷺ لأبى بكر : «اخرج من عندك» فقال أبو بكر : إنما هم أهلك بأبى أنت. قال :«فإني قد أذن لى فى الخروج». فقال أبو بكر : الصحبة[4] يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ : «نعم» . قال أبو بكر : فخذ بأبى أنت يا رسول الله إحدى راحلتى هاتين . قال رسول الله : «بالثمن» . قالت عائشة - رضى الله عنها - فجهزناهما أحث[5] الجهاز ، ووضعنا[6] لهما سفرة فى جراب - والسفرة طعام يتخذه المسافر وكان أكثر ما يحمل فى جلد مستدير فنقل اسم الطعام إلى الجلد ، كالراوية اسم للبعير ونقلت إلى المزادة قاله الخليل - قالت عائشة : فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين . والنطاق : أن تأخذ المرأة الثوب فتشتمل به ثم تشد وسطها بخيط ثم ترسل الأعلى / [١١٢/أ] على الأسفل[7] - قالت : ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار جبل ثور فمكثا[8] فيه ثلاثًا ، يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر ، وهو غلام شاب لَقِن[9]، فيدّلج مِن عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت ، فلا يسمع أمرًا يكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط

---

(١) الخبط : ورق السمر .

(٢) البخارى : كتاب مناقب الأنصار - باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه ح (٣٩٠٥ - فتح) من حديث عائشة - رضى الله عنها - .

(٣) هكذا فى الأصل ، وفى الحديث : قالت . أى عائشة - رضى الله عنها .

(٤) هكذا فى الأصل ، وفى صحيح البخارى : «الصحابة» . والله أعلم .

(٥) أحثّ : أفعل تفضيل من الحث والإسراع .

(٦) هكذا فى الأصل ، وفى رواية الصحيح : «وصنعنا» . والمعنى قريب . والله أعلم .

(٧) قاله أبوعبيد الهروى . راجع فتح البارى (٢٧٨/٧) .

(٨) هكذا فى الأصل ، وفى رواية الصحيح : «فكمنا» .

(٩) لقن : بفتح اللام وكسر القاف : سريع الفهم .

الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فُهيرة مولى أبى بكر منحة من لبن فيريحها عليهما حتى تذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان فى رسل[1] حتى ينعق بهما عامر بغلس ففعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى ، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بنى الديل هاديًا ماهرًا بالهداية وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما ، وواعده غار ثور بعد ثلاث براحلتيهما ، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل[2] ، وكان اسم دليلهم عبد الله بن أريقط الليثى ، ولم يعرف له إسلام بعد ذلك ، وكانت هجرته ﷺ يوم الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الأول . وقيل : كانت آخر ليلة من صفر ، وعمره إذ ذاك ثلاث وخمسون سنة وتسعة أشهر بعد المعراج بسنة وشهرين ويوم واحد ، فكان بين البعث والهجرة اثنا عشر سنة وتسعة أشهر وعشرون يومًا ، وقيل : كانت إقامته بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة .

ومرّوا على خيمتى أم معبَد[3] الخزاعية فى قُديد[4]، وكانت امرأة برزة[5] جلدة تحتبى وتجلس بفناء الخيمة أو القبة ثم تسقى وتطعم ، فسألوها تمرًا ولحمًا ليشتروه فلم يصيبوا عندها شيئًا من ذلك وإذا القوم مرملون[6] مُسْنِتون[7] فقالت : لو كان عندنا شئ ما أعوزكم القِرى . فنظر النبى ﷺ إلى شاة فى كر[8] خيمتها فقال : «**ما هذه الشاة يا أم معبد ؟**» فقالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم فقال : « **هل بها من لبن ؟** » فقالت : هى أجهد من ذلك . قال / [١١٢/ب] ﷺ : «**أفتأذنين لى أن أحلبها ؟**» قالت : نعم بأبى أنت وأمى إن رأيت بها حلبًا فاحلبها . فدعا النبى ﷺ بالشاة فمسح ضرعها ، وذكر اسم الله

---

(١) رسل : بكسر الراء وبعدها مهملة ساكنة : اللبن الطرى .

(٢) حديث الهجرة أخرجه البخارى : كتاب مناقب الأنصار - باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه ح (٣٩٠٥ - فتح) من حديث عائشة - رضى الله عنها - .

(٣) اسمها عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أصرم ، أسلمت هى وزوجها وهاجرا إلى المدينة . راجع البداية والنهاية (٤٣٢/٢) .

(٤) قُديد : مصغرا ، موضع بين مكة والمدينة .

(٥) برزة : يقال : امرأة برزة إذا كانت كهلة لا تحتجب احتجاب الشواب ، وهى مع ذلك عفيفة عاقلة تجلس للناس وتحدثهم .

(٦) مرملون : أى نفد زادهم .

(٧) مسنتون : أى مجدبون .

(٨) كرّ خيمتها : هكذا فى الأصل ، وفى الرواية : «كسر» . أى جانبها . وتقرأ بفتح الكاف وكسرها.

تعالى ، وقال : «**اللهم بارك لها فى شاتها**» فتفاجت[1] ودرت واجترت ، فدعا النبى ﷺ بإناء يربض[2] الرهط فحلب فيها ثجًّا[3] ، حتى علاه البهاء . ويروى الثمال ، فسقاها فشربت حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووْا وشرب آخرهم وقال : «ساقى القوم آخرهم شربًا» . فشربوا جميعًا عَلَلاً بعد نهل حتى أراضوا[4]، ثم حلب فيه ثانيًا عودًا على بدء ثم غادره عندها ثم ارتحلوا عنها بعد أن بايعها ، فقلما لبثت أن جاء زوجها أبو معَبد - أكثم بن أبى الجون - يسوق أغنمًا عجافًا تشاركن هزلى[5] ويروى [عازب][6] جبال ولا حلوب فى البيت ، قالت : لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت . قال : صفيه لى يا أم معبد . قالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة ، أبلج[7] الوجه أو متبلج الوجه ، لم تعبه ثجلة[8] ، ولم تزر له صقلة[9] أو صعلة ، ويروى لم تعبه نُحلة ، وسيمًا قسيمًا[10]، فى عينيه دعج[11]، وفى أشفاره وطف[12] أو عطف أو غطف ، وفى صورته[13] صحل ، وفى عنقه سطع[14]، وفى لحيته كثافة ، أزج[15]،

---

(١) تفاجّت : التفاج : المبالغة فى تفريج ما بين الرجلين .

(٢) يربض الرهط : أى يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الأرض . من ربض فى المكان إذا لصق به .

(٣) ثجًّا : أى لبنًا سائلاً كثيرًا .

(٤) عللاً بعد نهل : العلل : الشرب بعد الشرب ، والنهل : أى العطش . والمراد أنهم شربوا مرة بعد أخرى من بعد عطش حتى رووا وشبعوا .

(٥) تشاركن هزلى : أى تسوين فى النحافة وضعف الجسم .

(٦) هكذا فى الأصل ، وفى رواية الحديث كلامًا ساقطا من الأصل : «فلما رأى اللبن عجب ، فقال : من أين لك هذا ؟ والشاة عازب» . وبه يستقيم سياق الكلام . والله أعلم .

(٧) أبلج الوجه : أى مشرق الوجه مسفره .

(٨) ثُجْلة : أى ضخامة البطن .

(٩) صُقلة : أى دقة ونحول .

(١٠) وسيمًا قسيمًا : أى حسنًا .

(١١) دَعَج : أى شديد سواد العينين .

(١٢) فى أشفاره وطف : أى فى شعر أجفانه طول .

(١٣) هكذا فى الأصل ، والصواب : «فى صوته صحل» ، والصحل : هو بالتحريك ، كالبُحَّة ، وألا يكون حادّ الصوت .

(١٤) سطع : أى ارتفاع وطول .

(١٥) أزجّ : تقوس فى الحاجب مع طول فى طرفه وامتداد .

أقرن[1]، إذا صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سما وعلاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحسنه وأجمله من قريب ، حلو المنطق أو المنظر ، فصل ، لا نزر ولا هذر ، كأن منطقه خرزات نظم يتحدَّرن ، ربعة[2]، لا يبأس من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرًا ، وأحسنهم قدرًا ، له رفقاء يحفون به ، إن قال أنصتوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود[3] ، لا عابس ، ولا مفند . قال أبو معبد : هذا والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة ، لقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك / [١١٣/أ] سبيلاً . وأصبح صوت بمكة عاليًا بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرون قائله :

جزى الله ربّ الناس خير جزائه .·. رفيقين حلاَّ خيمتى أم معبد .... الأبيات

قال : فأصبح الناس قد فقدوا نبيهم ﷺ فأخذوا على خيمتى أم معبد حتى لحقوا بالنبى[4] ﷺ .

قال ابن إسحاق : بلغنى أنه لما خرج قال أهل السير : ولقى رسول الله ﷺ الزبير فى ركب من المسلمين ، كانوا تجارًا قافلين من الشام ، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض[5]، وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى ثنية الوداع ينتظرون قدوم رسول الله ﷺ فحين قدم قال قائلهم :

طلع البدر علينا .·. من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا .·. ما دعا لله داع
أنت مرسل حقًّا .·. جئت من أمر مطاع
جئتنا تمشى رويدًا .·. نحونا ياخير داع

---

(١) أقرن أى مقرون الحاجبين . وجاء فى صفته ﷺ (سوابغ فى غير قرن) وهو الصحيح كما قاله ابن الأثير (٥٤/٤) .

(٢) ربعة : بين الطويل والقصير .

(٣) محفود محشود : مطاع فى قومه .

(٤) حديث أم معبد أخرجه الحاكم : المستدرك (٩/٣ ، ١٠) من طريق هشام بن حبيش ، وأورده الهيثمى : مجمع الزوائد (٥٨/٦) وعزاه للطبرانى ، وقال : فى إسناده جماعة لا أعرفهم . وذكر الحافظ ابن كثير : البداية والنهاية (٢٣٣/٣) شواهد لهذا الحديث ، وراجع زاد المعاد (٥٥/٣ - ٥٧) . والله أعلم .

(٥) هذا جزء من حديث أخرجه البخارى : كتاب مناقب الأنصار - باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه ح (٣٩٠٦ - فتح) قال أخبرنا ابن شهاب عن عروة .

وأضيفت الثنية إلى الوداع ؛ لأنها موضع التوديع ، وهو اسم قديم جاهلى ، وهذه الثنية خارج المدينة - [وأقبل رسول الله ﷺ إلى المدينة وكان مردفًا لأبى بكر وأبو بكر شيخ يعرف والنبى ﷺ شاب لا يعرف ، فيلقى الرجل أبا بكر فيقول : يا أبا بكر من هذا الرجل الذى بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل الذى يهدينى السبيل . فيحسب الحاسب أنه يعنى الطريق وإنما يعنى سبيل الخير][1]، وقدم رسول الله ﷺ المدينة حين اشتد الضحى من يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول وهو الأصح ، [وتلقى المسلمون رسول الله ﷺ بظهر الحرة ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمر[2] بن عوف ، فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتًا ، وطفق[3] /[١١٣/ب] مَنْ جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيى أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه ، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك][4]، ونزل رسول الله ﷺ على كلثوم بن الهدْم[5]، وفى هذه الحرة قطعة تسمى أحجار الزيت سميت به لسواد أحجارها ؛ كأنها طليت بالزيت ، وهو موضع كان يستقر فيه رسول الله ﷺ ، وبعضهم يقول : أحجار البيت وذلك خطأ .

قال البراء بن عازب : أول من قدم علينا المدينة مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانا يقرئان الناس ، ثم قدم عمار بن ياسر وبلال ثم عمر بن الخطاب فى عشرين من أصحاب النبى ﷺ ، ثم قدم النبى ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ حتى جعل الإماء يقلن : قدم رسول الله ﷺ[6].

قالت عائشة : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك[7] أبو بكر وبلال قالت : فدخلت عليهما فقلت : يا أبت كيف تجدك ؟ ويا بلال كيف تجدك ؟ قالت : فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

---

(١) هذا جزء من حديث أخرجه البخارى : كتاب مناقب الأنصار - باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه ح (٣٩١١ - فتح) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) هكذا فى الأصل ، والصواب « عمرو » . والله أعلم .

(٣) طفق : أى جعل .

(٤) هذا جزء من حديث عروة بن الزبير فى صحيح البخارى ، وتم تخريجه من قبل .

(٥) قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (٧/٢٨٧) : وقيل كان يومئذ مشركًا جزم به محمد بن الحسن ابن زبالة فى أخبار المدينة .

(٦) أخرجه البخارى كتاب مناقب الأنصار - باب مقدم النبى ﷺ وأصحابه ح (٣٩٢٥ - فتح).

(٧) وعك : الوعك : الحمى .

كل امرئ مصبح في أهله .·. والموت أدنى من شراك نعله .

وذكر أبو عبد الله المرزباني : أن هذا البيت لحكيم بن الحارث بن نهيك النهشلي وكان جاهليًا ، قيل : يوم الوقيظ - وهو يوم كان لبني قيس بن ثعلبة على بني تميم وكان حكيم ينشده في ذلك اليوم وهو يقاتل - وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته[1] فيقول :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة .·. بواد وحولي إذْخِر[2] وجليل[3]

وهل أردن يومًا مياه مجنَّة[4] .·. وهل يبدون لي شامة وطفيل[5]

قالت عائشة : فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته / [١١٤/أ] فقال : «**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، وصححها ، وبارك لنا في صاعها ومدها ، وانقل حماها واجعلها بالجحفة**[6]»[7]. قال أهل السير : وأقام علي بن أبي طالب ﷺ بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله ﷺ ، فنزل معه على كلثوم بن الهدْم ، ولم يبق بمكة إلا من حبسه أهله أو فتنوه[8]. وعن زيد بن أسلم عن أبيه في قوله - عز وجل - : ﴿ **وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانًا نصيرًا** ﴾[9]. قال : جعل الله مدخل صدق المدينة ، ومخرج صدق مكة ، وسلطانًا نصيرًا الأنصار[10]. وقيل : أدخلني يعني غار ثور مدخل صدق ، وأخرجني يعني منه إلى المدينة مخرج صدق وقيل : غير ذلك . والله أعلم .

---

(١) عقيرته : صوته .

(٢) إذخر : نبات طيب الرائحة .

(٣) جليل : شجر الثمام ، واحده جليلة .

(٤) مجنة : بالفتح وتشديد النون - جبل لبني الدئل خاصة بتهامة .

(٥) شامة وطفيل : جبلان بالقرب من مكة .

(٦) الجحفة : موضع بين مكة والمدينة ، وهي ميقات أهل الشام ، وتبعد (٢٢) كيلو جنوب شرق مدينة رابغ . قال ابن حبان : العلة في دعاء النبي ﷺ بنقل الحمى إلى الجحفة أنها كانت حينئذ دار يهود، ولم يكن بها مسلم . والله أعلم .

(٧) أخرجه البخاري : كتاب مناقب الأنصار - باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة ح (٣٩٢٦ - فتح) وطرفه في ح (١٨٨٨) . واللفظ له ، ومسلم : كتاب الحج - باب الترغيب في سكنى المدينة ح (١٣٧٦) .

(٨) راجع سيرة ابن هشام (٢/ ٥٣) والدرة الثمينة (ص ٥٧) .

(٩) سورة الإسراء : الآية (٨٠) .

(١٠) راجع تفسير ابن كثير آية (٨٠) ، وهذا قول قتادة أيضًا .

الفصل الثالث
في ما جاء في حرمة المدينة وغبارها وتمرها ودعائه ﷺ لهم بالبركة وما يؤول إليه أمرها وحدود حرمها

ذكر حرمة المدينة الشريفة

روى القاضى عياض فى «الشفاء» : أن مالك بن أنس رضي الله عنه كان لا يركب فى المدينة دابة ، وكان يقول : أستحيى من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله ﷺ بحافر دابتى . ورُوى أنه وهب للشافعى - رحمه الله - كراعًا كثيرًا كان عنده فقال له الشافعى : أمسك منها دابة فأجابه بمثل هذا الجواب . وكان قد أفتى مالك - رحمه الله - فيمن قال : تربة المدينة رديئة . بضرب ثلاثين درة وأمر بحبسه وكان له قدر ، وقال : ما أحوجه إلى ضرب عنقه تربة دفن فيها رسول الله ﷺ يزعم أنها غير طيبة .

وعن الزهرى أنه قال : إذا كان يوم القيامة رفع الله - تعالى - الكعبة البيت الحرام إلى البيت المقدس فتمر بقبر النبى ﷺ بالمدينة فتقول : السلام عليك يا رسول الله /[١١٤/ب] ورحمة الله وبركاته . فيقول عليه السلام : «وعليك السلام يا كعبة الله ما حال أمتى ؟ فتقول : يا محمد أمّا مَنْ وفد إلىَّ من أمتك فأنا القائمة بشأنه ، وأما مَنْ لم يفد إلىَّ من أمتك فأنت القائم بشأنه» . رواه أبو سعيد الموصلى فى باب رفع الكعبة المشرفة إلى البيت المقدس.

فانظر لسر زيارة البيت الحرام للنبى - عليه السلام - ودخول الكعبة المشرفة مدينة خير الأنام وكفى بهذا الشرف تعظيمًا .

قال الشيخ عبد الله المرجانى فى «بهجة النفوس والأسرار فى تاريخ دار هجرة المختار» : لما جرى سابق شرفها فى القدم أخذ من تربتها حين خلق آدم فأوجد الموجد وجودها من بعد العدم . قال أهل السير : إن الله - تعالى - لما خمر طينة آدم - عليه السلام - حين أراد خلقه أمر جبريل أن يأتيه بالقبضة البيضاء التى هى قلب الأرض وبهاؤها ونورها ؛ ليخلق منها محمدًا ﷺ فهبط جبريل فى ملائكة الفراديس المقربين وملائكة الصفح الأعلى ، فقبض قبضة من موضع قبر رسول الله ﷺ وهى يومئذ بيضاء نقية ، فعجنت بماء التسنيم ورعرعت حتى صارت كالدرة البيضاء ثم غمست فى أنهار الجنة كلها ، وطيف بها فى السماوات والأرض والبحار ، فعرفت الملائكة حينئذ محمدًا ﷺ وفضله قبل أن تعرف آدم وفضله ، ثم عجنت بطينة آدم بعد ذلك ، ولا يخلق ذلك الجسد إلاَّ من أفضل بقاع الأرض . حكاه الثعلبى[١].

وحكى أبو عبيد الجرهمى - وكان كبير السن عالـمًا بأخبار الأمم - : أن تبعًا الأصغر وهو تبع بن حسان بن تبع سار إلى يثرب فنزل فى سفح جبل أحد ، وذهب إلى اليهود وقتل منهم ثلاثمائة وخمسين رجلاً صبرًا وأراد إخرابها ، فقام إليه حبر من اليهود

---

(١) فى قصص الأنبياء (ص ٢٦) .

فقال له : أيها الملك مثلك لا يقبل على الغضب ولا يقبل قول الزور وأنت لا تستطيع أن تخرب هذه القرية . قال : ولم ؟ / [١١٥/أ] قال : لأنها مهاجر نبي من ولد إسماعيل يخرج من هذه البنية – يعني البيت الحرام – فكف تبع ومضى إلى مكة ومعه هذا اليهودي ورجل آخر عالم من اليهود ، فكسا البيت الحرام كسوة ونحر عنده ستة آلاف جزور وأطعم الناس، ولم يزل بعد ذلك يحوط المدينة الشريفة ويعظمها .

ويروى أن سليمان – عليه السلام – لما حملته الريح من إصطخر على ممره بوادي النمل سار إلى اليمن فتوغل في البادية فسلك مدينة الرسول ﷺ فقال سليمان عليه السلام: هذه دار هجرة نبي في آخر الزمان طوبى لمن آمن به واتبعه . فقال له قوم : كم بيننا وبين خروجه ؟ قال: زهاء ألف عام . ووادي النمل هو وادي السديرة بأرض الطائف من أرض الحجاز . قاله كعب . وقيل : هو بالشام .

وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر فنظر إلى جدران المدينة أوضع راحلته ، وإن كان على دابة حركها(١). وعن أبي هريرة قال : يوشك أن يضرب الناسُ أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحدًا أعلم من عالم المدينة(٢). قال الترمذي : حديث حسن .

روى عن سفيان بن عيينة أنه قال : هو مالك بن أنس ﷺ . وعن عبد الرزاق أنه قال : هو العمري الزاهد . قال التوربشتي في «شرح المصابيح» : وما ذكره ابن عيينة ، وعبد الرزاق فهو محمول منهما على غلبة الظن دون القطع به ، وقد كان مالك – رحمه الله – حقيقًا بهذا الظن فإنه كان إمام دار الهجرة والمرجوع بها إليه في علم الفتيا، وكذا العمري الزاهد وهو – عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ﷺ – وقد كان الشيخ وحده وكان من عباد الله الصالحين المشّائين في عباده وبلاده بالنصيحة ، ولقد بلغنا أنه كان يخرج إلى البادية ؛ ليتفقد أحوال أهلها شفقة منه عليهم أو الحق /[١١٥/ب] النصيحة فيهم فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وكان يقول لعلماء المدينة : شغلكم طلب الجاه وحب الرياسة عن توفية العلم حقه في إخوانكم من المسلمين ، تركتموهم في البوادي والفلوات يعمهون في أودية الجهل ومتيهة الضلال ، أو كلامًا هذا معناه .

قال التوربشتي : ولو جاز لنا أن نتجاوز الظن في مثل هذه القضية لكان قولنا إنه

---

(١) أخرجه البخاري : كتاب العمرة – باب من أسرع ناقته إذا بلغ المدينة ح (١٨٠٢ – فتح) .

(٢) أخرجه الترمذي : كتاب العلم – باب ما جاء في عالم المدينة ح (٢٦٨٠) ، والنسائي في الكبرى: كتاب الحج – باب فضل عالم أهل المدينة .

عمر أولى من قوله إنه العمرى مع القطع به فقد لبث بالمدينة أعوامًا يجتهد فى تمهيد الشرع وتبين الأحكام ، ولقد شهد له أعلام الصحابة بالتفوق فى العلم حتى قال ابن مسعود ﷺ يوم استشهد عمر ﷺ : لقد دفن بموته تسعة أعشار العلم . انتهى .

قال العفيف المرجانى : سمعت والدى يقول : كنت ذات يوم جالسًا فى البستان فإذا بمقدار ثلاثين أو أربعين فارسًا لابسين ثيابًا معممين ملثمين جميعهم قاصدين المدينة ، فاتبعتهم فى أثرهم فلم أجد لهم خبرًا ، فسألت عنهم فلم أجد من يخبرنى عنهم بخبر و لم أجد لهم أثرًا ، فعلمت أنهم من الملائكة أو من مؤمنى الجن أو صالحى الإنس أتوا لزيارة النبى ﷺ قال : والبستان اليوم باق معروف بالمرجانية بالقرب من المصلى . قال العفيف : وسمعته يقول : من بركة أرض المدينة أنى زرعت بالبستان بطيخًا أخضر فلما استوى أتانى بعض الفقراء من أصحابى فأشاروا إلى بطيخة قد انتهت وقالوا : هذه لا تتصرف فيها هى لنا إلى اليوم الفلانى . فلما خرجوا أتى مَن قطعها و لم أعلم فتشوشت من ذلك ونظرت فإذا بنوارة قد طلعت مكان تلك البطيخة وعقدت بطيخة فلم يأت يوم وعد الفقراء إلاّ وهى أكبر من الأولى فأتوا وأكلوها و لم يشكوا أنها الأولى . وقال العفيف فى «تاريخه» أيضًا: سمعت والدى يقول : سحرت امرأة من أهل اليمن زوجَها وغيرت صورته ، واتفق لهم حكاية طويلة ثم شفع فيه بعض الناس فقالت / [١١٦/أ] امرأته : لابد أن أترك فيه علامة فأطلقته بعد أن نبت له ذنب كذنب الحمار ، فحج وهو على تلك الحالة فشكا ذلك إلى أبى عبد الله محمد بن يحيى الغرناطى فقيه كان بمكة فأمره بالسفر إلى المدينة ، فسافر فى طريق المشيان إليها قال : فعند وصوله إلى قباء سقط منه ذلك الذنب بإذن الله تعالى .

ما جاء فى غبار المدينة الشريفة

تقدم فى باب الفضائل حديث : «**غبار المدينة شفاء من الجذام**»(١). وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ لما دنا من المدينة منصرفًا من تبوك خرج إليه يتلقاه أهل المدينة من المشايخ والغلمان ، ثار مِن أثارهم غبرة فخمَّر بعض مَن كان مع رسول الله ﷺ أنفه من الغبار ، فمد رسول الله ﷺ يده فأماطها عن وجهه ، وقال : «**أما علمت أن عجوة المدينة شفاء من السُّم ، وغبارها شفاء من الجذام**»(٢).

---

(١) أورده السيوطى فى الجامع الصغير (٧٥/٢) ورمز له بالضعف ، وعزاه لأبى نعيم فى الطب عن ثابت بن قيس بن شماس . وللحديث روايات بألفاظ أخرى وكلها ضعيفة كما رمز لها السيوطى فى جامعه .

(٢) أورد نحوه الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب (٢٠٤/٢) عن سعد بن أبى وقاص ، وقال : ذكره رزين العبدرى فى جامعه ، و لم أره فى الأصول .

وعن إبراهيم بن الجهم أن رسول الله ﷺ أتى بنى الحارث فإذا هم وؤباء ، فقال : «**مالكم يا بنى الحارث وؤبى ؟**»[1] قالوا : نعم يا رسول الله أصابتنا هذه الحمى . قال : «**فأين أنتم عن صُعَيب ؟**» قالوا : يا رسول الله ما نصنع به ؟ قال : «**تأخذون من ترابه فتجعلونه فى ماء ثم يتفل عليه أحدكم ويقول : بسم الله تربة أرضنا ، بريق بعضنا ، شفاء لمريضنا بإذن ربنا**» ففعلوا فتركتهم الحمى[2]. قال أبو القاسم طاهر بن يحيى العلوى: صعيب وادى بُطْحان دون الماجشونية وفيه حفرة يأخذ الناس منها ، وهو اليوم إذ أوبأ إنسان يأخذ منها . قال الحافظ محب الدين بن النجار : رأيت هذه الحفرة والناس يأخذون منها وذكروا أنهم قد جربوه فوجدوه صحيحًا . قال : وأخذت أنا منها أيضًا[3] . وبُطْحَان - بضم الباء وسكون الطاء المهملة - سمى بذلك لسعته وانبساطه من البطح وهو البسط ، قاله أبو عبيد القاسم / [١١٦/ب] بن سلام . وعن ابن سلمان أن رجلاً أتى به رسول الله ﷺ وبرجله قرحة فرفع رسول الله ﷺ طرف الحصير ثم وضع أصبعه التى تلى الإبهام على التراب بعدما مسها بريقه فقال : « **بسم الله ، بريق بعضنا ، بتربة أرضنا ، يشفى سقيمنا بإذن ربنا** » ، ثم وضع أصبعه على القرحة فكأنما حلّ من عقال[4].

ما جاء فى تمر المدينة وثمارها ودعائه ﷺ لها بالبركة

أول من غرس النخل فى الأرض أنوس بن شيث ، وأول من غرس بالمدينة بنو قريظة وبنو النضير . حدث العوفى عن الكلبى فى «تاريخ ملوك الأرض» : أن شرية الخثعمى عمَّر ثلاثمائة سنة وأدرك زمان عمر بن الخطاب فقال وهو بالمدينة : لقد رأيت هذا الوادى الذى أنتم وما به نخالة ولا شجرة مما ترون ، ولقد سمعت أخريات قومى يشهدون بمثل شهادتكم هذه يعنى - لا إله إلا الله - وممن عمَّر مثل هذا جماعة منهم : سلمان الفارسى والمستوغر ابن ربيعة .

وتقدم فى الفضائل : «**مَنْ تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره فى ذلك اليوم سم**

---

(١) هكذا فى الأصل ، وفى ابن النجار «روبى» وهم الذين أوهنهم المرض ، وجمعه روبان - لسان العرب.

(٢) ذكره ابن النجار فى الدرة الثمينة (ص ٦٣) ، وكذا السمهودى فى وفاء الوفاء (٦٨/١) ، ومن طريق محمد بن الحسن بن زبالة عن محمد بن فضالة عن إبراهيم بن الجهم .

(٣) الدرة الثمينة (ص ٦٣) .

(٤) أخرجه البخارى : كتاب الطب - باب رقية النبى ﷺ ح (٥٧٤٥ - فتح) ، ومسلم : كتاب السلام - باب استحباب الرقية من العين والنملة ... ح (٢١٩٤) من حديث عائشة - رضى الله عنها - . واللفظ لمسلم .

ولا سحر»[1]. وفى صحيح مسلم : «**من أكل سبع تمرات من بين لابتيها حين يصبح لم يضره سم حتى يمسى**»[2]. واللأبة : الحرة حجارة سود من الجبلين . فقوله : «من بين لابتيها» أى حرَّتيها . وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بأول الثمر فيقول : «**اللهم بارك لنا فى مدينتنا ، وفى ثمارنا ، وفى مدنا وفى صاعنا ، بركة مع بركة ، ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان**»[3]. وفى رواية ابن السنى عن أبى هريرة : رأيت رسول الله ﷺ إذا أتى بباكورة وضعها على عينيه ثم على شفتيه وقال : «**اللهم كما أريتنا أوله فأرنا آخره ثم يعطيه مَنْ يكون عنده من الصبيان**»[4]. وعن على قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا / [١١٧/أ] كنا بالسقيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص فقال رسول الله ﷺ : «**ائتونى بوضوء**» ، فلما توضأ قام فاستقبل القبلة ثم كبر ثم قال : «**اللهم إن إبراهيم كان عبدك وخليلك دعاك لأهل مكة بالبركة ، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك**[5]**أن تبارك لهم فى مُدهم**[6] **مثل ما باركت لأهل مكة، ومع البركة بركتين** »[7].

ذكر ما يؤول إليه أمر المدينة الشريفة

عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**لتتركن المدينة على خير ما كانت مدللة ، ثم أرها لا يغشاها إلاَّ العوافى** – يريد عوافى الطير والسباع – **وآخر من يحشر منها راعيان من مزينة يريدان المدينة ، ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشًا حتى إذا**

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب الأطعمة – باب العجوة ح (٥٤٤٥ – فتح) ، ومسلم : كتاب الأشربة – باب فضل تمر المدينة ح (٢٠٤٧) . من حديث سعد بن أبى وقاص ، واللفظ للبخارى .

(٢) فى كتاب الأشربة – باب فضل تمر المدينة ح (٢٠٤٧) ، من حديث سعد بن أبى وقاص .

(٣) أخرجه مسلم : كتاب الحج – باب فضل المدينة ح (١٣٧٣) ، والترمذى : كتاب الدعوات – باب ما يقول إذا رأى الباكورة من الثمر ح (٣٤٥٤) ، وابن ماجه : كتاب الأطعمة – باب إذا أوتى بأول الثمرة ح (٣٣٢٩) ، ومالك فى الموطأ : كتاب الجامع – باب الدعاء للمدينة وأهلها ح (٢) كلهم عن أبى هريرة .

(٤) ابن السنى : عمل اليوم والليلة رقم (٢٧٩) .

(٥) هكذا فى الأصل ، وفى الحديث : «لأهل المدينة» .

(٦) هكذا فى الأصل ، وفى الحديث : «وصاعهم» .

(٧) أخرجه الترمذى : كتاب المناقب – باب فى فضل المدينة ح (٣٩١٤) ، والنسائى فى الكبرى : كتاب الحج – باب مكيال أهل المدينة ، والإمام أحمد : المسند (١١٥/١ ، ١١٦) ، وابن خزيمة : فى صحيحه (١٠٦/١ برقم ٢٠٩) .

بلغا ثنية الوداع خرًّا على وجوههما»[1]. رواه البخارى. وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لتتركن المدينة على أحسن ما كانت حتى يدخل الكلب أو الذئب فيغذّى على بعض سوارى المسجد أو على المنبر**». فقالوا: يارسول الله فلمن تكون الثمار فى ذلك الزمن. فقال: «**للعوافى الطير والسباع**»[2]. رواه مالك فى الموطأ.

ماجاء فى تحديد حدود حرم المدينة الشريفة

فى الصحيحين من حديث على رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «**المدينة حرم مابين عيْر إلى ثَور، فمن أحدث فيها حدثًا، أو آوى محدِثًا، فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين، لايقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولاعدلاً**»[3] وأراد بالحدث: البدعة وذلك ما لم تجرِ به سنة ولم يتقدم به عمل، وبالمحدِث: المبتدع. قال التوربشتى: وروى بعضهم المحدث بفتح الدال وليس بشئ؛ لأن الرواية الصحيحة بكسر الدال وفيه من طريف المعنى وهن وهو أن اللفظين يرجعان حينئذ إلى شئ واحد، فإن إحداث البدعة / [١١٧/ب] وإيواءها سواء، والإيواء قلما يستعمل فى الإحداث وإنما المشهور استعماله فى الأعيان التى تنضم إلى المساوئ. انتهى.

وعن على رضي الله عنه قال: ماعندنا شيء إلا كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبى ﷺ: «**المدينة حرم مابين عابر إلى كذا**» رواه البخارى[4] مطولاً وهذا لفظه، ورواه مسلم فقال: «**مابين عير إلى ثور**»[5]. وهذا هو حد الحرم فى الطول. وعن أبى هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: لو رأيت الظباء ترتع[6] بالمدينة ماذعرتها، قال رسول الله ﷺ: «**مابين لابتيها حرام**». متفق عليه[7]. وهذا حد الحرم فى العرض. وعنه قال: حرم رسول الله ﷺ مابين لابتى المدينة. قال أبو هريرة: فلو وجدت الظباء مابين لابتيها ما ذعرتها، وجعل اثنى

---

(١) البخارى: كتاب فضائل المدينة - باب من رغب عن المدينة ح(١٨٧٤-فتح)، ومسلم: كتاب الحج - باب فى المدينة حين يتركها أهلها ح (١٣٨٩).

(٢) مالك: كتاب الجامع - باب ماجاء فى سكنى المدينة والخروج منها ح (٨). وقوله: «فيغذّى» معناه: يبول عليها لعدم سكانه وخلوه من الناس. راجع النهاية.

(٣) البخارى: كتاب فضائل المدينة - باب حرم المدينة ح (١٨٧٠-فتح)، ومسلم: كتاب الحج - باب فضل المدينة ح (١٣٧٠)، واللفظ لمسلم.

(٤) البخارى: كتاب فضائل المدينة - باب حرم المدينة ح (١٨٧٠-فتح).

(٥) مسلم: كتاب الحج - باب فضل المدينة ح (١٣٧٠).

(٦) ترتع: تسعى وترعى.

(٧) البخارى: كتاب فضائل المدينة - باب لابتى المدينة ح (١٨٧٣-فتح)، ومسلم: كتاب الحج - باب فضل المدينة ح (١٣٧٢).

عشر ميلاً حمى»[١] رواه مسلم . قال المازني : نقل بعض أهل العلم أن ذكر ثور هنا وهم من الراوي؛ لأن ثورًا بمكة ، والصحيح ما بين ثور إلى أحد . وقال أبو عبيد القاسم بن سلاّم : إن عيرًا جبل معروف بالمدينة ، وأن ثورًا لايعرف بها وإنما يعرف بمكة . قال : فإذا نرى أن أصل الحديث مابين عير إلى أحد[٢]. وكذلك قال غيره . وقال أبو بكر الحازمي : حرم رسول الله ﷺ مابين عير إلى أحد قال : هذه الرواية الصحيحة وقيل : إلى ثور . فليس له معنى . انتهى .

قالوا أو يكون رسول الله ﷺ سمى أحدًا ثورًا تشبيهًا بثور مكة ؛ لوقوعه في مقابلة جبل يسمى عيرًا . وقيل : أراد بهما مأزَمى المدينة ؛ لما ورد في حديث أبي سعيد : «**حرمت مابين مأزميها**»[٣]. وقيل : أراد الحرتين شبه إحدى الحرتين بعَيْر لنتوء وسطه ونشوزه ، والآخر بثور لامتناعه تشبيهًا بثور الوحش . وقيل : إن مابين عير مكة إلى ثورها من المدينة مثله حرام . وإنما قيل : هذه التأويلات لما لم يعرف بالمدينة جبل يسمى ثورًا.

قال المحب /[١١٨/أ] الطبري : وقد أخبرني الثقة الصدوق الحافظ العالم المجاور بحرم رسول الله ﷺ أبو محمد عبد السلام البصري أن حذاء أحُد عن يساره جانحًا إلى ورائه جبل صغير يقال له: ثور ، وأخبر أنه تكرر سؤاله عنه لطوائف من العرب - العارفين بتلك الأرض ومافيها من الجبال - فكل أخبر أن ذلك الجبل اسمه ثور ، فعلمنا بذلك أن ماتضمنه الخبر صحيح ، وعدم علم أكابر العلماء به لعدم شهرته وعدم سؤالهم وبحثهم عنه[٤]. انتهى .

وقال جمال الدين المطري وغيره : قد ثبت بالمدينة الشريفة عن أهلها القدماء الساكنين بالعمرية والغابة أنهم يعرفون عن آبائهم وأجدادهم أن وراء أحُد جبلاً يقال له : ثور معروف . قال : وشاهدنا الجبل ولم يختلف في ذلك أحد ، وعسى أن يكون أشكل على مَن تقدم لقلة سكناهم بالمدينة ، قال : وهو خلف جبل أحد من شماليه تحته وهو جبل صغير مدور وهما حد الحرم كما نقل، قال :ولعل هذا الاسم لم يبلغ أبا عبيد ولاالمازني[٥].

---

(١) مسلم : كتاب الحج - باب فضل المدينة ح (١٣٧٢) ، وكذلك أخرجه الإمام أحمد : المسند (٢/٢٧٩) .

(٢) راجع الدرة الثمينة لابن النجار (ص ٨٧،٨٨) ، وفتح الباري للحافظ ابن حجر (٤/٩٨).

(٣) أخرجه مسلم : كتاب الحج - باب الترغيب في سكنى المدينة ح (١٣٧٤) . والمأزم : المضيق بين الجبلين حيث يلتقي بعضها ببعض ويتسع ماوراءه . وقيل : الجبلين . النهاية لابن الأثير .

(٤) راجع قول المحب الطبري هذا وغيره من الأقوال في الفتح للحافظ ابن حجر (٤/٩٩).

(٥) راجع التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة (ص ٣٥) .

انتهى . وأما عَيْر فهو الجبل الكبير الذى من جهة قبلة المدينة.

واختلف فى صيد حرم المدينة وشجره(١) ومذهبنا(٢) أنه لايحرم ، وتقدم آخر الباب التاسع الجواب عن حديث(٣) سعد بن أبى وقاص وعن قوله ﷺ : «**إن إبراهيم حرم مكة وإنى حرمت المدينة**»(٤). وعن حديث سعد بن أبى وقاص أن رسول الله ﷺ قال : «**إنى أحرم مابين لابتى المدينة أن يقطع عضاهها**»(٥). الحديث. قال التوربشتى فى «شرح المصابيح» : وكان سعد وزيد بن ثابت يريان فى ذلك الجزاء . وأجاب عن ذلك بأنه نسخ فلم يشعرا به . قال : وإنما ذهب للنسخ من ذهب للأحاديث التى تدل على خلاف ذلك ، ولهذا لم يأخذ بحديثهما أحد من فقهاء /[١١٨/ب] الأمصار ، وسئل مالك عن النهى فى قطع سدر المدينة فقال : إنما نهى عنه لئلا يتوحش وليتقى به شجرها فيستأنس بذلك من هاجر إليها ويستظل بها . انتهى.

وأجاب أيضاً عن حديث أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : «**اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حرماً**»(٦). الحديث. وفيه «**لاينفر صيدها**» . وكذلك فى حديث جابر : «**لايصاد صيدها**»(٧). قال : والسبيل فى ذلك أن يحمل النهى على ماقاله مالك وغيره من العلماء أنه أحب أن تكون المدينة مأهولة مستأنسة ، فإن صيدها وإن رأى تحريمه نفر يسير من الصحابة فإن الجمهور منهم لم ينكروا اصطياد الطيور بالمدينة ، و لم يبلغنا فيه عن النبى ﷺ نهى من طريق يعتمد عليه ، ولو كان حراماً لم يسكت عنه فى موضع الحاجة ، ثم لم يبلغنا عن أحد من الصحابة أنه رأى الجزاء فى صيد المدينة ، و لم يذهب أيضاً إلى ذلك أحد من فقهاء الأمصار الذين يدور عليهم علم الفتيا فى بلاد الإسلام انتهى.

---

(١) قال مالك والشافعي وأحمد : إنه يحرم . وقال أبو حنيفة : إنه ليس بحرام . وراجع ماقاله الحافظ ابن حجر فى الفتح (١٠٠/٤).

(٢) مذهب المصنف - رحمه الله - الحنفية ، فعندهم لايحرم صيد حرم المدينة ولاقطع شجره . والله أعلم .

(٣) وهو أن سعد بن أبى وقاص أخذ رجلاً تصيد فى حرم المدينة فسلبه ثيابه فجاءوا إليه فكلموه فيه فقال إن رسول الله حرم هذا الحرم وقال : «من أخذ الصيد فيه فليسلبه ثيابه» ... أخرجه أبوداود : كتاب المناسك - باب فى تحريم المدينة ح (٢٠٣٧).

(٤) أخرجه مسلم : كتاب الحج - باب فضل المدينة ح(١٣٦٢). من حديث جابر بن عبد الله .

(٥) أخرجه مسلم : كتاب الحج - باب فضل المدينة ح(١٣٦٣) ، وأحمد : المسند (١٦٩/١ ، ١٨١ ، ١٨٥) .

(٦) أخرجه مسلم : كتاب الحج - باب الترغيب فى سكنى المدينة ح(١٣٧٤).

(٧) تقدم تخريجه .

وأجاب التوربشتى أيضاً عن حديث سعد ﷺ أنه وجد عبدًا يقطع شجرًا أو يخبطه فسلبه ثيابه [1]. قال : والوجه فى ذلك النسخ فى ذلك على ماذكرنا وقد كانت العقوبات فى أول الإسلام جارية فى الأموال . انتهى .

---

(١) تقدم تخريجه .

الفصل الرابع
في ذكر أودية المدينة الشريفة
وآبارها المنسوبة إلى النبى ﷺ
وعينها وذكر جبل أحد والشهداء عنده

ذكر وادى العقيق وفضله

تقدم حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ بوادى العقيق يقول : «**أتانى الليلة آت من ربى** ..»[1] الحديث . وكان عبد الله بن عمر ينيخ بالوادى يتحرى معرس رسول الله ﷺ ويقول : هو أسفل من المسجد الذى ببطن الوادى بينه وبين /[١١٩/أ] الطريق وسط من ذلك[2]. وعن عامر بن سعد بن أبى وقاص قال : ركب رسول الله ﷺ إلى العقيق ثم رجع فقال : « **ياعائشة جئنا من هذا العقيق فما ألين موطئه وماأعذب ماءه** ». قالت : أفلا تنتقل إليه ؟ قال : «**كيف وقد ابتنى الناس**»[3] .

قال أهل السير: وجد قبر آدمى عند جما أم خالد بالعقيق مكتوب فيه : أنا عبد الله رسول رسول الله سليمان بن داود إلى أهل يثرب ، ووجد حجر آخر على قبر آدمى أيضاً عليه مكتوب : أنا سود[4] بن سوادة رسول رسول الله عيسى ابن مريم إلى أهل هذه القرية[5].

قال الشيخ جمال الدين المطرى : والجماوات أربعة أجبل غربى وادى العقيق . وابتنى الناس بالعقيق من خلافة عثمان ﷺ ونزلوه وحفروا به الآبار وغرسوا فيه النخيل والأشجار من جميع نواحيه على جنبى وادى العقيق إلى هذه الجماوات ، وسميت كل جما منها باسم من بنى فيها، ونزل فيه جماعة من الصحابة - رضى الله عنهم - منهم أبو هريرة وسعيد بن العاص[6] بن سعيد بن العاص وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد[7] ، وماتوا جميعهم به وحملوا إلى المدينة ودفنوا فى البقيع وكذلك سكنه جماعة من التابعين ومن بعدهم ، وكانت فيه القصور المشيدة والآبار العذبة ، ولأهلها أخبار مستحسنة وأشعار رائقة ، ولما بنى عروة بن الزبير قصره بالعقيق ونزله ، قيل له جفوت عن مسجد رسول

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب الحج - باب قول النبى ﷺ (العقيق واد مبارك) ح(١٥٣٤-فتح) ، وأحمد: المسند (٢٤/١) ، وأبوداود : ح(١٨٠٠) .

(٢) أورده ابن النجار : الدرة الثمينة (ص ٩٥).

(٣) أورده ابن النجار بسنده : الدرة الثمينة (ص ٩٥، ٩٦) ، وأورده كذلك جمال الدين المطرى : التعريف بما آنست الهجرة بسنده (ص٦٠) .

(٤ هكذا فى الأصل ، وفى الدرة الثمينة : «أسود» ، وكذلك فى التعريف بما آنست الهجرة للمطرى . والله أعلم .

(٥) راجع الدرة الثمينة لابن النجار (ص ٩٦) ، والتعريف بما آنست الهجرة للمطرى (ص٦٠) .

(٦) قال المطرى : سعيد بن العاصى مشكوك فى صحبته .

(٧) إلى هنا انتهى كلام المطرى (ص ٦٠) .

الله ﷺ فقال : إنى رأيت مساجدهم لاهية ، وأسواقهم لاغية ، والفاحشة فى فجاجهم عالية ، فكان فيما هنالك عما هو فيها عافية ، وولى رسول الله ﷺ العقيق لرجل اسمه هيضم المزنى ، ولم تزل الولاة على المدينة الشريفة يولون عليه والياً حتى كان داود بن عيسى فتركه فى سنة ثمان وتسعين ومائة[١] . قال/[١١٩/ب] ابن النجار : ووادى العقيق اليوم ليس فيه ساكن ، وفيه بقايا بنيان خراب وآثار تجد النفس برؤيتها أنساً [٢].

قال الشيخ منتخب الدين : وبالمدينة عقيقان الأصغر فيه بئر رومة ، والأكبر فيه بئر عروة ، سميا بذلك لأنهما عقا عن حرة المدينة – أى قطعا . قال الجمال المطرى : ورمل مسجد رسول الله ﷺ من العرصة التى تسيل من الجما الشمالية إلى الوادى فيحمل منه وليس فى الوادى رمل أحمر غير مايسيل من الجبل [٣] .

ذكر الآبار المنسوبة إلى النبى صلى الله عليه وسلم

قد نقل أهل السير أسماء آبار بالمدينة شرب منها رسول الله ﷺ وبصق فيها إلا أن أكثرها لايعرف اليوم ، فلا حاجة إلى ذكره ، ونذكر الآبار التى هى موجودة اليوم معروفة على ما يذكر أهل المدينة والعهدة عليهم [٤]. الأولى : بئر حا . قال ابن النجار : وهذه البئر اليوم وسط حديقة صغيرة جداً فيها نُخيلات وبزر[٥] حولها وعندها بيت مبنى على علو من الأرض، [وهى قريبة من البقيع ومن سور المدينة] [٦] وهى ملك لبعض أهل المدينة، وماؤها عذب حلو ، قال : وذرعتها فكان طولها عشرين ذراعًا[٧] منها أحد عشر ذراعاً ونصف ماءً والباقى بنيان ، وعرضها ثلاثة أذرع ويسير[٨] ، وهى مقابلة المسجد كما ورد فى الصحيح[٩][١٠] .

---

(١) راجع الدرة الثمينة فى تاريخ المدينة لابن النجار (ص ٩٦) .

(٢) الدرة الثمينة (٩٦) .

(٣) فى التعريف بما آنست الهجرة (ص ٦٢) .

(٤) راجع الدرة الثمينة (ص ١٠١) .

(٥) هكذا فى الأصل ، وفى الدرة الثمينة : «يزرع» . وهو الصواب . والله أعلم .

(٦) ما بين المعكوفتين ليست فى الدرة الثمينة .

(٧) هكذا فى الأصل ، وفى الدرة الثمنية : «عشرة أذرع ونصف» ، وماجاء فى التعريف بما آنست الهجرة (ص ٥٣) موافق لما فى الأصل.

(٨) هكذا فى الأصل وفى الدرة الثمينة : «وشبر» .

(٩) صحيح البخارى : كتاب الزكاة – باب الزكاة على الأقارب ح(١٤٦١-فتح) .

(١٠) الدرة الثمينة (ص ١٠١ ، ١٠٢) .

وقال المطرى : وهى شمالى سور المدينة ، بينها وبين السور الطريق ، وتعرف اليوم بالنويرية اشتراها [(١)] ووقفها على الفقراء وغيرهم[(٢)] .

الثانية : بئر أريس وهى البئر التى جلس رسول الله ﷺ عليها وتوسط قفها وكشف عن ساقيه ودلاهما فى البئر ، وكان بابها من جريد ، فدخل عليه أبو بكر رضي الله عنه فبشره بالجنة وجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه فى القف ودلى رجليه فى البئر وكشف عن ساقيه ، ثم دخل عمر رضي الله عنه وبشر بالجنة[١٢٠/أ] وجلس عن يساره وصنع كما صنع أبوبكر، ثم دخل عثمان بن عفان وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه فوجد القف قد ملئ فجلس وجاههم من الشق الآخر . ثبت ذلك فى الصحيحين[(٣)]، وكان البواب أبوموسى الأشعرى. قال سعيد بن المسيب : فأولتها قبورهم .

قال ابن النجار : وهذه البئر مقابلة مسجد قباء ، وعندها مزارع ويستسقى منها ماؤها عذب ، قال: وذرعتها فكان طولها أربعة عشر ذراعاً وشبراً ، منها ذراعان ونصف ماء وعرضها خمسة أذرع ، وطول قفها الذى جلس عليه النبى ﷺ وصاحباه ثلاثة أذرع تشف كفًّا ، والبئر تحت أُطم عال خراب من حجارة[(٤)]. قال المطرى : البئر غربى مسجد قباء فى حديقة الأشراف الكبراء من بنى الحسين بن على بن أبى طالب ، والأطم المذكور من جهة القبلة وقد بنى فى أعلاه مسكن يسكنه من يقوم بالحديقة ويخدم «المسجد الشريف»[(٥)] وحولها دور الأنصار وآثارهم - رضى الله عنهم - وقد جدد لها الشيخ صفى الدين أبو بكر أحمد السلامى - رحمه الله - درجاً ينزل إليها منه ، وعلى الدرج قبو وذلك فى سنة أربع عشرة وسبعمائة[(٦)].

الثالثة : بئر بضاعة . وقد تقدم فى الفضائل أن النبى ﷺ بصق فيها[(٧)] ودعا لها

---

(١) وفى التعريف بما آنست الهجرة : «اشتراها بعض النساء النويرين» .

(٢) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٥٣) .

(٣) أخرجه البخارى : كتاب فضائل الصحابة - باب قول النبى ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً - ح (٣٦٧٤ - فتح) ، ومسلم : كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه ح(٢٤٠٣) عن أبى موسى الأشعرى .

(٤) الدرة الثمينة (ص ١٠٣) .

(٥) هكذا فى الأصل ، وفى التعريف بما آنست الهجرة : «مسجد قباء» .

(٦) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٤٩ - ٥٠) .

(٧) أورد الحديث ابن النجار بسنده فى الدرة الثمينة (ص ١٠٤) من حديث سهل بن سعد وأورده الطبرانى فى الكبير من حديث أبى أسيد .

وهذه البئر كانت لبنى ساعدة وهم قوم من الخزرج. قال[1] المرجانى فى تاريخه : والظاهر أن بضاعة رجل أو امرأة تنسب إليه البئر ، وكان موضعها ممر السيول فتكمح الأقذار من الطرق إليها لكن الماء لكثرته لايؤثر ذلك فيه . قال أبوداود فى « السنن » : سألت قيم بئر بضاعة عن عمقها فقلت : أكثر مايكون فيها الماء ؟ قال : إلى العانة . قلت : فإذا نقص. قال : دون العورة . قال أبوداود : قد ذرعت بئر بضاعة برداء مددته عليها ثم ذرعته فإذا عرضه ستة أذرع، وسألت الذى فتح باب البستان فأدخلنى إليه هل غير بناؤها عما كانت عليه ؟ فقال : لا . ورأيت فيها ماء متغير اللون[2]. قال /[١٢٠/ب] ابن العربى : وهى فى وسط السبخة فماؤها يكون متغيراً من قرارها . قال المحب بن النجار : وماؤها عذب طيب، صاف[3] أبيض، وريحه كذلك ، ويستقى منها كثيراً ، قال[4] : وذرعتها فكان طولها أحد عشر ذراعاً وشبراً ، منها ذراعان راجحة ماء والباقى بناء ، وعَرضها ستة أذرع كما ذكر أبوداود[5]. قال الجمال المطرى : وهى اليوم فى ناحية حديقة شمالى سور المدينة وغربى بئر حا إلى جهة الشمال، يستقى منها أهل الحديقة، والحديقة فى قبلة البئر ويستقى منها أهل حديقة أخرى شمالى البئر ، والبئر وسط بينهما[6]. وهذه الآبار المذكورة تقدم فضلها فى الفضائل .

الرابعة : بئر غرس عن سعيد بن عبد الرحمن بن رقيش قال : جاءنا أنس بن مالك بقباء فقال : أين بئركم هذه ؟ - يعنى بئر غرس - فدللناه عليها قال : رأيت النبى ﷺ جاءها وإنها لتسنى على حمار بسحر فدعا النبى ﷺ بدلو من مائها فتوضأ منه ثم سكبه فيها فما نزفت بعده[7]. وعن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع قال : قال رسول الله ﷺ : «**رأيت الليلة أنى أصبحت على بئر من الجنة** » ، فأصبح على بئر غرس فتوضأ منها وبصق

---

(١) هناك بياض فى الأصل ، ولعل الصواب ما أثبتناه . والله أعلم .

(٢) راجع سنن أبى داود (١٨/١) .

(٣) هكذا فى الأصل ، وفى الدرة الثمينة : «ولونه صاف أبيض» .

(٤) فى الأصل بياض ولعل الصواب ما أثبتناه . والله أعلم .

(٥) الدرة الثمينة (ص ١٠٥) .

(٦) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٥٣) .

(٧) أورده ابن النجار بسنده : فى الدرة الثمينة (ص ١٠٥) ، وكذلك أورده المطرى : التعريف بما آنست الهجرة بسنده (ص٥١) .

فيها ، وغسل منها حين مات[1] ﷺ وكان يشرب منها[2]. قال المحب بن النجار : وهذه البئر بينها وبين مسجد قباء نحو نصف ميل ، وهي في وسط الصحراء[3]، وقد خربها السيل وطمها، وفيه ماء أخضر إلا أنه عذب طيب ، وريحه الغالب عليه الأجون[4]، قال : وذرعتها فكان طولها سبعة أذرع شافة ، منها ذراعان ماء ، وعرضها عشرة أذرع[5] . قال المطرى : هي شرقي قباء إلى جهة الشمال وهي بين النخيل، ويعرف مكانها اليوم وماحولها بالغرس[6] ، وهي ملك بعض أهل المدينة وجددت[7] بعد السبعمائة ، وهي كثيرة الماء ، وعرضها عشرة أذرع وطولها يزيد على ذلك[8].

الخامسة : بئر البصَّة . عن عبد الرحمن[9] بن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كان /[١٢١/أ] رسول الله ﷺ يأتي الشهداء وأبناءهم ويتعاهد عيالهم ، قال : فجاء يومًا أبا سعيد الخدري فقال : «**هل عندك من سدر أغسل به رأسي فإن اليوم الجمعة ؟**» قال : نعم فأخرج له سدرًا وخرج معه إلى البصة فغسل رسول الله ﷺ رأسه وصب غسالة رأسه ومراقة شعره في البصة[10]». قال ابن النجار : وهذه البئر قريبة من البقيع على يسار الماضي إلى قباء ، وهي بين نخل ، وقد هدمها السيل وطمها ، وفيها ماء أخضر ، ووقفت على قفها وذرعت ضوها فكان أحد عشر ذراعًا ، منها ذراعان ماء وعرضها تسعة أذرع، وهي مبنية بالحجارة ، ولون مائها إذا انفصل منها أبيض ، وطعمه حلو إلا أن الأجون غالب عليه ، قال : وذكر لي الثقة أن أهل المدينة كانوا يستقون منها قبل أن يطمها السيل[11].

---

(١) أورده ابن النجار بسنده : الدرة الثمنية (ص ١٠٥) ، وكذلك أورده جمال الدين المطرى بسنده : التعريف بما آنست الهجرة (ص٥١).

(٢) حديث شربه ﷺ من بئر غرس أورده ابن النجار بإسناده : الدرة الثمينة (ص١٠٦) .

(٣) هكذا في الأصل ، وفي الدرة الثمينة : «الشجر» .

(٤) الأجون : أي الملوحة .

(٥) الدرة الثمينة (ص ١٠٦) .

(٦) هكذا في الأصل ، وفي التعريف بما آنست الهجرة : «بالمغرس» .

(٧) هكذا في الأصل ، وفي التعريف بما آنست الهجرة : «وحددت» .

(٨) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٥١) .

(٩) هكذا في الأصل ، وفي التعريف بما آنست الهجرة : «ربيع بن عبد الرحمن» .

(١٠) أورده ابن النجار بإسناده : الدرة الثمينة (ص ١٠٦ ، ١٠٧) ، وكذلك أورده المطرى بإسناده : التعريف بما آنست الهجرة (ص٥١،٥٢) .

(١١) الدرة الثمينة (ص ١٠٧) .

قال المطرى : وهى اليوم «حديقة كبيرة»[1] محوط عليها بحائط ، وعندها فى الحديقة بئر صغير أصغر منها ، والناس يختلفون فيهما أيهما بئر البصة إلا أن الشيخ محب الدين قطع بأنها الكبيرة القبلية ، وقياس الصغرى كالكبرى ، وعرضها ستة أذرع وهى التى تلى أطم مالك بن سنان أبو أبى سعيد الخدرى قال : وسمعت بعض من أدركت من أكابر خدام الحرم الشريف وغيرهم من أهل المدينة يقولون : إنها الكبرى القبلية . وأن الفقيه الصالح أبا العباس أحمد بن موسى بن عجيل وغيره من صلحاء اليمن إذا جاؤها للتبرك إنما يقصدون الكبرى ، والحديقة التى هى فيها اليوم وقف على الفقراء والمساكين والواردين والصادرين لزيارة سيد المرسلين ، أوقفها الشيخ عزيز الدولة ريحان الندى[2] الشهابى شيخ خدام الحرم الشريف قبل وفاته «بيومين»[3] أو ثلاثة ، وكانت وفاته سنة سبع وتسعين وستمائة[4].

السادسة : بئر رومة . قال الإمام منتخب الدين أبو الفتح العجلى : لما قدم المهاجرون /[١٢١/ب] المدينة الشريفة استنكروا الماء لملوحته، وكان لرجل من بنى غفار عين يقال لها بئر رومة يبيع منها القربة بمد من الطعام ، فقال له النبى ﷺ : «**بعنيها بعين فى الجنة**». فقال ليس لى غيرها . فبلغ عثمان رضي الله عنه فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم ثم أتى النبى ﷺ فقال : يارسول الله أتجعل لى مثل الذى جعلت له ؟ فقال : نعم. قال الشيخ : وهذه البئر فى العقيق الأصغر وفى العقيق الأكبر بئر عروة كما قدمنا .

وعن موسى بن طلحة أن رسول الله ﷺ قال : «**نعم الحفيرة ، حفيرة المزنى** - يعنى رومة» فلما سمع بذلك عثمان رضي الله عنه ابتاع نصفها بمائة بكرة وتصدق بها فجعل الناس يستقون منها ، فلما رأى صاحبها أن قد امتنع منه ماكان يصيب عليها باع من عثمان النصف الباقى بشئ يسير فتصدق بها كلها[5]. وذكر ابن عبد البر أن بئر رومة كانت ركية ليهودى يبيع من مائها للمسلمين ، فقال رسول الله ﷺ : «**من يشترى رُومَة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه فى دلائهم ، وله بها مشربَة فى الجنة**»[6]. فأتى عثمان اليهودى

---

(١) فى التعريف بما آنست الهجرة : «فى حديقة كبيرة» .

(٢) فى التعريف بما آنست الهجرة : «البدرى» .

(٣) فى التعريف بما آنست الهجرة : «بعامين أو ثلاثة» .

(٤) التعريف بما آنست الهجرة (ص٥٢) .

(٥) أورده ابن النجار بإسناده : الدرة الثمينة (ص١٠٨) ، وكذلك أورده المطرى : التعريف بما آنست الهجرة (ص ٥٤) .

(٦) حديث بئر رومة أخرجه الترمذى : كتاب المناقب - باب مناقب عثمان ح (٣٧٠٣) ، والنسائى : كتاب الإحباس باب وقف المساجد (٦/٢٣٣ ، ٢٣٤) .

فساومه بها فأبى أن يبيعها كلها ، فاشترى عثمان نصفها باثنى عشر ألف درهم فجعلها للمسلمين ، فقال له عثمان : إن شئت جعلت «قرنين»[1] ، وإن شئت فلى يوم ولك يوم فقال : بل لك يوم ولى يوم . فكان إذا كان يوم عثمان يستقى المسلمون مايكفيهم يومين فلما رأى ذلك اليهودى قال : أفسدت علىَّ ركيتى فاشترى النصف الآخر بثمانية آلاف درهم[2]. قال ابن النجار : وهذه البئر اليوم بعيدة عن المدينة جدًا، وعندها بناء من حجارة خراب ، قيل إنه كان ديرًا ليهودية ، وحولها مزارع وآبار ، وأرضها رملة ، قد انتفضت خرزتها وأعلامها إلا بئر مليحة مبنية بالحجارة الموجهة ، قال : وذرعتها فكان طولها ثمانية عشر ذراعاً ، / [١٢٢/أ] منها ذراعان ماء وباقيها مطموم بالرمل الذى تسفيه الرياح فيها، وعرضها ثمانية أذرع وماؤها صاف وطعمها حلو إلا أن الأجون قد غلب عليه[3].

قال المطرى : وسط وادى العقيق من أسفله فى براح واسع من الأرض ، وقد خربت وأخذت حجارتها و لم يبق إلا آثارها [4]. قال ابن النجار : واعلم أن هذه الآبار قد يزيد ماؤها فى بعض الزمان ، وقد ينقص وربما بقى منها ماكان مطموماً[5]. وقد ذكر المطرى أن الآبار المذكورة ستة والسابعة لاتعرف اليوم إلا مايسمع من قول العامة :إنها بئر جمل و لم يعلم أين هى ولامن ذكرها إلا أنه ورد فى حديث أبى هريرة ﷺ قال : «أقبل رسول الله ﷺ من نحو بئر جمل»[6] . ثم قال : إلا أنى رأيت حاشية بخط الشيخ محب الدين[7] بن عساكر على نسخة من «الدرة الثمينة» لابن النجار مامثاله العدد ينقص على المشهور بئرًا واحدة ؛ لأن المثبت ست والمأثور المشهور سبع .

والسابعة : اسمها بئر العهن بالعالية يزرع عليها اليوم ، وعندها سدرة ولها اسم آخر مشهورة به . قال الشيخ جمال الدين : بئر العهن هذه معروفة بالعوالى انتقلت بالشراء إلى الشهيد المرحوم على بن مطرف العمرى ، وهى بئر مليحة منقورة فى الجبل وعندها سدرة كما ذكر ولاتكاد تنزف أبداً ، [العوالى ويقال العالية أيضاً ، سميت به لإشراف مواضعها

---

(١) فى التعريف بما آنست الهجرة : «لنصيبى قرنين» .

(٢) راجع التعريف بما آنست الهجرة (ص٥٤) .

(٣) الدرة الثمينة (ص ١٠٨ ، ١٠٩) .

(٤) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٥٤) .

(٥) الدرة الثمينة (ص١٠٩) .

(٦) أخرجه البخارى : كتاب التميم - باب التميم فى الحضر ح (٣٣٧ - فتح) ، ومسلم : كتاب الحيض - باب التميم ح (٣٦٩) معلقًا . عن أبى الجهيم .

(٧) فى التعريف بما آنست الهجرة : «أمين الدين».

وهى منازل حول المدينة . قال مالك : بين أبعد العوالى والمدينة ثلاثة أميال][1]. وقد ذكر ابن زبالة فى «تاريخه» عدة آبار بالمدينة وسماها فى دور الأنصار ونقل أن النبى ﷺ أتاها وتوضأ من بعضها وشرب منها ، لايعرف اليوم منها شئ[2].

قال الشيخ جمال الدين : ومن جملة ماذكر آبار فى الحرة الغربية فى آخر منزلة المنعمى[3] على يسار السالك اليوم على بئر على المحرم ، وعلى جانبها الشمالى بناء مستطيل مجصص يقال لها السقيا كانت لسعد بن أبى وقاص تقدم ذكرها ، نقل أن / [١٢٢/ب] النبى ﷺ «عوض»[4] جيش بدر بالسقيا وصلى فى مسجدها ، ودعا فى هناك[5] لأهل المدينة أن يبارك لهم فى مدهم وصاعهم وأن يأتيهم بالرزق من هاهنا وهاهنا ، وشرب ﷺ من بئرها ،ويقال لأرضها السفلجان . وهى اليوم معطلة خراب وهى بئر كبيرة مليحة منقورة فى الجبل ، ونقل أن السقيا عين من طرف الحرة بينها وبين المدينة يومان كذا فى كتاب أبى داود . ونقل الحافظ عبد الغنى أن النبى ﷺ عرض جيشه على بئر أبى عنبة بالحرة فوق هذه البئر إلى المغرب ، ونقل أنها على ميل من المدينة . ومنها بئر أخرى إذا وقفت على هذه المذكورة وأنت على جادة الطريق وهى على يسارك كانت هذه على يمينك ولكنها بعيدة عن الطريق قليلاً ، وهى فى سند من الحرة قد حوط حولها بناء مجصص وكان على شفيرها حوض من حجارة لم تزل أهل المدينة قديماً يتبركون بها ويشربون من مائها وينقل إلى الآفاق منها كما ينقل ماء زمزم ، ويسمونها زمزم أيضاً لبركتها ، قال : ولم أعلم أحداً ذكر منها أحداً[6] يعتمد عليه - والله أعلم - أيتهما هى «السفلى»[7] الأولى لقربها من الطريق أم هذه لتواتر البركة فيها[8] . قال عفيف الدين المرجانى : ويمكن أن يكون تسميتهم إياها زمزم لكثرة مائها يقال : ماء زمزم لكثرة مائها - أى كثير .

قال الشيخ جمال الدين : أولعلها البئر التى احتفرتها فاطمة بنت الحسين بن على زوجة الحسن بن الحسن بن على - رضى الله عنهم - حين أخرجت من بيت جدتها

---

(١) مابين المعكوفتين ليست من كلام المطرى .

(٢) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٥٦) .

(٣) فى حاشية التعريف بما آنست الهجرة : «النقا» .

(٤) فى التعريف بما آنست الهجرة : «عرض».

(٥) فى التعريف بما آنست الهجرة : «ودعا هنالك».

(٦) هكذا بالأصل ، وفى التعريف بما آنست الهجرة : «ذكر فيها أثراً» .وهو الصواب .والله أعلم .

(٧) فى التعريف بما آنست الهجرة : «السقيا» .

(٨) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٥٦) .

فاطمة الكبرى أيام الوليد بن عبد الملك حين أمر بإدخال حجر أزواج رسول الله ﷺ وبيت فاطمة - رضى الله عنهن - في المسجد ، فإنها بنت دارها في الحرة وأمرت بحفر بئر فيها ، فطلع لهم جبل فذكروا ذلك لها ، فتوضأت وصلت ركعتين ودعت ورشت موضع البئر بفضل وضوئها ، وأمرتهم / [١٢٣/أ] فحفروا فلم يتوقف عليهم من الجبل شئ حتى ظهر الماء . قال الشيخ جمال الدين : والظاهر أنها هذه ، وأن السقيا هي الأولى ؛ لأنها على جادة الطريق وهو الأقرب[١] . والله أعلم .

ذكر عين النبى صلى الله عليه وسلم

عن طلحة بن خراش قال : كانوا أيام الخندق يحفرون مع رسول الله ﷺ ويخافون عليه فيدخلون به كهف بني حزام فيبيت فيه حتى إذا أصبح هبط، قال : ونقر رسول الله ﷺ العيينة التي عند الكهف فلم تزل تجرى حتى اليوم[٢]. قال الحافظ محب الدين : وهذه العين في ظاهر المدينة وعليها بناء، وهي مقابلة المصلى[٣] . قال الشيخ جمال الدين : أما الكهف الذى ذكره ابن النجار فمعروف على غربى جبل يبلغ[٤] عن يمين[٥] إلى ساحل[٦] الفتح من الطريق القبلية ، وعلى يسار السالك إلى المدينة الشريفة إذا زار المسجد وسلك المدينة مستقبل القبلة يقابله حديقة نخل تعرف بالغنيمة في بطن وادى بطحان غربى جبل سلع، وفي هذا الوادى عين تأتى من عوالى المدينة تسقى ماحول المساجد من المزارع والنخيل تعرف بعين الخيف خيف شامى، وتعرف تلك الناحية بالسيح - بالسين المهملة بعدها ياء مثناة من أسفل وحاء مهملة ، وأما العين التى ذكر الشيخ محب الدين المقابلة للمصلى فهي عين الأزرق وهو مروان بن الحكم ، التي «خرجها»[٧] بأمر معاوية رضي الله عنه وهو واليه على المدينة ، وأصلها من قباء من بئر كبيرة غربى مسجد قباء في حديقة «نخل»[٨] ، والقبة مقسومة نصفين يخرج الماء منها من وجهين مدرجين ، وجه قبلي والآخر شمالى

---

(١) التعريف بما آنست الهجرة (ص٥٦ ، ٥٧) .

(٢) أورده ابن النجار : في الدرة الثمينة (ص١٠٩) ، وكذلك المطرى (ص ٥٤ ، ٥٥) .

(٣) الدرة الثمينة (ص ١٠٩) .

(٤) في التعريف بما آنست الهجرة : «سلع» .

(٥) في التعريف بما آنست الهجرة : «يمين السالك» .

(٦) في التعريف بما آنست الهجرة : «مساجد» .

(٧) هكذا في الأصل ، وفي التعريف بما آنست الهجرة : «أجراها» .

(٨) في التعريف بما آنست الهجرة - بعد هذه الكلمة : «وهي تجرى إلى المصلى وعليها في المصلى قبة كبيرة» .

يغتسل فيهما وينتفع بهما ، وتخرج العين من «القبلة»[1] من جهة المشرق ثم تأخذ إلى جهة الشمال ، وأخذ الأمير سيف الدين الحسين بن أبى الهيجاء فى حدود الستين وخمسمائة منها شعبة من عند مخرجها من القبلة ، فساقها إلى باب المدينة الشريفة باب المصلى، ثم أوصلها إلى الرحبة التى عند مسجد / [١٢٣/ب] رسول الله ﷺ من جهة باب السلام المعروف قديماً بباب مروان ، وبنى لها منهلاً بدرج من تحت الدور يستقى منه أهل المدينة ، وذلك الموضع موضع سوق المدينة الآن ، ثم جعل لها «مصرفين»[2] تحت الأرض تشق وسط المدينة على البلاط ثم تخرج على ظاهر المدينة من جهة الشمال شرقى حصن أمير المدينة ، وجعل منها شعبة صغيرة تدخل إلى صحن المسجد الشريف أزيلت كما سيأتى ذكره فى الفصل السادس إن شاء الله تعالى .

واعلم أن العين إذا خرجت من القبة التى فى المصلى سارت إلى جهة الشمال حتى تصل إلى سور المدينة فتدخل من تحته إلى منهل آخر بوجهين مدرجين ، ثم تخرج إلى خارج المدينة الشريفة فتصل إلى منهل آخر بوجهين عند قبر النفس الزكية ، ثم تخرج من هناك وتجتمع هى وما يتحصل من فضلها فى قناة واحدة إلى البركة التى ينزلها الحجاج ، ثم قال رحمه الله تعالى : وأما عين النبى ﷺ التى ذكر ابن النجار فليست تعرف اليوم ، وإن كانت كما ذكر قال : عند الكهف المذكور فقد دثرت وعفا أثرها[3].

ذكر جبل أحد والشهداء عنده

تقدم فى باب الفضائل ذكر فضل جبل أحد[4] والأحاديث الواردة فى ذلك ، وتقدم معنى قوله فى الحديث فى «**أحد يحبنا ونحبه**»[5] ، وتقدم أيضًا حديث : «**اثبت أحد فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان**»[6]. قيل : إن قوله ﷺ هذا إشارة عما أحدثه قوم

---

(١) فى التعريف بما آنست الهجرة : «القبة» .

(٢) فى التعريف بما آنست الهجرة : «مصرفاً» .

(٣) التعريف بما آنست الهجرة : (ص ٥٥) .

(٤) ومما جاء فى فضل جبل أحد : «أحد ركن من أركان الجنة» أخرجه أبو يعلى فى مسنده ، والطبرانى فى الكبير، وأورده أبن النجار بسنده : الدرة الثمينة (ص ١١٤) ، والمطرى فى التعريف بما آنست الهجرة (ص ٤١). ورمز له الحافظ السيوطى بالضعف .

(٥) أخرجه البخارى : كتاب المغازى - باب أحد جبل يحبنا ونحبه ح(٤٠٨٣-فتح) ، ومسلم : كتاب الحج - باب فضل المدينة ح(١٣٦٥) من حديث أنس .

(٦) أخرجه البخارى : كتاب فضائل الصحابة - باب قول النبى ﷺ : لو كنت متخذاً خليلاً ح(٣٦٧٥-فتح) ، وأبوداود :كتاب السنة - باب فى الخلفاء ح(٤٦٥١) ، والترمذى : كتاب المناقب - باب فى مناقب عثمان ح(٣٦٩٧) ، من حديث أنس بن مالك .

موسى - عليه السلام - لما اختار السبعين للميقات ووقع فى نفوسهم ماوقع تزلزل الجبل به، فكأنه ﷺ أشار أنه ليس عليك ممن يشك كقوم موسى . وعن جابر بن عتيك عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : «**خرج موسى وهارون -عليهما السلام- حاجّين أو معتمرين فلما كانا بالمدينة مرض هارون -عليه السلام- فثقل ، فخاف عليه موسى - عليه السلام - اليهود، فدخل أحداً فمات فدفنه** /[١٢٤/أ] **فيه**»[١]. وقيل : مات موسى وهارون عليهما السلام فى التيه ، وقبر موسى معروف بالقدس فى أول التيه[٢] يزار.

وعن أنس ﷺ أن النبى ﷺ قال : «**لما تجلى الله لجبل طور سيناء فصار لعظمة الله تعالى ستة أجبل ، فوقعتْ ثلاثة بالمدينة : أحد ووَرِقان ورضوى ووقعت ثلاثة بمكة ثور وثبير وحِراء**»[٣] . قال الشيخ جمال الدين : فأحد معروف [وهو شمالى المدينة وأقرب الجبال إليها وهو على نحو فرسخين منها ، وقيل : على نحو أربعة أميال][٤]. وعير مقابله فى قبلة المدينة والمدينة بينهما ، وورقان قبل شعب عليّ، مابين الشعب والروحاء إلى القبلة،[٥] واستشهد بأحد سبعون رجلاً[٦] أربعة من المهاجرين وهم حمزة بن عبد المطلب، وعبدالله بن جحش، ومصعب بن عمير، وشماس بن عثمان ، والباقون كلهم أنصار[٧]، وقَتَل حمزة يوم أحد وحشى بن حرب الحبشى مولى جبير بن مطعم وذلك فى النصف من شوال يوم السبت على رأس اثنين وثلاثين من الهجرة، وكان يقاتل بين يدى النبى ﷺ بسيفين فعثر فوقع فانكشف الدرع عن بطنه فطعن ، قال رسول الله ﷺ حين رآه وقد مثل به : «**جاءنى جبريل فأخبرنى أن حمزة مكتوب فى أهل السماوات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله**»[٨]. وكبر رسول الله

---

(١) أورده عمر بن شبه : فى تاريخ المدينة (٨٦/١) بسنده ، وابن النجار بسنده : فى الدرة الثمينة (ص١١٤) ، وكذلك أورده المطرى : التعريف بما آنست الهجرة (ص ٤١) .

(٢) راجع البداية والنهاية لابن كثير (٣٢٧/١) .

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) مابين المعكوفتين فى تحقيق النصرة للمراغى (ص ١٣٦) .

(٥) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٤١) ، وراجع كذلك الدرة الثمينة لابن النجار (ص ١١٥) ، وتحقيق النصرة للمراغى (ص ١٣٢).

(٦) جاء التنصيص على هذا العدد فى صحيح البخارى : كتاب المغازى - باب من قتل يوم أحد من المسلمين ح(٤٠٧٨-فتح) من حديث أنس.

(٧) راجع فتح البارى (٤٣٤/٧) .

(٨) أورده ابن النجار بسنده : الدرة الثمينة (ص ١١٥) .

ﷺ في جنازته سبعين تكبيرة . وقيل : كبر عليه سبعاً[1]. ودفن هو وابن أخته عبد الله ابن حجر[2] في قبر واحد. والشهداء يوم أحد سبعون : (الأول) حمزة بن عبد المطلب أحد أعمام النبى ﷺ وأخوه من الرضاعة . (الثانى) عبد الله بن جحش الأسدى من المهاجرين الأولين أخته زينب بنت جحش زوج النبى ﷺ وهو الذى انقطع سيفه يوم أحد فأعطاه النبى ﷺ عرجون نخلة فصار فى يده سيفاً ، ولم يزل ينتقل حتى بيع من بغا التركى /[١٢٤/ب] بمائتى دينار[3] ودفن مع حمزة . (الثالث) مصعب بن عمير العبدرى وهو أول من هاجر إلى المدينة وأول من جمع في الإسلام يوم الجمعة، وكان لواء رسول الله ﷺ الأعظم لواء المهاجرين يوم بدر معه ويوم أحد، وضرب ابن قمئة يد مصعب فقطعها، ومصعب يقول : ﴿**وما محمد إلارسول قد خلت من قبله الرسل**﴾[4]. وأخذ اللواء بيده اليسرى فضربها ابن قمئة فقطعها فجثا على اللواء فضمه بين عضديه إلى صدره ثم حمل عليه الثالثة فأنفذه ووقع مصعب وسقط اللواء ، وذكر ابن سعد أن مصعباً حين قتل أخذ الراية ملك على صورته فكان النبى ﷺ يقول: «**تقدم يامصعب**». فقال الملك لست بمصعب فعلم أنه ملك. (الرابع) : شماس بن عثمان الشريد القرشى حمل من بين القتلى إلى المدينة وبه رمق ثم مات عند أم سلمة ، فأمر رسول الله ﷺ أن يرد إلى أحد فيدفن كما هو فى ثيابه التى مات فيها بعد أن مكث يوماً وليلة إلا أنه لم يأكل ولم يشرب، ولم يصل عليه رسول الله ﷺ ولم يغسله. (الخامس) : عمار بن زياد بن السكن لما أثخن وسد رسول الله ﷺ قدمه[5] فمات . (السادس) : عمرو بن ثابت بن وقش كان يأبى الإسلام فلم يسلم إلا يوم أحد وأسلم وقاتل حتى قتل فذكروه لرسول الله ﷺ فقال : «**إنه لمن أهل الجنة**»[6]. (السابع) و(الثامن) : ثابت بن وقش أبو عمرو المذكور، واليمان [7] أبو حذيفة كانا شيخين ارتفعا فى الآطام مع النساء والصبيان ولما خرج رسول الله ﷺ إلى

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢٨/٣، ٢٩) ، وراجع كلام السهيلى فى الصلاة على الشهداء (١٧٨/٣، ١٧٩) .

(٢) هكذا فى الأصل ، والصواب جحش . والله أعلم .

(٣) راجع السهيلي (١٧٩/٣) .

(٤) سورة آل عمران : الآية (١٤٤) .

(٥) السيرة النبوية لابن هشام (١٨/٣) .

(٦) السيرة النبوية لابن هشام (٢٤/٣) ، وأخرجه أحمد : المسند (٤٢٨/٥ ، ٤٢٩) من حديث أبى هريرة .

(٧) اليمان : هو حسيل بن جابر والد حذيفة بن اليمان .

أحد فقال أحدهما للآخر : ماتنتظر وخرجا فقاتلا حتى قتلا[1]. (التاسع) : حنظلة بن أبي عامر الأوسي قتله أبوسفيان، فقال رسول الله ﷺ حين قتل : «**إن صاحبكم لتغسله الملائكة** ». فسئلت صاحبته عنه فقالت : خرج وهو جنب حين سمع النداء . فكان يعرف بغسيل الملائكة ».[2] (العاشر) : أنس بن النضر بن ضمضم عم أنس بن مالك وجد فيه بضعة وثمانون طعنة /[١٢٥/أ] وهو الذى قال فيه رسول الله ﷺ : «**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره** » ويروى أن النبى ﷺ قال : «**من رجل ينظر إلى مافعل سعد ابن الربيع فى الأحياء هو أم فى الأموات؟**» فنظر رجل من الأنصار ، قيل : هو أبى بن كعب[3]، فوجده جريحاً فى القتلى فيه رمق قال : فقلت له: إن رسول الله ﷺ أمرنى أن أنظر فى الأحياء أنت أم فى الأموات . فقال : أنا فى الأموات فأبلغ رسول الله ﷺ منى السلام، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ما جزى نبيًّا عن أمته، وأبلغ قومك منى السلام وقل لهم إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لاعذرلكم عند الله إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف، قال : ثم لم أبرح حتى مات فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته[4]. الثانى عشر : عبد الله بن عمرو بن حزام وهو أول من قتل يوم أحد، وهو الذى قال فيه النبى ﷺ لابنه جابر : «**لاتبكه مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه**»[5]. الثالث عشر : عمرو بن الجموح أحد نقباء الأنصار وكان أعرج ، وكان له بنون أربعة فأرادوا حبسه فامتنع، وقال النبى ﷺ لبنيه : «**ماعليكم ألا تمنعوه لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة**» فخرج معه[6]. قيل: يؤخذ من هذا أن أصحاب الأعذار إذا خرجوا نالوا درجة الشهادة.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢٢/٣) .

(٢) أخرجه الحاكم (٢٠٤/٣،٢٠٥) ، والبهيقى (١٥/٤) من طريق ابن إسحاق عن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده ، قال الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٢٣/٣) : أخرجه الطبرانى من حديث ابن عباس بإسناد حسن ، وأورده ابن سعد فى طبقاته (٩/١/٣).

(٣) على ماقاله ابن عبد البر فى «الاستيعاب» .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٢٧/٣) ، وأخرجه مالك فى الموطأ (٤٦٥/٢ ، ٤٦٦) عن يحيى بن سعيد مرسلاً ، وقال ابن عبد البر : هذا الحديث لا أعرفه مسنداً إلا ما يروى عن أهل السير .

(٥) أخرجه البخارى : كتاب المغازى - باب من قتل من المسلمين يوم أحد ح(٤٠٨٠-فتح) من حديث جابر ﷺ .

(٦) راجع السهيلى (١٦٩/٣) ، والدرة الثمينة لابن النجار (ص ١٢٥) .

الحارث بن أوس بن معاذ بن النعمان، وأسعد[1] بن سويد بن قيس من بنى حدرة ، الحارث بن أنس بن رافع ، عمرو بن معاذ بن النعمان ، أسلمه[2] بن ثابت بن وقش ، رفاعة بن وقش، صفى بن قيظى ، حباب بن قيظى ، عباد بن سهل ، إياس بن أوس ابن عتيك ، عبيد بن التيهان ويقال : عتيك ، حبيب بن زيد بن تيم البياضى ، يزيد بن حاطب بن عمرو الأشهلى ، أبو سفيان بن الحارث بن قيس البياضى، أنيس[3] بن قتادة ، أبوحية بالياء المثناة من تحت ويقال : بالباء الموحدة أخو سعد بن خيثمة [١٢٥/ب] لأمه ، وقيل : أبو حنة بالنون لأنه شهد بدراً وليس فيمن شهد بدراً أحد يقال له أبو حبة بالباء الموحدة ، عبد الله بن جبير بن النعمان[4] ، خيثمة أبو سعيد[5] بن خيثمة ، عبد الله بن سلمة ، يسبع بن حلوان بن الحارث ، وقيل : سبيع بن حاطب بن الحارث ، عمرو بن قيس بن زيد ، ابن قيس ، ثابت بن عمرو بن زيد ، عامر بن مخلد ، أبو هبيرة بن الحارث ، ويقال : أبو أسيرة، ويقال : إن أبا أسيرة أخوه ، عمرو بن مطرف بن علقمة ، أوس بن ثابت بن المنذر أخو حسان بن ثابت ، قيس بن مخلد ، كيسان عبد أبى قارون بن النجار ، سليم بن الحارث ، نعمان بن عمرو[6] خارجة بن زيد ، أوس بن الأرقم بن زيد ، مالك بن سنان أبو أبى سعيد الخدرى ، عتبة بن ربيع بن رافع ، ثعلبة بن سعد بن مالك ، ثقف بن فروة بن الندى ، عبد الله بن عمرو بن وهب ، ضمرة حليف لبنى طريف من جهينة ، نوفل بن عبد لله ، عباس بن عبادة ، نعمان بن مالك بن ثعلبة ، المجذر بن زياد ، عبادة بن الخشخاش ، رفاعة بن عمرو وقيل : رفاعة بن رافع بن يزيد بن عمرو ، خلاد بن عمرو بن الجموح ، أبو أيمن مولى خلاد بن عمرو المذكور ، سليم وقيل: سليمان والأول أصح وقيل: سالم بن عامر وقيل : ابن عمرو بن حديدة ، مولاه عنزة ويقال عنيزة أو عنترة ، سهل بن قيس بن أبى بن كعب ، ذكوان بن عبد قيس بن خالد بن مخلد الزرقى ، عبيد بن المعلى بن لوذان ، مالك بن نميلة ، الحارث بن عدى بن خرشة ، مالك بن أياس ، إياس بن عدى ، عمرو بن إياس[7] ، وعن النبى ﷺ أنه قال فى قتلى أحد : «**هؤلاء شهداء فأتوهم وسلموا**

---

(١) فى ابن هشام : «سعيد بن سويد» .

(٢) فى ابن هشام : «سلمة بن ثابت» .

(٣) فى ابن هشام : « أنس بن قتادة» .

(٤) فى ابن هشام : «عبيد الله بن جبير» .

(٥) فى ابن هشام : « خيثمة أبو سعد» .

(٦) فى ابن هشام : « عبد عمرو» .

(٧) راجع السيرة النبوية لابن هشام (٣/٤٦-٤٩) ، والدرة الثمينة (ص ١٢٢) ، ووفاء الوفا (٣/٩٣٤) .

عليهم ولـن يسـلم عليهـم أحـد ماقـامت السـموات والأرض إلاردوا عليـه»[1] . وروى جعفر بن محمد الصادق / [١٢٦/أ] عن أبيـه عـن جـده أن فاطمـة بنـت رسـول اللـه ﷺ كانت تختلف بين اليومين والثلاثة إلى قبور الشهداء بأحد فتصلى هناك وتدعو وتبكى حتـى ماتت[2]. وروى العطاف بن خالد قال : حدثتنى خالة لى وكـانت مـن العـابدات قـالت : ركبت يوما حتى جئت قـبر حمـزة فصليـت ماشـاء اللـه ولاواللـه مـافى الـوادى مـن داع ولامجيب وغلامى أخذ برأس دابتى فلما فرغت من صلاتى قلت : السـلام عليكـم وأشـرت بيدى فسمعت رد السلام على من تحت الأرض أعرفه كما أعرف أن اللـه سـبحانه خلقنـى فاقشعرت كل شعرة منى فدعوت الغلام وركبت[3]. وقد وردت آثار كثيرة فى أن أجسـاد الشهداء لاتبلى وقد شـوهد ذلـك ، وشـوهد أيضـا بقـاء أجسـاد شـهداء الأمـم المتقدمـة ، ومصداق ذلك قوله تعالى :﴿ **وعدا عليه حقا فى التوارة والإنجيـل والقـرآن** ﴾[4]. فالآيـة عامة فى سائر مؤمنى الأمم ، وكذلك الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لاتبلى أجسـادهم، وقد حرم اللـه على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ، وقد وجدت أجساد الملوك والحكمـاء المدبرين مع طراوة أجسادهم بالحيلة بعد وفاتهم بمئين من الأعوام بـل بعـض حكمـاء الأمـم المتقدمة وملوكها يوجدون إلى هذا الزمن أطرياء لم يتغير منهم شئ وذلك أنهم وبروا أدهاناً ادهنوا بها عند موتهم فمنعتهم من البلاء قال هرمس : وقد أمرت من يفعل بى ذلك إذا أنـا مت وأشار إلى أن يطلى بالشمس والقمر مرموزا وهو الزئبق والملح بالرمز الثانى .

ويروى: أنه متى شد جميع الشـخص بـالذهب لايبلـى مـابقى الذهـب ، وقـد وجـد شخص مكفن بالذهب فى ورقة من ذهب فقلعت فإذا فيها سبعون درهماً .

قال الشيخ جمال الدين : وفى قبلة جبل أحد قبور الشهداء ولايعلم منها الآن إلا قـبر حمزة ﷺ ومعه فى القبر ابن أخته كمـا تقـدم ، وعليـه قبـة عاليـة ومشـهد بنتـه أم الخليفـة الناصر لدين اللـه أبى العباس أحمد بن / [١٢٦/ب] المستضئ سنة تسعين وخمسمائة وعلـى المشهد باب من حديد يفتح كل خميس وشمالى المسجد أرام من حجارة يقال إنها من قبـور الشهداء وكذلك مـن غربته أيضاً ، وقـد ورد أن هـذه قبـور أنـاس مـاتوا عـام الرمـادة فـى خلافة عمر ﷺ ، ولاشك أن قبور الشهداء حول حمزة ﷺ إذ لاضرورة أن يبعدوا عنـه ، وعند رجل حمزة قبر رجل تركى كـان متولِّيًا عمـارة المشـهد الشـريف يقـال لـه : سـنقر،

---

(١) أورده ابن النجار بسنده (ص ١٢٦) .

(٢) الدرة الثمينة (ص١٢٧) ، ووفاء الوفا (٩٣٢/٣) ، وروى نحوه رزين العبدرى فى جامعه .

(٣) الدرة الثمينة (ص ١٢٧) ، ووفاء الوفا (٩٣٢/٣) .

(٤) سورة التوبة : الآية (١١١) .

وكذلك فى صحن المسجد الشريف قبر دفن فيه بعض الأشراف من أمراء المدينة.وتحت جبل أحد من جهة القبلة لاصقاً بالمسجد مسجد شريف صغير قد تهدم يقال : إن النبى ﷺ صلى فيه الظهر والعصر بعد انفصال القتال ، وفى جهة القبلة من هذا المسجد موضع منقور فى الحجر على قدر رأس الإنسان يقال : إن النبى ﷺ جلس على الصخرة التى تحته وأدخل رأسه فيه ، وكذلك شمالى المسجد غار فى الجبل يقال : إن النبى ﷺ دخله. ولم يرد بذلك نقل صحيح . وقبلى المشهد جبل صغير يسمى عنين - بفتح العين المهملة وكسر النون الأولى - والوادى بينهما كان علية الرماة يوم أحد وعنده مسجدان أحدهما مع ركنة الشرقى يقال : إنه الموضع الذى طعن فية حمزة والمسجد الآخر شمالى هذا المسجد على شفير هذا الوادى يقال: إنه مصرع حمزة وإنه مشى بطعنته إلى هناك ثم صرع ﷺ ، وبين المشهد والمدينة ثلاثة أميال ونصف والى أحد مايقارب أربعة أميال[(١)]. وكانت غزاة أحد فى السنة الثالثة من الهجرة .

قال الحافظ محب الدين : جاءت قريش من مكة لحرب رسول الله ﷺ ولاقوه يوم السبت النصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة عند جبل أحد[(٢)]. وقيل : كان نزول قريش يوم أحد بالمدينة بالجمعة وقال ابن إسحاق : يوم الأربعاء فنزلوا بالمدينة برومة / [١٢٧/أ] من وادى العقيق وصلى رسول الله ﷺ الجمعة بالمدينة ثم لبس لامته وخرج هو وأصحابه على الحرة الشرقية حرة واقم وباك بالسيحين موضع بالمدينة وأحد مع الحرة إلى جبال أحد وغزا صبح يوم السبت إلى أحد ففيه كانت وقعة أحد، قيل : خرج رسول الله ﷺ يوم السبت لسبع ليال خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة وكان دليل رسول الله ﷺ ليلة أحد سهل بن أبى حثمة .

وعن قتادة : لما قدم أبو سفيان بالمشركين رأى النبى ﷺ رؤيا فى النوم فتأولها قتلاً فى أصحابه ، ورأى سيفه ذا الفقار انفصم فكان قتل حمزة ، ورأى كبشا أغبر قتل فكان صاحب لواء المشركين عثمان بن أبى طلحة ، فقال النبى ﷺ لأصحابه بعد الرؤيا : «**إنى فى جنة حصينة** - يعنى المدينة - **فدعوهم يدخلون نقاتلهم**» فقال ناس من الأنصار : يارسول الله إنا نكره أن نقتل فى طرف المدينة فابرز بنا إلى القوم فلبس النبى ﷺ لامته وندم القوم فيما أشاروا به واعتذروا إليه فقال : «**إنه ليس لنبى إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل ستكون فيكم مصيبة**» قالوا : يارسول الله خاصة أو عامة . قال مكى : فقتادة يذهب إلى أن الذنب الذى عدده الله فى قوله : ﴿ **أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم**

---

(١) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٤١ ، ٤٢) .

(٢) الدرة الثمينة (ص ١١٥) .

مثليها قلتم أني هذا قل هو من عند أنفسكم ﴾.[1] هو ماأشاروا به . وقيل فيه غير ذلك، وكان ﷺ يوم أحد في ألف ، والمشركون في ثلاثة آلاف ، وكان جبريل وميكائيل – عليهما السلام – عن يمين رسول الله ﷺ وعن يساره يقاتلان لشدة القتال . وعن جعفر بن محمد أن النبي ﷺ دعا يوم أحد فقال : «**ياصريخ المكروبين ومجيب المضطرين وكاشف الكرب العظيم اكشف كربي /[١٢٧/ب] وهمي وغمي فإنك ترى حالي وحال أصحابي**». قال : فصرف الله عدوه وغزا ﷺ أحداً على فرسه السكب كان اشتراه من أعرابي من بني فزارة بالمدينة وكان اسمه عند الأعرابي المضرس ، وهو أول فرس ملكه رسول الله ﷺ وأول غزاة غزا عليه أحدًا ، وكان طلق اليمين له سبحة وسابق عليه فسبق فعرج به رسول الله ﷺ ، يقال : فرس سكب – أي كثير الجرى ، ثم إن النبي ﷺ قاتل المشركين يوم أحد والمسلمين وخلص العدو إلى رسول الله ﷺ فذب بالحجارة حتى وقع بشقه فانكسرت رباعيته وشج في وجهه وكلمت شفته وكان ذلك كرامة له ﷺ ولأصحابه الذين استشهدوا بين يديه وكانوا سبعين رجلاً كما تقدم.[2]

---

(١) سورة آل عمران : الآية (١٦٥) .

(٢) راجع سيرة ابن هشام (١٧/٣) .

الفصل الخامس
فى ذكر جلاء بنى النضير من المدينة وحفر الخندق
وقتل بنى قريظة بالمدينة

ذكر جلاء بنى النضير من المدينة

اعلم أن النبى ﷺ قد عقد حلفاً بين بنى النضير من اليهود وبين بنى عامر، فعدا عمرو بن أمية الضمرى من بنى النضير على رجلين من بنى عامر فقتلهما، فأتى النبى ﷺ بنى قريظة[1] يستعينهم فى دية القتيلين، فقالوا: نعم. ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذا، وكان رسول الله ﷺ قاعداً إلى جنب جدار من بيوتهم، فمن رجل يعلوا على هذا البيت فيلقى عليه صخرة، فصعد أحدهم[2] لذلك، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء فقام ورجع إلى المدينة، وأخبر أصحابه الذين معه منهم أبو بكر وعمر وعلى -رضى الله عنهم- وأمرهم بالتهيؤ لحربهم، وسار حتى نزل بهم فى شهر ربيع الآخر سنة أربع من الهجرة فتحصنوا فى الحصون، فأمر / [١٢٨/أ] النبى ﷺ بقطع نخيلهم وتحريقها، وقذف الله فى قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله ﷺ أن يخليهم[3] ويكف عن دمائهم على أن لهم ماحملت الإبل من أموالهم إلا السلاح ففعل، فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام، وخلوا الأموال فقسمها رسول الله ﷺ على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجانة سماك بن خرشة ذكرا فقراً فأعطاهم رسول الله ﷺ، ولم يسلم من بنى النضير إلا رجلان يامين بن عمير وأبو سعيد بن وهب[4]، أسلما على أموالهم فأحرزاها، وأنزل الله تعالى فى بنى النضير سورة الحشر بأسرها[5]، وكانت نخيل بنى النضير تسمى نويرة، وقيل: بويرة، اسم بلدة أو موضع من مواضع بنى النضير.

ذكر حفر الخندق

حفر رسول الله ﷺ الخندق يوم الأحزاب، وذلك أن نفرا من بنى النضير الذين أجلاهم رسول الله ﷺ وكانوا بخيبر وكان رئيسهم حُيى بن أخطب قدم هو ورؤساء قومه إلى مكة على قريش، فدعوهم لحرب رسول الله ﷺ فأطاعتهم قريش وغطفان بمن جمعوا، فلما سمع النبى ﷺ ضرب الخندق على المدينة، وكان ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى

---

(١) فى ابن هشام: «بنى النضير».

(٢) قال ابن هشام: هو عمرو بن جحاش بن كعب.

(٣) فى ابن هشام: «يجليهم».

(٤) فى ابن هشام: «أبو سعد».

(٥) راجع السيرة النبوية لابن هشام (٣/٩٠، ٩١)، والبداية والنهاية لابن كثير (٣/٧٦-٧٨)، والدرة الثمينة (ص ١٣١، ١٣٢)، وزاد المعاد لابن القيم (٣/٢٤٨-٢٥٠).

اغبر بطنه كما ثبت في صحيح البخاري[1] ، واشتدت عليهم صخرة في الخندق فشكوها إلى رسول الله ﷺ ، فدعا بإناء من ماء فتفل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعوا به ثم نضح ذلك الماء على تلك الصخرة ، فانهالت حتى عادت كالكثيب لاترد فأساً ولامسحاة، ولم يزل المسلمون يعملون فيه حتى أتموه، وحفره ﷺ طولاً من أعلى وادى بطحان غربي الوادى مع الحرة إلى غربي المصلى مصلى العيد، ثم إلى مسجد الفتح /[١٢٨/ب] ثم إلى الجبلين الصغيرين اللذين في غربي الوادي، يقال لأحدهما : راتج وللآخر جبل بنى عبيد، وأقبلت قريش وكنانة ومن تبعها من الأحابيش في عشرة آلاف حتى نزلوا بمجتمع السيول من رومة - وادى العقيق - وقائدهم أبو سفيان ، وأقبلت غطفان وبنوا أسد ومن تبعها من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى إلى جانب أحد مابين طرفي وادى النقمى وقائدهم عيينة بن حصن، وأتى الحارث بن عوف في بنى مرة ومسعود[2] بن رحيلة في أشجع ، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون في ثلاثة آلاف حتى جعلوا ظهورهم إلى جبل سَلْع ، وضرب رسول الله ﷺ قبته على القرن الذى في غربي جبل سَلْع موضع مسجده اليوم ، ثم سعى حُيي بن أخطب حتى قطع الحلف الذى كان بين بنى قريظة وبين النبي ﷺ، وخاف لحرب رسول الله ﷺ ، فاشتد الخوف، واشتد الحصار على المسلمين وكان في ذلك ماقص الله تعالى بقوله : ﴿ **إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم .. الآيات** ﴾[3]. فأقام رسول الله ﷺ والمشركون بضعاً وعشرين ليلة لم يكن لهم حرب إلا الرمى بالنبل إلا الفوارس من قريش فإنهم قاتلوا فقتلوا وقتلوا ، وأصاب سعد بن معاذ سهم فحسم رسول الله ﷺ جرحه فانتفخت يده ونزف الدم ، فلما رأى ذلك قال : اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقني لها ، اللهم إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة ، ولاتمتني حتى تقر عيني في بنى قريظة ، وكان راميه حبّان بن العَرِقة رماه بسهم في عضده أصاب أكحله فانقطع، فأمر رسول الله ﷺ بضرب فسطاط في المسجد لسعد فكان يعوده في كل يوم، واستشهد /[١٢٩/أ] يومئذ من المسلمين ستة من الأنصار ، ولم يزل رسول الله ﷺ وأصحابه على ماهم عليه من الخوف والشدة حتى هدى الله تعالى نعيم بن مسعود داخل غطفان للإسلام ، ولم يعلم أصحابه ، وخدع بين بنى قريظة وقريش وغطفان ورمى بينهم الفتن ، وبعث الله تعالى عليهم الريح في ليال باردة فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم فرجعوا إلى بلادهم، وكان مجيئهم وذهابهم في

---

(١) كتاب المغازى - باب غزوة الخندق ح(٤١٠٤ - فتح) من حديث البراء .

(٢) في ابن هشام : «مسعر بن رخيلة» .

(٣) سورة الأحزاب : الآية (١٠) .

شوال سنة خمس من الهجرة ، يروى أنهم لما وقفوا على الخندق قالوا : إن هذه لمكيدة ماكانت العرب تكيدها، ويقال : إن سلمان أشار به على رسول الله ﷺ[1]. قال الحافظ محب الدين : والخندق اليوم باق وفيه قناة تأتى من عين بقباء إلى النخل الذى بأسفل المدينة المعروف بالسيح حول مسجد الفتح ، وقد انطم أثره وتهدمت حيطانه[2]. قال الشيخ جمال الدين المطرى : وأما اليوم فقد عفا أثر الخندق و لم يبق منه شئ يعرف إلا ناحيته ؛ لأن وادى بطحان استولى على موضع الخندق فصار مسيله فى موضع الخندق[3]. وقال عفيف الدين المرجانى : وفى سنة تسع وأربعين وسبعمائة أرانى والدى -رحمه الله- باقى جدار منه .

ذكر قتل بنى قريظة بالمدينة الشريفة

قال ابن إسحاق : ولما انصرف رسول الله ﷺ من الخندق رجع إلى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح، فأتى جبريل - عليه السلام - رسول الله ﷺ معتجراً بعمامة من إستبرق على بغلة عليها قطيفة من ديباج فقال : لقد وضعت السلاح يارسول الله؟ فقال : نعم . قال: ماوضعت الملائكة بعد السلاح ، ومارجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله يأمرك بالسير إلى بنى قريظة فإنى عامد إليهم فمزلزل بهم . فأذّن رسول الله ﷺ فى الناس : «**من كان سامعا مطيعا فلا** /[١٢٩/ب] **يصلين العصر إلا فى بنى قريظة** ».[4] فنزل رسول الله ﷺ فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة، وقذف الله تعالى فى قلوبهم الرعب حتى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فتواثبت الأوس وقالوا : يارسول الله إنهم موالينا دون الخزرج فهم لنا ، فقال : «**ألا ترضون يامعشر الأوس أن نحكم فيهم رجلاً منكم**». قالوا: بلى ، قال : «**فذلك إلى سعد بن معاذ**». وكان سعد فى خيمته يداوى جرحه، [وكان حارثة بن كلدة هو الذى يداويه وكان طبيب العرب وهو مولى أبى بكرة مسروح][5]، فأتت الأوس سعد بن معاذ إلى رسول الله ﷺ فقال له : «**احكم فى بنى قريظة**» فقال : إنى أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى

---

(١) راجع السيرة النبوية لابن هشام (٣/١٠٦-١٠٨) ، والدرة الثمينة لابن النجار (ص ١٣٥ ، ١٣٨) ، وجزم ابن القيم فى زاد المعاد (٣/٢٧٠-٢٧٥) بأن الذى أشار بحفر الخندق هو سلمان رضي الله عنه.

(٢) الدرة الثمينة (ص ١٣٨) .

(٣) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٥٩) .

(٤) أخرجه البخارى : كتاب المغازى - باب مرجع النبى ﷺ من الأحزاب ح(٤١١٩ - فتح) ، ومسلم : كتاب الجهاد والسير - باب المبادرة بالغزو ح(١٧٧٠) .

(٥) مابين المعكوفتين ليست فى سيرة ابن هشام ، وليست فى الدرة الثمينة .

الذراري . فقال له رسول الله ﷺ : «**لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة**» - أي من فوق سبع سموات - ، وكان الذين نزلوا على حكمه ﷺ أربعمائة، واستنزلوا بني قريظة من حصونهم فحبسوا بالمدينة في دار امرأة من بني النجار، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق ثم بعث إليهم فجئ بهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق، وكانوا سبعمائة وفيهم حيي بن أخطب الذين[١] حرضهم على نقض العهد، فقتل منهم ﷺ كل من أنبت[٢]، واستحيى من لم ينبت ، وقتل منهم امرأة كانت طرحت رحى على خلاد بن سويد من الحصن فقتلته يوم قتال بني قريظة فقتلها به النبي ﷺ ، وأخبر ﷺ أن لخلاد أجر شهيدين، ثم قسم رسول الله ﷺ أموالهم ونساءهم وأبناءهم على المسلمين، وأنزل الله تعالى في بني قريظة والخندق من قوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم** ﴾[٣] إلى قوله : ﴿ **وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم** /[١٣٠/أ] **تطؤها** ﴾[٤] قيل : هي نساؤهم. ثم انفتق على سعد بن معاذ جرحه فمات منه شهيدا ، وذلك بعد أن أصابه السهم بشهر في شوال سنة خمس، وكان رجلاً طوالاً ضخمًا[٥]، ولم تزل بقايا اليهود بالمدينة إلى خلافة عمر ﷺ ، وروى عن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: «**لايجتمع دينان في جزيرة العرب**»[٦] قال ابن شهاب : ففحص عن ذلك عمر بن الخطاب ﷺ حتى أتاه اليقين أن رسول الله ﷺ قال : «**لايجتمع دينان في جزيرة العرب**». فأجلى يهود خيبر وأجلى يهود نجران وفدك[٧] . انتهى .

---

(١) هكذا في الأصل ، والصواب «الذى» . والله أعلم .

(٢) أي كل من بلغ .

(٣) سورة الأحزاب : الآية (٩) .

(٤) سورة الأحزاب : الآية (٢٧) .

(٥) راجع السيرة النبوية لابن هشام (١١٨/٣-١٢٦) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٩٤/٤-١٢٨) ، والدرة الثمينة لابن النجار (ص١٤١،١٤٢) ، وأخرج البخارى بعضاً منه: كتاب المغازى - باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ح(٤١٢٢-فتح).

(٦) أخرجه مالك في الموطأ : كتاب الجامع- باب ماجاء في إجلاء اليهود من المدينة ح(١٨) وهو حديث مرسل ، وهو موصول في الصحيحين من حديث ابن عباس ، أخرجه البخارى : كتاب الجزية والموادعة - باب إخراج اليهود من جزيرة العرب ح(٣١٦٨-فتح)، ومسلم : كتاب الوصية - باب ترك الوصية لمن ليس له شئ ح(١٦٣٧) . بلفظ : «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب» .

(٧) راجع الموطأ (٨٩٣/٢) .

الفصل السادس

في ذكر ابتداء بناء مسجد رسول الله ﷺ وما زيد فيه أو نقص منه إلى هذا التاريخ وفيه ذكر ماجاء في قبلة مسجد رسول الله ﷺ وذكر حجر أزواج النبي ﷺ وذكر مصلى رسول الله ﷺ من الليل وذكر قصة الجذع وذكر منبر النبي ﷺ والروضة الشريفة وذكر سد الأبواب الشوارع في المسجد الشريف وذكر تجمير المسجد الشريف وتخليقه وذكر موضع تأذين بلال ؓ وذكر أهل الصُّفة وذكر زيادة عمر بن الخطاب ؓ في مسجد رسول الله ﷺ وذكر بطحاء مسجد رسول الله ﷺ وذكر زيادة عثمان ؓ وذكر زيادة الوليد بن عبد الملك بن مروان وذكر زيادة المهدى وذكر بلاعات المسجد وسائر صحنه والسقايات التى كانت فيه وذكر احتراق المسجد الشريف وذكر الخوخ والأبواب التى كانت في مسجد رسول الله ﷺ وذكر ذرع المسجد اليوم وعدد أساطينه وطيقانه وحدود المسجد القديم وذكر أسوار المدينة الشريفة .

ذكر ابتداء بناء مسجد رسول الله ﷺ

لما قدم / [١٣٠/ب] النبى ﷺ المدينة نزل على [أم][1] كلثوم بن الهَدْم فى بنى عمرو بن سالم بن عوف ، فمكث عندهم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وكان كلثوم بن الهدم أسلم قبل قدوم النبى ﷺ المدينة وتوفى فى السنة الأولى ، وروى البخارى فى «صحيحه»[2] : أن النبى ﷺ مكث فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وعن مسلم[3]: أقام فيه أربع عشرة ليلة ، وأخذ مربد[4] كلثوم بن الهدم وعمله مسجدًا وأسسه وصلى فيه إلى بيت المقدس ، وخرج من عندهم يوم الجمعة عند ارتفاع النهار فركب ناقته القصواء ، وحد المسلمون ولبسوا السلاح عن يمينه وشماله وخلفه وكان لا يمر بدار من دور الأنصار إلا قالوا : هلم يا رسول الله إلى القوة والمنعة والثروة ، فيقول لهم خيرًا ، ويقول عن ناقته: «**إنها مأمورة خلوا سبيلها**» ، فمر ببنى سالم بن عوف فأتى مسجدهم الذى فى وادى رانوناء وأدركته صلاة الجمعة فصلى بهم هنالك وكانوا مائة رجل ، وقيل : أربعون، وكانت أول جمعة صلاها بالمدينة ، ثم ركب راحلته وأرخى لها زمامها وما يحركها وهى تنظر يمينًا وشمالاً حتى انتهت به إلى زقاق الحسنى من بنى النجار فبركت على باب دار أبى أيوب الأنصارى ، وقيل : بركت أولاً على باب مسجده ﷺ ثم ثارت وهو عليها فبركت على باب أبى أيوب ، ثم التفت وثارت وبركت فى مبركها الأول ، وألقت جرانها[5] فى الأرض وزرمت[6] فنزل عنها رسول الله ﷺ ، وقال : هذا المنزل يا رسول الله فاحتمل

---

(١) ليست فى زاد المعاد (٥٨/٣) ، ولا فى الدرة الثمينة (ص ٥٤) ، ولا فى البداية والنهاية (٣/ ٢٣٨) ، ولا فى سيرة ابن هشام (٥٨/٢) . والله أعلم .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب مناقب الأنصار - باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة ح (٣٩٠٦ - فتح) عن سراقة بن جشعم .

(٣) أخرجه مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة -باب ابتناء مسجد النبى ﷺ ح (٥٢٤) ، وكذا البخارى : كتاب الصلاة - باب هل تنبش قبور مشركى الجاهلية ح (٤٢٨ - فتح) عن أنس ابن مالك .

(٤) المربد : الموضع الذى تحبس فيه الإبل والغنم ، وبه سمى مربد المدينة والبصرة . وهو بكسر الميم وفتح الباء ، من ربد بالمكان إذا أقام فيه ، وربده إذا حبسه . النهاية (١٨٢/٢) ، وسيأتى للمصنف أنه كان مربدًا للتمر .

(٥) الجران : باطن العنق ، النهاية (٢٦٣/١) وقال بعده : كما أن البعير إذا برك واستراح مد عنقه على الأرض . اهـ .

(٦) أى : صوتت ، والإزرام : الصوت لا يفتح به الفم . النهاية (٢٢٠/٢) .

أبو أيوب رحله وأدخله بيته ، فأقام رسول الله ﷺ فى بيت أبى أيوب سبعة أيام ثم بنى مسجده ، ثم لم يزل فى بيت أبى أيوب ينزل عليه من الوحى حتى ابتنى مسجده ومساكنه، وكان ابتداء / [١٣١/أ] بنيانه ﷺ مسجده فى شهر ربيع الأول من السنة الأولى[(١)] ، وكانت إقامته فى دار أبى أيوب سبعة أشهر[(٢)].

قال الشيخ جمال الدين : ودار أبى أيوب مقابلة لدار عثمان ﷺ من جهة القبلة والطريق بينهما ، وهى اليوم مدرسة للمذاهب الأربعة اشترى عرصتها الملك المظفر شهاب الدين غازى بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب بن شادى وبناها ، وأوقفها على المذاهب الأربعة وأوقف عليها وقفًا بميافارقين وهى دار ملكه ولها بدمشق وقف أيضًا ، ويليها من جهة القبلة عرصة كبيرة تحاذيها من القبلة كانت دارًا لجعفر بن محمد الصادق ، وفيها الآن قبلة مسجده وفيها أثر المحاريب ، وهى اليوم ملك للأشراف المنايفة ، وللمدرسة قاعتان كبرى وصغرى ، وفى إيوان الصغرى الغربى خزانة صغيرة مما يلى القبلة فيها محراب يقال إنه مبرك ناقة رسول الله ﷺ[(٣)] ، ثم قال رحمه الله تعالى : واعلم أن المسجد الشريف فى دار بنى غنم بن مالك بن النجار وكان مربدًا للتمر لسهل وسهيل بنى رافع بن مالك بن النجار وكانا غلامين ، فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدًا فقالا : بل نهبُهُ لك يا رسول الله ، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما وبناه ، وقيل : لم يأخذ له ثمنًا ، وقيل : اشتراه من بنى عفراء بعشرة دنانير ذهبًا دفعها عنه أبوبكر ﷺ ، وكانت دار بنى النجار أوسط دور الأنصار وأفضلها ، وبنو النجار أخوال عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله ﷺ ، والنجار تيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج وهم بطون كثيرة ، سمى بالنجار ؛ لأنه اختتن بالقدوم ، وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال : «**خير دور الأنصار دور بنى النجار**»[(٤)(٥)]. وعن أنس أن النبى ﷺ /[١٣١/ب]لما أخذ المربد من بنى

---

(١) راجع سيرة ابن هشام (٥٨/٢ - ٦٢) ، والدرة الثمينة (ص ١٤٥) وزاد المعاد (٥٨/٣ - ٦٢) والبداية والنهاية (٢٣٦/٣ - ٢٤٣) .

(٢) راجع الدرة الثمينة (ص ١٤٥) ، والبداية والنهاية (٢٥٣/٣) وحكاه عن الواقدى .

(٣) التعريف بما أنست الهجرة (ص ٣٦) .

(٤) أخرجه البخارى : كتاب مناقب الأنصار - باب فضل دور الأنصار ح (٣٧٨٩ - فتح) ، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة - باب فى خير دور الأنصار ح (٢٥١١) عن أبى أسيد مالك بن ربيعة الساعدى .

(٥) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٣٥ - ٣٦) .

النجار كان فيه نخل وقبور المشركين وخرب ، فأمر النبى ﷺ بالنخيل فقطع وبقبور المشركين فنبشت وبالخرب فسويت ، قال : فصفوا النخل قبلة له وجعلوا عضادتيه حجارة، وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن فى بنيانه[(١)] ، وبنى ﷺ مسجده مربعًا وجعل قبلته إلى بيت المسجد[(٢)] ، وطوله سبعون ذراعًا فى عرض شبر[(٣)] أو أزيد ، وجعل له ثلاثة أبواب وجعلوا ساريتى المسجد من الحجارة وبنوا باقيه من اللبن ، وفى الصحيحين: كان جدار المسجد ما كادت الشاة تجوزه[(٤)]. وعن عائشة - رضى الله عنها - : كان طول جدار المسجد بسطة ، وكان عرض الحائط لبنه لبنة ، ثم إن المسلمين كثروا فبنوه لبنة ونصفًا ، ثم قالوا : يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فظلل ، قال : نعم ، فأقيم له سوار من جذوع النخل شقة شقة ثم طرحت عليها العوارض والخَصَف[(٥)] والإذخر ، وجعل وسطه رحبة فأصابتهم الأمطار فجعل المسجد يكف[(٦)] بهم ، فقالوا : يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فطين ، فقال لهم : «**عريش كعريش موسى ثمام**[(٧)] **وخشيبات يعم فيعمل والأمر أعجل من ذلك**» ، فلم يزل كذلك حتى قبض رسول الله ﷺ ، ويقال : إن عريش موسى - عليه السلام - كان إذا قام به أصاب رأسه السقف . قال أهل السير : وبنى رسول الله ﷺ مسجده مرتين ، بناه حين قدم أقل من مائة فى مائة ، فلما فتح الله تعالى عليه خيبر بناه فزاد عليه فى الدور مثله[(٨)].

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب الصلاة - باب هل تنبش قبور مشركى الجاهلية ، ويتخذ مكانها مساجد ح (٤٢٨ - فتح) ، ومسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب ابتناء مسجد النبى ﷺ ح (٥٢٤) .

(٢) كذا فى الأصل ، والصواب " المقدس " . كما فى الدرة الثمينة (ص ١٤٦) ، وزاد المعاد (٦٣/٣) .

(٣) كذا فى الأصل ، وليست موجودة فى الدرة الثمينة (ص ١٤٦) .والله أعلم .

(٤) أخرجه البخارى : كتاب الصلاة - باب قدر كم ينبغى أن يكون بين المصلى والسترة ح (٤٩٧ - فتح) ، ومسلم : كتاب الصلاة - باب دنو الصلاة من السترة ح (٥٠٩) عن سلمة ابن الأكوع ، واللفظ قريب من رواية البخارى ، وراجع الدرة الثمينة (ص ١٤٦) وعزاه للصحيحين.

(٥) الخصف : هى الجلّة التى يكنز فيها التمر . النهاية (٣٧/٢) .

(٦) يكف بهم : يسقط المطر عليهم .

(٧) ثمام : عشب من الفصيلة النجيلية يسمو إلى مائة وخمسين سنتيمتر .

(٨) راجع الدرة الثمينة (ص ١٤٧) .

ذكر ما جاء في قبلة مسجد رسول الله ﷺ

اعلم أن النبى ﷺ صلى فى مسجده متوجهًا إلى بيت المقدس سبعة عشر شهرًا ، وقيل : ستة عشر ، ثم أمر بالتحول إلى الكعبة فى السنة الثانية من الهجرة /[١٣٢/أ] فى صلاة الظهر يوم الثلاثاء النصف من شعبان ، وقيل : فى رجب[(١)] ، فأقام رسول الله ﷺ رهطًا على زوايا المسجد ليعدل القبلة ، فأتاه جبريل – عليه السلام – فقال : يا رسول الله ضع القبلة وأنت تنظر إلى الكعبة ثم قال : بيده هكذا ، فأمات كل جبل بينه وبين الكعبة لا يحول دون نظره شيء فلما فرغ ، قال جبريل : هكذا فأعاد الجبال والشجر والأشياء على حالها وصارت قبلته إلى الميزاب من البيت ، فهى المقطوع بصحتها[(٢)]. وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : كانت قبلة النبى ﷺ إلى الشام ، وكان مصلاه الذى يصلى فيه للناس من الشام من مسجده أن تضع الإسطوانة المخلقة اليوم خلف ظهرك ثم تمشى مستقبل الشام وهى خلف ظهرك حتى إذا كنت محاذيًا لباب عثمان المعروف اليوم بباب جبريل – عليه السلام – والباب عن منكبك الأيمن وأنت فى صحن المسجد كانت قبلته فى ذلك الموضع[(٣)] ، وأنت واقف فى مصلاه ﷺ وسيأتى ذكر الإسطوانة فى محله .

يروى أن أول ما نسخ من أمور الشرع أمر القبلة ، وتقدم فى باب الفضائل فضل مسجد رسول الله ﷺ ، وأن المسجد الذى أسس على التقوى هو مسجده ﷺ .

ذكر حجر أزواج النبى ﷺ

لما بنى رسول الله ﷺ مسجده بنى بيتين لزوجتيه عائشة وسودة – رضى الله عنهما – على نعت بناء المسجد من لبن وجريد ، وكان لبيت عائشة – رضى الله عنها – مصراع واحد من عرعر أوساج ، ولما تزوج النبى ﷺ نساءه بنى لهن حجرات وهى تسعة أبيات ، وهى ما بين بيت عائشة –رضى الله /[١٣٢/ب] عنها – إلى الباب الذى يلى باب النبى ﷺ .

قال أهل السير : ضرب رسول الله ﷺ الحجرات ما بينه وبين القبلة والشرق إلى الشام ، ولم يضربها فى غربيّه ، وكانت خارجة من المسجد مديرة به إلى جهة المغرب ، وكانت أبوابها شارعة فى المسجد[(٤)]. قال عمران بن أبى أنس : كانت منها أربعة أبيات

---

(١) راجع السيرة النبوية لابن هشام (٩٢/٢) ، والبداية والنهاية (٢٨٨/٣) .

(٢) راجع الدرة الثمينة (ص ١٤٧) .

(٣) راجع الدرة الثمينة (ص ١٤٨) .

(٤) راجع الدرة الثمينة (ص ١٥٢) .

بلبن لها حجر من جريد ، وكانت خمسة أبيات من جريد مطينة لا حجر لها ، على أبوابها مسوح الشعر . قال النجار[1] : وذرعت الستر فوجدته ثلاثة أذرع فى ذراع ، وكان الناس يدخلون حجر أزواج النبى ﷺ بعد وفاته يصلون فيها يوم الجمعة حكاه مالك ، وقال : كان المسجد يضيق على أهله ، وحجرات أزواج النبى ﷺ ليست من المسجد ولكن أبوابها شارعة فيه[2].

وقالت عائشة - رضى الله عنها - : كان رسول الله ﷺ إذا اعتكف يدنى إلى رأسه فأرجله ، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان[3].

وعن عبد الله بن يزيد الهذلى قال : رأيت بيوت أزواج النبى ﷺ حين هدمها عمر ابن عبد العزيز كانت بيوتًا باللبن ولها حجر من جريد ، ورأيت بيت أم سلمة وحجرتها من لبن فسألت ابن ابنها ، فقال : لما غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل[4] بنت أم سلمة بابها وحجرتها بلبن ، فلما قدم رسول الله ﷺ نظر إلى اللبن فقال : «**ما هذا البناء**» ؟ فقالت : أردت أن أكف أبصار الناس . فقال لى : «**يا أم سلمة شر ما ذهب فيه مال المسلمين البنيان**»[5]. وقال عطاء الخرسانى : أدركت حجر أزواج النبى ﷺ من جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر أسود فحضرت كتاب الوليد يُقرأ يأمر بإدخالهم فى المسجد ، فما رأيت باكيًا أكثر من ذلك اليوم . /[١٣٣/أ] وسمعت سعيد بن المسيب يقول يومئذ : والله لوددت أنهم يتركونها على حالها ينشأ ناس من أهل المدينة فيقدم القادم من الآفاق فيرى ما اكتفى به رسول الله ﷺ فى حياته ، فيكون ذلك مما يزهد الناس فى التكاثر والفخر . وقال يزيد بن أمامة : ليتها تركت حتى يقصر الناس من البنيان ، ويروا ما رضى الله - عز وجل - لنبيه ﷺ ومفاتيح الدنياعنده[6].

وأما بيت فاطمة - رضى الله عنها - فإنه كان خلف بيت النبى ﷺ عن يسارالمصلى إلى القبلة ، وكان فيه خوخة إلى بيت النبى ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ إذا

---

(١) هكذا فى الأصل ، والصواب : «ابن النجار» . والله أعلم .

(٢) راجع الدرة الثمينة (ص ١٥٢) .

(٣) أخرجه البخارى : كتاب الحيض - باب غسل الحائض رأس زوجها ح (٢٩٦ - فتح) ، ومسلم : كتاب الحيض - باب جواز غسل الحائض رأس زوجها ح (٢٩٧) .

(٤) دومة الجندل : حصن وقرى بين الشام والمدينة على سبع مراحل من دمشق .

(٥) أورده ابن النجار بسنده : الدرة الثمينة (ص ١٥٣) ، وأخرجه الإمام أحمد : المسند (٢٩٣/٦) .

(٦) راجع هذه الأقوال فى الدرة الثمينة (ص ١٥٣) ، ومثير الغرام (ص ٤٨٥) .

قام من الليل إلى المخرج اطلع منه يعلم خبرهم ، وكان رسول الله ﷺ يأتي بابها كل صباح فيأخذ بعضادتيه ويقول : «**الصلاة الصلاة ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا**». قال الحافظ محب الدين بن النجار : وبيتها اليوم حوله مقصورة، وفيه محراب وهو خلف حجرة النبي ﷺ [1] . قال عفيف الدين المرجاني : وهو اليوم أيضًا باق على ذلك .

ذكر مصلى رسول الله ﷺ من الليل

وروى عيسى بن عبد الله عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ يطرح حصيرًا كل ليلة إذا انكفت الناس وراء بيت عليّ رضي الله عنه ثم يصلي صلاة الليل ، قال : وذلك موضع الإسطوان الذى مما يلى الدويرة على طريق النبي ﷺ .

وعن سعيد بن عبد الله بن فضل قال : مر بى محمد بن الحنفية وأنا أصلى إليها فقال لى : أراك /[١٣٣/ب] تلزم هذه الإسطوانة هل جاءك فيها أثر ؟ قلت : لا . قال : فالزمها فإنها كانت مصلى رسول الله ﷺ من الليل ، ثم قال : قلت : هذه الإسطوانة ؟ قال : نعم[2].

قال الشيخ جمال الدين : وهذه الإسطوانة خلف بيت فاطمة - رضى الله عنها - فالواقف المصلى إليها يكون باب جبريل المعروف قديمًا بباب عثمان على يساره ، وحول الدرابزين الدابر على حجرة النبي ﷺ ، وقد كتب فيها بالرخام هذا متهجد النبي ﷺ[3].

قال الحافظ محب الدين : وبيت فاطمة - رضى الله عنها - من جهة الشمال ، وفيه محراب إذا توجه المصلى إليه كانت يساره إلى باب عثمان رضي الله عنه[4].

ذكر قصة الجذع

عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جنب خشبة مسندًا ظهره إليها فلما كثر الناس قالوا : ابنوا له منبرًا ، فبنوا له منبرًا له عتبتان فلما قام على المنبر يخطب حنّت الخشبة إلى رسول الله ﷺ قال أنس : وأنا فى المسجد فسمعت الخشبة تحن حنين الواله[5] ، فما زالت تحن حتى نزل إليها فاحتضنها فسكنت وكان الحسن إذا حدث

---

(١) الدرة الثمينة (ص ١٥٤) .

(٢) راجع الدرة الثمينة (ص ١٥٥) .

(٣) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٢٩ ، ٣٠) .

(٤) الدرة الثمينة (ص ١٥٥) .

(٥) الواله : من اشتد حزنه حتى ذهب عقله .

بهذا الحديث بكى ، وقال : يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقًا إليه لمكانه من الله - عز وجل - ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه[1]. وعن جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفًا على جذوع نخل فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العشار[2]. وفي رواية أنس حتى ارتج المنبر لخواره ، روى بجواره بالجيم ، وفي رواية سهل[3] : وكثر بكاء الناس لما رأوا به ، وفي رواية المطلب: حتى تصدع وانشق حتى /[١٣٤/أ] جاء النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكت ، زاد غيره فقال النبي ﷺ :«**إن هذا بكى لما فقد من الذكر**»، وزاد غيره : « **والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة تحزنًا على رسول الله ﷺ** » ، فأمر به النبي ﷺ فدفن تحت المنبر[4]. كذا في حديث المطلب ، وسهل بن سعد ، وإسحاق عن أنس ، وفي بعض الروايات جعل في السقف . قيل : كان النبي ﷺ إذا صلى صلى إليه فلما هدم المسجد أخذه أبيّ وكان عنده إلى أن أكلته الأرض. وعن الإسفرائيني : أن النبي ﷺ دعاه إلى نفسه فجاءه يخرق الأرض ، فالتزمه ثم أمره فعاد إلى مكانه . وفي حديث أبي بريدة قال: يعني النبي ﷺ «**إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ، ويكمل لك خلقك ويجددُ لك خوص وثمرة ، وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك**». ثم أصغى له النبي ﷺ يسمع ما يقول فقال : بل تغرسني في الجنة يأكل مني أولياء الله ، وأكون في مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه . فقال النبي ﷺ . «**قد فعلت**» . ثم قال «**اختار دار البقاء على دار الفناء**»[5]. قالت عائشة - رضي الله عنها -:

---

(١) أورده ابن النجار بسنده : الدرة الثمينة (ص ١٥٦) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٥٥٩/٢) ، وابن الجوزي : مثير الغرام (ص ٤٧٠) ، وأخرج نحوه الدارمي : سننه (٣٢/١) . وراجع البداية والنهاية (١٢٥/٦) . وأصل الحديث رواه الترمذي : كتاب المناقب - باب في آيات إثبات نبوة النبي ﷺ ح (٣٦٢٧) . قال : حديث أنس حديث حسن صحيح .

(٢) أخرجه البخاري : كتاب المناقب - باب علامات النبوة ح (٣٥٨٥ - فتح) .

(٣) رواية سهل هذه أوردها أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ١٤٣) .

(٤) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٦٩٧/٦) : هذه الزيادة لأبي عوانة وابن خزيمة ، وأبي نعيم من حديث أنس ، وأصله في الترمذي دون هذه الزيادة .

(٥) أخرجه الدارمي : سننه (٢٩/١ ، ٣٠) ، وراجع الدرة الثمينة (ص ١٥٧) .

لما قال النبي ﷺ ذلك غار الجذع فذهب[1]. وقصة الجذع نظير إحياء الموتى لعيسى - عليه السلام - وأكبر[2].

وقال ابن أبى الزناد : ولم يزل الجذع على حاله زمان رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر - رضى الله عنهم - فلما هدم عثمان رضي الله عنه المسجد اختلف فى الجذع ، فمنهم من قال : أخذه أبىّ بن كعب ، ومنهم من قال : دفن فى موضعه . قال الحافظ محب الدين : وكان الجذع فى موضع الإسطوانة /[١٣٤/ب] المخلقة عن يمين المحراب محراب النبى ﷺ عند الصندوق[3]. قال الشيخ جمال الدين : إنه كان لاصقًا بجدار المسجد القبلى فى موضع كرسى الشمعة اليمنى التى عن يمين المصلى فى مقام النبى ﷺ ، والإسطوانة التى قبل الكرسى متقدمة عن موضع الجذع ، فلا يعتمد على قول من جعلها موضع الجذع ، وفى الإسطوانة خشبة ظاهرة مثبتة بالرصاص بموضع كان فى حجر من حجارة الإسطوانة مفتوح قد حوط عليه بالبياض والخشبة ظاهرة تقول العامة هذا الجذع ، وليس كذلك بل هو من جملة البدع التى يجب إزالتها ؛ لئلا يفتتن بها كما أزيلت الجذعة التى فى المحراب القبلى ، فإن الشيخ أبا حامد - رحمه الله - ذكر مصلى رسول الله ﷺ حققه بقوله : إذا وقف المصلى فى مقام النبى ﷺ تكون رمانة المنبر الشريف حذو منكبه الأيمن ، ويجعل الجذعة التى فى القبلة بين يدى عينيه ، فيكون واقفًا فى مصلى رسول الله ﷺ[4].

قال الشيخ جمال الدين : وذلك قبل احتراق المسجد الشريف ، وقبل أن يجعل هذا اللوح القائم فى قبلة مصلى رسول الله ﷺ ، وإنما جعل بعد حريق المسجد وكان يحصل بتلك الجذعة تشويش كثير ، وذلك أنهم كانوا يقولون : هذه خرزة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وكانت عالية فيتعلق النساء والرجال إليها ، فلما كانت سنة إحدى وسبعمائة جاور الصاحب زين أحمد بن محمد بن على المعروف بابن حنا فأمر بقلعها فقلعت ، وهى اليوم فى حاصل الحرم الشريف ثم توجه إلى مكة فى أثناء السنة فرأى أيضًا ما يقع من الفتنة عند دخول البيت الحرام من الرجال والنساء لاستمساك العروة الوثقى فى

---

(١) راجع قول عائشة - رضى الله عنها - هذا فى البداية والنهاية (١٣٠/٦) . وقال : هذا حديث غريب إسناد ومتن .

(٢) راجع البداية والنهاية (١٣١/٦) . فإنه نقل مثل هذا عن البيهقى .

(٣) الدرة الثمينة (ص ١٥٧) .

(٤) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٢٨) .

زعمهم فأمر بقلع ذلك المثال أيضًا[1]، والحمد لله ، وأما العود الذى فى الإسطوانة التى عن يمين مصلى رسول الله ﷺ /[١٣٥/أ] وهو الجذع المتقدم ذكره . فقال الحافظ محب الدين: روى عن مصعب بن ثابت قال : طلبنا علم العود الذى فى مقام النبى ﷺ فلم نقدر على أحد يذكر لنا فيه شيئًا حتى أخبرنى محمد بن مسلم بن السائب صاحب المقصورة أنه جلس إلى جنبه أنس بن مالك فقال : تدرى لم صنع هذا العود ؟ و لم أسأله فقلت : ما أدرى . قال : كان رسول الله ﷺ يضع عليه يمينه ثم يلتفت إلينا ، فيقول : «**استووا وعدلوا صفوفكم**» . فلما توفى رسول الله ﷺ سرق العود فطلبه أبو بكر فلم يجده ، ثم وجده عمر عند رجل من الأنصار بقباء قد دفنه فى الأرض فأكلته الأرض ، فأخذ له عودًا فشقه وأدخله فيه ثم شعبه ورده إلى الجدار ، وهو العود الذى وضعه عمر بن عبد العزيز فى القبلة ، وهو الذى فى المحراب اليوم باق . قال مسلم بن حبان : كان ذلك العود من طرفاء الغابة . وقيل : بل كان من الجذع المذكور[2].

قال المرجانى : قلت - والله أعلم - : إن هذا الجذع الذى ذكره ابن النجار إنه فى القبلة باق إلى اليوم ، لعله الذى قاس به الشيخ أبو حامد وقلعه ابن حنا . قال الشيخ جمال الدين : وكان ذلك قبل حريق المسجد الشريف .

ذكر منبر النبى ﷺ وروضته الشريفة

عن أبى حازم أن نفرًا جاءوا إلى سهل بن سعد وقد تماروا فى المنبر من أى عود هو ؟ فقال : أما والله إنى لأعرف من أى عود هو ، ومن عمله ، ورأيت رسول الله ﷺ أول يوم جلس عليه . فقلت له : فحدثنا فقال : أرسل رسول الله ﷺ إلى امرأة «**انظرى غلامك النجار يعمل لى أعوادًا أحكم للناس عليها**» فعمل هذه الثلاث درجات ، ثم أمر بها رسول الله ﷺ فوضعت هذا الموضع ، وهى من طَرْفاء الغابة والطَرْفاء شجر يشبه الأثل إلا أن الأثل /[١٣٥/ب] أعظم منه[3].

وعن جابر بن عبد الله أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ألا أجعل لك شيئًا تقعد عليه فإن لى غلامًا نجارا . فقال : إن شئت . فعمل له المنبر[4].

---

(١) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٢٨ ، ٢٩) .

(٢) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٢٩) .

(٣) أخرجه البخارى : كتاب الجمعة - باب الخطبة على المنبر ح (٩١٧ - فتح) ، ومسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب جواز الخطوة والخطوتين ح (٥٤٤) .

(٤) أخرجه البخارى : كتاب مناقب الأنبياء - باب علامات النبوة بعد الإسلام ح (٣٥٨٤ - فتح) .

وعن عبد اللـه بن عمر أن رسول اللـه ﷺ لما بدن قال له تميم الدارى : ألا أتخذ لك منبرًا يا رسول اللـه يجمع أو يحمل عظامك . قال : بلى . قال : فاتخذ له منـبرًا مِرْقـاتين[1].

وعن أبى الزناد أن رسول اللـه ﷺ كان يخطب فى يوم الجمعة إلى جذع فى المسجد فقال: إن القيام قد يشق على وشكا ضعفًا فـى رجليه ، فقـال لـه تميـم الـدارى وكـان مـن أهـل فلسطين : يا رسول اللـه أنا أعمل لك منبرًا كما رأيت يصنع بالشام . قـال : فلمـا اجتمـع رسول اللـه ﷺ وذوا الرأى من أصحابه على اتخاذه ، قال العباس بن عبـد المطلـب : إن لى غلامًا يقال له فلان أعمل الناس ، فقال له النبى ﷺ : فمره يعمل ، فأرسل إلى أثلة بالغابـة فقطعها ثم عملهـا درجتـين ومجلسًـا ، ثـم جـاء بالمنـبر فوضعـه فـى موضعـه اليـوم ثـم راح رسول اللـه ﷺ يوم الجمعة ، فلما جاوز الجذع يريد المنبر حن الجـذع ثـلاث مـرات كأنـه خوار بقرة حتى ارتاع الناس وقام بعضهم على رجليه ، وأقبل رسول اللــه ﷺ حتـى مسـه بيده فسكن ، فما سمع له صوت بعد ذلك ، ثم رجع رسول اللـه ﷺ إلى المنبر فقـام عليـه. وقد روى أن هذا الغلام الذى صنع المنبر اسمه مينـا - بيـاء سـاكنة مثنـاة مـن أسـفل بعدهـا نون. وقال عمر بن عبد العزيز : عمله صباح غلام العباس بن عبد المطلب . قال الواقدى : وذلك فى السنة الثامنة من الهجـرة اتخـذه درجتـين ومقعـدة . قـال ابـن أبـى الزنـاد : كـان رسول اللـه ﷺ يجلس على المنبر ويضع رجليه على الدرجة الثانية ، فلما وُلى أبو بكـر رضي الله عنه /[١٣٦/أ] قام على الدرجة الثانية ووضع رجليـه علـى الدرجـة الثالثـة السـفلى ، فلمـا ولى عمر رضي الله عنه قام على الدرجة السفلى ووضع رجليه علـى الأرض إذا قعـد ، فلمـا ولى عثمـان رضي الله عنه قام على الدرجة السفلى كما فعل عمر رضي الله عنه ست سنين ، ثم علا فجلس موضع النبـى ﷺ وكسا المنبر قبطية[2].

ذكر الشيخ محب الدين عن محمد بن الحسن بن زبالـة قـال : كـان طـول المنـبر منبر النبى ﷺ الأول فى السماء ذراعين وشبرًا وثلاثـة أصـابع ، وعرضـه ذراع راجـح ، وطـول صدره وهو مسند إلى النبى ﷺ ذراع ، وطول رمانتى المنـبر اللتـين كـان يمسـكهما ﷺ إذا جلس يخطب شبر وأصبعان[3] ، وعرضه ذراع فى ذراع وتربيعه سواء ، وعدد درجه ثلاث بالمقعد ، وفيه خمسة أعواد فى جوانبه الثلاث قال الشيخ جمال الدين : هذا ما كان عليه فى حياة رسول اللـه ﷺ وفى خلافة أبى بكر وعمر وعثمان - رضى اللـه عنهم - ، فلما حج

---

(١) أخرجه أبو داود : كتاب الصلاة - باب فى اتخاذ المنبر ح (١٠٨١) .

(٢) راجع هذه الأقوال فى الدرة الثمينة ص (١٥٧ - ١٥٩) .

(٣) إلى هنا انتهى كلام الشيخ محب الدين بن النجار كما فى المطبوع من الدرة الثمينة (ص ١٦٠) .

معاوية ﷺ في خلافته كساه قبطية ثم كتب إلى مروان بن عبد الحكم وهو عامله على المدينة أن ارفع المنبر عن الأرض ، فدعا له النجارين ورفعوه عن الأرض وزادوا من أسفله ست درجات ، وصار المنبر بسبع درجات بالمجلس[1]. قال ابن زبالة : لم يزد فيه أحد قبله ولا بعده . وقال الشيخ جمال الدين : هذا فى زمان محمد بن زبالة ، وروى أيضًا عن ابن زبالة أن طول منبر النبى ﷺ بما زيد فيه أربعة أذرع ومن أسفله عتبة ، وذكر ابن زبالة أيضًا أن المهدى بن المنصور لما حج سنة إحدى وستين ومائة قال للإمام مالك بن أنس - رحمه الله - : أريد أن أعيد منبر النبى ﷺ /[١٣٦/ب] على حاله الأول ، فقال له مالك : إنما هو من طَرْفاء وقد شد إلى هذه العيدان وسمر فهى ببركته حفت أن تتهافت فلا أرى تغييره ، فتركه المهدى على حاله[2] ، قيل : إن المهدى فرق فى هذه الحجة ثلاثين ألف ألف درهم ومائة ألف وخمسين ألف ثوب ، وحمل إليه الثلج من بغداد إلى مكة وكسا البيت ثلاث كساوى بيضاء وحمراء وسوداء توفى بماء سندان بموضع يقال له الرد ، فى المحرم سنة تسع وستين ومائة. قال الشيخ جمال الدين : وذكر لى يعقوب بن أبى بكر بن أوحد من أولاد المجاورين بالمدينة الشريفة وكان أبوه أبو بكر فراشًا من قوام المسجد الشريف ، وهو الذى كان حريق المسجد على يديه واحترق هو أيضًا فى حاصل الحرم ، إن هذا المنبر الذى زاده معاوية ورفع منبر النبى ﷺ وجد قد تهافت على طول الزمان وإن بعض خلفاء بنى العباس جدده واتخذوا من بقايا أعواد منبر النبى ﷺ أمشاطًا للتبرك بها ، والمنبر الذى ذكره ابن النجار هو المذكور أولاً فإنه قال فى تاريخه : وطول المنبر اليوم ثلاثة أذرع وشبر وثلاثة أصابع ، والدكة التى هو عليها من رخام طولها شبر وعقد ، ومن رأسه إلى عتبته خمسة أذرع وشبر وأربع أصابع ، وقد زيد فيه اليوم عتبتان وجعل عليه باب يفتح يوم الجمعة[3]. قال الشيخ جمال الدين : فدل ذلك على أن المنبر الذى احترق غير المنبر الأول الذى عمله معاوية ورفع منبر النبى ﷺ فوقه[4]. قال الفقيه يعقوب بن أبى بكر : سمعت ذلك ممن أدركت بأن بعض الخلفاء جدد المنبر واتخذ من بقايا أعواده أمشاطًا، وإن المنبر المحترق هو الذى جدده الخليفة المذكور ، وهو الذى أدركه الشيخ محب الدين قبل احتراق المسجد الشريف ، فإن الحافظ محب الدين كتب التاريخ فى سنة ثلاث /[١٣٧/أ]

---

(١) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٢٣) .

(٢) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٢٣) .

(٣) فى الدرة الثمينة (ص ١٦٠) .

(٤) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٢٣ ، ٢٤) .

وتسعين وخمسمائة وتوفى سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وكان احتراق المسجد ليلة الجمعة أول رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة كما سيأتى(١) .

قال الشيخ جمال الدين : ثم إن الملك المظفر عمل منبرًا وأرسله فى سنة ست وخمسين وستمائة ، ونصب فى موضع منبر النبى ﷺ رمانتاه من الصندل ، ولم يزل إلى سنة ست وستين وستمائة عشر سنين يخطب عليه ، ثم إن الملك الظاهر أرسل هذا المنبر الموجود اليوم فحمل منبر صاحب اليمن إلى حاصل الحرم وهو باق فيه ونصب هذا مكانه ، وطوله أربعة أذرع ، ومن رأسه إلى عتبته سبعة أذرع يزيد قليلاً ، وعدد درجاته سبع بالمقعد ، والمنقول أن ما بين المنبر ومصلى رسول الله ﷺ الذى كان يصلى فيه إلى أن توفى ﷺ أربعة عشر ذراعًا(٢) .

وأما الروضة الشريفة فتقدم فى باب الفضائل قوله ﷺ : «**ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة**»(٣) . وتقدم معنى الحديث . وفى حديث آخر : «**ما بين حجرتى ومنبرى روضة من رياض الجنة**»(٤) . وفى رواية : «**ما بين بيتى ومنبرى**»(٥) . [قال](٦) القاضى عياض : قال الطبرى : فيه معنيان ؛ أحدهما : أن المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع أنه روى ما يبينه «**ما بين حجرتى ومنبرى**» . والثانى : أن البيت هاهنا القبر ، وهو قول زيد بن أسلم فى هذا الحديث ، كما روى «**ما بين قبرى ومنبرى**» قال الطبرى : وإذا كان قبره فى بيته اتفقت معانى الروايات ولم يكن بينها خلاف ؛ لأن قبره ﷺ فى حجرته وهو بيته(٧) .

---

(١) راجع التعريف بما آنست الهجرة (ص ٢٤) .

(٢) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٢٥ ، ٢٦) .

(٣) أخرجه أحمد : المسند (٦٤/٣) ، عن أبى سعيد ، والبيهقى : السنن (٢٤٦/٥) عن جابر . وأورده ابن الجوزى فى مثير الغرام (ص ٤٧٢) بسنده عن أبى بكر الصديق .

(٤) أورده جمال الدين المطرى بسنده عن جابر : التعريف بما آنست الهجرة (ص ١٧) .

(٥) أخرجه البخارى : كتاب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة - باب فضل ما بين القبر والمنبر ح (١١٩٦ - فتح) ، ومسلم : كتاب الحج - باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة ح (١٣٩١) من حديث أبى هريرة ﷺ .

(٦) فى الأصل بياض ، ولعلها ما أثبتناه . والله أعلم .

(٧) راجع الشفاء (٨٢/٢ ، ٨٣) .

ذكر سد الأبواب الشوارع فى المسجد

عن أبى سعيد الخدرى قال : خطب النبى ﷺ فقال : «**إن الله خيّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله**» . فبكى أبو بكر ، فقلت فى نفسى : ما يبكى هذا الشيخ أن يكون عبدًا خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده /[١٣٧/ب] فاختار ما عند الله ، فكان رسول الله ﷺ هو العبد ، وكان أبو بكر أعلمنا ، فقال : **يا أبا بكر لا تبك إن آمن الناس علىّ فى صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذًا من أمتى خليلاً لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقين فى المسجد باب إلا سد ، إلا باب أبى بكر**[١]. وكان باب أبى بكر رضي الله عنه فى غربى المسجد . وروى ابن عباس - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ أمر بالأبواب كلها فسدت إلا باب على رضي الله عنه[٢].

ذكر تجمير المسجد الشريف وتخليقه

ذكر أهل السير : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى بسفط من عود فقال : أجمروا به المسجد لينتفع به المسلمون . قال الحافظ محب الدين : فبقيت سُنة فى الخلفاء إلى اليوم يؤتى فى كل عام بسفط من عود يجمر به المسجد ليلة الجمعة ويوم الجمعة عند منبر النبى ﷺ من خلفه إذا كان الإمام يخطب ، قالوا : وأتى عمر رضي الله عنه بمجمرة من فضة فيها تماثيل من الشام فكان يجمر بها المسجد ثم توضع بين يديه ، فلما قدم إبراهيم بن يحيى واليًا على المدينة غيرها وجعلها ساجًا . فقال الحافظ محب الدين : وهى فى يومنا هذا منقوشة[٣]. قال عفيف الدين المرجانى : وكذلك هى مستمرة إلى يومنا هذا .

وأما تخليقه : فروى أن عثمان بن مظعون رضي الله عنه تفل فى المسجد فأصبح كئيبًا فقالت له امرأته : مالى أراك كئيبًا ؟ فقال : ما شىء إلا أنى تفلت فى المسجد وأنا أصلى فعمدت إلى القبلة فغسلتها ثم خلقتها ، فكان أول من خلق القبلة . وعن جابر بن عبد الله أول من خلق القبلة عثمان بن عفان رضي الله عنه . ثم لما حجت الخيزران أم موسى وهارون الرشيد فى سنة سبعين ومائة أمرت بالمسجد الشريف أن يخلق ، فتولى تخليقه جاريتها مؤنسة /[١٣٨/أ] فخلقته جميعه وخلقت الحجرة الشريفة جميعها[٤].

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب الصلاة - باب الخوخة والممر فى المسجد ح (٤٦٦ - فتح) .

(٢) الدرة الثمينة (ص ١٦١) .

(٣) الدرة الثمينة (ص ١٦٢) .

(٤) الدرة الثمينة (ص ١٦٢) .

ذكر موضع تأذين بلال رضي الله عنه

روى ابن إسحاق : أن امرأة من بني النجار قالت : كان بيتي من أطول بيت حول المسجد ، وكان بلال يؤذن عليه الفجر كل غداة ، فيأتي بسحر فيجلس على البيت ينتظر عليه الفجر فإذا رآه تمطى ، قال : اللهم أحمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا دينك ، قالت : ثم يؤذن .

وذكر أهل السير : أن بلالاً كان يؤذن على إسطوان في قبلة المسجد يرقى إليها بأقباب[1] وهي قائمة إلى الآن في منزل عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - كان بلال يؤذن على منارة في دار حفصة بنت عمر التي في المسجد قال : وكان يرقى على أقباب[1] فيها ، وكانت خارجة من مسجد رسول الله ﷺ لم تكن فيه وليست فيه اليوم[2] ، وكان يؤذن بعد بلال . وقيل: معه عبد الله ابن أم مكتوم الأعمى ، وأذن بعدهما سعد بن عابد مولى عمار بن ياسر وهو سعد القرظ ، وسمي سعد القرظ ؛ لأنه كان إذا اتجر في شيء وضع فيه فاتجر في القرظ فربح فلزم التجارة فيه ، جعله رسول الله ﷺ مؤذنًا بقباء فلما مات رسول الله ﷺ وترك بلال الأذان ، نقل أبو بكر رضي الله عنه سعدًا هذا إلى مسجد رسول الله ﷺ فلم يزل يؤذن فيه إلى أن مات ، وتوارث عنه بنوه الأذان فيه إلى زمن مالك - رحمه الله - وبعده أيضًا ، وقيل : إن الذي نقله إلى المدينة للأذان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقيل : إنه كان يؤذن للنبي ﷺ واستخلفه على الأذان في خلافة عمر رضي الله عنه حين خرج بلال إلى الشام . وقال خليفة بن خياط : أذن لأبي بكر رضي الله عنه سعد القرظ مولى عمار بن ياسر إلى أن مات أبو بكر ، وأذن بعده لعمر رضي الله عنه . حكاه ابن عبد البر .

ذكر أهل /[١٣٨/ب] الصفة

روى البخاري في صحيحه[3] أن أهل الصفة كانوا فقراء . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء ، إما إزار وإما كساء وقد ربطوه في أعناقهم ، فمنها ما يبلغ نصف الساقين ، ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمع يده ؛ كراهية أن ترى عورته .

وروى أهل السير : أن محمد بن مسلمة رأى أضيافًا عند رسول الله ﷺ في المسجد

---

(١) هكذا في الأصل ، وفي الدرة الثمينة : «أقتاب» .

(٢) إلى هنا راجعه في الدرة الثمينة (ص ١٦٤) .

(٣) في كتاب مواقيت الصلاة - باب السمر مع الضيف والأهل ح (٦٠٢ - فتح) .

فقال : ألا تفرق هذه الأضياف فى دور الأنصار ، ويجعل لك من كل حائط قِنْو[1] ليكون لمن يأتيك من هؤلاء الأقوام ، فقال رسول الله ﷺ : «بلى» . فكان كل من جدَّ ماله جاء بقنو فجعله فى المسجد بين ساريتين فجعل الناس يفعلون ذلك ، وكان معاذ يقوم عليهم وكان يجعل حبلاً بين الساريتين ثم تعلق الأقناء على الحبل ، ويجمع العشرين أو الأكثر فيهش عليهم بعَصَاه من الأقناء فيأكلون حتى يشبعون ثم ينصرفون ، ويأتى غيرهم فيفعل لهم مثل ذلك ، فإذا كان الليل فعل هم مثل ذلك[2]. وأهل الصفة هم أهل مسجد رسول الله ﷺ ، والصفة بالمدينة خارج المسجد وبمكة داخل المسجد ، وسدة المسجد هى الظلال التى حول المسجد ، وقيل : الباب نفسه ، والسدى منسوب إليه، وجاء فى الحديث : وكان يصلى فى السدة سدة المسجد .

وأما أهل الصفة فهم : أبو عبيدة بن الجراح ، وعبد الله بن مسعود ، والمقداد ، وبلال ، وأبو ذر ، وصهيب ، وخباب بن الأرت ، وعمار بن ياسر ، وعتبة بن غزوان ، وزيد بن الخطاب ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وأبو مرثد بن مسعود ، وأبو الدرداء ، ومسطح بن إياثة ، وعكاشة بن محصن ، وطلحة بن عمرو ، وواثلة بن الأسقع ، ومعاذ بن الحارث ، والسائب بن خلاد ، وصفوان بن بيضاء ، ومسعود بن الربيع ، وأبو اليسر كعب /[١٣٩/أ] ابن عمرو ، وأبو عيسى بن حى ، وعويمر بن ساعدة ، وأبو لبانة ، وسالم بن عمير ، وخبيب بن يساف ، وعبد الله بن أنيس ، وحذيفة بن اليمان ، وعبد الله بن بدر، والحجاج بن عمرو ، وأبو هريرة ، وثوبان مولى رسول الله ﷺ ، وأبو عبيدة مولاه أيضًا ﷺ ، وثابت بن وديعة ، وسالم بن عبيد ، وجرهد بن خويلد ، وبشير بن الخصاصة ، وربيعة بن كعب ، وثابت بن الضحاك ، وأسماء بنت حارثة ، وسالم بن عبيدة الأشجعى ، وأبو سعيد الخدرى ، وحزيم بن فاتك ، فهؤلاء أهل الصفة ، وتقدم فى باب الفضائل فضل الإسطوانات المشهورة فى الروضة والصلاة إليها فلينظر ثم .

ذكر زيادة عمر بن الخطاب فى مسجد رسول الله ﷺ

يروى أن عمر بن الخطاب ﷺ قال : لولا أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إنى أريد أن أزيد فى المسجد ما زدت فيه** » . وعن سلمة بن حباب أن النبى ﷺ قال يومًا وهو فى مصلاه فى المسجد : « **لو زدنا فى مسجدنا وأشار بيده نحو القبلة** » فأجلسوا رجلاً فى موضع مصلى النبى ﷺ ثم رفعوا يد الرجل وحطوها حتى رأوا أن ذلك نحو ما رأوا أن النبى

(١) قِنْو : العذق بما فيه من الرطب ، وجمعه أقناء . النهاية (٤/١١٦) .

(٢) راجع الدرة الثمينة (ص ١٦٦) .

ﷺ رفع يده ، ثم مدوا ميقاطاً فوضعوا أطرافه بيد الرجل ثـم مـدوه ، فلـم يزالـوا يقدمونـه ويؤخرونه حتى رأوا أن ذلك شبيه لما أشار رسول اللهﷺ من الزيـادة ، فقـدم عمـر القبلـة فكان موضع جدار عمر رضي الله عنه في موضع عيدان المقصورة[1] ، وكان صاحب المقصـورة فـى زمان الصحابة السائب بن خباب مولى قريش ، وقيل : مولى فاطمة بنت عتبة.

قـال أهـل السـير : كـان بـين المنبر وبـين الجدار بقـدر مـا تمـر شـاة ، فـأخذ عمـر رضي الله عنه[١٣٩/ب] موضع المقصورة وزاد فى يمين القبلة ، فصار طول المسجد الشريف أربعين ومائة ذراع ، وعرضه عشرين ومائة ، وطول السـقف أحـد عشـر ذراعًـا ، وسـقفه جريـد ذراعان ، وبنى فوق ظهر المسجد سـترة ثلاثـة أذرع ، وبنـى أساسـه بالحجـارة إلى أن بلـغ قامة، وجعل له سته أبواب ؛ بابين عن يمين القبلـة ، وبـابين عـن يسـارها ، و لم يغـير بـاب عاتكة ، ولا الباب الذى كان يدخل منه النبى ﷺ ، وفتح بابًا عند دار مروان بن الحكـم ، وبابين فى مؤخر المسجد[2]. وروى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قـال رسـول اللـهﷺ : « **لـو بنـى هـذا المسـجد إلى صنعـاء كـان مسـجدى** »[3]. وروى غـيره مرفوعـاً قـال : « **هـذا مسجد[4] ومازيد فيه فهو منه ولو بلغ صنعاء كان مسجدى** » وعن أبـى هريـرة رضي الله عنه أنـه سمع رسول اللـهﷺ يقول « **لو زيد فى هذا المسجد ما زيد لكان الكل مسجدى** ».

وعن عمر رضي الله عنه لو مد مسجد رسول اللـهﷺ فى هـذه الزيـادة دار العبـاس بـن عبـد المطلب وهبها للمسلمين واشترى نصف موضع كان خطه النبى ﷺ فزاده فى المسجد وبناه على بنيانه الذى كان على عهد رسول اللـهﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشباً .

ذكر بطحاء مسجد رسول اللـهﷺ

عن بشر بن سعيد أو سليمان بن يسار شك الضحاك أنه حدثـه : أن المسـجد كـان يرش زمان النبىﷺ وزمان أبى بكر وعامـة زمـان عمـر رضي الله عنه، وكـان النـاس يتنخمـون فيـه ويبصقون حتى عاد زلقًا حتى قدم أبو مسعود الثقفى فقال لعمر رضي الله عنه: أليس بقربكـم واد ؟ قال : بلى . قال : فمر بحصباء تطرح فيه فهو ألـف للمخـاط والنخامـة /[١٤٠/ أ] فـأمر عمر رضي الله عنه بها[5] ، ثم قال : هو أغفـر للنخامـة وألـين فـى الموطـئ . الغفـر بـالغين المعجمـة

(١) أورده ابن النجار بسنده : الدرة الثمينة (ص ١٧١) .

(٢) راجع الدرة الثمينة (ص ١٧١) .

(٣) رواه الزبير بن بكار فى أخبار المدينة ، ورمز له الحافظ السيوطى فى الجامع الصغير بالضعف .

(٤) فى الدرة الثمينة : «مسجدى» .

(٥) أورده ابن النجار بسنده : الدرة الثمينة (ص ١٧٣) .

التغطية والستر ومنه المغفرة ، وقد حرم التنخم فى المسجد إبراهيم النخعى وقال : بنجاستها وتفرد بهذا القول و لم يتبع فيه ، بل كفارتها سترها . وعن أبى الوليد قال : سألت ابن عمر ابن الخطاب -رضى الله عنهما - عن الحصباء التى كانت فى المسجد فقال : إنا مطرنا ذات ليلة فأصبحت الأرض مبتلة ، فجعل الرجل يجيئ بالحصباء فى ثوبه فيبسطه تحته ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: ما أجر هذا ؟. وعن محمد بن سعد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ألقى الحصباء فى مسجد رسول الله ﷺ وكان الناس إذا رفعوا رؤوسهم من السجود ينفضون أيديهم من أيديهم فجئ بالحصباء من العقيق من هذه العرصة فبسطت فى المسجد[1].

قال الشيخ جمال الدين : ورمل مسجد رسول الله ﷺ يحمل من وادى العقيق من العرصة التى تسيل من الجما الشمالية إلى الوادى فيحمل منه ، وليس بالوادى رمل أحمر غير ما ، يسيل من الجما ، والجماوات أربعة وهو رمل أحمر يغربل ثم يبسط فى المسجد[2].

ذكر زيادة عثمان رضي الله عنه

فى صحيح البخارى[3] كان عثمان رضي الله عنه ولى الخلافة سنة أربع وعشرين ، فلما بلغت خلافته أربع سنين كلمه الناس فى الزيادة وشكوا إليه ضيق المسجد يوم الجمعة ، فشاور عثمان رضي الله عنه أهل الرأى من أصحاب رسول الله ﷺ فى ذلك وزاد فى المسجد زيادة كثيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة ، وجعل عمده من حجارة منقوشة حشوها أعمدة الحديد والرصاص ، وسقفه بالساج ، وباشر ذلك بنفسه ، وكان عمله فى أول ربيع الآخر[4] سنة تسع وعشرين ، وفرغ منه حين دخلت السنة لهلال المحرم سنة /[١٤٠/ب] ثلاثين ، وكان عمله عشرة أشهر ، وزاد فى القبلة إلى موضع الجدار اليوم ، وزاد فيه من المغرب إسطواناً بعد المربعة ، وزاد فيه من الشام خمسين ذراعاً ، ولم يزد من الشرق شيئًا ، وقدر زيد بن ثابت أساطينه فجعلها على قدر النخل ، وجعل فيها طبقين مما يلى المشرق والمغرب ، وبنى المقصورة بلبن وجعل فيها كوة ينظر الناس فيها إلى الإمام ، وجعل طول المسجد الشريف ستين ومائة ذراع ، وعرضه خمسين ومائة ذراع ، وجعل أبوابه ستة على ما كان على عهد رسول الله ﷺ ، باب عاتكة ، والباب الذى يليه ، وباب مروان ، وباب

---

(١) راجع الدرة الثمينة (ص ١٧٣) .

(٢) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٢٧) .

(٣) فى كتاب الصلاة - باب بنيان المسجد ح (٤٤٦ - فتح) .

(٤) فى الدرة الثمينة : «ربيع الأول» .

النبى ﷺ ، وباين فى آخره[1].

ذكر زيادة الوليد بن عبد الملك بن مروان

وذلك أنه لما استعمل عمر بن عبد العزيز على المدينة الشريفة أمره بالزيادة فى المسجد ، فاشترى عمر ما حوله من المشرق والمغرب والشام ، ومن أبى أن يبيع هدم عليه ووضع له الثمن ، فلما صار إلى القبلة قال عبيد الله بن عبد الله بن عمر : لسنا نبيع هذا هو فى حق حفصة ، وقد كان النبى ﷺ يسكنها ، فلما كثر الكلام بينهما قال له عمر بن عبد العزيز : أجعل لكم فى المسجد بابًا وأعطيكم دار الرفق ، وما بقى من الدراهم فهى لكم - يعنى التى تفضل من العمارة -ففعلوا ، فأخرج بابهم فى المسجد وهى الخوخة التى تخرج من دار حفصة - رضى الله عنها - ، وقدم الجدار فى موضعه اليوم ، وزاد من الشرق مابين الإسطوانة المربعة إلى جدار المسجد ، ومعه عشرة أساطين من مربعة القبر الشريف إلى الرحبة وإلى الشام ، ومد من المغرب إسطوانتين ، وأدخل فيه حجرات أزواج النبى ﷺ وبيت فاطمة -رضى الله عنها -وأدخل فيه دور عبد الرحمن بن عوف ، ودار عبد الله بن مسعود ، وأدخل فيه من المغرب دار طلحة / [١٤١/ أ] بن عبد الله ، ودار سبرة بن أبى رهم ، ودار عمار بن ياسر ، وبعض دار العباس وعلم ما دخل منها فجعل سائر سواريها التى تلى السقف أعظم من غيرها من السوارى ، وبعث الوليد بن عبد الملك إلى ملك الروم إنا نريد أن نعمل مسجد نبينا الأعظم ﷺ فأعنا فيه بعمال وفسيفساء - وهى الفصوص المزججة المذهبة - فبعث إليه بأربعين من الروم ، وبأربعين من النبط ، وبأربعين ألف مثقال عونًا له، وبأحمال فسيفساء ، وسلاسل القناديل اليوم ، وهدم عمر المسجد وأحمد النّورة التى يعمل منها الفسيفساء سنة ،وحمل القصّة من النخل ، وعمل الأساس بالحجارة والجدار بالحجارة المنقوشة المطابقة ، وجعل عمد المسجد حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص ، وجعل طوله مائتى ذراع ، وعرضه من مقدمه مائتى ذراع ، ومن مؤخره مائة وثمانين ذراعًا ،وعمله بالفسيفساء والمرمر ، وسقفه بالساج وماء الذهب ، وأدخل الحجرات والقبر المقدس فى المسجد ونقل لبن الحجرات فبنى به داره فى الحرة[2]. قال الحافظ محب الدين : فهو بها لليوم له بياض على اللبن[3]. وقال الذين عملوا الفسيفساء: إنما عملنا على ما وجدنا من صور شجر الجنة وقصورها ، وكان عمر بن عبد

---

(١) راجع الدرة الثمينة (ص ١٧٣ ، ١٧٤) ، ومثير الغرام (ص ٤٦٤) .

(٢) راجع الدرة الثمينة (ص ١٧٤ ، ١٧٥) .

(٣) الدرة الثمينة (ص ١٧٥) .

العزيز إذا عمل العامل الشجرة الكبيرة من الفسيفساء وأحسن عملها نفله ثلاثين درهمًا ، وكانت زيادة الوليد من المشرق ستة أساطين ، وزاد من الشام الإسطوانة المربعة التى فى القبر الشريف أربعة عشر إسطوانًا ، منها عشرة فى الرحبة ، وأربعة فى السّقايف الأولى التى كانت قبل ، وزاد من الإسطوانة التى دون المربعة إلى المشرق أربع أساطين ، وأدخل بيت النبى ﷺ فى المسجد ، وبقى ثلاثة أساطين فى /[١٤١/ب] السّقايف ، وجعل للمسجد فى أربع زواياه أربع منارات ، وكانت الرابعة مطلة على دار مروان ، فلما حج سليمان بن عبد الملك أذن المؤذن فأطل عليه فأمر بها فهدمت ، وأمر عمر بن عبد العزيز حين بنى المسجد بأسفل الأساطين فجعل قدر سترة اثنين يصليان إليها ، وقدر مجلس اثنين يستندان إليها ، ولما صار إلى جدار القبلة دعا مشايخه من أهل المدينة من قريش والأنصار والعرب والموالى فقال : احضروا بنيان قبلتكم ، لاتقولوا غير عمر قبلتنا فجعل لاينزع حجرًا إلا وضع حجرًا. وهو أول من أحدث الشرافات والمحراب وعمل بالميازيب من رصاص ، ولم يبق منها إلا ميزابان ، أحدهما فى موضع الجنائز ، والآخر على الباب الذى يدخل منه أهل السوق - يعنى باب عاتكة ، وعمل المقصورة من ساج ، وجعل للمسجد عشرين بابًا وكان هدمه للمسجد فى سنة إحدى وتسعين ومكث فى بنيانه ثلاث سنين ، فلما قدم الوليد بن عبد الملك حاجًّا جعل ينظر إلى البنيان فقال حين رأى سقف المقصورة : ألا عملت السقف مثل هذا ؟ فقال يا أمير المؤمنين إذا تعظم النفقة جدًّا فقال : وإن كان ، وكانت النفقة فى ذلك أربعين ألف مثقال ، ولما استنفد الوليد النظر إلى المسجد التفت إلى أبان بن عثمان بن عفان ﷺ فقال : أين بنياننا من بنيانكم ؟ فقال : إنا بنيناه بناء المساجد وبنيتموه بناء الكنائس[1].

وقال الحافظ محب الدين : وخلا فى بعض الأيام المسجد فقال بعض الروم : لأبولن على قبر نبيهم ، فنهاه أصحابه فلم يقبل فلما هم اقتلع [حجر][2] فألقى على رأسه فانتثر دماغه ، فأسلم بعض أولئك النصارى ، وعمل أحدهم على رأس خمس طاقات من جدار القبلة فى صحن المسجد صورة خنزير /[١٤٢/ أ] ، فظهر عليه عمر بن عبد العزيز فأمر به فضربت عنقه ، وكان عمل القبط مقدم المسجد ، والروم ما خرج من السقف من جوانبه ومؤخره ، وأراد عمر بن عبد العزيز أن يعمل على كل باب سلسلة تمنع الدواب ، فعمل واحدة فى باب مروان ، ثم بدا له عن البواقى ، وأقام الحرس فيه يمنعون الناس من الصلاة

(١) راجع الدرة الثمينة (ص ١٧٦ ، ١٧٧) .

(٢) ليست فى الأصل ، والسياق يقتضى وضعها . والله أعلم .

على الجنائز فيه[1]. قال الحافظ محب الدين : والسنة في الجنائز باقية إلى يومنا هذا إلا في حق العلويين والأمراء وغيرهم من الأعيان ، والباقون يصلى عليهم خلف الحائط الشرقي ، إذا وقف الإمام على الجنازة كان النبي ﷺ على يمينه[2]. وقال عفيف الدين المرجاني : وكذلك الأمر باق إلى هذا التاريخ ، والوليد بن عبد الملك هو الذي بني مسجد مكة ومسجد المدينة ومسجد دمشق والمسجد الأقصى وقبة الصخرة ، وأنفق على مسجد دمشق أحد عشر ألف ألف مثقال ونيّفًا ، وقيل : أنفق عليه خراج الدنيا ثلاث دفعات ، وهو أول من نقل إلى مكة أساطين الرخام مدة خلافته عشر سنين وتسعة أشهر ، وتوفي بدير مروان وحمل إلى دمشق فدُفن في مقبرة الفراديس ، وكان مسجد دمشق للصابئين ، ثم صار لليونانيين ، ثم صار لليهود ، وفي ذلك الزمان قتل يحيى بن زكريا ونصب رأسه على باب حيرون ، وعليه نصب رأس الحسين ، ثم غلبت عليه النصارى ثم غلبت عليه المسلمون .

ذكر زيادة المهدي

وذلك أنه لما ولي الخلافة آخر ذي الحجة من سنة ثمان وخمسين ومائة شرع في بناء المسجد الحرام ومسجد المدينة المشرفة على ما هما عليه اليوم ، وبنى بيت المقدس وقد كان هدمته الزلازل ، وحج في سنة ستين ومائة ، واستعمل في هذه السنة على المدينة /[١٤٢/ب] جعفر بن محمد [بن][3]سليمان بن عبد الله بن عباس وأمره بالزيادة في المسجد النبوي ، وولاه بناءه هو وعاصم[4] بن عمر بن عبد العزيز ، وعبد الملك بن شبيب الغساني فزادوا في المسجد من جهة الشام إلى منتهاه اليوم ، فكانت زيادته مائة ذراع ، ولم يزد فيه من الشرق والغرب شيئًا ، ثم سد على آل عمر خوختهم التي في دار حفصة ، فكثر كلامهم ، فصالحهم على أن يخفض المقصورة ذراعين ، وزاد في المسجد لتلك الخوخة ثلاث درجات ، وحفر الخوخة حتى صارت تحت المقصورة وجعل عليها في جدار القبلة شباك حديد فهو عليها اليوم ، وكان الذي دخل في المسجد من الدور ؛ دار عبد الرحمن بن عوف ، ودار شرحبيل ، وبقية دار عبد الله بن مسعود ، ودار المسور بن مخرمة ، وفرغ من بنيانه سنة خمس وستين

---

(١) الدرة الثمينة (ص ١٧٧ ، ١٧٨) .

(٢) راجع الدرة الثمينة (ص ١٧٨) .

(٣) ليست في الأصل ، والصواب ما أثبتناه ، وفي الدرة الثمينة : «جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله ابن عباس» . والله أعلم .

(٤) في الدرة الثمينة : «عبد الله بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز» .

ومائة ، وكان ابتداؤه سنة اثنين وستين ومائة ، وعرض منقبته مما يلي المشرق ذراعان وأربع أصابع وهو أعرضها ؛ لأنه من ناحية السيل[1].

ذكر بلاعات المسجد وستائر صحنه والسقايات التي كانت فيه

قال الحافظ محب الدين : وفي صحن المسجد أربع وستون بلاعة ، عليها أرحاء ولها سمائم من حجارة ، وكان أبو البحترى وهب بن وهب القاضي واليًا على المدينة لهارون الرشيد وكشف سقف المسجد فى سنة ثلاث وتسعين ومائة فوجد فيه سبعين خشبة فأصلحها ، وكان ماء المطر إذا كثر في صحن المسجد يغشى قبلة المسجد ، فجعل بين القبلة والصحن «لاصقًا حجارًا من المربعة»[2] التى فى غربى المسجد إلى المربعة التى فى شرقيه التى تلى القبر المقدس تمنع الماء والحصب .

وأما الستائر التى كانت في صحن المسجد : فذلك أنه لما قدم أبو جعفر المنصور سنة أربعين ومائة أمر بستور فستر بها صحن المسجد ، على عمد لها رؤوس كقرّيات /[١٤٣/أ] الفساطيط ، وجعلت في الطيقان ، فكانت لا تزال العمد تسقط على الناس ، فغيرها وأمر بستور أكثف من تلك الستور ، وحبال تأتى من جدة تسمى القنبار وجعلت مشتبكة ، فكانت تجعل على الناس كل جمعة ، فلم تزل حتى خرج محمد بن عبد الله بن حسن يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين ومائة ، فأمر بها فقطعت ذراريع لمن كان يقاتل معه ، فتركت حتى كان زمان هارون فأخذت هذه الأستار اليوم ، ولم يكن يستر بها في زمان بنى أمية[3]. قال عفيف الدين المرجانى : ثم إنها تركت لما جدد الملك الناصر الرواقين . وعن حسن[4] بن مصعب قال : أدركت كسوة الكعبة يؤتى بها المدينة قبل مكة فتنشر على الرضراض في مؤخر المسجد ثم يخرج بها إلى مكة ، وذلك في سنة إحدى وثلاثين أو اثنين وثلاثين ومائة[5]. انتهى وأما الآن فلا يؤتى بها إلى المدينة وإنما يؤتى بها صحبة الركب المصرى .

وأما السقايات : فقال محمد بن الحسن بن زبالة : كان فى صحن المسجد تسع عشرة سقاية إلى أن كتبنا كتابنا هذا في صفر سنة تسع وتسعين ومائة ، منها ثلاث عشرة

---

(١) راجع الدرة الثمينة (ص ١٧٨ ، ١٧٩) .

(٢) هكذا فى الأصل ، وفى الدرة الثمينة : «حجارة مربعة لاصقة» .

(٣) راجع الدرة الثمينة (ص ١٧٩ ، ١٨٠) .

(٤) فى الدرة الثمينة : «حسين بن مصعب» .

(٥) راجع الدرة الثمينة (ص ١٨٠) .

أحدثتها خالصة وهى أول من أحدث ذلك ، وثلاث لزيد البربرى مولى أمير المؤمنين ، وسقاية لأبى البحترى وهب بن وهب ، وسقاية لسحر أم ولد هارون الرشيد ، وسقاية لسلسبيل أم ولد جعفر بن أبى جعفر[1]. قال الحافظ محب الدين : وأما الآن فليس به سقاية إلا أن فى وسطه بركة كبيرة مبنية بالآجر والجص والخشب ، بها درج أربع فى جوانبها ، والماء ينبع من فوارة فى وسطها تأتى من العين الزرقاء ، ولا يكون فيها الماء إلا فى المواسم، بناها بعض أمراء الشام تسمى شامة[2]. قال الشيخ جمال الدين : وكان يحصل /[١٤٣/ب] بهذه البركة انتهاك لحرمة المسجد فسُدت لذلك . قال الحافظ محب الدين : وعملت الجهة[3] أم الخليفة الناصر لدين الله فى مؤخر المسجد سنة تسعين وخمسمائة سقاية فيها عدة من البيوت ، وحفرت لها بئرًا ، وفتحت لها بابًا إلى المسجد فى الحائط الذى يلى الشام وهى تفتح فى الموسم[4].

ذكر احتراق المسجد الشريف

واحترق مسجد رسول الله ﷺ ليلة الجمعة أول شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وستمائة ، بعد خروج نار الحرة الآتى ذكرها فى السنة نفسها ، فكتب بذلك إلى الخليفة المستعصم بالله أبى أحمد عبد الله بن المستنصر فى الشهر المذكور ، فواصل الصناع والآلة فى صحبة حجاج العراق وابتدئ فيه بالعمارة من أول سنة خمس وخمسين وستمائة ، واستولى الحريق على جميع سقوفه حتى لم يبق فيه خشبة واحدة ، وبقيت السوارى قائمة وذاب رصاص بعضها فسقطت ، واحترق سقف الحجرة المقدسة ، وأنشد بعضهم فى ذلك:

لم يحترق حرم النبى لحادث ∴ يخشى عليه ولا دهاه العار
لكنها أيدى الروافض لامست ∴ ذاك الجناب فطهرته النار

وقصة هذه النازلة على ما نقله ابن أبى شامة والمطرى وغيرهما : وذلك أنه لما كانت الليلة ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ظهر بالمدينة دوى عظيم ، ثم زلازل رجفت منها المدينة والحيطان ساعة بعد ساعة ، وكان بين اليوم والليلة أربعة عشر زلزلة ، واضطرب المنبر إلى أن سُمع منه صوت الحديد ، واضطربت

---

(١) راجع الدرة الثمينة (ص ١٨١ ، ١٨٢) .

(٢) الدرة الثمينة (ص ١٨٢) .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى الدرة الثمينة : « الجهمة » . والله أعلم .

(٤) الدرة الثمينة (ص ١٨٢) .

قناديل المسجد ، وسمع لسقف المسجد صرير ، وتمت الزلازل إلى يوم الجمعة ضحى ثم انبجست الأرض بنار عظيمة فى واد يقال له : أحَيْلين بينه وبين المدينة نصف يوم ، ثم انبجست /[١٤٤/أ] من رأسه فى الحرة الشرقية من وراء قريظة على طريق الشوارقية بالمقاعد ، ثم ظهر لها دخان عظيم فى السماء ينعقد حتى يبقى كالسحاب الأبيض ، وللنار ألسن محمرة صاعدة فى الهواء ، وبقى الناس فى مثل ضوء القمر ، وصارت النار قدر المدينة العظيمة ، وما ظهرت إلا ليلة السبت ، وكان اشتعالها أكثر من ثلاث منائر وهى ترمى بشرر كالقصر ، وشررها صخر كالجمال ، وسال من هذه النار واد يكون مقداره خمسة فراسخ ، وعرضه أربعة أميال ، وعمقه قامة ونصف ، وهو يجرى على وجه الأرض ، ويخرج منه أمهاد وجبال يسير على وجه الأرض، وهو صخر يذوب حتى يصير كالآنك ، فإذا جمد صار أسود وقبل الجمود لونه أحمر ، وسال منها واد من نار حتى حاذى جبل أحد، وسالت من أحَيْلين نار تنحدر مع الوادى إلى الشظاة ، والحجارة تسير معها حتى عادت تقارب حرة العريض ، ثم وقعت أيامًا تخرج من النار ألسن ترمى بحجارة خلفها وأمامها حتى نبت لها جبل ، ولها كل يوم صوت من آخر النهار ورؤى ضوء هذه النار من مكة ومن الينبُع ، ولا يرى الشمس والقمر من يوم ظهور النار إلا كاسفين . قال ابن أبى شامة : ظهر عندنا بدمشق أثر الكسوف من ضعف نور الشمس على الحيطان ، وكلنا حيارى من ذلك ما هو حتى أتى خبر النار .

قال المطرى : سارت النار من مخرجها الأول إلى جهة الشمال ثلاثة أشهر تدب كدبيب النمل ، تأكل كلما دبت عليه من جبل أو حجر ولاتأكل الشجر ، فتثير كل ما مرت عليه فيصير سدًّا لا مسلك فيه لإنسان إلى منتهى الحرة من جهة الشمال ، فقطعت فى وسط وادى الشظاة إلى جبل وغيره ، فسدت الوادى المذكور بسد عظيم بالحجر المسبوك بالنار ، ولا كسد ذى القرنين ، لا يصفه إلا من رآه طولاً وعرضًا وارتفاعًا [١٤٤/ب] ، وانقطع وادى الشظاة بسببه ، وصار السيل منحبس خلف السد وهو واد عظيم، فيجتمع خلفه المياه حتى يصير بحرًا كنيل مصر عند زيادته قال -رحمه الله تعالى- : شاهدته كذلك فى شهر رجب من سنة تسع وعشرين وسبعمائة ، قال : وأخبرنى علم الدين سحر المغربى ، من عتقاء الأمير عز الدين منيف بن شيحة بن القاسم بن مُهَنا الحسينى أمير المدينة ، قال : أرسلنى مولاى الأمير المذكور بعد ظهور النار بأيام ومعى شخص من العرب يسمى خطيب بن منان وقال لنا : اقربا من هذه النار وانظرا هل يقدر أحد على القرب منها ؟ فخرجنا إلى أن قربنا منها فلم نجد لها حرًّا ، فنزلت عن فرسى

وسرت إلى أن وصلت إليها وهى تأكل الصخر ، ومددت يدى إليها بسهم فغرق النصل ولم يحترق واحترق الريش . انتهى . قال عفيف الدين المرجانى : انظر إلى عظم لطف البارى تعالى بعباده إذ سخرها بلا حرارة ، إذ لو كانت كنارنا لأحرقت من مدى البعد ، فناهيك بقربها وعظمها ، ولكنها ليست بأول مكارمه ﷺ وامتنان خالقها - عز وجل - إذ خمد حرها ، وجعل سيرها تهويدًا لا تنفيثًا ، حفظًا لنبيه ﷺ ولأمته ، ورفقًا بعباده ولطفًا بهم : ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾[1] . وقد ظهر بظهورها معجزات بان بها آيات [و][2] أسرار بديعة وعنايات ربانية منيعة ، ففى انطماس نورها فكرة ، وسببه عدم حرها ، وفى عدم حرها عبرة ، وسببه خفة سيرها ، وفى استرسال دبيبها قدرة وسببه عدم أكلها ، وفى عدم أكلها حرمة ، وسببه لا يعضد نبتها . قال الشيخ جمال الدين: وأخبرتنى بعض من أدركتها من النساء إنهن كن يغزلن على ضوئها بالليل على أسطحة البيوت .

قال رحمه الله : وظهر /[١٤٥/أ] بظهورها معجزة من معجزات رسول الله ﷺ، وهى ما ورد فى الصحيحين من حديث أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «**لاتقوم الساعة حتى تظهر نار بالحجاز تضئ لها أعناق الإبل ببُصْرى**»[3] . فكانت هى إذا لم يظهر قبلها ولا بعدها ، ثم قال رحمه الله : وظهر لى أنه فى معنى أنها كانت تأكل الحجر ولا تأكل الشجر ، إن ذلك لتحريم سيدنا رسول الله ﷺ شجر المدينة فمُنعت من أكله ؛ لوجوب طاعته ، وهذا من أوضح معجزاته ﷺ ، وقدم إلى المدينة الشريفة فى جمادى الآخرة من السنة المذكورة نجابة من العراق ، وأخبروا أن بغداد أصابها غرق عظيم حتى دخل الماء من أسوارها إلى البلد ، وغرق كثير من البلد ودخل الماء دار الخليفة ، وانهدمت دار الوزير وثلثمائة وثمانون دارًا ، وانهدم مخزن الخليفة وهلك من السلاح شىء كثير ، وأشرف الناس على الهلاك وتخرقت أزقة بغداد ، ودخلت السفن وسط البلدان ، وفى تلك السنة احترق مسجد رسول الله ﷺ ، وكانت ليلة الجمعة أول ليلة من رمضان المعظم . قال الشيخ جمال الدين : وانخرق السد من تحته فى سنة تسعين وستمائة ؛ لتكاثر

---

(١) سورة الملك : الآية (١٤) .

(٢) ليست فى الأصل ، والسياق يقتضى وضعها . والله أعلم .

(٣) أخرجه البخارى : كتاب الفتن - باب خروج النار ح (٧١١٨ - فتح) ، ومسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز ح (٢٩٠٢) من حديث أبى هريرة .

الماء من خلفه ، فجرى فى الوادى المذكور سنة كاملة سيلاً يملأ ما بين جانبى الوادى ، ثم سنة أخرى دون ذلك ، ثم انخرق فى العشر الأول بعد السبعمائة فجرى سنة أو أزيد ، ثم انخرق فى سنة أربع وثلاثين وسبعمائة بعد تواتر أمطار عظيمة ، وعلا الماء من جانبى السد من دونه مما يلى جبل أو غيره ، فجاء السيل طام لا يوصف ، ومجراه على مشهد حمزة ﷺ وحفروا واديًا آخر قبلى الوادى ومشهد حمزة وقبلى جبل عنين ، وبقى المشهد وجبل عنين فى وسط /[١٤٥/ب] السيل أربعة أشهر ، ولو زاد الماء مقدار ذراع وصل إلى المدينة الشريفة . قال رحمه الله تعالى : وكنا نقف خارج باب البقيع على التل الذى هناك فنراه ونسمع خريره ، ثم استقر فى الوادى بين القبلى الذى أحدثته النار والشمالى قريبًا من سنة، وكشف عن عين قديمة قبل الوادى ، فجددها الأمير ودى بن جماز أمير المدينة الشريفة فى ولايته[١]. انتهى . رجعنا إلى المقصود قال الشيخ جمال الدين : ولما ابتدأوا بالعمارة قصدوا إزالة ما وقع من السقوف على القبور المقدسة فلم يجسروا ، ورأوا من الرأى أن يطالعوا الإمام المستعصم فى ذلك ، وكتبوا له فلم يصل إليهم حول ، وحصل للخليفة المذكور شغل باستيلاء التتار على بلادهم تلك السنة ، فتركوا الردم وأعادوا سقفًا فوقه على رؤوس السوارى التى حول الحجرة الشريفة ، فإن الحائط الذى بناه عمر بن عبد العزيز ﷺ حول بيت النبى ﷺ بين هذه السوارى التى حول بيت النبى ﷺ لم يبلغ به السقف الأعلى ، بل جعلوا فوق الحوائط وبين السوارى إلى السقف شباكًا من خشب يظهر لمن تأمله من تحت الكسوة على دوران الحائط جميعه ؛ لأنه أعيد بعد الاحتراق على ما كان عليه قبل ذلك ، وسقفوا فى هذه السنة وهى سنة خمس وخمسين الحجرة الشريفة وما حولها إلى الحائط الشرقى إلى باب جبريل - عليه السلام - ومن جهة الغرب الروضة الشريفة جميعها إلى المنبر المنيف ، ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائة فكان فى المحرم ومنها واقعة بغداد وقتل الخليفة المذكور ، ووصلت الآلة من مصر ، وكان المتولى لها تلك السنة الملك المنصور على بن الملك العزيز بن أيبك الصالحى ، فأرسل الآلات والأخشاب فعملوا إلى باب السلام، ثم عزل /[١٤٦/ أ] صاحب مصر المذكور ، وتولى مكانه مملوك أبيه الملك المظفر سيف الدين قطز المعزى ، واسمه الحقيقى محمد[٢] بن ممدود ، وأمه أخت السلطان جلال الدين خوارزم شاه ، وأبوه ابن عمه ، وقع عليه السبى عند غلبة التتار فبيع بدمشق ثم انتقل بالبيع إلى مصر وتملك فى سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وفى شهر رمضان من السنة

---

(١) راجع تحقيق النصرة مختصر التعريف بما آنست الهجرة (ص ٦٨ - ٧١) .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى التعريف بما آنست الهجرة : « محمود » . وهو الصواب .

المذكورة كانت وقعة عين جالوت على يده ، ثـم قتـل بعـد الوقعـة بشـهر وهـو داخـل إلى مصر، وكان العمل فـى المسـجد الشـريف تلـك السـنة مـن بـاب السـلام إلى بـاب الرحمـة المعروف قديمًا بباب عاتكة بنت عبد اللـه بن يزيد بن معاوية ، كانت لها دار تقابل البـاب فنسب لها كما نسب باب عثمان وباب مروان ، ومن باب جبريل إلى باب النساء المعروف قديمًا بباب ريطة بنت أبي العباس السفاح ، وتولى مصر آخر تلك السنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى المعروف بالبندقدارى ،فعمل فى أيامه باقى المسجد الشريف من بـاب الرحمة إلى شمالى المسجد ثم إلى باب النساء ، وكمل سقف المسجد كما كـان قبـل الحريـق سقفًا فوق سقف ، ولم يزل على ذلك حتى جدّدوا السقف الشـرقي والسـقف الغربـى فـى سنتي خمس وست وسبعمائة فى أول دولة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فجعلا سقفًا واحدًا يشبه السقف الشمالى فإنه جعل فى عمارة الملك الظاهر كذلك[1].

ذكر الخوخ والأبواب التى كانت فى مسجد رسول اللهﷺ

قال الشيخ جمال الدين : اعلم أن الخوخة التـى تحـت الأرض ولهـا شـباك فـى القبلـة وطابق مقفل يفتح أيام الحاج ، وهى طريق آل عبد الله بن عمر - رضى اللـه عنهم - إلى دارهم التى تسمى اليوم دار العشرة ، وإنما هـى دار آل عبـد اللـه /[١٤٦/ب] بـن عمـر ، وكان بيت حفصة - رضى اللـه عنها - قد صار إلى آل عبد الله بـن عمـر - رضـى اللـه عنهم - أجمعين ، فلما أدخل عمر بن عبد العزيز بيت حفصة فى المسجد جعـل لهـم طريقًـا فى المسجد وفتح لهم حائطًا فى الحائط القبلى ، يدخلون منـه إلى المسـجد ولم يـزل كذلـك حتى عمل المهدى بن المنصور المقصورة علـى الرواقين ، فسـد البـاب وجعـل لهـم شـباكًا حديدًا، وحفر لهم من تحت الأرض طريقًا يخرج إلى خارج المقصورة ، فهى هـذه الموجـودة اليوم وهى إلى الآن بيد آل عبد اللـه بن عمر - رضى اللـه عنهـم -وأمـا خوخـة أبـى بكـر ﷺ فإن باب أبي بكر كان فى غربى المسجد ، ونقل أيضًا أنه كان قريبًا مـن المنبر ، ولمـا زاد فى المسجد إلى عمده من المغرب نقلوا الخوخة ، وجعلوها فى مثل مكانها الأول ، كما نقل باب عثمان ﷺ إلى موضعه اليوم[2].

قال الشيخ جمال الدين : وباب خوخة أبى بكر ﷺ اليـوم هـو بـاب خزانـة لبعـض حواصل المسجد ، إذا دخلت من باب السلام كانت على يسارك قريبًا من الباب [3].

---

(١) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٢٥) .

(٢) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٣٠) .

(٣) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٣٠) .

وأما أبواب مسجد رسول الله ﷺ : فذلك أنه لما بنى رسول الله ﷺ مسجده أولاًجعل له ثلاثة أبواب : باب في مؤخره ، وباب عاتكة ، وباب الرحمة ، والباب الذى كان يدخل منه ﷺ وهو باب عثمان رضي الله عنه المعروف اليوم بباب جبريل عليه السلام(١).

قال الحافظ محب الدين : روى عن ربيعة بن عثمان قال : لم يبق من الأبواب التى كان رسول الله ﷺ يدخل منها إلا باب عثمان رضي الله عنه(٢).

قال الشيخ جمال الدين : فلما بنى الوليد بن عبد الملك المسجد جعل له عشرين بابًا ثمانية فى جهة الشرق فى الحائط القبلى :/[١٤٧/ أ] الأول : **باب النبى** ﷺ . سمى بذلك لمقابلته بيت النبى ﷺ لا لأنه دخل منه عليه السلام ، وقد سد عند تجديد الحائط ، وجعل منه شباك يقف الإنسان عليه من خارج المسجد ، فيرى حجرة النبى ﷺ .

الثانى : **باب على** رضي الله عنه كان يقابل بيته خلف بيت النبى ﷺ ، وقد سد أيضًا عند تجديد الحائط .

الثالث : **باب عثمان** رضي الله عنه نقل عند بناء الحائط الشرقى قبالة الباب الأول الذى كان يدخل منه النبى ﷺ وهو باب جبريل ، وهو مقابل لدار عثمان رضي الله عنه ، ثم اشترى عثمان رضي الله عنه دارًا حولها إلى القبلة والشرق ، وشمالها الطريق إلى باب جبريل إلى باب المدينة الأول من عمل جمال الدين الأصبهانى ، ومنه يخرج إلى البقيع فالذى يقابل باب جبريل - عليه السلام - منها اليوم رباط أنشأه جمال الدين محمد بن على بن منصور الأصبهانى وزير بنى زنكى ووقفه على فقراء العجم ، وجعل له فيه مشهدًا دفن فيه ، وكان قد جدد أماكن كثيرة بمكة والمدينة ، منها با ب إبراهيم بمكة وزيادته واسمه مكتوب على الباب ، وتاريخه من سنة ست وأربعين وخمسمائة ، ومنها المنابر بمكة وعليها اسمه ، وكان أولاً قد جدد باب الكعبة وأخذ الباب العتيق وحمله إلى بلده ، وعمل منه تابوتًا حمل فيه بعد موته إلى المدينة الشريفة ، مات مسجونًا بقلعة الموصل سنة تسع وخمسين وخمسمائة وحمل إلى مكة ثم إلى المدينة وأنشد فى ذلك :

سرى نعشه فوق الركاب وطالما ∴ سرى جوده فوق الركاب ونائله

يمر على الوادى فتثنى رماله ∴ عليه وبالبادى فتثنى أرامله/ [١٤٧/ ب]

وهو الذى بنى سور المدينة الثانى بعد السور الأول القديم ، وعمل لها أبوابًا من حديد ولكنه كان على ما حول المسجد ، فلما كثر الناس بالمدينة ووصل السلطان الملك العادل

---

(١) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٣١) .

(٢) الدرة الثمينة (ص ١٨٣) .

نور الدين الشهيد محمود بن زنكى ملك الشام إلى المدينة لأمر حدث بها يأتى ذكره فى آخر هذا الفصل ، أمر ببناء هذا السور الموجود اليوم ، وفى قبلة الرباط المذكور من دار عثمان تربة اشترى عرصتها أسد الدين شيركوه بن شادى عم السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ، وعملها تربة نقل إليها هو و أخوه نجم الدين أيوب بعد موتهما ودفنا بها ، وتوفى أسد الدين شهيدًا بخانوق كان يعتريه سنة أربع وستين وخمسمائة بالقاهرة .

الرابع : **باب ريطة** ويعرف بباب النساء ، وفى أعلاه من خارج لوح من الفسيفساء مكتوب فيه آيه الكرسى من بقية البنيان القديم الذى بناه عمر بن عبد العزيز ، ودار ريطة المقابلة له كانت دارًا لأبى بكر الصديق ﷺ ، ونقل أنه توفى بها وهى الآن مدرسة للحنفية بناها ياركوج أحد أمراء الشام ويعرف بالياركوجية ، وعمل له فيها مشهدًا نقل إليه من الشام بعد موته ، والطريق إلى البقيع بينها وبين دار عثمان ﷺ ، والطريق سبعة أذرع قاله ابن زبالة . قال الشيخ جمال الدين : وهى اليوم قريب من هذا[1] .

الخامس : باب يقابل باب أسماء ابنة الحسين بن عبدالله بن عبيد الله بن العباس كانت لجبلة بن عمرو الساعدى الأنصارى ، ثم صارت لسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ، ثم صارت لأسماء، وقد سد عند تجديد الحائط الشرقى فى أيام الناصر لدين الله سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، ودار أسماء المذكورة هى / [١٤٨/ أ] اليوم رباط للنساء .

السادس : باب يقابل دار خالد بن الوليد وقد دخل فى بناء الحائط المذكور ، ودار خالد الآن رباط للرجال ، ومعها من جهة الشمال دار عمرو بن العاص ، والرباطان المذكوران بناهما قاضى القضاة كمال الدين محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى .

السابع : باب يقابل زقاق المناصع بين دار عمرو بن العاص ودار موسى بن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى ، والزقاق اليوم ينفذ إلى دار الحسن بن على العسكرى -رحمه الله تعالى - وكان الزقاق نافذًا إلى المناصع خارجًا عن المدينة ، وهو متبرز النساء بالليل على عهد رسول الله ﷺ ، ودار موسى بن إبراهيم اليوم رباط للرجال أنشأه محيى الدين عبد الرحيم بن على بن الحسين اللخمى التبانى ثم العسقلانى ، ودخل هذا الباب فى الحائط أيضًا .

الثامن : باب كان يقابل أبيات الصوافى ، دورًا كانت بين موسى بن إبراهيم وبين عبد الله بن الحسين الأصغر بن على بن زين العابدين بن الحسين بن على ، دخل فى الحائط أيضًا وموضع هذه الدور اليوم دار اشتراها صفى الدين أبو بكر بن أحمد السلامى

---

(١) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٣١ ، ٣٢) .

ووقفها على قرابته السلاميين ، وفى شمالى المسجد الشريف أربعة أبواب سدت أيضًا عند تجديد الحائط الشمالى ، وليس فى شمالى المسجد اليوم إلا باب سقاية عمرتها أم الإمام الناصر لدين الله للوضوء فى سنة تسعين وخمسمائة كما تقدم ، ومما يلى المغرب ثمانية أبواب ، بابان مسدودان ، وبقية باب ثالث سد وبقيت منه قطعة ودخل باقيه عند تجديد الحائط ، ثم باب عاتكة إليه ثم باب عاتكة بنت عبد الله بن يزيد وهو باب الرحمة وكان يقابل دار عاتكة ، ثم صارت الدار ليحيى بن خالد بن برمَك وزير الرشيد ، / [١٤٨/ب] وبابان سدا أيضًا عند تجديد الحائط ما بين باب عاتكة هذا وخوخة أبى بكر ﷺ ، ثم خوخة أبى بكر وقد تقدم ذكرها ، ثم الباب الثامن باب مروان بن عبد الحكم، وكانت داره تقابله من المغرب ومن القبلة ، ويعرف الآن بباب السلام وباب الخشوع ، ولم يكن فى القبلة ولا إلى اليوم باب إلا خوخة آل عمر المتقدم ذكرها ، وخوخة كانت لمروان عند داره فى ركن المسجد الغربى .

قال الشيخ جمال الدين : شاهدناها عند بناء المنارة الكبيرة المستجدة فى سنة ست وسبعمائة ، أمر بإنشائها الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وكان بابها عليها وهو من ساج، فلم يبل إلى هذا التاريخ وقد استدت بحائط المنارة المغربى[١] .

ذكر ذرع المسجد اليوم وعدد أساطينه وطيقانه وذكر حدود المسجد القديم

قال عفيف الدين المرجانى : اعلم أن طول المسجد اليوم بعد الزيادات كلها من قبلته إلى الشام مائتا ذراع وأربع وخمسون ذراعًا وأربع أصابع وعرضه من مقدمه من المشرق إلى المغرب مائتا ذراع وسبعون ذراعًا شافة ، وعرضه من مؤخره مائة ذراع وخمسة وثلاثون ذراعًا ، وطول رحبته من القبلة إلى الشام مائة ذراع وتسع وخمسون ذراعًا وثلاث أصابع ، وذلك قبل زيادة الرواقين ، ومن شرقيه إلى غربيه سبع وتسعون ذراعًا راجحة ، وطول المسجد فى السماء خمسة وعشرون . قال الحافظ محب الدين : هذا ما ذرعته أنا بخيط[٢]. وذكر الشيخ جمال الدين أن ابن زبالة ذكر مثل ذلك وما يقاربه[٣].

وذكر ابن زبالة : أن طول منائره خمس وخمسون ذراعًا ، وعرضهن ثمانية أذرع فى ثمانية .

وأما الطيقان ففى القبلة ثمان وستون : منها فى القبر المقدس أربعة ، وفى الشام

(١) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٣١ - ٣٣) .

(٢) الدرة الثمينة (ص ١٨٢) .

(٣) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٢٧)

مثلها ، وفى المشرق أربعون /[١٤٩/ أ] منها اثنتان فى الحجرة المعظمة ، وفى المغرب ستون وبين كل إسطوانتين تسعة أذرع[1] ، وذلك قبل زيادة الرواقين وليس على رؤوس السوارى أقواس بل عوارض غير الدائر بالرحبة ، والرواقين اللذين زيدا فى دولة الملك الناصر .

وأما حدود مسجد الرسول ﷺ القديم المشار إليه أولاً فذكر الحافظ محب الدين - أن حده من القبلة الدرابزينات التى بين الأساطين التى فى قبة الروضة الشريفة ، ومن الشام الخشبتان المغروزتان فى صحن المسجد هذا طوله ، أما عرضه من المشرق إلى المغرب فهو من حجرة النبى ﷺ إلى الإسطوان الذى بعد المنبر الشريف وهو آخر البلاط[2].

قال الشيخ جمال الدين : أما الدرابزينات التى ذكرت فى جهة القبلة فهى متقدمة عن موضع الحائط القبلى الذى كان محاذيًا لمصلى رسول الله ﷺ ، لما ورد أن الواقف فى مصلى رسول الله ﷺ تكون رمانة المنبر الرفيع حذو منكبه الأيمن ، فمقام النبى ﷺ لم يغير باتفاق ، وكذلك المنبر الشامى لم يؤخر عن منصبه الأول ، وإنما جعل هذا الصندوق الذى فى قبلة مصلى رسول الله ﷺ سترة بين المقام وبين الإسطوانات ، وورد أيضًا أنه كان بين الحائط القبلى وبين المنبر ممر الشاة ، وبين المنبر والدرابزين اليوم مقدار أربعة أذرع وربع، ثم قال - رحمه الله - : وفى صحن المسجد اليوم حجران ، يذكر أنهما حد مسجد رسول الله ﷺ من الشام والمغرب ولكنهما ليسا على سمت المنبر الشريف ، بل هما داخلان إلى جهة المشرق مقدار أربعة أذرع أو أقل ، وكذلك هما متقدمان إلى القبلة بمثل ذلك لأنى اعتبرت /[١٤٩/ ب] ذلك بالذراع فوجدتهما ليسا على حد ذرع المسجد الأول[3]. والله أعلم .

قال الحارث بن أسد المحاسبى : حد المسجد الأول ستة أساطين فى عرضه عن يمين المنبر إلى القناديل التى حذاء الخوخة ، وثلاث سوارى عن يساره من ناحية المنحرف ، ومنتهى طوله من قبلته إلى مؤخره حذاء تمام الرابع من طيقان المسجد اليوم ، فما زاد على ذلك فهو خارج عن المسجد الأول ، قال : وروى عن مالك أنه قال : مؤخر المسجد بحذاء عضادة الباب الثانى الذى يقابل باب عثمان ، وهو باب النبى ﷺ - أعنى العضادة الآخرة السفلى ، وهو أربعة طيقان من المسجد ما قصر حتى يصير فى الروضة ، والروضة ما بين

---

(١) إلى هنا راجعه فى الدرة الثمينة (ص ١٨٢ ، ١٨٣) .

(٢) الدرة الثمينة (ص ١٨٣) .

(٣) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٢٦ ، ٢٧) .

القبر والمنبر فماكان منها من الإسطوانة السادسة التى حدثت لك عن يمين المنبر فليس من المسجد الأول ، إنما كان من حجرة عائشة - رضى الله عنها - فوسع به المسجد وهو من الروضة وتدنو من ناحية المنبر على يمينك حذاء الصندوق الموضوع هناك إلى المنبر ، يروى أنه من وقف حذاء ذلك الصندوق وجعل عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن ، فقد وقف موقف رسول الله ﷺ الذى كان يقوم فيه .

قال قاضى القضاة عز الدين بن جماعة فى «مناسكه الكبرى »: وقد حررت ذرع ما حول ما به المسجد فى زمنه ﷺ ، فكان ما بين الجدار الذى داخله الحجرة المقدسة وبين السارية السابعة اثنان وأربعون ذراعًا وثلثا ذراع ، وما بين الدرابزين والحجرتين ستة وأربعون ذراعًا وثلثا ذراع ، وذرعت ما بين الجدار الذى حول الحجرة الشريفة وبين المنبر فكان أربعة وثلاثين ذراعًا وقيراطًا وذلك طول الروضة الشريفة ، قال : ولم يتحرر لى عرضها وما سامت بيت النبى ﷺ/ [١٥٠/ أ] ، أو المنبر فهو من الروضة بلا شك ، وبين المنبر والدرجة التى ننزل منها إلى الحضرة التى هى مصلى رسول الله ﷺ عن يمين الإمام تسعة أذرع و قيراط ، وعرض الدرجة سدس ذراع وثمن ذراع ، وسعة الحضرة ذراع وثلث ذراع و ربع ذراع وثمن ذراع فى مثله ، كل ذلك بذراع العمل بمصر المحروسة . انتهى كلام ابن جماعة . ورحَبة المسجد مقدارثلاثة عشر ، وعلى جانبها بئر ، وعلى جانبها الغربى قبة حاصل المسجد الشريف أنشأ لها السلطان الملك الناصر ، وبهذه القبة المصحف العثمانى ، وأول من جمع القرآن بين اللوحين أبو بكر ﷺ ثم إنه أمر زيد بن ثابت بجمع القرآن وذلك بعد أيام اليمامة ، فلما جمعه زيد كان عند حفصة ، فأرسل عثمان إلى حفصة: أرسلى إلينا بالمصحف فننسخها بالمصاحف ، ثم جمع زيدًا وعبد الله بن عمرو بن العاص وابن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وأمرهم بنسخها فى مصحف ففعلوا ، ثم رد عثمان المصحف إلى حفصة ، وقيل : أحرقها ، وقيل : جعل منها أربع نسخ فبعث أحدهن إلى الكوفة ، وإلى البصرة أخرى ، وإلى الشام الثالثة ، وأمسك عند نفسه واحدة فهى التى بالمدينة ، وقيل : جعل سبع نسخ ، ووجه من ذلك أيضًا نسخة إلى مكة ، ونسخة إلى اليمن ، ونسخة إلى البحرين ، والأول أصح .

قال عفيف الدين المرجانى : وبمكة الآن منهن نسخة ، وذكروا أنها كانت عليها شبكة من اللؤلؤ فيما تقدم ، وكان أهل مكة يستسقون بها وكانت فى جوف الكعبة ، وهى فى مقدار قطع ذراع فى ذراع . انتهى كلامه .

ذكر أسوار المدينة الشريفة

السور الأول : نقل قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان : أن هـذا السـور القديـم بناه عضد الدولة / [١٥٠/ب] ابن نوبة المسمى بالحسن بن موسى بعد الستين وثلاثمائة فـى خلافة الإمام الطائع لله بن المطيع ، ثم تهدم على طول الزمان ولم يبق إلا آثاره وهى باقيـة إلى الآن .

السور الثانى : هو الذى بناه جمال الدين الأصبهانى على رأس الأربعين وخمسمائة .

السور الثالث : بناه السلطان الملك العادل ، وذلك أن المدينة الشريفة ضاقت بأهلها فلما قدم السلطان المذكور فى سنة سبع وخمسين وخمسمائة إلى المدينة بسبب رؤيـا رآهـا ، استغاث به أهل المدينة وطلبوا أن يبنى عليهم سورًا يحفظهم ويحفـظ مواشـيهم ، فـأمر ببنـاء هذا السور الموجود اليوم ، فبنى فى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وكتب اسمـه علـى بـاب البقيع وهو باق إلى اليوم ، وقصة الرؤيا على ما حكاه الطبرى وغيره : أن السلطان محمـودًا رأى النبى ﷺ ثلاث مرات فى ليلة واحدة ، وهو يقول له فى كل واحدة منها : يا محمـود أنقذنى من هذين الشخصين الأشقرين فحلفه ، فاستحضر وزيره قبل الصبح فذكر له ذلـك فقال : هذا أمر حدث بالمدينة ليس له غيرك ، فتجهز وخرج على عجل بمقدار ألف راحلـة وما يتبعها من خيل وغير ذلك حتى دخل المدينـة الشريفة علـى غفلـة مـن أهلهـا ، وزار وجلس فى المسجد لايدرى ما يصنع ، فقال له وزيـره : أتعـرف الشـخصين إذا رأيتهمـا ؟ قال نعم ، فأمره بالصدقة وطلب الناس عامة وفـرق عليهـم ذهبًـا وفضـة ، وقـال : لايبقـين أحد بالمدينة إلا جاء ، فلم يبق إلا رجلين مهاجرين من أهل الأندلس نازلين فى الناحية التى تلى قبلة حجرة النبى ﷺ من خارج المسجد عند دار آل عمر بـن الخطـاب ﷺ فطلبهمـا /[١٥١/ أ] للصدقة فامتنعا ، فجد فى طلبهما فجئ بهما فلما رآهما ، قـال : همـا هـذان فسألهما عن حالهما ، فقالا : جئنا للمجـاورة ، فقـال : اصدقـانى ، وتكـرر السـؤال حتى أفضى إلى معاقبتهما ، فأقرا أنهما مـن النصـارى وأنهمـا وصـلا لكـى ينقـلا مـن فـى هـذه الحجرة المقدسة باتفاق من ملوكهما ، ووجدوهما قد حفرا نقبًا من تحت الأرض من تحـت حائط المسجد القبلى ، وهما قاصدان إلى جهة الحجرة الشريفة ، ويجعـلان الـتراب فـى بـئر عندهما فى البيت الذى هما فيه ، فضرب أعناقهما عنـد الشـباك الـذى فـى شـرقى حجـرة النبى ﷺ خارج المسجد ، ثم أحرقا آخـر النهـار ، وركـب وتوجـه إلى الشـام . انتهـى . والله أعلم .

الفصل السابع

في ذكر المساجد التي صلى فيها النبي ﷺ المعروفة بالمدينة وغيرها وفيه ذكر المساجد المعروفة بالمدينة الشريفة وذكر مساجد بالمدينة صلى فيها لا تعرف اليوم وذكر المساجد التي صلى فيها النبي ﷺ بين مكة والمدينة وذكر المساجد المشهورة في الغزوات وغيرها التي صلى فيها ﷺ

أما ذكر المساجد المعروفة بالمدينة الشريفة

فمنها : **مسجد قباء** . قال الله تعالى : ﴿**لمسجد أسس على التقوى من أول يوم**﴾[1] . أى بنيت جدره ورفعت قواعده[2] .

عن ابن عباس والضحاك والحسن : هو مسجد قباء ، وتعلقوا بقوله تعالى : ﴿**من أول يوم**﴾ . وهو قول بريرة وابن زيد وعروة ، ودليل الظرف يقتضى الرجال المتطهرين فهو مسجد قباء[3] . وعن أبى هريرة قال : نزلت هذه الآية فى أهل قباء : ﴿**فيه رجال يحبون أن يتطهروا**﴾[4] . فيه أى من حاضريه ، قيل : كانوا يجمعون بين الماء /[١٥١/ب] والحجر.

مسجد قباء فى بنى عمرو بن عوف كان مربدًا لكلثوم بن الهدم فأعطاه رسول الله ﷺ فبناه مسجدًا وأسسه وصلى فيه قبل أن يدخل المدينة حين قدومه من مكة ، كما تقدم. وتقدم فى باب الفضائل الأحاديث الواردة فى فضل قباء[5] والصلاة فيه .

وروى نافع عن ابن عمر أن النبى ﷺ صلّى إلى الإسطوان الثالث فى مسجد قباء التى فى الرحبة[6] .

قال الحافظ محب الدين : ولم يزل مسجد قباء على ما بناه رسول الله ﷺ إلى أن بناه عمر بن عبد العزيز حين بنى مسجد رسول الله ﷺ ووسعه ، ونقشه بالفسيفساء وسقفه بالساج وعمل له منارة ، وجعل له أروقة وفى وسطه رحبة ، فتهدم حتى جدده جمال الدين الأصبهانى وزير بنى زنكى فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، قال: وذرعته فكان طوله ثمانية وستين ذراعًا راجحًا قليلاً ، وعرضه كذلك ، وارتفاعه فى السماء عشرون ذراعًا ، وطول منارته فى سطحه اثنان وعشرون ذراعًا ، وعلى رأسها قبة نحو العشرة أذرع ، وفى المسجد تسع وثلاثون إسطوانة ، بين كل إسطوانتين سبعة أذرع راجحة ، وفى جدرانه طاقات فى كل جانب ثمان إلا الجانب الشامى فإن الثانية سدت

---

(١) سورة التوبة : الآية (١٠٨) .

(٢) راجع تفسير القرطبى (٢٥٩/٨) .

(٣) راجع تفسير القرطبى (٢٥٩/٨) .

(٤) راجع تفسير القرطبى (٢٥٩/٨) ، وتفسير ابن كثير (٣٣٦/٢) .

(٥) مما جاء فى فضل قباء والصلاة فيه ، قوله ﷺ فى الحديث الصحيح : «من توضأ فأحسن الوضوء ، وجاء مسجد قباء ، فصلى فيه ركعتين ، كان له أجر عمرة» . أخرجه ابن ماجه ح (١٤١٢) ، وأحمد: المسند (٤٨٧/٣) .

(٦) راجع الدرة الثمينة لابن النجار (ص ١٨٨) .

بالمنارة ، ومنارة مربعة وهى على يمين المصلى[١].

ومنها مسجد الفتح . عن جابر ﷺ ، أن النبى ﷺ دعا فى مسجد الفتح يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ، فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين ، فعرف البشر فى وجهه[٢]. وقد تقدم فى باب الفضائل . وعن هارون بن كثير عن أبيه عن جده، /[١٥٢/أ] أن رسول الله ﷺ دعا يوم الخندق على الأحزاب فى موضع الإسطوانة الوسطى من مسجد الفتح الذى على الجبل[٣]. قال الشيخ جمال : مسجد الفتح على قطعة من جبل سَلْع من جهة المغرب ، وغربيه وادى بطحان ، وتحته فى الوادى عين تجرى ، ويعرف الموضع بالسيح بالسين المهملة - يصعد إلى المسجد من درجتين شمالية وشرقية ، وكانت فيه ثلاث إسطوانات قبل هذا البناء الذى هو اليوم عليه من بناء عمر بن عبد العزيز فتهدم ، ثم جدده الأمير سيف الدين الحسين بن أبى الهيجا أحد وزراء العبيديين بمصر فى سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وكذلك جدد المسجدين اللذين تحته من جهة القبلة ، يعرف الأول القبلى بمسجد على بن أبى طالب ﷺ ، والثانى يلى الشمال يعرف بمسجد سلمان الفارسى ﷺ جددهما فى سنة سبع وسبعين وسبعمائة[٤]. وذكر الحافظ محب الدين: أنه كان معهما مسجد ثالث فذلك لم يبق له أثر[٥]. قال الحافظ محب الدين : وروى عن معاذ بن سعد أن رسول الله ﷺ صلى فى مسجد الفتح الذى على الجبل ، وفى المساجد التى حوله ، وفى المسجدين القبليين[٦].

ومنها : مسجد القبلتين . عن عثمان بن محمد الأخنسى[٧] ، أن رسول الله ﷺ زار امرأة من بنى سلمة يقال لها أم بشر[٨] فى بنى سلمة فصنعت له طعامًا ، فحانت الظهر فصلّى رسول الله ﷺ بأصحابه فى مسجد القبلتين الظهر ، فلما صلى ركعتين أمر أن يتوجه إلى الكعبة فاستدار رسول الله ﷺ إلى الكعبة . فسمى ذلك مسجد القبلتين ،

---

(١) الدرة الثمينة (ص ١٨٨) .

(٢) أورده عمر بن شبه (٥٨/١) ، وكذا ابن النجار فى الدرة الثمينة (ص ١٨٩) .

(٣) الدرة الثمينة (ص ١٨٩) ، ووفاء الوفا (٨٣٢/١) ، وأورده ابن الجوزى فى مثير الغرام (ص ٤٩٦) .

(٤) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٤٧) .

(٥) الدرة الثمينة (ص ١٨٩) .

(٦) الدرة الثمينة (ص ١٨٩) .

(٧) فى الدرة الثمينة : «الأحبشى» .

(٨) فى الدرة الثمينة : «أم بشير» .

وكانت الظهر يومئذ أربع ركعات ، منها /[١٥٢/ب] اثنان إلى بيت المقدس ، واثنان إلى الكعبة[١] ، وصرفت القبلة يوم الثلاثاء النصف من شعبان في السنة الثانية من الهجرة ، وقيل : بل صرفت القبلة في مسجد رسول الله ﷺ في صلاة العصر يوم الاثنين النصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرًا من الهجرة . وقال ابن المسيب : صرفت قبل بدر بشهرين . والأول أصح[٢]. قال الحافظ محب الدين : وهذا المسجد بعيد من المدينة قريب من بئر رومة وقد تقدم ، ولم يبق إلا آثاره ، وموضع المسجد يعرف بالقاع[٣] ، والقاع المكان المستوى . قال عفيف الدين المرجاني : وبهذا الوادى سار رسول الله ﷺ ومن معه بالخيل والإبل على ظهر الماء لما أن غزا خيبر قال[٤] ﷺ : وجدنا السيول بالقاع فقدرنا الماء فإذا هو أربعة عشر قامة فنزل رسول الله ﷺ فسجد ودعا ثم قال : «**سيروا على اسم الله**» ، فسرنا على الماء . وكان ذلك نظير فلق البحر لموسى -عليه السلام- .

قال الشيخ جمال الدين : ومسجد القبلتين بعيد عن مسجد الفتح من جهة الغرب على رابية على شفير وادى العقيق ، وحوله خراب عتيق على الحرة ، وحوله آبار ومزارع تعرف بالعرض ، فى قبله مزارع الجرف المعروف بالمسجد المذكور فى قرية بنى سلمة ، ويقال لها خرباة ، ثم قال : وفى هذا المسجد وهو مسجد بنى حزام من بنى سلمة رأى رسول الله ﷺ النخامة فحكها بعرجون كان فى يده ، ثم دعا بخلوق فجعله على رأس العرجون ، ثم جعله على موضع النخامة ، فكان أول مسجد خلق فى الإسلام[٥].

ومنها مسجد الفضيخ . روى هشام بن عروة والحارث بن فضيل[٦] أنهما قالا : صلّى رسول الله ﷺ [١٥٣/أ] فى مسجد الفضيخ[٧]. وعن جابر بن عبد الله أن النبى ﷺ لما حاصر بنى النضير ضرب قبته فى موضع مسجد الفضيخ وأقام بها ستًّا ، قال : وجاء تحريم الخمر فى السنة الثالثة من الهجرة ، وقيل : فى السنة الرابعة ، وأبو أيوب فى نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فى موضعه معهم راوية[٨] خمر من فضيخ ، فأمر أبو

---

(١) الدرة الثمينة (ص ١٩٠) .

(٢) راجع الدرة الثمينة (ص ١٩٠) .

(٣) الدرة الثمينة (ص ١٩٠) .

(٤) فى الأصل كلمة غير واضحة ، بعد هذه الكلمة ، والسياق مستقيم بدونها .

(٥) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٤٨) .

(٦) فى الدرة الثمينة : «فضل» .

(٧) الدرة الثمينة (ص ١٩٠) .

(٨) راوية خمر : المزادة التى يستقى فيها .

أيوب ﷺ بعزلا المزَادَة ففتحت فسال الفضيخ فيه فسمى مسجد الفضيخ ، والفضيخ : نوع من الخمر . وهو ما افتضخ من البُسْر من غير أن تمسه النار ، ويقال له : الفضوخ وهو من أسماء الخمر . قال الحافظ محب الدين : ومسجد الفضيخ قريب من قباء من شرقيه ويعرف بمسجد الشمس[1]. قال الشيخ جمال الدين : وهو على شفير الوادى على نشز من الأرض ، مرضوم بحجارة سود وهو صغير جدا[2].

ومنها : مسجد بني قريظة. عن محمد بن عتبة بن أبى مالك قال : قال[3] ﷺ في بيت امرأة من الحضر في بنى قريظة ، فأدخل الوليد بن عبد الملك ذلك البيت في المسجد حين بناه . قال الحافظ محب الدين : روى عن على بن رفاعة عن أشياخ من قومه ، أن النبى ﷺ صلّى فى بيت امرأة من بنى قريظة ، فأدخل ذلك المكان فى مسجد بنى قريظة ، وهو المكان الذى صلّى فيه رسول الله ﷺ ببنى قريظة[4] ، وقيل : إنما أدخل البيت فى المسجد عمر بن عبد العزيز حين بناء مسجد قُباء . قال الحافظ محب الدين : وهذا المسجد باق بالعوالى طوله نحو العشرين ذراعًا ، وعرضه كذلك ، وفيه نحو الستة عشر إسطوانًا ، فتهدم ووقعت /[١٥٣/ب] منارته وأخذت أحجاره ، وقد كان مبنيا على شكل بناء مسجد قباء وحوله بساتين ومزارع[5]. قال الشيخ جمال الدين : هذا المسجد شرقى مسجد الشمس بعيدًا عنه بالقرب من الحرة الشرقية على باب حديقة ، يعرف الآن بحاجوم وقف على الفقراء بين أبيات خراب ، هى بعض دور بنى قريظة ، وهى شمالى باب الحديقة ، وطوله نحو من خمسة وأربعين ذراعًا ، وعرضه كذلك ، وبقى أثره إلى العشر الأول بعد السبعمائة ، فجدد وبنى عليه حَضير مقدار نصف قامة ، وكان قد نسى فمن ذلك التاريخ عرف[6].

ومنها : مسجد الجمعة . وهو الذى أدرك فيه رسول الله ﷺ صلاة الجمعة بعد أن أسس مسجد قباء وهو قادم إلى المدينة . قال الشيخ جمال الدين : وهذا المسجد على يمين السالك إلى مسجد قباء شماليه أُطم خراب ، ويقال له : المزدلفة ، أطم عتبان من بنى مالك وهو فى بطن الوادى ، وهو مسجد صغير مبنى بحجارة قدر نصف القامة ، وهو الذى كان

---

(١) الدرة الثمينة (ص ١٩٠) .

(٢) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٤٥) .

(٣) قال من القيلولة – وهو النوم قبيل الظهر أو بعده .

(٤) الدرة الثمينة (ص ١٩٠) .

(٥) الدرة الثمينة (ص ١٩٠) .

(٦) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٤٥) .

يحول السيل بينه وبين عتبان إذا سال ، والآن منازل بنى سالم بن عوف كانت غربى هذا الوادى على طرف الحرة وآثارهم باقية هناك ، فسأل عتبان رسول الله ﷺ أن يصلى له فى بيته يتخذه مصلى ففعل ﷺ(١).

ومنها : **مسجد بنى ظفر من الأوس** . عن إدريس بن محمد بن يوسف بن محمد بن أنيس بن فضالة الصفرى عن جده ، أن رسول الله ﷺ جلس على الحجر الذى فى مسجد بنى ظفر ، وأن زياد بن عبيد الله أمر بقلعه حتى جاءته مشيخة بنى ظفر فأعلموه أن رسول الله ﷺ جلس عليه فرده ، قال : فقل امرأة يصعب حملها تجلس عليه إلا /[١٥٤/أ] حملت ، وعنده أثر فى الحجر يقال : إنه أثر حافر بغلة النبى ﷺ من جهة القبلة، وفى غربيه حجر عليه أثر كأنه أثر مرفق ، وعلى حجر آخر أثر أصابع والناس يتبركون بها . قال الشيخ جمال الدين : وهذا المسجد شرقى البقيع مع طرف الحرة الشرقية ويعرف اليوم بمسجد البغلة(٢).

ومنها : **مسجد بنى معاوية بن مالك بن النجار بن الخزرج** . عن عتيك بن الحارث أنه قال : جاءنا عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - فى بنى معاوية وهى قرية من قرى الأنصار ، فقال : هل تدرون أين صلّى رسول الله ﷺ فى مسجدكم هذا ؟ قلت: نعم وأشرت إلى ناحية منه ، فقال : هل تدرى ما الثلاث التى دعا بها ؟ قلت نعم قال : فأخبرنى بهن ، قلت : دعا أن لا يظهر عليهم عدو من غيرهم فأعطيها ، وأن لا يهلكهم بالسنين فأعطيها ، وأن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعها ، قال عبد الله بن عمر : صدقت . فلن يزال الهراج إلى يوم القيامة . قال الشيخ جمال الدين ويعرف هذا المسجد اليوم بمسجد الإجابة ، وهو شمالى البقيع على يسار طريق السالك إلى العريض وسط تلول ، وهى أثر قرية بنى معاوية وهى اليوم خراب(٣). قال الحافظ محب الدين : فيجب زيارة هذه المواضع وإن لم تعرف أسماؤها ؛ لأن الوليد بن عبد الملك كتب إلى عمر بن عبد العزيز : مهما صح عندك من المواضع التى صلّى فيها رسول الله ﷺ فابن عليها مسجدًا ، فالآثار كلها أثر بناء عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه(٤).

وأما مشربة أم إبراهيم بن سيدنا رسول الله ﷺ . فروى إبراهيم بن محمد بن يحيى بن محمد بن ثابت ، أن النبى ﷺ صلّى /[١٥٤/ب] فى مشربة أم إبراهيم - عليه

(١) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٤٤ ، ٤٥) .

(٢) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٤٦) .

(٣) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٤٧) .

(٤) الدرة الثمينة (ص ١٩١) .

السلام – . قال الحافظ محب الدين : هذا الموضع بالعوالى بين النخل ، وهو أكمة قد حوط حولها بلبن ، والمشربة البستان ، وأظنه قد كان بستانًا لمارية القبطية أم إبراهيم ابن النبى ﷺ[١] . قال الشيخ جمال الدين : المشربة شمالى مسجد بنى قريظة قريبًا من الحرة الشرقية، فى موضع يعرف بالدشت بين نخل يعرف بالأشراف القواسم من بنى قاسم بن إدريس بن جعفر أخ الحسين العسكرى ؛ لأن آل شعيب بن جماز منهم ، وصهيب بالقرب من دار بنى الحارث بن الخزرج التى كان أبو بكر ﷺ نازلاً فيها بزوجته حبيبة بنت خارجة وقيل: مليكة أخت ابن خارجة[٢].

ومنها : **مصلى رسول الله ﷺ العيد** . عن هشام بن سعيد بن إبراهيم بن أبى أمية وعن شيخ من أهل السن ، أن أول عيد صلاّه رسول الله ﷺ صلاّه فى حارة الدوس عند بيت أبى الجنوب ، ثم صلى العيد الثانى بفناء دار حكيم بن العداء عند دار حفرة داخلاً فى البيت الذى بفناء المسجد ، ثم صلى العيد الثالث عند دار عبد الله بن درَّة المازنى داخلاً بين الدارين دار معاوية ودار كثير بن الصَّلت ، ثم صلى العيد الرابع عند أحجار عند الحناطين بالمصلى ، ثم صلّى داخلاً فى منزل محمد بن عبد الله بن كثير بن الصلت ، ثم صلى حيث صلى الناس اليوم . وروى عن أبى هريرة ﷺ أن أول فطر أو أضحى جمع فيه رسول الله ﷺ بفناء دار حكيم بن العداء عند أصحاب المحامل . وروى عن محمد بن عمار ابن ياسر أن رسول الله ﷺ كان يسلك إلى المصلى من الطريق العظمى على أصحاب الفساطيط، [١٥٥/ أ] ويرجع من الطريق الأخرى على دار عمار بن ياسر ﷺ. وروى عن عائشة بنت سعد بن أبى وقاص عن أبيها ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال : « **ما بين مسجدى إلى المصلى روضة من رياض الجنة** » . وروى عن حمزة[٣] عن عائشة –رضى الله عنها – أن النبى ﷺ كان يذبح أضحيته بيده إذا انصرف من المصلى على ناحية الطريق التى كان ينصرف منها، وتلك الطريق والمكان الذى كان يذبح فيه ﷺ مقابل المغرب مما يلى طريق بنى زريق .

قال الشيخ جمال الدين : وأما الطريق العظمى فهى طريق الناس اليوم من باب المدينة إلى المصلى، وهو الذى قال فيه : ثم صلّى حيث يصلّى الناس اليوم ، ولايعرف من المساجد التى ذكرت لصلاة العيد إلا هذا الذى يصلى فيه العيد اليوم[٤]. قال : وشماليه مسجد وسط

---

(١) الدرة الثمينة (ص ١٩١) .

(٢) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٤٥) .

(٣) فى التعريف بما آنست الهجرة : « عمرة » . والله أعلم .

(٤) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٤٨ ، ٤٩) .

الحديقة المعروفة بالعريض المتصلة بقبة عين الأزرق ، ويعرف اليوم بمسجد أبى بكر الصديق رضي الله عنه ولعله صلّى فيه فى خلافته ، وشمالى الحديقة أيضًا مسجد كبير متصل يسمى مسجد على بن أبى طالب رضي الله عنه، ولم يرد أنه صلى بالمدينة عيدًا فى خلافته . فتكون هذه المساجد الموجودة اليوم من الأماكن التى صلى فيها النبى ﷺ سنة بعد سنة ، إذ لايختص أبو بكر وعلى -رضى الله عنهما - بمسجدين لأنفسهما ويتركان المسجد الذى صلّى فيه رسول الله ﷺ [1]. قال الشيخ جمال الدين : وليس بالمدينة الشريفة مسجد يعرف غير ما ذكر إلا مسجد على ثنية الوادى على يسار الداخل إلى المدينة من طريق / [١٥٥/ ب] الشام ، ومسجد آخر صغير على طريق السافلة ، وهى الطريق اليمنى الشرقية إلى مسجد[2] حمزة رضي الله عنه ، يقال : إنه مسجد أبى ذر الغفارى رضي الله عنه ولم يرد فيهما نقل يعتمد عليه[3].

وأما مسجد الضرار : فهو المسجد الذى بناه المنافقون مضاهاة لمسجد قباء ، فلما بنوه أتوا النبى ﷺ وهو متجهز إلى تبوك فأمروه أن يصلى لهم فيه ، فقال «**إنى على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا إن شاء الله لأتيناكم فصلينا لكم فيه**». فلما نزل رسول الله ﷺ بذى أوان - بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار مرجعه من تبوك - أتاه خبر المسجد، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدُّخْشُم ومعن بن عدى وأخاه عاصمًا ، وفى رواية وعامر ابن السَّكن ووحشيا قاتل حمزة ، فقال :«**انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه** ». فخرجا حتى أتيا سالم بن عوف فأخذ سعفًا من النخل وأشعلاه ، ثم دخلا المسجد وفيه أهله فحرقاه وهدماه ، وأنزل الله تعالى فيه : ﴿**والذين اتخذوا مسجدًا ضراراً** ... ﴾[4] إلى آخر القصة[5] نزلت هذه الآية فى أبى عامر الراهب ؛ لأنه كان خرج إلى قيصر وتنصر ، ووعدهم قيصر أنه سيأتيهم فبنوا مسجد الضرار[6] ، وكان الذين بنوه اثنا عشر رجلاً: خذام بن خالد ومن بيته أخرج المسجد ، ومُعَتب بن قشير ، وأبو حُبيبة بن الأزعر ، وعبّاد بن حنيف ، وجاريةبن عامر ، وابناه مجمع[7] ، وبَحْزَج ،

---

(١) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٤٩) .

(٢) فى التعريف بما آنست الهجرة : « مشهد » .

(٣) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٤٩) .

(٤) سورة التوبة : الآية (١٠٧) .

(٥) راجع السيرة النبوية لابن هشام (٩٢/٤) ، تفسير القرطبى (٢٥٣/٨) ، وتفسير ابن كثير (٣٣٥/٢) .

(٦) راجع تفسير القرطبى (٢٥٣/٨) ، وتفسير ابن كثير (٣٣٥/٢) .

(٧) فى ابن هشام : مجمع وزيد بن جارية .

ونبيل[1] بن الحارث ، ويخلد بن عثمان[2] ، وذريعة بن ثابت[3] ، وثعلبة بن حاطب ، مذكور فيهم وفيه نظر ، لأنه شهد بدرًا[4] قاله ابن عبد البر .

وكل مسجد بنى /[١٥٦/أ] على ضرار أورياء أو سمعة فحكمه حكم مسجد الضرار لاتجوز الصلاة فيه[5]. قال النقاش: فيلزم أن لايصلى فى كنيسة ونحوها ، فإنها بنيت على شر . قال القرطبى : هذا لا يلزم ؛ لأن الكنيسة لم يقصد بها الضرر بالعين ، وإن كان أصل بنائها على شر ، إنما بنوها لعبادتهم ، وقد أجمع العلماء أن من صلى فى كنيسة أو بيعة على موضع طاهر جاز[6].

وذكر أبو داود عن عثمان بن العاص أن النبى ﷺ أمره أن يجعل مسجد الطائف حيث كانت طواغيتهم . وقوله تعالى : ﴿**لاتقم فيه أبدًا**﴾[7]. قد يعبر عن الصلاة بالقيام، ومنه : «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»[8] . وروى أن النبى ﷺ كان لا يمر بالطريق التى فيها هـذا المسجد ، وأمر بموضعه أن يتخذ كناسة ومزبلة[9] ،

وروى سعيد بن جبير أن النبى ﷺ لما أرسل ليهدم رؤى الدخان يخرج منه . وقيل : كان الرجل يدخل فيه سعفة فيخرجها سوداء محترقة . وعن ابن مسعود أنه قال : جهنم فى الأرض ثم تلا ﴿**فانهار به فى جهنم**﴾[10].

قال القرطبى : اختلف هل ذلك حقيقة أم مجاز على قولين ، أحدهما : أن ذلك حقيقة وأنه كان يحفر ذلك الموضع الذى انهار به فيخرج منه دخان[11] وقال جابر بن

---

(١) فى ابن هشام : «نبتل بن الحارث» .

(٢) فى ابن هشام : «بجاد بن عثمان» .

(٣) فى ابن هشام : «وديعة بن ثابت» .

(٤) راجع تفسير القرطبى (٢٥٤/٨) وتفسير ابن كثير (٢٣٥/٢) ، وابن هشام (٩٢/٤) .

(٥) تفسير القرطبى (٢٥٤/٨) .

(٦) راجع تفسير القرطبى (٢٥٥/٨) .

(٧) سورة التوبة : الآية (١٠٨) .

(٨) أخرجه البخارى : كتاب الإيمان - باب تطوع قيام رمضان من الإيمان ح (٣٧ - فتح) ، ومسلم : كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الترغيب فى قيام رمضان وهو التراويح ح (٧٥٩) من حديث أبى هريرة ﷺ .

(٩) راجع تفسير القرطبى (٢٥٨/٨) .

(١٠) سورة التوبة : الآية (١٠٩) .

(١١) تفسير القرطبى (٢٦٥/٨) ، والقول الثانى : أن ذلك مجاز ، والمعنى صار البناء فى نار جهنم ، فكأنه انهار إليه وهوى فيه . قال : والظاهر الأول ، إذ لا إحالة فى ذلك . والله أعلم .

عبد الله : أنا رأيت الدخان يخرج منه[1]. وقال خلف بن سيرين : رأيت في مسجد المنافقين حجراً يخرج منه الدخان[2]. قال الحافظ محب الدين : هذا المسجد قريب من مسجد قباء وهو كبير وحيطانه عالية ، وقد كان بناؤه مليحًا[3] .

قال الشيخ جمال الدين : وأما اليوم فلا أثر له ولا / [١٥٦ / ب] يعرف له مكان ، وما ذكره الشيخ محب الدين فهو وهم لا أصل له . قال عفيف الدين المرجاني : وقد ذكر الشيخ جمال الدين وابن النجار هذا المسجد فى تاريخهما وعداه من جملة المساجد التى صلى النبى ﷺ فيها ، والنبى ﷺ لم يصل فيه فلذلك أخرنا ذكره . انتهى كلامه .

وأما النقاء وحاجز المذكوران فى الأشعار : فاعلم أن النقاء من غربى مصلى العيد المذكور إلى منزلة الحجاج غربى وادى بطحان ، والوادى يفصل بين مصلى العيد والنقاء من أحل مجاورة المكانين ، وفيه يقول بعضهم مورياً عن الشيب ومصلى الجنائز :

ألا يا سائراً فى قفر عمرو .·. يكابد فى المسرى وعراً وسهلاً

بلغت نقاء المشيب وجزت عنه .·. وما بعد النقاء إلا المصلى

وأما حاجز : فهو من غربى النقاء إلى منتهى الحرة من وادي العقيق[4] .

ذكر مساجد صلى فيها النبى ﷺ بالمدينة الشريفة

لا يعرف اليوم إلا بعض أماكنها وهى فى قرى الأنصار ، منها : **مسجد بنى زريق من الخزرج** وهو أول مسجد قرئ فيه القرآن بالمدينة قبل هجرة النبى ﷺ ، وأن رافع بن مالك الزرقى رضي الله عنه لما لقى رسول الله ﷺ فى العقبة أعطاه ما نزل عليه من القرآن بمكة إلى ليلة العقبة ، وذكر أن النبى ﷺ توضأ فيه ولم يصل . قال الشيخ جمال الدين : وقرية بنى زريق قبل سور المدينة الشريفة وقبل المصلى ، وبعضها كان من داخل السور اليوم بالموضع المعروف بدردان أو ذى أروان التى وضع لبيد ابن عاصم وهو من يهود بنى زريق السحر فى راعونة بئرها / [١٥٧ / ا] والحديث مشهور[5] .

وقال الشيخ أبو الفتح : ذو أروان اسم محلة بنى زريق ، وهناك بئر يسمى بئر ذى أروان والمسجد هناك . **ومسجد بنى ساعدة من الخزرج** رهط سعد بن عبادة ، ذكر أن النبى ﷺ صلى فيه وجلس فى السقيفة . عن عبد المهيمن بن عباس عن سهيل بن سعد عن

(١) تفسير القرطبى (٢٦٥/٨) ، وتفسير ابن كثير (٣٣٨/٢) .

(٢) تفسير ابن كثير (٣٣٨/٢) ، وفيه : «خلف بن ياسين الكوفى» .

(٣) الدرة الثمينة (ص ١٩٥) .

(٤) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٤٩) .

(٥) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٧٦) .

أبيه عن جده قال : جلس رسول الله ﷺ في سقيفتنا التي عند المسجد واستقى ، فخصت له وطأة فشرب ثم قال : زدني ، فخصت له أخرى فشرب ثم قال : كانت الأولى أطيب. وفي هذه السقيفة كانت بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقرية بني ساعدة عند بئر بضاعة ، والبئر وسط بيوتهم ، وشمالي البئر اليوم إلى جهة المغرب بقية أطم يقال إنه من دار أبي دجانة رضي الله عنه الصغرى التي عند بضاعة ، ومسجد عند بيوت المطر عند خيام بني عفان، روى أن النبي ﷺ صلى فيه ، وأن تلك المنازل كانت منازل آل بني وهم كلثوم بن الحصين الغافري رضي الله عنه . قال الشيخ جمال الدين : وليست الناحية معروفة اليوم[(١)]. **ومسجد لجهينة ولمن هاجر من بني الربعة**[(٢)] عن خارجة بن الحارث بن رافع عن أبيه عن جده قال: جاء رسول الله يعود رجلاً من أصحابه في بني الربعة من جهينة يقال له أبو مريم ، فعاده بين منزل بني قيس العطار الذى فيه الأراكة وبين منزلهم الأخرى الذى يلي دار الأنصار ، فصلى في المنزل فقال نفر من جهينة لأبي مريم : لو جئت رسول الله ﷺ فسألته أن يخط لنا مسجداً ، فقال : احملوني فحملوه فلحق النبي ﷺ /[١٥٧/ب] فقال : « **مالك يا أبا مريم** ؟ » فقال : يا رسول الله لو خططت لنا مسجداً ، فجاء إلى مسجد جهينة وفيه خيام لبلي فأخذ طلقاً أو محجناً فخط لهم ، فالمنزل لبلي والخطة لجهينة .

قال الشيخ جمال الدين : وهذه الناحية اليوم معروفة غربي حصن صاحب المدينة ، والسور القديم بينهما وبين جبل سلع ، وعندها أثر باب من أبواب المدينة خراب ، ويعرف اليوم بدرب جهينة ، والناحية من داخل السور بينه وبين حصن المدينة[(٣)]. **ومسجد قار النابغة** ذكر أن النبي ﷺ صلى فيه . **ومسجد بني عدى بن النجار** ذكر أن النبي ﷺ صلى فيه أيضاً. قال الشيخ جمال لدين : وهذه الدار غربي مسجد رسول الله ﷺ وهي دار بني عدى بن النجار ومسجد رسول الله ﷺ وما يليه من جهة المشرق دار غنم بن مالك بن النجار[(٤)]. **ومسجد بني خدرة** . وقيل : خدرة - بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة - واسمه لأبجر بن عوف بن الحارث ، وقيل : خدرة أم أبجر ، والأول أشهر ، وهم بطن من الأنصار ، وأبجر بفتح الهمزة والجيم وسكون الباء الموحدة . عن هشام بن عروة أن النبي ﷺ صلى في مسجد بني خدرة .وعن يعقوب بن محمد بن أبي صعصعة أن رسول الله ﷺ صلى في بعض منازل بني خدرة ، فهو المسجد الصغير الذى في بني خدرة مقابل بيت

(١) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٧٧) .

(٢) ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضي وضعها . والله أعلم .

(٣) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٧٧) .

(٤) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٧٧) .

الحية . قال الشيخ جمال الدين : ودار بنى خدرة عند بئر البصة[1]. **ومسجد بنى مازن** عن عمرو بن يحيى بن عمارة عن أبيه أن رسول الله /[١٥٨/أ] وضع مسجد بنى مازن بن النجار بيده ، وهيأ قبلته و لم يصل فيه. وعن يعقوب بن محمد بن أبى صعصعة أن رسول الله ﷺ صلى فى بيت أم أبى بردة فى بنى مازن . قال الشيخ جمال الدين : ودار بنى مازن قبلى بئر البصة وتسمى الناحية اليوم أبا مازن[2]. **ومسجد بنى جديلة** وهو مسجد أبى بن كعب رضي الله عنه عن يوسف الأعرج وربيعة بن عثمان أن رسول الله ﷺ صلى فى مسجد بنى جديلة . قال الشيخ جمال الدين : ودار بنى جديلة عند بئر حاء شمالى سور المدينة من جهة المشرق ،وبنو جديلة هم بنو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار بن الخزرج[3]. **ومسجد بنى دينار** ذكر أن النبى ﷺ صلى فى مسجد بنى دينار عند العالين ، وأن أبا بكر رضي الله عنه تزوج امرأة من بنى دينار بن النجار، فكان رسول الله ﷺ يعوده، فكلموه أن يصلى لهم فى مكان يصلون فيه فصلى لهم فى هذا المسجد ، ومسجد بنى دينار بين دار بنى جديلة ودار بنى معاوية أهل مسجد الإباحة[4] المتقدم ذكره -أعنى مسجد بنى معاوية- فهذه بطون بنى النجار كلها ، ودورهم هذه المذكورة بالمدينة وما حولها من جهة الشمال إلى مسجد الإجابة ، وهم بنو غنم بن النجار ، وبنو عدى بن النجار ، وبنو مازن ابن النجار ، وبنو دينار بن النجار ، وبنو معاوية بن النجار .

ومسجد بأصل المنارتين من طريق العقيق الكبرى صلى فيه ﷺ وهو لا يعرف . **ومسجد بنى حارثة من الأوس** ذكر أن النبى ﷺ صلى فيه ، ودار بنى حارثة بيثرب. **ومسجد بنى عبد الأشهل** رهط سعد/[١٥٨/ب] بن معاذ وأسيد بن حصن ذكر أن النبى ﷺ صلى فيه، وأن أم عامر بن يزيد بن السكن أتت رسول الله ﷺ بعرق فتعرقه ثم قام فصلى فلم يتوضأ، وبنو عبد الأشهل منسوبون إلى عبد الأشهل بن جشم بن الحارث ابن الخزرج، قال النبى ﷺ : « **خير دور الأنصار بنو النجار ، ثم بنو عبد الأشهل ، ثم بنو الحارث ثم بنو ساعدة ، وفى كل دور بنى الأنصار خير**»[5]. ومسجد بنى الحبلى وهم رهط عبد الله بن سلول، ذكر أنه ﷺ صلى فيه. **ومسجد بنى الحارث بن الخزرج** ، ذكر أنه ﷺ صلى فيه. قال الشيخ جمال الدين : ودار بنى الحبلى بين قباء وبين دار بنى

---

(١) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٧٧ ، ٧٨) .

(٢) التعريف بما أنست الهجرة (ص ٧٨) .

(٣) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٧٨) .

(٤) هكذا فى الأصل ، والصواب «الإجابة» . والله أعلم .

(٥) تقدم تخريجه .

النجار ، ودار بنى النجار شرقى وادى بطحان ، تعرف اليوم بالحارث بإسقاط بنى[1]. **ومسجد بنى أمية بن زيد** بالعوالى فى الكبا عند مال نهيك بن أبى نهيك ، ذكر أنه ﷺ صلى فيه . قال الشيخ جمال الدين : ودارهم شرقى دار بنى الحارث ، وفيهم كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه نازلاً بامرأته الأنصارية أم عاصم بنت أو أخت عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح رضي الله عنه ومسجد بنى خدرة ذكر أنه ﷺ صلى فى مسجد بنى خدرة عند الأطم الذى بجوار سعد بن عبادة ، ووضع ﷺ يده على الحجر الذى فى أطم سعد[2]. قال الشيخ جمال الدين : وهذه الدار قبلى دار بنى ساعدة وبين بضاعة ومما يلى سوق المدينة ، عرضه ما بين المصلى إلى جدار سعد المذكور ، وهى جدار كان يستقى الناس فيها الماء كما ورد عنه بعد وفاة أمه رضي الله عنه[3]. **ومسجد النور** صلى ﷺ فيه ولا يعرف /[١٥٩/أ] اليوم. **ومسجد بنى واقف** ذكر أنه ﷺ صلى فيه وهو موضع بالعوالى ، كانت فيه منازل بنى واقف من الأوس رهط هلال بن أمية الواقفى ، أحد الثلا ثة الذين خلفوا ، ولا يعرف مكان دارهم اليوم إلا أنها بالعوالى . **ومسجد فى دار سعد بن خيثمة** بقباء ذكر أنه ﷺ صلى فيه . قال الشيخ جمال الدين : ودار سعد بن خيثمة أحد الدور التى قبل مسجد قباء ، يزورها الناس إذا زاروا قباء ، وهناك أيضاً دار كلثوم بن الهدم فى تلك العرصة ، وكان ﷺ نازلاً بها حين قدم المدينة ، وكذلك أهله ﷺ ، وأهل أبى بكر رضي الله عنه حين قدم بهم على بن أبى طالب رضي الله عنه ، وهن سودة بنت زمعة وعائشة وأمها أم رومان ، وأختها أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنه ، وولدت أسماء عبد الله بن الزبير قبل نزولهم إلى المدينة ، فكان أول مولود ولد من المهاجرين بالمدينة[4]. **ومسجد التوبة** صلى ﷺ فيه وهو بالعصبة عند بئرهم ، وهو غير معروف . قال الشيخ جمال الدين : أما العصبة فهى غربى مسجد قباء، فيها مزارع وآبار كثيرة،وهى منازل بنى جحجابن لعله بطن من الأوس[5]. **ومسجد بنى أنيف** يقولون: صلى رسول الله ﷺ فيما كان يعود طلحة بن البراء رضي الله عنه قريباً من أطمهم. قال الشيخ جمال الدين : يلون دار بنى أنيف وهم بطن من الأوس بين قرية بنى عمرو بن عوف بقباء وبين العصبة[6]. **ومسجد الشيختين** ويسمى مسجد الشيخ صلى ﷺ فيه ، وهو موضع بين

---

(١) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٧٨) .

(٢) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٧٨) .

(٣) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٧٨) .

(٤) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٧٨ ، ٧٩) .

(٥) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٧٩) .

(٦) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٧٩) .

المدينة وبين أحد ، على الطريق الشرقية مع الحرة إلى جبل أحد ، وذكروا أنه /[١٥٩/ب] ﷺ من هناك غدا إلى أحد يوم أحد كما قدمنا . **ومسجد بني حطمة** صلى ﷺ فيه . **ومسجد العجوز** ذكر أنه ﷺ صلى في مسجد العجوز ببني حطمة ، وهي امرأة من بني سليم . **ومسجد بني وائل** صلى ﷺ فيه . قال الشيخ جمال الدين : الظاهر أن منازلهم بالعوالي شرقي مسجد الشمس ؛ لأن تلك النواحي كلها ديار الأوس ، وما سفل من ذلك إلى المدينة ديار الخزرج[1]. **ومسجد بني بياضة** من الخزرج صلى ﷺ فيه ، وبنو بياضة بطن من الأنصار ثم من الخزرج . قال المطري : وكانت دار بني بياضة فيما بين دار بني سالم بن عوف من الخزرج بوادي رانوناء عند مسجد الجمعة إلى وادي بطحان قبل دار بني مازن ؛ لأن رسول الله ﷺ لما صلى الجمعة في بني سالم بن عوف برانوناء ركب راحلته ، فانطلقت به حتى وارت دار بني بياضة تلقاء زياد بن لبيد وفروة بن عمرة في رجال بني بياضة[2]. **ومسجد بفيفاء الخيار** ذكر ابن إسحاق في غزوة العشيرة أن النبي ﷺ سلك على نقب بني دينار ثم على فيفاء الخيار ، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن زاهر يقال لها ذات الساق ، فصلى عندها فثم مسجده وصنع له طعاماً عندها ، وموضع أباني المرمة معلوم ، واستقى له من ماء يقال له المشترب . قال الشيخ جمال الدين : فيفاء الخيار غربي الجماوات التي بوادي العقيق وهي الجبال التي في غربي وادي العقيق ، وهي أرض فيها سهولة وفيها حجارة وحفائر ، وهو الموضع الذي كانت ترعى فيه إبل الصدقة ولقاح رسول الله ﷺ /[١٦٠/أ] ، لأنه ورد في رواية أنها إبل الصدقة ، وفي أخرى أنها لقاح رسول الله ﷺ ، وأنها كانت ترعى بذي آكد وغربي جبل عير على ستة أميال من المدينة، والروايتان صحيحتان ، والجمع بينهما : أن النبي ﷺ كانت له إبل من نصيبه من المغنم ، وكانت ترعى مع إبل الصدقة ، فنحر مرة عن إبله ، ومرة عن إبل الصدقة وإن النفر من عكل أومن عرينة أمرهم رسول الله ﷺ أن يلحقوا بإبل الصدقة يشربوا من أبوالها وألبانها ففعلوا ، ثم قتلوا الراعي وكان يسمى يسار من موالي رسول الله ﷺ واستاقوا الإبل ، فبعث في أثرهم عشرين فارسًا واستعمل عليهم ثور بن جابر الفهري فأدركوهم فربطوهم ، وفقدوا واحدة من لقاح رسول الله ﷺ تدعى الحناء ، فلما دخلوا بهم المدينة كان رسول الله ﷺ بالغابة أسفل المدينة فخرجوا بهم نحوه فلقوه وهو راجع إلى المدينة ، وهو اليوم موضع معروف يجتمع فيه سيل قباء وسيل بطحان ، فأمر بهم ﷺ

---

(١) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٧٩) .

(٢) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٧٩) .

فقطعت أيديهم وأرجلهم وسملت أعينهم وصلبوا هناك(١).

ذكر المساجد التي صلى فيها ﷺ بين مكة والمدينة

منها : **مسجد ذي الحليفة** ، وهي محرم الحجاج ميقات أهل المدينة . قال الشيخ جمال الدين : ومسجد الحليفة هو المسجد الكبير الذي هناك ، وكانت فيه عقود في قبلته ومنارة في ركنه الغربي الشمالي فتهدم على طول الزمان ، وهو مبني على موضع الشجرة التي كانت هنالك وبها سمي مسجد الشجرة ، والبئر من جهة شماليه ، وفي هذا المسجد مسجد آخر أصغر منه ، ولا يبعد أن /[١٦٠/ب] يكون ﷺ صلى فيه بينهما مقدار رمية سهم(٢). وعن عبد الله بن عمر أنه قال : بات رسول الله ﷺ بذي الحليفة مبدأه وصلى في مسجدها(٣) . يروى أن النبي ﷺ صلى في مسجد الشجرة إلى جهة الإسطوان الوسطى استقبلها ، وكان موضع الشجرة التي كان النبي ﷺ صلى إليها وكانت سمرة(٣) ، فينبغي للحاج إذا وصل إلى ذي الحليفة أن لا يتعدى في نزوله المسجد المذكور من أربع نواحيه .

ومسجد بشرقي الروحاء – الروحاء من أعمال الفرع – عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال : صلى رسول الله ﷺ بشرقي الروحاء عن يمين الطريق وأنت ذاهب إلى مكة وعن يسارها وأنت مقبل من مكة . قال الشيخ جمال الدين : شرق الروحاء هو آخر السيالة وأنت متوجه إلى مكة، وأول السيالة إذا قطعت فرش مالك وأنت مغرب، وكانت الصخيرات صخيرات الإمام عن يمينك ، وهبطت من فرش مالك ثم رجعت عن يسارك واستقبلت القبلة هذه السيالة ، وكانت قد تجدد فيها بعد النبي ﷺ عيون وسكان وآخرها الشرق المذكور ، والمسجد عنده وعنده قبور قديمة ، ثم تهبط في وادي الروحاء مستقبل القبلة ، وتعرف اليوم بوادي بني سالم بطن من حرب ، فتمشي مستقبل القبلة وشعب علي ابن أبي طالب ﷺ على يسارك إلى أن يدور الطريق بك إلى المغرب وأنت مع أصل الجبل الذي على يمينك ، وأول ما يلقاك مسجد على يمينك ويعرف ذلك المكان بغرف الظبية ، ويبقى جبل ورقان على يسارك ، ومسجد بغرف الظبية وهو المتقدم ذكره آنفاً /[١٦١/أ]، وكان فيه قبور كثيرة في قبلته فمهدهم ﷺ ، وفي المسجد الآن حجر قد نقش عليه بالخط الكوفي عند عمارته الميل الفلاني من البريد الفلاني(٤).

ومسجد الزبير : حدثنا ابن الحسن عن أخيه عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن

---

(١) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٧٩) .

(٢) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٦٦) .

(٣) أورده المطري بسنده : التعريف بما آنست الهجرة (ص ٦٦) .

(٤) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٦٧) .

عوف عن أبيه عن جده قال : أول غزاة غزاها رسول الله ﷺ وأنا معه غزوة الإيواء حتى إذا كان بالروحاء عند غرف الظبية قال : « **أتدرون ما اسم هذا الجبل** -يعنى ورقان- ؟ **هذا حمت اللهم بارك فيه وبارك لأهله فيه ، تدرون ما اسم هذا الوادى** - يعنى وادى الروحاء- ؟ **هذا سجاسج ، لقد صلى في هذا المسجد قبلى سبعون نبياً ، ولقد مر بها** - يعنى الروحاء - **موسى بن عمران ﷺ فى سبعين ألفاً من بنى إسرائيل ، عليه عباءتان قطوانيتان على ناقة له ورقاء ، ولا تقوم الساعة حتى يمر بها عيسى ابن مريم - عليهما السلام - حاجًّا أومعتمرًا أو يجمع الله تعالى له ذلك** »[1] .

وذكر أبو عبيد البكرى : أن قبر مضر بن نزار بالروحاء على ليلتين من المدينة بينهما أحد وأربعون ميلاً. وقيل : أربعون ، وقيل عشرة فراسخ ، وذلك ثلاثون ميلاً ، وفى صحيح مسلم : أن ما بين الروحاء والمدينة ستة وثلاثون ميلاً . **ومسجد الغزالة** : فى آخر وادى الروحاء مع طرف الجبال على يسارك وأنت ذاهب إلى مكة المشرفة، لم يبق منه اليوم إلا عقد الباب ، صلى فيه رسول الله ﷺ وعن يمين الطريق إذا كنت بهذا المسجد وأنت مستقبل النازية موضع كان عبد الله بن عمر ينزل فيه ، ويقول : هذا منبر رسول الله ﷺ وكان ثم شجرة كان عمر ﷺ /[١٦١/ب] يصب فضل وضوئه فى أصلها ، ويقول : هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل . وإذا كان الإنسان عند مسجد الغزالة المذكور كانت طريق النبى ﷺ إلى مكة المشرفة على يساره مستقبل القبلة ، وفى الطريق المعهود من قديم الزمان يمر على بئر يقال لها السقيا ، ثم على ثنية هرشاء ، وهى طريق الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- والطريق اليوم فى طريق الروحاء على النازية إلى مضيق الصفراء ، ومسجد على يمين الطريق المذكورة تجده حين تفضى من أكمة دون الدويثة بميلين تحت صخيرة ضخمة ، قد انكسر أعلاها فانثنى فى جوفها وهى قائمة على ساق ، والدويثة معروفة والمسجد غير معروف[2]. **ومسجد بطريق بلعة** من وراء العرج وأنت ذاهب إلى مكة المشرفة عن يمين الطريق على رأس خمسة أميال من العرج إلى هبطة هناك ، وعندها ثلاثة أقبر ورضم من حجارة بين سلمات كان عبد الله بن عمر يروح من العرج بعد أن تميل الشمس بالهاجرة فيصلى الظهر فى هذا المسجد ، والعرج معروف إلا المسجد . **ومسجد على يسار الطريق** وأنت ذاهب إلى مكة المشرفة فى مسيل دون ثنية هرشاء إلى سرحة هى أقرب السرحات إلى الطريق وهى أطولهن ، وعقبة هرشاء معروفة سهلة المسالك. **ومسجد بالأثاثة** ولا تعرف . **ومسجد بالمسيل** الذى بوادى مر الظهران حين

---

(١) أورده المطرى بسنده (ص ٦٧ ، ٦٨) .

(٢) التعريف بما آنست الهجرة (٦٧ ، ٦٨) .

تهبط من الصفراوات على يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة المشرفة .
ومسجد بذى طوى ووادى طوى بمكة بين الثنيتين ومصلى رسول الله ﷺ منه أكمة سوداء ، تدع من الأكمة عشرة أذرع أو نحوها يميناً ، ثم تصلى مستقبل /[١٦٢/أ] الفرضين بين الجبل الطويل الذى بينك وبين الكعبة وليس بمعروف ، وذكر أن رسول الله ﷺ نزل بالدبة دبة المستعجلة من المضيق واستقى له من بئر الشعبة الصابة أسفل من الدبة فهو لا يفارقها الماء أبداً ، قال الشيخ جمال الدين : والمستعجلة هى المضيق الذى يصعد إليه الحاج إذا قطع النازية وهو متوجه إلى الصفراء[١].وذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ نزل بشعب يسفر ، وهو الشعب الذى بين المستعجلة والصفراء ، وقسم به غنائم أهل بدر، ولا يزال الماء به غالباً . **ومسجد الصفراء ذكر ابن زبالة** أن النبى ﷺ صلى فيه ، وصلى بمسجد آخر بموضع يسمى ذات المن مضيق الصفراء ، وفى مسجد آخر بدفران واد معروف يصب فى الصفراء من جهة الغرب ، وأنهم حفروا بئراً فى موضع سجود النبى ﷺ ووجدوا الماء بها له فضل من العذوبة على ما حولها ببركة النبى ﷺ . **ومسجد بالبرود** ذكروا أن النبى ﷺ نزل فى موضع المسجد الذى بالبرود من مضيق الفرج وصلى فيه رسول الله ﷺ . **ومسجد من طريق مبرك** ذكروا أنه ﷺ صلى فيه فى مطلعه من طريق مبركه فى مسجد هناك بينه وبين زعان بستة أميال[٢] .

ذكر المساجد المشهورة التى صلّى فيها النبى ﷺ فى الغزوات وغيرها

منها : **مسجد بعضد** على مرحلة من المدينة صلّى فيه ﷺ عند خروجه إلى خيبر .
ومسجد بالصهباء - والصهباء من أدنى خيبر - صلّى به المعروف وهو معروف ، وذكر ابن زبالة أن رسول الله ﷺ حين /[١٦٢/ب] وصل إلى خيبر من رجوعه من الطائف نزل بين أهل الشق وأهل النضاة وصلّى إلى عوسجة هناك ، وجعل حول مصلاه حجارة يعرف بها . **ومسجد بشمران** ذكر ابن زبالة أنه ﷺ صلّى أيضًا على جبل بخيبر يقال له شمران فثم مسجده من ناحية سهم بنى النزار . قال المطرى : ويعرف الجبل اليوم بسمران - بالسين المهملة - يروى أن النبى ﷺ قال : «**ميلان فى ميل من خيبر مقدس**»[٣] وعن سعيد ابن المسيب أن رسول الله ﷺ قال : «**خيبر مقدسة والسوارقة مؤتفكة** » . وخيبر كانت مسكن اليهود وموضع الجبابرة منها على ثمانية برد من المدينة ، وفى خيبر رد رسول الله ﷺ الشمس على علىّ رضي الله عنه بعد ما غربت حتى صلى العصر . **ومسجد ببدر** كان عند

---

(١) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٦٩) .
(٢) راجع هذه المساجد فى التعريف بما آنست الهجرة (ص ٦٥ - ٦٩) .
(٣) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٧٨) .

العريش الذى بنى لرسول الله ﷺ يوم بدر ، وهو معروف اليوم يصلى فيه ببطن الوادى بين النخيل والعين قريبة منه . **ومسجد بالعشيرة** فى بطن ينبع معروف اليوم . **ومسجد بالحديبية** لايعرف بل يعرف ناحيته لا غير ، وهو بين جدة ومكة ، بينه وبين جدة مثل ما بين مكة والطائف ، ومثل ما بين مكة وعسفان . قال مالك : وبينهما أربعة برد . وتقدم تحديد الحديبية وتعريفها فى محلها . **ومسجد لية** من أرض الطائف قال الشيخ جمال الدين: وهو معروف رأيته وعنده أثر فى حجر يقال إنه أثر خف ناقة النبى ﷺ ،وأقاد النبى ﷺ بنحرة الرغاء حين قدم ، وهو أول دم أقيد فى الإسلام رجل من بنى ليث قتل رجلاً من بنى /[١٦٣/أ] هذيل فقتله به[١]. قال ابن إسحاق : ثم سلك من لية على نخب وهى عقبة فى الجبل حين نزل تحت سدرة يقال لها الصادرة ، ثم ارتحل فنزل بالطائف وكان قد نزل قريبًا من حصن الطائف فقتل جماعة من أصحابه بالنبل ، فانتقل إلى موضع مسجده الذى بالطائف اليوم . قال عفيف الدين المرجانى : وهذا الحصن باق إلى الآن بالبناء الجاهلى وفيه بئر وفيها تنين عظيم يمنعهم البناء فيه إلا أن يذبحوا عنده ، وهو بالقرب من مسجد الحجاج ابن يوسف ، وقد كان بنى هذا المسجد بتربة حمراء يؤتى بها من اليمن ، ولم يبق إلا آثاره ومنارتاه خراب ، **ومسجد رسول الله** ﷺ بالطائف فى وسط المسجد المعروف اليوم بمسجد سيدنا عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - ، وفى ركن المسجد الكبير منارة عالية بنيت فى أيام الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن المستضىء ، وخلفه تحت المنارة بئر ينزل فيها إلى الماء بدرج قريب الأربعين درجة ، ومسجد رسول الله ﷺ فى هذا الجامع بين قبتين صغيرتين يقال إنهما بنيتا فى موضع قبتى زوجيته ﷺ اللتين كانتا معه عائشة وأم سلمة -رضى الله عنهما - ، وبين القبتين محراب ، وكذلك قدام القبلة أيضًا محراب ، ولا يبعد أن يكون ﷺ صلّى فى المحرابين، وللمسجد العباسى أربعة أروقة فى قبلته، وله ثلاثة أبواب فى يمينه ويساره ومؤخره ، وفى ركنه الأيمن القبلى قبر سيدنا عبد الله بن العباس ابن عم سيدنا رسول الله ﷺ ، وعلى قبره ملبن /[١٦٣/ب] ساج على بنيان طوله من الأرض ثلاثة أشبار ، وعرضه بطول القبر عشرة أشبار وقليل ، وعرض القبر ستة أشبار وقليل ، أمر بعمله الإمام المقتفى لأمر الله فى سنة سبع وأربعين وخمسمائة، كذا مكتوب فى الخشب، وتوفى بالطائف سنة ثمان وستين وقد أضرَّ . قال ميمون بن مهران : شهدنا جنازته بالطائف فلما وضع ليسلم عليه جاء طائر أبيض حتى دخل فى أكفانه فالتمس فلم يوجد ، فلما سوى عليه التراب سمعنا صوتًا ولم نر شخصًا

---

(١) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٧٧ ، ٧٨) .

يقول : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية** ﴾[1] .... إلى آخر السورة . وعنده فى القبة ثلاثة قبور ، هذا قبر زبيدة توفيت فى جمادى الآخرة من سنة خمس وستين وثلاثمائة . قال عفيف الدين المرجانى : والظاهر أن هذه عين زبيدة بنت جعفر امرأة هارون الرشيد ، وقد ذكر المسعودى فى «مروج الذهب» : أن زبيدة بنت جعفر توفيت سنة ست عشر ومائتين فى خلافة المأمون ، اسمها أمة العزيز وهى ابنة عمة الرشيد وزوجته وأم الأمين ، وهى التى بنت الآبار والبرك والمصانع بمكة المشرفة ، وحفرت العين المعروفة بعين المشاش بالحجارة ، وأجرتها من مسافة اثنى عشر ميلاً إلى مكة المشرفة وأنفقت عليها ألف ألف مثقال وسبعمائة ألف مثقال وأدخلتها مكة وفرقتها فى شوارعها .

قال الشيخ جمال الدين : ورأيت بالطائف شجرات سدر يذكر أنهن من عهد رسول الله ﷺ ، فيهن واحدة دفر[2] جدرها خمسة وأربعون شبرًا ، وأخرى تزيد على الأربعين ، وأخرى سبعة وثلاثون ، قال : وهناك شجرة يذكر أن النبى ﷺ مر بها /[١٦٤/أ] وهو على راحلته فانفرق جدرها نصفين ، يذكر أن ناقته ﷺ دخلت من بينهما وهو ناعس ، قال رحمه الله : رأيتها فى سنة ست وتسعين وستمائة ، وحملت من ثمرها إلى المدينة ثم دخلت الطائف فى سنة تسع وعشرين وسبعمائة فرأيتها قد وقعت ويبست وجدرها ملقى لا يمسه أحد لحرمتها[3]. قال المرجانى : ورأيت بوح قرية من قرى الطائف سدرة محاذية للحيرة قرية أيضًا يذكر أن النبى ﷺ جلس تحتها حين أتاه عديس بالطبق العنب وأسلم ، وقال : شجرة محمد ، والقصة مشهورة ، قال : ورأيت غارا فى جبل هناك عند آخر الحيرة تحت العين يذكر أنه جلس فيه رسول الله ﷺ . انتهى .

---

(١) سورة الفجر : الآية (٢٧ ، ٢٨) .

(٢) كذا فى الأصل . والله أعلم .

(٣) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٧٨) .

[الفصل الثامن]

فى ذكر وفاة رسول الله ﷺ وفيه ذكر وفاة أبى بكر الصديق ﷺ ووفاة عمر ﷺ وذكر ما جاء أن النبى ﷺ وأبا بكر وعمر - رضى الله عنهما - وعيسى - عليه السلام - خلقوا من طينة واحدة وما جاء فى صفة وضع القبور المقدسة وصفة الحجرة الشريفة

أما ذكر وفاة رسول الله ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾[1]. حكى أبو معاذ عن النحويين أن المَيْت بالتخفيف الذى فارقه الروح ، وبالتشديد الذى لم يكن يمت بعد وهو يموت ، فأخبره تعالى أنه ميّت إشارة إلى قوله تعالى :﴿**كل من عليها فان**﴾[2]. ثم إن الله تعالى خيّره حين بعث إليه ملك الموت على أن يقبض روحه أو ينصرف ، فلم يخير قبله نبى ولا رسول /[١٦٤/ب] ألا ترى إلى موسى - عليه السلام -حين قال ملك الموت : أجب ربك، فلطمه ففقأ عينه ، ولو أتاه على وجه التخيير لما بطش به ، وقول ملك الموت حين رجع : إنك أرسلتنى إلى عبد لا يريد الموت قال الإمام أبو إسحاق الثعلبى : وقصة موسى وملك الموت لا يردها إلا كل مبتدع ضال ، يؤيده قوله ﷺ : «**إن ملك الموت كان يأتى الناس عيانًا حتى أتى موسى -عليه السلام - ليقبضه فلطمه ففقأ عينه ، فجاء ملك الموت بعد ذلك خفية**»[3]. وكذلك قصتة مع داود -عليه السلام - حين غلقت عليه أبوابه فرأى ملك الموت عنده فقال له : ما أدخلك دارى بغير إذنى ، فقال : أنا الذى أدخل على الملوك بغير إذن ، فقال : فأنت ملك الموت ، قال : نعم ، قال : جئت داعياً أم ناعيًا ؟ قال: بل ناعيًا ، قال : فهلا أرسلت إلىّ قبل ذلك لأستعد للموت ؟ قال : كم أرسلت إليك فلم تنتبه ، قال : ومن كانت رسلك ؟ قال : يا داود أين أبوك ؟ أين أمك ؟ أين أخوك؟ قال : ماتوا ، قال : أما علمت أنهم رسلى وأن النوبة تبلغك[4].

قال العلماء : وابتدأ برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس فى ليال بقين من صفر[5] ، وقيل : فى أول ربيع الأول فى السنة الحادية عشر من الهجرة[5] ، ومدة مرضه -عليه الصلاة والسلام- اثنى عشر يوماً ، وقيل : أربعة عشر[6] ، وكان مرضه بالصداع ، واشتد وجعه ﷺ فى بيت ميمونة فدعا نساءه واستأذنهن فى أن يمرض فى بيت عائشة - رضى الله عنها - فأذن له فخرج يمشى بين رجلين من أهل بيته الفضل بن العباس وعلى - رضى الله عنهما - ، وخرج نهار الخميس فصلى على أصحاب أحد/ [١٦٥/أ]

---

(١) سورة الزمر : الآية (٣٠) .

(٢) سورة الرحمن : الآية (٢٦) .

(٣) قصص الأنبياء (ص ٢٥١) .

(٤) قصص الأنبياء (ص ٢٩٦) .

(٥) سيرة ابن هشام (١٦٥/٤) .

(٦) صفة الصفوة لابن الجوزى (١١٢/١) .

واستغفر لهم ، ثم أمر بسد الأبواب في المسجد إلا باب أبي بكر.

قالت عائشة - رضى الله عنها - : اضطجع في حجرى فدخل عبد الرحمن بن أبي بكر في يده سواك أخضر ، قالت : فنظر رسول الله ﷺ في يده نظراً عرفت أنه يريده ، قالت : فقلت :يا رسول الله أتحب أن أعطيك هذا السواك ؟ قال : نعم ، قالت : فأخذته فمضغته له حتى لينته ثم أعطيته إياه ، قالت : فاستن به كأشد ما رأيته استن بسواك قط ثم وضعه ، ووجدت رسول الله ﷺ يثقل في حجرى فذهبت أنظر في وجهه فإذا بصره قد شخص ، وهو يقول : بل الرفيق الأعلى في الجنة ، فقلت : خيّرت فاخترت والذى بعثك بالحق[1]. وروى ابن أبي مليكة قال : لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله ﷺ عاصبًا رأسه إلى صلاة الصبح ، وأبو بكر يصلى بالناس فلما خرج رسول الله ﷺ تفرج الناس ، فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله ﷺ فنكص عن مصلاه، فدفع رسول الله ﷺ في ظهره وقال : صلّ بالناس ، وجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه فصلى قاعدًا عن يمين أبي بكر ، فلما فرغ من صلاته أقبل على الناس رافعًا صوته حتى خرج صوته من باب المسجد يقول : «**يا أيها الناس سعرت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، إني والله ما تمسكون على بشيء ، إني لم أحل إلا ما أحل القرآن ، ولم أحرم إلا ما حرم القرآن** » . فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه ، قال له أبو بكر : يا نبي الله أراك قد أصبحت بنعمة الله وفضله كما تحب ، واليوم /[١٦٥/ب] يوم ابنة خارجة ، أفآتيها ؟ قال : نعم ، ثم دخل رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر إلى أهله بالسنح[2] ، وخرج علي رضي الله عنه من عند رسول الله ﷺ ، فقال المسلمون : يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ قال : أصبح بحمد الله بارئًا ، قال : فأخذ العباس بيده ثم قال : يا علي أنت والله عبد العصا بعد ثلاث ، أحلف بالله لقد عرفت الموت في وجه رسول الله ﷺ كما كنت أعرفه في وجوه بني عبد المطلب ، فانطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه ، وإن كان في غيرنا أمرناه فأوصى بنا الناس ، فقال : والله لا أفعل ، والله لئن منعناه لا يؤتينا بعده أحد ، فتوفي رسول الله ﷺ حين اشتد الضحى من ذلك اليوم[3]. قيل : إن الصلاة التي صلاّها رسول الله ﷺ وهو جالس عن يمين أبي بكر صلاة

---

(١) سيرة ابن هشام (١٧٢/٤ ، ١٧٣) ، وأخرج البخاري نحوه في باب مرض النبي ﷺ ووفاته (ح ٤٤٣٨ - فتح) .

(٢) إلى هنا انتهى حديث ابن أبي ملكية ، راجع سيرة ابن هشام (١٧٢/٤) .

(٣) سيرة ابن هشام (١٧٢/٤) ، والبداية والنهاية (٢١٦/٥) ، والدرة الثمينة (ص ٢٠٠ ، ٢٠١) =

الظهر قاله ابن وضاح وأبو عبد الله بن عتاب .

وذكر ابن الجوزى :« أن جبريل أتى النبى ﷺ قبل موته بثلاثة أيام فقال : يأحمد إن الله أرسلنى إليك يسألك عما هو أعلم به منك يقول : كيف تجدك ؟ فقال : أجدنى ياجبريل مغموماً وأجدنى ياجبريل مكروباً ، وأتاه فى اليوم الثانى فأعاد السؤال فثنى الجواب ، ثم قال فى اليوم الثالث مثل ذلك وهو يجيب كذلك ، فإذا ملك الموت يستأذن فقال : يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم يستأذن على آدمى قبلك ولايستأذن على آدمى بعدك ، فقال : ائذن له ، فدخل فوقف بين يديه فقال : إن الله أرسلنى /[١٦٦/أ] إليك وأمرنى أن أطيعك ، فإن أمرتنى أن أقبض نفسك قبضتها ، وإن أمرتنى أن أتركها تركتها ، فقال جبريل - عليه السلام - : يا أحمد إن الله قد اشتاق إليك ، قال: امض لما أمرت به يا ملك الموت ، فقال جبريل - عليه السلام - : السلام عليك يا رسول الله هذا آخر موطئى الأرض، إنما كنت حاجتى فى الدنيا[١] ، فتوفى ﷺ مستندًا إلى ظهر عائشة فى كساء ملبد وإزار غليظ[٢]. وتوفى ﷺ عن أثر السم ؛ لقوله ﷺ فى وجعه الذى مات فيه:« **مازالت أكلة خيبر تعاودنى ، فالآن أوان قطعت أبهرى** »[٣].

قال ابن إسحاق : إن كان المسلمون ليرون أن رسول الله ﷺ مات شهيدًا مع ما أكرمه الله تعالى به من النبوة ، وتوفى ﷺ يوم الاثنين حين اشتد الضحى لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، وقيل : لليلتين خلتا منه ، ودفن ليلة الأربعاء[٤] ، وقيل : ليلة الثلاثاء ، وقيل : وكانت وفاته ﷺ سنة تسعمائة وخمس وثلاثين سنة من سن ذى القرنين حكاه المسعودى فى «مروج الذهب» ، وقد بلغ من العمر ثلاثًا وستين سنة ، وقيل : خمسًا وستين سنة ، وقيل ستين سنة والأول أصح ، روى الثلاثة مسلم ، وهى صحيحة ، فقول من قال : ثلاثًا وستين فهو على أصله ، ومن قال : ستين فإنهم كانوا فى الزمان الأول لايذكرون الكسر ، ومن قال : خمسًا وستين حسب السنة التى ولد فيها والتى توفى فيها

= وأخرجه البخارى : كتاب المغازى - ح (٤٤٤٧ - فتح) عن ابن عباس .

(١) أخرجه الطبرانى من حديث الحسين بن على ، وفى إسناده عبد الله بن ميمون القداح ، وذكر نحوه ابن الجوزى فى صفة الصفوة (١١٦/١) .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب الرقاق ، والترمذى برقم (٩٧٨) وابن ماجه .

(٣) أخرجه البخارى معلقًا : كتاب المغازى ح (٤٤٢٨ - فتح) عن عائشة ، وأسنده البيهقى .

(٤) راجع البداية والنهاية (٢٤٢/٥ ، ٢٥٧) ، والدرة الثمينة (ص ٢٠٢) .

ﷺ[1]. قال الحاكم : اختلفت الرواية فى سن رسول الله ﷺ ، ولم يختلفوا أنه ولد فى عام الفيل ، وأنه بعث /[١٦٦/ب] وهو ابن أربعين سنة، وأنه أقام بالمدينة عشراً، وإنما اختلفوا فى مقامه بمكة المشرفة بعد البعث فقيل : عشراً، وقيل : ثلاثة عشر ، وقيل : خمسة عشر ، وسجى ﷺ ببرد حبرة .

وقيل : إن الملائكة سجته ، وكذب بعض أصحابه بموته دهشة منهم عمر بن الخطاب ، وأخرس بعضهم فما تكلم إلا بعد الغد منهم عثمان بن عفان ، وأقعد آخرون منهم على بن أبى طالب -رضى الله عنهم -.

قال عفيف الدين المرجانى : والحكمة فى ذلك أنه لما كان عمر أبلغ الناس نظراً وأعلاهم فراسة صحيح تخيل الفكر عظيم قياسه أدهش حتى لم يتخيل موت المختار ، ولما كان عثمان حوى أثقال الفصاحة وله فى القول على من سواه رجاحة أخرس بإنطاق حجب الأستار ، ولما كان على سيف الله القاطع وعليه اسم القوة واقع أقعد عن مد خطوات الأقدار ، ولم يكن أثبت من العباس وأبى بكر -رضى الله عنهما - وبقى رسول الله ﷺ فى بيته يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ، فلما كان يوم الثلاثاء أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ فسمعوا من باب الحجرة حين ذكروا غسله لا تغسلوه فإنه طاهر مطهر ، ثم سمعوا بعده غسلوه فإن ذلك إبليس وأنا الخضر ، وقال : إن فى الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفًا من كل هالك ، ودركًا من كل فائت ، فبالله نتقوى ، وإياه فارجعوا، فإن المصاب من حرم الثواب ، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت غسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه ، وكانوا قد اختلفوا فى ذلك فغسلوه ﷺ [١٦٧/أ] فى قميصه ، وكانوا لايرون أن يقلبوا منه عضواً إلا انقلب بنفسه ، وإن معهم لحفيفاً كالريح يصوت بهم ارفقوا برسول الله ﷺ فإنكم ستكفونه ، وتولى غسله علىّ والعباس والفضل وقثم بن العباس يقلبونه معهم ، وأسامة بن زيد وشقران موليا رسول الله ﷺ يصبان الماء ، وأوس ابن خولى الأنصارى ممن حضر غسله ﷺ[2] ، يروى عن على رضي الله عنه قال : أوصانى النبى ﷺ لايغسله غيرى « **فإنه لايرى أحد عورتى إلا طمست عيناه** »[3]. وسطعت منه ﷺ ريح لم يجدوا مثلها قط . وكفن ﷺ فى ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف ليس فيها

---

(١) راجع صفة الصفوة (١/١١٨ ، ١١٩) .

(٢) راجع سيرة ابن هشام (٤/١٧٧) ، وصفة الصفوة (١/١١٩) ، والبداية والنهاية (٥/٢٤٧) .

(٣) رواه البزار فى مسنده والبيهقى . وراجع البداية والنهاية (٥/٢٤٨) وقال ابن كثير : هذا حديث غريب جدًّا .

قميص ولا عمامة[1] ، وكان في حنوطه ﷺ المسك ، ثم وضع على سريره في بيته ودخل الناس يصلون عليه أرسالاً أفذاذاً الرجال ثم النساء ثم الصبيان ، ولم يؤمهم أحد بوصية منه ﷺ قال فيها : « **أول من يصلى عليّ خليلي وحبيبي جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع ملائكة كثيرة** ». قيل : فعل ذلك ﷺ ليكون كل منهم في صلاة ، وقيل : ليطول وقت الصلاة فيلحق من يأتي من حول المدينة ، واختلفوا في مكان دفنه فقائل يقول: بالبقيع ، وقال قائل : عند منبره ، وقال قائل : في مصلاه ، فجاء أبو بكر رضي الله عنه فقال : إن عندى من هذا خبراً وعلماً سمعت النبي ﷺ يقول : « **ما قبض نبى إلا دفن حيث توفي** »[2]. فحول فراشه وحفر له موضعه /[١٦٧/ب] ، وكان بالمدينة عبيدة بن الجراح يضرح كحفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة يلحد لأهل المدينة فبعث العباس خلفهما رجلين وقال : اللهم خر لرسول الله ﷺ فجاء أبو طلحة فلحد رسول الله ﷺ[3] ، ودُفن ﷺ من وسط الليل ليلة الأربعاء ، ونزل قبره ﷺ عليّ والعباس وقثم والفضل ابنا العباس وشقران مولى رسول الله ﷺ وأوس بن خولى ، وبسط شقران تحته في القبر قطيفة حمراء كان يفرشها ﷺ[4]، وقيل : كان يتغطى بها ، وقيل : إن عبد الرحمن بن الأسود نزل معهم ، وكذلك عبد الرحمن بن عوف ، وأطبق أسامة على قبره ﷺ سبع لبنات نصبن نصباً[5] ولما دفن ﷺ جاءت فاطمة - رضى الله عنها - فوقفت على قبره وأخذت قبضة من تراب القبر فوضعته على عينها وبكت وأنشأت تقول :

ماذا على مَن شم تربة أحمد ∴ أن لايشم مدى الزمان غَواليا
صبت عليّ مصائب لو أنها ∴ صبت على الأيام عدن لياليا[6]

وتوفيت بعده ﷺ بستة أشهر[7] ، وقيل ثمانية أشهر ، وقيل : ثلاثة أشهر ، وقيل : سبعون يوماً ، وكان ﷺ أخبرها أنها أول أهله لحوقًا به فكانت كذلك ، وقبض ﷺ عن

---

(١) البخارى : كتاب الجنائز - ح (١٢٦٤ - فتح) ، ومسلم : كتاب الجنائز - ح (٩٤١) .

(٢) أورده ابن النجار بسنده (ص ٢٠٤) ، والبداية والنهاية (٢٥٣/٥) ، ومثير الغرام (ص ٤٨٣) ، وأخرج نحوه الترمذى برقم (١٠١٨) .

(٣) راجع صفة الصفوة (١١٩/١) ، والبداية والنهاية (٢٤٧/٥) .

(٤) راجع سيرة ابن هشام (١٧٨/٤ ، ١٧٩) ، والبداية والنهاية (٢٥٤/٥) .

(٥) راجع الدرة الثمينة (ص ٢٠٤) .

(٦) مثير الغرام لابن الجوزى (ص ٤٨٩) ، والدرة الثمينة (ص ٢٠٥) .

(٧) الدرة الثمينة (ص ٢٠٥) .

مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً من الصحابة - رضوان اللـه عليهم - قاله أبو موسى ، وقال أيضًا : شهد مع رسول اللـه ﷺ حجة الوداع أربعون ألفًا من الصحابة /[١٦٨/أ] ممن روى عنه وسمع منه ، وشهد معه تبوك سبعون ألفًا .

ذكر وفاة أبى بكر الصديق رضي الله عنه

ذكر محمد بن جرير الطبرى : أن اليهود سمت أبا بكر فى أرزة . وقيل : أكل هو والحارث ابن كلدة حريرة[١] أهديت لأبى بكر ، فقال الحارث : أرفع يدى إن فيها لسمّ سنة، وأنا وأنت نموت فى يوم واحد عند انقضاء سنة[٢]. وقيل : توفى من لدغة الجريش ليلة الغار. وقيل : كان به طرف من السل قاله الزبير بن بكار ، ومرض خمسة عشر يومًا وكان فى داره التى قطع له رسول اللـه ﷺ وجاه دار عثمان رضي الله عنه ، توفى رضي الله عنه بين المغرب والعشاء من ليلة الثلاثاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهو الأشهر[٣] ، وقال بن إسحاق : توفى ليلة الجمعة لسبع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاثة عشر من الهجرة وهو الأشهر ، وقيل : توفى فى جمادى الأولى حكاه الحاكم ، وقيل : يوم الاثنين لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة ، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر إلا خمس ليال، وقيل : عشر ليال ، وقيل : وثمانية أيام ، وقيل: وسبعة عشر يومًا ، استوفى بخلافته سن رسول اللـه ﷺ ، ولما ولى الخلافه استعمل عمر بن الخطاب على الحج ، ثم حج من قابل ثم أعتمر فى رجب سنة اثنتى عشر ، وتوفى أبو بكر قبل أبى قحافة فورث أبو قحافة منه السدس ورده على ولد أبى بكر ، ومات أبو قحافة فى المحرم سنة أربع عشر من الهجرة وهو ابن سبع وتسعين سنة[٤] ، وغسلت أبا بكر رضي الله عنه زوجته أسماء بوصية منه وابنه عبد الرحمن /[١٦٨/ب] يصب عليها الماء ، وحمل على السرير الذى حمل عليه رسول اللـه ﷺ، وصلى عليه عمر رضي الله عنه وجاه المنبر ، ودفن إلى جنب رسول اللـه ﷺ بوصية منه، وألصق لحده بلحد رسول اللـه ﷺ ، ودخل قبره عمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن أبى بكر[٥].

---

(١) حريرة : طعام يطبخ بالدقيق واللبن .

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزى (١٣٧/١) ، والدرة الثمينة (ص ٢٠٦) .

(٣) راجع صفة الصفوة (١٣٩/١) ، والدرة الثمينة (ص ٢٠٧) .

(٤) الدرة الثمينة (٢٠٧) .

(٥) صفة الصفوة (١٣٩/١) ، والدرة الثمينة (ص ٢٠٧) .

ذكر وفاة عمر ﷺ

يروى أنه خرج يطوف بالسوق بعد حجته فلقيه أبو لؤلؤة فيروز الفارسى غلام للمغيرة بن شعبة وكان نصرانيًا ، وقيل : مجوسيًّا، أعدا علىّ المغيرة بن شعبة فإنّ علىّ خراجًا كثيراً ، قال : فكم خراجك ؟ قال : درهمان فى كل يوم ، قال : فإيش صناعتك؟ قال : نقاش نجار حداد . قال : فما أرى خراجك كثير على ما تصنع من الأعمال ، ثم قال له : وبلغنى أنك قلت : لو أردت أن أعمل رحى يتحدث بها من بين المشرق والمغرب ثم انصرف ، فقال عمر : لقد توعدنى العلج[1] آنفًا ، ثم أتى عمر منزله فجاءه كعب الأحبار فقال: يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت فى ثلاثة أيام ، فقال : وما يدريك ؟ فقال : أجد فى كتاب الله التوراة ، فقال عمر : الله إنك لتجد عمر بن الخطاب فى التوراة ، قال : اللهم لا ولكن أجد صفتك وحليتك وإنه قد فنى أجلك ، فلما كان من الغد جاءه كعب فقال : يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقى يومان ، ثم جاءه بعد ذلك فقال : ذهب يومان وبقى يوم وليلة وهى لك إلى صبحها ، فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة ودخل أبو لؤلؤة فى الناس فى يده خنجر له رأسان نصابه فى وسطه فضرب عمر ست ضربات ، إحداهن تحت سرته وهى التى قتلته وسقط عمر ، وظهر العلج لا يمر على أحد يمينًا أو شمالاً إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً /[١٦٩/أ] مات منهم سبعة ، وقيل : ستة ، وطرح عليه رجل من المسلمين برنسًا واحتضنه من خلفه فنحر العلج نفسه ، وأخذ عمر بيد عبد الرحمن بن عوف فقدمه فصلى بالناس بقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون ، وحمل عمر إلى منزله ودخل عليه المهاجرون والأنصار يسلمون عليه ، ودخل فى الناس كعب فلما نظر إليه عمر أنشأ يقول :

وواعدنى كعب ثلاثًا أعدها ∴ ولاشك أن القول ما قاله كعب
وما بى حذار الموت إنى لميت ∴ ولكن حذار الذنب يتبعه ذنب

طعن يوم السبت غرة المحرم سنة أربع وعشرين بعد حجة تلك السنة ، وقيل: طعن يوم الاثنين لأربع ليال بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وقيل : لثلاث ليال بقين من ذى الحجة ، وبقى ثلاثة أيام بعد الطعنة ثم توفى ، واستأذن عائشة -رضى الله عنها - أن يدفن مع صاحبيه فأذنت له ، وقالوا له : أوصى استخلف ، فقال : ما أجد أحدًا أولى ولا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذى توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض فسمى عثمان وعليًّا والزبير وطلحة وسعدًا وعبد الرحمن بن عوف فهم أهل

---

(١) العِلْج : الواحد من كفار العجم .

الشورى ، وتوفى وسنه يومئذ ثلاث وستون سنة ، وقيل : ستون . وقيل : إحدى وستون، وقيل : ست وستون ، وقيل: خمس وستون ، وقيل: خمس وخمسون ، ونزل قبره عثمان وعليّ وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد ابن أبى وقاص ، وقيل : صهيب وابنه عبد الله ابن عمر عوضًا عن الزبير وسعد ، تولى الخلافة سنة ثلاث عشرة من الهجرة لثمان بقين من جمادى الآخرة وقيل :بويع له فى رجب ، وقيل : فى ذى الحجة من السنة المذكورة فكانت مدة خلافته عشر [١٦٩/ب] سنين وستة أشهر وأربعة أيام(١) ، ولما دفن عمر رضي الله عنه قالت عاتكة ابنة زيد بن عمرو بن عقيل امرأة عمر بن الخطاب ترثيه :

وفجعنى فيروز لا در دره ∴ بأبيض تال للكتاب منيب
رؤوف على الأدنى غليظ على العدا ∴ أخا ثقة فى النائبات نجيب
متى ما يقل لايكذب القول فعله ∴ سريع إلى الخيرات غير قطوب

وعاتكة امرأته تزوجها عبد الله بن أبى بكر فقتل عنها ثم عمر فقتل عنها ثم الزبير فقتل عنها ثم توفيت سنة إحدى وأربعين ، ولما دفن رضي الله عنه لزمت عائشة ثيابها الدرع والخمار والإزار وقالت : إنما كان أبى وزوجى فلما دخل معهما غيرهما لزمت ثيابى ، وابتنت حائطًا بينها وبين القبور وبقيت فى بقية البيت من جهة الشام ، ويروى عنها - رضى الله عنها - أنها رأت فى المنام أنه سقط فى حجرها - وروى فى حجرتها ثلاثة أقمار - فذكرت ذلك لأبى بكر فقال : خيرًا . قال يحيى : فسمعت بعد ذلك أن رسول الله ﷺ لما دفن فى بيتها ، قال أبو بكر : هذا أحد أقمارك يا بنية وهو خيرها(٢).

قال عفيف الدين المرجانى فى فضائل عمر رضي الله عنه : عن ابن عباس قال : رأيت عمر رضي الله عنه فى المنام بعد وفاته فقلت له : يا أمير المؤمنين من أين أقبلت ؟ قال : من حضرة ربى - عز وجل - ، فسألته ماذا فعل الله بك ؟ فقال : أوقفنى بين يديه فسألنى ثم قال : يا عمر تناديك امرأة على شاطئ الفرات فأهلك من شاها شاة تقول : واعمراها واعمراها تستغيث بك فلا تجيبها . فقلت : وعزتك وجلالك ما علمت بذلك وأنت أعلم منى ، فقال لى : وقد كان يجب عليك ، وإنى أرعد من تلك المسألة إلى هذا /[١٧٠/أ] الوقت ، قال ابن عباس : ثم ماذا قال ؟ قال : رددت إلى مضجعى فهبط علىّ منكر ونكير فقالا لى: من ربك ؟ ومن نبيك ؟ فقلت لهما : أما تستحيان منى ولمثلى تقولان هذا وجذبتهما إلىّ ، وقلت : الله ربى وضجيعى نبى وأنتما من ربكما ؟ فقال نكير لمنكر : والله يا أخى ما

---

(١) راجع صفة الصفوة (١/١٥٠) ، والدرة الثمينة (ص ٢٠٨ - ٢١٠) .
(٢) راجع الدرة الثمينة (ص ٢١٠ ، ٢١١) .

ندرى نحن المبعوثون إلى عمر أم عمر المبعوث إلينا ، فرفع رسول الله ﷺ رأسه من لحده فقال لهما : «**هو عمر بن الخطاب هو أعرف بربه منكما**» .

ما جاء أن النبى ﷺ وأبا بكر وعمر – رضى الله عنهما – وعيسى – عليه السلام – خلقوا من طينة واحدة وأن كل مخلوق يدفن فى تربته التى خلق منها

عن أنس بن يحيى قال : لقى رسول الله ﷺ جنازة فى بعض سكك المدينة فسأل عنها فقالوا : فلان الحبشى فقال رسول الله ﷺ : «**سيق من أرضه وسمائه إلى التربة التى خلق منها**»[(١)] . قال الحافظ محب الدين بن النجار : فعلى هذا طينة النبى ﷺ التى خلق منها من المدينة ، وطينة أبى بكر وعمر – رضى الله عنهما – من طينة النبى ﷺ وهذه منزلة رفيعة[(٢)] . وفى قوله تعالى :﴿**منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم**﴾[(٣)] . إشارة إلى رد الإنسان إلى طينة المبدأ التى منها النشأة الأولى ، فالإنسان يدفن فى مكان أخذ تربته على حد الموازنة ، فلا يقال لأهل البقيع إنهم من تربة النبى ﷺ وإنما لهم شركة فى الأرض المأخوذ منها ، دليله ما روى عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «**ما من مولود إلا وفى سرته من تربته التى يخلق منها ، فإذا** /[١٧٠/ب] **رد إلى أرذل العمر رد إلى تربته التى خلق منها حتى يدفن فيها ، وإنى وأبا بكر وعمر خلقنا من تربة واحدة وفيها ندفن**». انتهى . ومن دفن منه جزء بأرض ودفن جزء آخر بأرض أخرى يمكن أن يقال خلق من تربتين من أرضين ، وقيل : لا يمكن وليست تربته إلا ما حازت عجب الذنب منه ؛ لأنها فيما يظهر تربة حفرته بدليل بقائها ومنها ينبت فى النشأة الثانية كذا ذكره عفيف الدين المرجانى .

قال أهل السير : وفى بيت عائشة – رضى الله عنها – موضع قبر فى السهوة الشرقية ، قال سعيد بن المسيّب : فيه يدفن عيسى ابن مريم – عليه السلام – مع النبى ﷺ

وعن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال : يدفن عيسى ابن مريم مع النبى ﷺ وصاحبيه – رضى الله عنهما – ، ويكون قبره الرابع[(٤)] فعلى هذا فطينته من طينتهم .

وعن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :«**إذا أهبط الله المسيح فيعيش**

---

(١) أورده ابن النجار بسنده : الدرة الثمينة (ص ٢١١) .

(٢) الدرة الثمينة (ص ٢١١) .

(٣) سورة طه : الآية (٥٥) .

(٤) الدرة الثمينة (٢١١) .

فى هذه الأمة ما يعيش فيموت بمدينتى هذه ، ويدفن إلى جانب قبر عمر ، فطوبى لأبى بكر وعمر يحشران بين نبيين» فانظر إلى هذا الفضل العظيم وعن هارون بن موسى العروى[1]. قال : سمعت جدى أبا علقمة سئل كيف كان الناس يسلمون على النبى ﷺ قبل أن يدخل البيت فى المسجد ؟ فقال : كان يقف الناس عند باب البيت يسلمون عليه ، وكان الباب ليس عليه غلق حتى هلكت عائشة - رضى الله عنها - وقيل : كان الناس يأخذون من تراب قبر النبى ﷺ فأمرت عائشة - رضى الله عنها - بجدار فضرب عليهم[2]. ويروى أن امرأة قالت لعائشة: اكشفى[3] /[١٧١/أ] لى قبر رسول الله ﷺ فكشفته لها فبكت حتى ماتت .

ما جاء فى صفة وضع القبور المقدسة وصفة الحجرة الشريفة

سبب الاختلاف فى ذلك شدة هيبة تلحق الناظر فتزيل منه كيفية التمييز ، كما سئل بعض من نزل الحجرة المقدسة لسبب يأتى فقال : لا أدرى ما رأيت .

عن عمر بن بطاس[4] قال : رأيت قبر النبى ﷺ لما هدم عمر بن عبد العزيز عنه البيت مرتفعًا نحوًا من أربع أصابع عليه حصباء إلى الحمرة ما هى[5] ، ورأيت قبر أبى بكر رضي الله عنه وراء قبر النبى ﷺ ، ورأيت قبر عمر أسفل منه ، وهذه صفته[6] :

قبر النبى ﷺ

قبر أبى بكر رضي الله عنه

قبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : رأس النبى ﷺ مما يلى المغرب ، ورأس أبى بكر عند رجل النبى ﷺ ، وعمر خلف ظهر النبى ﷺ وهذه صفته[7] :

---

(١) فى الدرة الثمينة : «العروبى» .

(٢) الدرة الثمينة (ص ٢١١) .

(٣) جاءت فى الأصل مكررة .

(٤) فى الدرة الثمينة : «عثمان بن نطاس» .

(٥) فى الدرة الثمينة : «مائلة» ، وهى الصواب ، والله أعلم .

(٦) الدرة الثمينة (ص ٢١٢) .

(٧) الدرة الثمينة (ص ٢١٢) .

قبر النبى ﷺ

عمر رضي الله عنه   أبو بكر رضي الله عنه

وعن نافع بن أبى نعيم : أن صفة قبر النبى ﷺ وقبر أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - قبر النبى ﷺ أمامهما إلى القبلة مقدمًا ، ثم قبر أبى بكر حذاء منكبى رسول الله ﷺ ، وقبر عمر حذاء منكبى أبى بكر - رضى الله عنهما - وهذه صفته[1] /[١٧١/ب] :

قبر النبى ﷺ

قبر أبو بكر رضي الله عنه

قبر عمر رضي الله عنه

وعن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضي الله عنه قال : دخلت على عائشة - رضى الله عنها - فقلت : يا أمه أرينى قبر النبى ﷺ وصاحبيه - رضى الله عنهما - فكشفت لى عن قبورهم فإذا هى لا مرتفعة ولا لاطئة مبطوحة بيضاء[2] حمراء من بطحاء العرصة ، وإذا قبر النبى ﷺ أمامها ، [و][3] رجلا أبى بكر عند رأس النبى ﷺ ، ورأس عمر عند رجلى النبى ﷺ ، وهذه صفته[4] :

النبى ﷺ

أبو بكر رضي الله عنه   عمر رضي الله عنه

وروى ابن المنكدر بن محمد عن أبيه قال : قبر رسول الله ﷺ ، وقبر أبى بكر خلفه، وقبر عمر عند رجل النبى ﷺ ، وهذه صفته[5] :

النبى ﷺ

أبو بكر رضي الله عنه   عمر رضي الله عنه /[١٧٢/أ]

وعن عبد الله بن محمد بن عقيل قال : خرجت فى ليلة مطيرة إلى المسجد حتى إذا كنت عند دار المغيرة بن شعبة لقيتنى رائحة والله ما وجدت مثلها قط ، فجئت المسجد

---

(١) الدرة الثمينة (ص ٢١٢) .

(٢) هكذا فى الأصل ، وفى البداية والنهاية : «ببطحاء» .

(٣) ليست فى الأصل ، والسياق يقتضى وضعها . والله أعلم .

(٤) راجع البداية والنهاية وقد عزاه إلى أبى داود والحاكم والبيهقى (٢٥٨/٥) ، والدرة الثمينة (ص ٢١٣).

(٥) الدرة الثمينة (ص ٢١٣) .

فبدأت لقبر النبى ﷺ فإذا جداره قد انهدم ، فدخلت فسلمت على النبى ﷺ ومكثت فيه مليًّا ، ورأيت القبور فإذا قبر رسول الله ﷺ وقبر أبى بكر عند رجليه ، وقبر عمر عند رجلى أبى بكر - رضى الله عنهما - ، وهذه صفته[1] :

النبى ﷺ

أبو بكر رضي الله عنه

عمر رضي الله عنه

وعلى هذه الصفة المذكورة روى عن عبد الله بن الزبير أيضًا ، وقد اختلفت الرواية فى قبره ﷺ هل هو مسنم أو مسطح ؟ فروى الوصفان جميعًا[2] ، والمسنم المرتفع ، وكذلك اختلفوا فى قبر ضجيعيه - رضى الله عنهما - .

قال الحافظ محب الدين : وسقط جدار حجرة النبى ﷺ الذى يلى موضع الجنائز فى زمان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، فظهرت القبور فأمر عمر بن عبد العزيز بقباطى فخيطت ثم ستر الموضع ، وأمر ابن وردان أن يكشف عن الأساس فبينما هو يكشفه إذ رفع يده وتنحى ، فقام عمر بن عبد العزيز فزعًا فرأى قدمين ورأى الأساس وعليها السعد[3] ، فقال له عبد الله بن عبد الله بن عمر رضي الله عنه : أيها الأمير لا يروعك فهما قدما جدك عمر بن الخطاب ضاق البيت عنه ، فحفر له فى الأساس ، فقال له /[١٧٢/ب] ابن وردان : غط ما رأيت ففعل[4] .

وعن هشام بن عوف[5] عن أبيه قال : لما سقط الحائط فى زمن الوليد أخذوا فى بنيانه ، فبدت لهم قدم ففزعوا وظنوا أنها قدم النبى ﷺ حتى قال لهم عروة : لا والله ما هى قدم النبى ﷺ ، ما هى إلا قدم عمر[6] . وأمر عمر بن عبد العزيز أبا حفصة مولى عائشة - رضى الله عنها - وناسًا معه فبنوا الجدار وجعلوا فيه كوة فلما فرغوا منه وربعوه[7] ، دخل مزاحم مولى عمر رضي الله عنه فقم ما سقط على القبر من التراب والطين ونزع

---

(١) الدرة الثمينة (ص ٢١٣) .

(٢) راجع مثير الغرام (ص ٤٨٤) ، والبداية والنهاية (٥/٢٥٨) ، وفتح البارى (٣/٢٥٥) .

(٣) هكذا فى الأصل ، وفى الدرة الثمينة : «وعليها الشعر» . والله أعلم .

(٤) الدرة الثمينة (ص ٢١٤) .

(٥) هكذا فى الأصل ، والصواب : «هشام عن عروة» . والله أعلم .

(٦) البداية والنهاية (٥/٢٥٨) ، وعزاه للبخارى ، والدرة الثمينة (ص ٢١٤) .

(٧) هكذا فى الأصل ، وفى الدرة الثمينة : « ورفعوه» .

القباطي[1]. قال الحافظ محب الدين : وبنى عمر بن عبد العزيز على حجرة النبي ﷺ حائطًا ولم يوصله إلى السقف بل دونه بمقدار أربعة أذرع وأدار عليها شباكًا من خشب[2].

قال الشيخ جمال الدين : وبعد احتراق المسجد أعيد الشباك كما كان أولاً ، وهو يظهر اليوم لمن تأمله من تحت الكسوة ، وأدخل عمر بن عبد العزيز بعض بيت فاطمة - رضي الله عنها - من جهة الشمال في الحائز الذي بناه بحرفاء يلتقي على ركن واحد كما سنبينه ، فصار لها ركن خامس ؛ لئلا تكون الحجرة الشريفة مربعة كالكعبة ، فتتصور جهال العامة أن الصلاة إليها كالصلاة إلى الكعبة ، وبقي بقية من البيت من جهة الشمال وفيه اليوم صندوق مربع من خشب فيه إسطوان وخلفه محراب[3].

قال الحافظ محب الدين: لما ولى المتوكل الخلافة أمر إسحاق بن سلمة وكان على عمارة الحرمين من قبله بأن تؤزر الحجرة المقدسة بالرخام من حولها ففعل ، ولم يزل إلى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة في خلافة /[١٧٣/أ] المقتفي ، فجدد تأزيرها جمال الدين الأصبهاني وجعل الرخام حولها قامة وبسْطة ، وهو الذي عمل الشباك الدائر بالحجرة المقدسة اللاصق بالسقف وهو الذي احترق وكان من خشب الصندوق[4] والأبنوس مكتوبًا بأقطاع الخشب الأراونك سورة الإخلاص صنعة بديعة ، ولم تزل حتى عمل لها الحسين بن أبي الهيجاء صهر الملك الصالح ستارة ، وعليها الطرز والجامات المرقومة بالإبريسم ، وأدار عليها إزارًا من الإبريسم مكتوبًا فيه سورة يس فعلقها نحو العامين ، ثم جاءت من الخليفة ستارة فنفذت تلك المتقدمة إلى مشهد عليّ بالكوفة وعلقت هذه عوضها ، فلما ولى الإمام الناصر لدين الله نفذ ستارة أخرى فعلقت فوق تلك المذكورة ، فلما حجت الخليفة[5] أم الخليفة وعادت [إلى][6] العراق نفذت ستارة فعلقت على الستارتين[7] قال ابن النجار : ففي يومنا هذا عليها ثلاث ستائر ، ثم قال - رحمه الله - : واليوم في رصف سقف المسجد الذي بين الحجرة والقبلة نيِّف وأربعون قنديلاً كبارًا وصغارًا من الفضة المنقوشة

---

(١) الدرة الثمينة (ص ٢١٤) .

(٢) الدرة الثمينة (ص ٢١٤) .

(٣) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٤٦) .

(٤) هكذا في الأصل ، وفي الدرة الثمينة : «الصندل» .

(٥) في الدرة : «الجهمة» .

(٦) ليست في الأصل ، والسياق يقتضي وضعها . والله أعلم .

(٧) الدرة الثمينة (ص ٢١٤ ، ٢١٥) .

والسادج ، وفيها اثنان بلور وواحد ذهب وفيها قمر[1] فضة مغموس فى الذهب نفذتها الملوك وأرباب الأموال[2]. قال المرجانى : وهى إلى الآن باقية .

قال المطرى : ولم يكن على الحجرة الشريفة قبة ، بل كان ما حول حجرة النبى ﷺ حصيرًا فى السطح مبنيًا بالآجر مقدار نصف قامة ، يميز الحجرة عن السطح إلى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة فى دولة السلطان الملك المنصور قلاوون عمل هذه القبة ، وهى أخشاب أقيمت وسمر عليها ألواح خشب ثم ألواح رصاص ، وعمل /[١٧٣/ب] مكان الحصير شباكًا من خشب وتحته بين السقفين أيضًا شباكًا خشب تحكيه ، وفى سقف الحجرة الشريفة بين السقفين ألواح خشب سمر بعضها إلى بعض ، وسمر عليها ثوب مشمع ، وهناك طابق مقفل إذا فتح كان النزول منه إلى ما بين حائط بيت النبى ﷺ وبين الحائز الذى بناه عمر بن عبد العزيز[3] ، قال : وكما حج السلطان الملك الظاهر فى سنة سبع وستين وستمائة اقتضى رأيه أن يدير على الحجرة الشريفة درابزينًا ، فقاس ما حولها بيده وعمل الدرابزين الموجود اليوم ، وأرسله فى سنة ثمان وستين وأداره عليها ، وفيه ثلاثة أبواب قبلى وشرقى وغربى ، ونصبه ما بين الأساطين التى تلى الحجرة الشريفة إلا من ناحية الشمال ، فإنه زاد فيه إلى متهجد النبى ﷺ ، وظن ذلك زيادة حرمة للحجرة المقدسة ، فحجر طائفة من الروضة مما يلى بيت النبى ﷺ فلو كان ما حجره عكس ، وجعل من الناحية الشرقية وألصق الدرابزين بالحجرة مما يلى الروضة لكان أخف ؛ إذ الناحية فيه ليست من الروضة ولا من المسجد القديم ، بل مما زيد فى أيام الوليد[4] ، ثم قال : ولم يبلغنى أن أحدًا أنكر ذلك ولا ألقى إليه بالاً ، وهذا من أهمّ ما ينظر فيه ، وكان الدرابزين الذى عمل الملك الظاهر نحو القامتين ، فلما كان فى تاريخ سنة أربع وتسعين وستمائة زاد عليه الملك العادل زين الدين كتبغا شباكًا دائرا عليه ورفعه حتى أوصله السقف[5] ، قال رحمه الله : ومما أحدث فى صحن المسجد الشريف قبة كبيرة عمرها الإمام الناصر /[١٧٤/أ] لدين الله فى سنة سبعين وخمسمائة ؛ لحفظ حواصل الحرم وذخائره ، مثل المصحف العثمانى ، ولما احترق المسجد سلم ما فيها ببركة المصحف

(١) فى الدرة : «قصر» .

(٢) الدرة الثمينة (٢١٥) .

(٣) التعريف بما آنست به الهجرة (ص ٤٧) .

(٤) التعريف بما آنست به الهجرة (ص ٤٧) .

(٥) التعريف بما آنست به الهجرة (ص ٤٧) .

الكريم ، ولكونها فى وسط المسجد ، ومما أحدث أيضًا فى الصخرة من جهة القبلة رواقان أمر بإنشائهما السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة تسع وعشرين وسبعمائة ، فاتصل ظل السقف القبلى بهما وعم نفعهما ، وهما المقوس أعلاهما وأزيلت المقصورة التى كانت تظل الحجرة الشريفة للاستغناء عنها بهما . وكان المتسبب فى إزالتها إمام المدينة الشريفة شرف الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن أحمد الأسيوطى ، وذلك لأنها كانت يجتمع فيها أهل البدع وكانت لهم كالمجتهد فاجتهد فى إزالتها وهدمها ليلاً وأدخلها فى الحجرة الشريفة ، فتربعت الحجرة الشريفة وذلك فى أواخر سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، توفى - رحمه الله - يوم الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، وهذه صفة[1] مثال الحائز الذى بناه عمر بن عبد العزيز وصفة حجرة النبى ﷺ فى وسطه[2]. /[١٧٤/ب] .

قال الحافظ محب الدين : واعلم أن فى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة سمعوا صوت هدّة فى الحجرة المقدسة ، وكان الأمير يومئذ قاسم بن مهنا الحسينى فأخبروه بالحال فقال: ينبغى أن ينزل شخص لينظر ما هذه الهدة ، فلم يجدوا أمثل حالاً من الشيخ عمر النشائى شيخ شيوخ الصوفية بالموصل ، فاعتذر لمرض كان به يحتاج إلى الوضوء فى غالب الأوقات، فألزموه فامتنع من الأكل والشرب مدة ، وسأل النبى[3] ﷺ إمساك المرض عنه بقدر ما يبصر ويخرج ، ونزل بحبال من بين السقفين ومعه شمعة ، ودخل إلى الحجرة فرأى شيئًا من السقف قد وقع على القبور المقدسة فأزاله وكنس التراب بلحيته ، وأمسك الله عنه الداء بقدر ما خرج وعاد إليه ، توفى الشيخ عمر بمكة بعد نزوله بتسع سنين فى سنة ست وخمسين وخمسمائة ، وكذلك أيضًا فى سنة أربع وخمسين وخمسمائة فى أيام قاسم المذكور وجد فى الحجرة الشريفة رائحة منكرة ، فذكروه للأمير فأمرهم بالنزول ، فنزل الطواشى بيان الأسود أحد خدام الحجرة الشريفة ، ونزل معه الصّفى الموصلى متولى عمارة المسجد ، وهارون الشادى الصوفى بعد أن بذل جملة من المال للأمير فى ذلك ، فوجدوا هرًّا قد هبط من الشباك الذى فى أعلى الحائز[4] بين الحائز وبين بيت النبى ﷺ فأخرجوه وطيبوا مكانه، وكان نزولهم يوم السبت الحادى عشر من ربيع الآخرة[5].

---

(١) هذا الوصف غير واضح بالأصل .

(٢) التعريف بما آنست به الهجرة (ص ٤٨) .

(٣) فى الدرة الثمينة : «وسأل الله تعالى» ، وهو الصواب . والله أعلم .

(٤) فى الدرة : «الحاجز بين الحجرة والمسجد» .

(٥) الدرة الثمينة (ص ٢١٧) .

الفصل التاسع

في حكم زيارة رسول الله ﷺ وفضلها وكيفيتها وكيفية زيارة ضجيعيه - رضى الله عنهما - وكيفية السلام عليه ﷺ حال الزيارة /[١٧٥/أ] والسلام على ضجيعيه والتوسل به إلى الله عز وجل وإثبات حياته وبقاء حرمته ﷺ بعد وفاته وذكر ما روى فى الحجرة الشريفة من العجائب وشوهد فيها من الغرائب

ذكر حكم زيارة النبي ﷺ وفضلها

إذا انصرف الحجاج والمعتمرون عن مكة المشرفة يستحب لهم استحبابًا مؤكدًا أن يتوجهوا إلى مدينة سيدنا رسول الله ﷺ ؛ للفوز بزيارته ، فإنها من أعظم القربات وأرجى الطاعات والحج المتاعى ، «وفى شرح المختار»[1] : لما جرى الرسم أن الحاج إذا فرغوا من مناسكهم وقفلوا عن المسجد الحرام قصدوا المدينة زائرين قبر النبي ﷺ ، إذ هى من أفضل المندوبات والمستحبات ، بل تقرب من درجة الواجب ، فإنه ﷺ حرض عليها وبالغ فى الندب إليها ، أحببت أن أذكر فيها فصلاً أذكر فيه نبذًا من الآداب وذكرها . وفى مناسك الفارسى : أنها قريبة إلى الواجب فى حق من كان له سعة . وممن صرح باستحبابها وكونها سنة من الشافعية فى أواخر باب أعمال الحج الغزالى فى «الإحياء»[2] والبغوى فى «التهذيب» والشيخ عز الدين بن عبد السلام فى «مناسكه» ، وأبو عمرو بن الصلاح وأبو زكريا النووى[3] - رحمهم الله تعالى - ، ومن الحنابلة الشيخ موفق الدين والإمام أبو الفرج البغدادى وغيرهم ، وأما المالكية فقد حكى القاضى عياض منهم الإجماع على ذلك ، وفى «تهذيب الطالبين» لعبد الحق عن الشيخ ابن عمران المالكى : أن زيارة قبر النبي ﷺ واجبة ، قال عبد الحق : يعنى من السنن الواجبة ، وفى كلام العبدى المالكى فى «شرح الرسالة» : أن /[١٧٥/ب] المشى إلى المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس . وأكثر عبارات الفقهاء أصحاب المذاهب تقتضى استحباب السفر للزيارة ؛ لأنهم استحبوا للحاج بعد الفراغ من الحج الزيارة ومن ضرورتها السفر وأما نفس الزيارة فالأدلة عليها كثيرة ومنها : قوله تعالى :﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول**﴾[4]..الآية. ولاشك أنه ﷺ حى وأن أعمال أمته معروضة عليه . ومنها : حديث ابن عمر المذكور فى باب الفضائل يرفعه : «**من زار قبرى وجبت له شفاعتى**»[5]. رواه الدارقطنى وابن أبى الدنيا وابن خزيمة والبيهقى فى «الشعب» . وفى لفظ : «**من جاءنى زائرًا لم تنزعه حاجة إلا زيارتى كان**

---

(١) الاختيار فى تعليل المختار (٢٢٦/١) .

(٢) الإحياء (٣٠٨/١) .

(٣) راجع الإيضاح فى مناسك الحج (ص ١٥٦) .

(٤) سورة النساء : الآية (٦٤) .

(٥) أخرجه الدار قطنى : سننه (٢١٧/٢) ، ومثير الغرام (ص ٤٨٦) ، وابن النجار بسنده : الدرة الثمينة (ص ٢٢١) . ورمز له السيوطى بالضعف .

حقا عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة»[1]. كذا في الخلعيات ، وعند أبي يعلى الموصلي بلفظ : «**من زارني بعد وفاتي عند قبري فكأنما زارني في حياتي**»[2]. وفي لفظ الدارطني: «**كان كمن زارني في حياتي وصحبني**»[3]. وفي لفظ : «**من زارني محتسبًا إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة**»[4]. ذكره البيهقي وابن الجوزي وغيرهما. وعند ابن عدي عن ابن عمر يرفعه : «**من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني**»[5]. وذكره ابن الجوزي في الموضوعات وهو غير جيد ، لأن ابن عدي لما رواه بين سنده وحكم بأنه جيد، والدارقطني لما رواه في «غريب مالك» قال : تفرد به هذا الشيخ - يعني النعمان بن سبل -وهو منكر ، ولايلزم من هذا أن يكون المتن منكراً ، وفي البيهقي في «السنن الكبير» وفي الثاني من فوائد الحافظ أبي الفتح الأزدي عن ابن مسعود يرفعه : «**من حج /[١٧٦/أ] حجة الإسلام وزار قبري وغزا غزوة وصلى عليّ من بيت المقدس لم يسأله الله تعالى فيما افترض عليه**». وفي «الدرة الثمينة» لابن النجار عن أنس يرفعه: «**ما من أحد من أمتي له منعة لم يزرني فليس له عذر**»[6]. وقد تقدم في باب الفضائل الأحاديث الواردة في فضل زيارة القبر المقدس قوله في الحديث : «**وجبت له شفاعتي**» معناه حققت وثبتت ولزمت وإنه لابد منها بوعده ﷺ تفضلاً منه .

قال الشيخ تقي الدين السبكي وقوله : « وجبت له » إما أن يكون المراد له بخصوصية بمعنى أن الزائرين يخصون بشفاعة لاتحصل لغيرهم عمومًا ولاخصوصًا ، وإما أن يكون المراد أنهم يفردون بشفاعة مما يحصل لغيرهم ويكون إفرادهم بذلك تشريفاً وتنويهًا بسبب الزيارة ، وإما أن يكون المراد أنه ببركة الزيارة يجب دخوله في عموم من تناله الشفاعة ، وفائدة ذلك البشرى بأنه يموت مسلمًا وعلى هذا التقدير الثالث يجب إجراء اللفظ على عمومه ؛ لأننا لو أضمرنا فيه شرطاً لو مات على الإسلام لم يكن لذكر الزيارة معنى ؛

---

(١) أورده ابن النجار بسنده : الدرة الثمينة (ص ٢٢١) .

(٢) أخرجه البيهقي (٢٤٦/٥) ، والدارقطني (٢١٧/٢) ، ومثير الغرام (ص ٤٨٦) ، وابن النجار في الدرة الثمينة (ص ٢٢١) . وقال البيهقي : تفرد به حفص بن سليمان وهو ضعيف .

(٣) أورده ابن النجار بسنده عن ابن عمر : الدرة الثمينة (ص ٢٢١) .

(٤) البيهقي في الشعب ح (٤١٥٧) ، وتنزيه الشريعة (١٧٦/٢) ، ومثير الغرام (ص ٤٨٧) . بلفظ : « كنت له شهيدًا وشفيعًا يوم القيامة » .

(٥) أخرجه الدار قطني (٢١٧/٢) ، وابن النجار : الدرة الثمينة (ص ٢٢١) .

(٦) الدرة الثمينة (ص ٢٢١) .

لأن الإسلام وجه كاف فى نيل هذه الشفاعة وعلى التقديرين الأولين يصح هذا الإضمار ، فالحاصل أن أثر الزيارة إما الوفاة على الإسلام مطلقاً لكل زائره وكفى بها نعمة ، وإما شفاعة خاصة بالزائر أخص من الشفاعة العامة . وقوله : شفاعتى فى الإضافة إليه تشريف لها فإن الملائكة والأنبياء والمؤمنين يشفعون والزائر لقبره ﷺ له نسبة خاصة منه يشفع فيه /[١٧٦/ب] هو بنفسه والشفاعة تعظم بعظم الشافع فكما أن النبى ﷺ أفضل من غيره كذلك شفاعته أفضل من شفاعة غيره . انتهى كلام السبكى .

ومنها : أن نبيناﷺ أحياه الله بعد موته حياة تامة واستمرت تلك الحياة إلى الآن، وهى مستمرة إلى يومة القيامة إن شاء الله تعالى ، ويشاركه فى ذلك جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والدليل على ذلك أمور أحدها : قوله تعالى : ﴿ **ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾(١) . والشهادة حاصلة لهﷺعلى أتم الوجوه ؛ لأنه شهيد الشهداء ، قال الله تعالى : ﴿ **ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾(٢).وإن توهم أن ذلك من خصائص القتل ، فقد حصل له ذلك أيضاً من أكلة خيبر، صرح ابن عباس وابن مسعود وغيرهما بأنه ﷺمات شهيداً. ثانيها : حديث أنس يرفعه : «**الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون**»(٣) . وفى لفظ عند البيهقى : «**الأنبياء لايتركون فى قبورهم بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدى الله عز وجل حتى ينفخ فى الصور**» . ثالثها : حديث أنس عند مسلم :«**أتيت على موسى ليلة أسرى بى وهو قائم يصلى فى قبره**»(٤) . رابعها : حديث الإسراء ورؤيته الأنبياء وذكره لكل أحد أنه على صورة كذا وبهيئة كذا ومستند إلى البيت المعمور ، وأمثال ذلك دلائل قاطعة على أنهم أحياء بأجسادهم . خامسها : حديث أوس بن أوس «**إن الله حرم على الأرض أن** /[١٧٧/أ] **تأكل أجساد الأنبياء** »(٥) . وفيه دليل واضح وقد ذهب إلى ما ذكرنا دليله وأوضحنا حجته جماعة من أهل العلم وصرحوا به ، منهم الإمام البيهقى والأستاذ أبو

---

(١) سورة آل عمران : الآية (١٦٩) .

(٢) سورة البقرة : الآية : (١٤٣) .

(٣) أخرجه أبو يعلى فى مسنده ، ورمز له السيوطى بالحسن .

(٤) مسلم : كتاب الفضائل - باب فضائل موسى ح (٢٣٧٥) .

(٥) أخرجه أبو داود : كتاب الجمعة ح (١٠٤٧) ، والنسائى : فى كتاب الجمعة (٣/٩١ - ٩٢) ، وابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة ح (١٠٨٥) . وصححه الحاكم ووافقه الذهبى ، وحسنه المنذرى وابن حجر .

القاسم القشيري وأبو حاتم بن حبان وأبو طاهر الحسين بن على الأردستاني ، وصرح به أبو عمرو بن الصلاح ومحيي‌الدين النووي والحافظ محب الدين الطبري وغيرهم .

وأما حديث : «**لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**»[1] . فلادلالة فيه على النهي عن الزيارة ، بل هو حجة في ذلك ، ومن جعله دليلاً على حرمة الزيارة فقد أعظم الجرأة على الله وعلى‌رسوله ، وفيه برهان قاطع على غباوة قائله ، وقصوره عن ذوق صافي العلم، وقصوره عن نيل درجة كيفية الاستنباط والاستدلال ، والحديث فيه دليل على استحباب الزيارة من وجهين ؛ الأول : أن موضع قبره الشريف أفضل بقاع الأرض ، وهوﷺأفضل الخلق وأكرمهم على الله تعالى ؛ لأنه لم يقسم بحياة أحد غيره ، وأخذ الميثاق من الأنبياء بالإيمان به وبنصره ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه..** ﴾[2] الآية. وشرفه بفضله على سائر المرسلين وكرمه ؛ بأن ختم به النبيين ورفع درجته في عليين ، فإذا تقرر أنه أفضل المخلوقين وأن تربته أفضل بقاع الأرض ، استحب شد الرحال إليه وإلى‌تربته بطريق الأوْلى . الوجه الثاني: أنه استحب شد الرحال إلى مسجد المدينة ، ولايتصور من المؤمنين المخلصين انفكاك قصده عنهﷺ /[١٧٧/ب] ، وكيف يتصور أن المؤمن المعظم قدر النبي ﷺ يدخل مسجده ويشاهد حجرته ويتحقق أنه يسمع كلامه ثم بعد ذلك يسعه أن لايقصد الحجرة والقبر ، ويسلم على رسول الله ﷺ، هذا مما لاخفاء فيه على أحد ، وكذلك لو قصد زيارة قبره لم ينفك قصده عن قصده المسجد ، ومن الدليل على الزيارة الأحاديث الكثيرة الصحيحة في فضل زيارة الإخوان في الله ، فزيارة النبي ﷺ أوْلى وأوْلى . ومنها : أن حرمته ﷺ واجبة حيا و ميتا ، ولاشك أن الهجرة إليه كانت في حياته من أهم الأشياء فكذا بعد موته . ومنها : الأحاديث الدالة على استحباب زيارة القبور، وهذا في حق الرجال مجمع عليه ، وفي حق النساء فيه خلاف ، هذا في غير قبر النبي ﷺ ؛ وأما زيارة قبره ﷺ فالإجماع على استحبابها للرجال والنساء . ومنها : أن الإجماع على جواز شد الرحال للتجارة وتحصيل المصالح الدنيوية فهذا أولى ؛ لأنه من أعظم المصالح الأخروية . ومنها : إجماع الناس العملي على زيارته ﷺ وشد الرحال إليه بعد الحج ، من بعد وفاته إلى زماننا هذا . ومنها : الإجماع القولي. قال

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) سورة آل عمران : الآية (٨١) .

القاضى عياض : زيارة قبره ﷺ سنة من المسلمين مجمع عليها[1] .

وأما الآثار فكثيرة جدًّا ، عن يزيد المهدى قال : لما ودعت عمر بن عبد العزيز قال : إنى لى إليك حاجة . قلت : يا أمير المؤمنين كيف ترى حاجتك عندى ؟ قال : إنى أراك إذا أتيت المدينة سترى قبر النبى ﷺ فأقرئه منى السلام ./[١٧٨/أ] وعن حاتم بن وردان قال : كان عمر بن عبد العزيز يوجه البريد قاصداً من الشام إلى المدينة ؛ ليقرئ عنه النبى ﷺ السلام . وفى باب الحج من فتاوى الفقيه أبى الليث قال أبو القاسم : لما أردت الخروج إلى مكة قال القاسم بن غسان : إن لى إليك حاجة إذا أتيت قبر النبى ﷺ فأقرئه منى السلام . فلما وضعت رجلى فى مسجد المدينة ذكرت ذلك . قال الفقيه أبو الليث : فيه دليل أن من لم يقدر على الخروج فأمر غيره ليسلم عنه فإنه ينال فضل السلام إن شاء الله تعالى . انتهى . وفى مسند الدارمى : أنه لما كان أيام الحرة لم يؤذن فى مسجد النبى ﷺ ثلاثاً ولم يقم ولم يبرح سعيد بن المسيب فى المسجد ، وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبر النبى ﷺ . وعن أم الدرداء قالت : لما رحل عمر بن الخطاب رضي الله عنه من فتح بيت المقدس فصار إلى الخابية ، فسأله بلال أن يقره بالشام ففعل ذلك ، فقال: وأخى أبو رويحة - يعنى عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمى - الذى آخى بينى وبينه رسول الله ﷺ ، فنزل دارنا فى خولان فأقبل هو وأخوه إلى قوم من خولان ، فقال لهم : إنا قد أتيناكم خاطبين ، وقد كنا كافرين فهدانا الله تعالى ، ومملوكين فأعتقنا الله تعالى ، وفقيرين فأغنانا الله تعالى ، فإن تزوجونا فالحمد لله تعالى ، وإن تردونا فلا حول ولاقوة إلا بالله، فزوجوهما ، ثم إن بلالاً رأى فى منامه النبى ﷺ وهو يقول : ما هذه الجفوة يابلال /[١٧٨/ب] أما آن لك أن تزورنى . فانتبه بلال حزيناً وجلاً خائفاً ، فركب راحلته وقصد المدينة فأتى قبر النبى ﷺ فجعل يبكى عنده ويمرغ وجهه عليه ، فأقبل الحسن و الحسين فجعل يضمهما ويقبلهما ، فقالا له : يا بلال نشتهى نسمع أذانك الذى كنت تؤذن لرسول الله ﷺ فى المسجد ففعل ، فعلا سطح المسجد فوقف موقفه الذى كان يقف فيه ، فلما قال : الله أكبر الله أكبر ارتجت المدينة ، فلما قال أشهد أن لاإله إلا الله ازدادت رجتها ، فلما قال: أشهد أن محمدا رسول الله خرجت العواتق من خدورهن، وقالوا : بعث رسول الله ﷺ فما رؤى يوم أكثر باكياً ولاباكية بالمدينة بعد رسول الله ﷺ من ذلك ، ذكره ابن عساكر فى ترجمة بلال . وليس الاعتماد فى الاستدلال بهذا الحديث على رؤيا المنام فقط ، بل على فعل بلال وهو

---

(١) راجع الشفاء (٢/٧٤) .

صحابى لاسيما فى خلافة عمر ﷺ، والصحابة متوافرون ولاتخفى عنهم هذه القصة ، فسفر بلال فى زمن صدر الصحابة لم يكن إلا للزيارة والسلام على النبىﷺ ، وكذلك إبراد عمر بن عبد العزيز البريد من الشام فى زمن صدر التابعين فلا يقل من لاعلم له : إن السفر لمجرد الزيارة ليس بسنة . وأنشد بعضهم :

تمام الحج أن تقف المطايا ∴ على ليلى وتقرئها السلاما

«وفى الواقعات» : الأحسن بالحاج أن يبدأ بمكة فإذا قضى نسكه بمكة أتى المدينة ؛ لأن الحج فرض والزيارة سنة ، ولو كان الحج غير حجة الإسلام يبدأ بأيهما شاء ، ولو بدأ بالمدينة فى الوجه /[١٧٩/أ] الأول جاز ، وإذا نوى زيارة قبر النبى ﷺ فلينو مع ذلك زيارة مسجده ؛ لأنه أحد المساجد الثلاثة .

وأما كيفية زيارته ﷺوزيارة ضجيعيه رضى الله عنهما

فإذا توجه إلى زيارة قبره الشريفﷺ أكثر من الصلاة والتسليم على سيدنا محمد البشير النذير ﷺ فى طريقه ، وينبغى أن ينيخ بالبطحاء التى بذى الحليفة وهى المعرس ويصلى بها ؛ تأسيا بسيدنا رسول الله ﷺ وكان ابن عمر -رضى الله عنهما- شديد الحرص على ذلك ، ويروى عن نافع أنه انقطع عن ابن عمر حتى سبقه إلى المعرس ثم جاء إليه فقال له : ما حبسك عنى ، فأخبره فقال : إنى ظننت أنك أخذت الطريق الأخرى ولو فعلت لأوجعتك ضرباً .

وليزد فى الصلاة والسلام عليه ﷺ إذا وقع بصره على معاهد المدينة وحرمها ونخيلها وآبارها ، وكلما قرب من المدينة وعمرانها زاد من الصلاة والتسليم، وسأل الله تعالى أن ينفعه بزيارته فى الدنيا والآخرة ويستشعر[1] تعظيم عرصاتها ويتخيل منازلها ورحباتها فإنها المواطن التى عمرت بالوحى والتنزيل ، وكثر فيها تردد أبى الفتوح جبريل وأبى الغنائم ميكائيل ، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر ، وانتشر عنها من دين الله تعالى وسنن رسول الله ﷺ ما انتشر ، وقد أحسن ناظم هذه الأبيات رادًّا على من أنكر سماع رسول الله ﷺ من المصلى عليه الصلاة ، وهى هذه الأبيات /[١٧٩/ب] :

ألا أيها الغادى إلى يثرب مهلاً ∴ لتحمل شوقاً ما أطيق له حملا
تحمَّل رعاك الله منى تحية ∴ وبلغ سلامى رُوح من طيبة حلا
وقف عند ذاك القبر فى الروضة التى ∴ تكون على يمنى المصلى إذا صلى
وقم خاضعًا فى مهبط الوحى خاشعًا ∴ وخفض هناك الصوت واسمع لما يتلى

---

(١) فى الأصل غير واضحة ، ولعل الصواب ما أثبتناه . والله أعلم .

وناد سلام الله ياقبر أحمــــــــد ∴ على جسد لم يبل فيك ولن تبلــــى
تراني أراني عند قبرك قائمــــــا ∴ يناديكم عبد ماله غيركم مولــــى
وتسمع عن قرب صلاتي مثلمــــا ∴ تبلغ عن بعد صلاة الذى صلــــى
أناديك يا خير الخلائق والـــــذى ∴ به ختم الله النبيين والرســـــلا
نبى الهدى لولاك لم نعرف الهـــدى ∴ ولولاك لم نعرف حراماً ولاحــــلا
ولولاك لاوالله ما كان كائــــن ∴ ولم يخلق الرحمن جزءًا ولا كــــلا

واستحب بعض[1] العلماء أن يقول : اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لى وقاية من النار ، وأماناً من العذاب وسوء الحساب ، اللهم افتح لى أبواب رحمتك ، وارزقنى فى زيارة رسولك ﷺ مارزقته أولياءك وأهل طاعتك ، واغفر لى وارحمنى يا خير مسئول . وما يفعله بعض الناس من النزول عن الرواحل عند رؤيتهم المدينة والحرم النبوى ، ومشيهم إما قليلاً أو إلى أن يصلوا لابأس به ؛ لأنه ﷺ لم ينكر على وفد عبد القيس حين نزلوا عن الرواحل لما رأوهﷺ ، وتعظيم جهته ﷺ وحرمه المقدس بعد وفاته كهو فى حياته . وحكى القاضى عياض فى «الشفاء»[2]: أن أبا الفضل الجوهرى لما ورد المدينة زائرًا وقرب من بيوتها ترجّل ومشى باكيًا ، منشداً:

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ∴ فؤادًا لعرفان الرسوم ولالبّى/[١٨٠/أ]
نزلنا عن الأكوار نمشى كرامة ∴ لمن بان عنه أن نلمَّ به رَكْبـــــا

وينبغى أن يغتسل عند دخولها أو يتوضأ كما ذكرنا فى دخول مكة ، ويلبس أنظف ثيابه والجديد أفضل ويتطيب ، ثم يدخل المدينة الشريفة قائلاً : بسم الله رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً ، وليكن خاضعاً خاشعاً معظماً لحرمتها ، مكثرًا من الصلاة والسلام على سيدنا رسول اللهﷺ قاصداً المسجد الشريف ، وليحضر فى نفسه شرف البقعة وجلالة مَن شرفت به ، وأنها دار هجرته ومهبط وحيه وأصل الأحكام ومنبع الإيمان ، وليكن ممتلئ القلب من هيبته ﷺ كأنه يراه ، وليمتثل فى نفسه إذا مشى مواضع الأقدام الشريفة النبوية فلعله فى موضع قدميه العزيزتين، فلا يضع قدمه إلا بسكينة ووقار كما كان ﷺ يمشى ، ومن الأدب إذا دخلها أن لايركب فيها كما كان مالك -رحمه الله- يفعل وكان يقول : استحيى من الله عز وجل أن أطأ

---

(١) راجع إحياء علوم الدين للغزالى (٢٢٩/٤) .
(٢) الشفاء (٤٩/٢) .

تربة فيها رسول الله ﷺ بحافر دابة[1]. فإذا وصل باب المسجد الشريف فيدخل من باب جبريل عليه السلام ، ويقدم رجله اليمنى فى الدخول واليسرى فى الخروج وليقل ما قدمناه فى دخول المسجد الحرام ، وليدخل بخضوع وتذلل وأدب ، حامداً لله تعالى شاكراً له على نعمته عليه ، واستحب العلماء أن يقصد أول دخوله الروضة المقدسة وهى بين المنبر والقبر المقدس ، فيصلى تحية المسجد فى مصلى رسول الله ﷺ وهى الحفرة أو فى غيره من الروضة أو من المسجد ، فإذا صلى /[١٨٠/ب] التحية شكر الله تعالى على ما أنعم به عليه ، وسأله إتمام النعمة بقبوله زيارته . قال الكرمانى : ويسجد بعد تحية المسجد سجدة شكرًا لله تعالى على وصوله إلى تلك البقعة الشريفة والروضة المنيفة . وفى« الاختيار»[2]: يسجد شكرًا لله على ما وفقه ، فإن خاف فوت المكتوبة بدأ بها وكفته عن تحية المسجد، ثم ينهض إلى القبر الشريف المقدس من ناحية القبلة فيقف قبالة وجهه الشريف . قال رشيد الدين : فيستدبر القبلة ويستقبل المسمار الفضة الذى بجدار القبر المقدس ، على نحو أربعة أذرع من السارية التى هى غربى رأس القبر الشريف فى زاوية جداره . وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : يقف على نحو ثلاثة أذرع من الجدار ويجعل القنديل الكبير على رأسه ، ناظراً إلى الأرض غاض الطرف فى مقام الهيبة والتعظيم والإجلال ، فارغ القلب من علائق الدنيا ، مستحضراً فى نفسه جلالة موقفه ومنزلة مَن هو بحضرته ، وعلمه ﷺ بحضوره وقيامه وسلامه ، ويمثل صورته الشريفة فى حياته موضوعاً فى لحده .

واستدبار القبلة هو المستحب عند مالك والشافعية والحنابلة . واختلفت عبارة أصحابنا فى ذلك : ففى مناسك الفارسى والكرمانى عن أبى الليث: يقف مستقبل القبلة مستدبر القبر المقدس ، ويضع يمينه على شماله كما فى الصلاة وهذا شاذ ، والصحيح المعتمد عليه أنه يقف عند الرأس المقدس بحيث يكون على يساره ، ويبعد عن الجدار قدر أربعة أذرع ، ثم يدور إلى أن يقف قبالة الوجه المقدس مستدبر القبلة ، ويصلى عليه ﷺ ثم يسلم على أبى بكر و على عمر – رضى الله عنهما – /[١٨١/أ] .

وروى الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه فى مسنده عن نافع عن ابن عمر –رضى الله عنهما– قال : من السنة أن تأتى قبر رسول الله ﷺ من قبل القبلة ، وتجعل ظهرك إلى القبلة وتستقبل القبر بوجهك ثم تقول : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته . وليس من السنة أن يمس الجدار أو يقبله بل الوقوف من البعد أقرب إلى الإحرام ، ومن الآداب أن

---

(١) راجع الشفاء (٤٨/٢) .

(٢) (٢٢٦/١) .

لايرفع صوته بالتسليم ولا يمس القبر بيده ولايقف عند القبر طويلاً ، ويرون أن أبا جعفر المنصور ناظر مالك بن أنس فى مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لاترفع صوتك فى هذا المسجد ، فإن الله عز وجل أدب قومًا فقال : ﴿**لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى** ..﴾[1] الآية . ومدح قوما فقال : ﴿ **إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله** ﴾[2]. الآية. وذم أقواما فقال: ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات**﴾[3]. الآية . وإن حرمته ميتًا كحرمته حيا . فاستكان لها أبو جعفر وقال : يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو ، أم أستقبل رسول الله ﷺ ؟ فقال : ولم تصرف وجهك عنه ، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم - عليه السلام - إلى الله تعالى يوم القيامة، بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك . رواه الحافظ ابن بشكوال ، ثم القاضى عياض - رحمه الله - فى «الشفاء»[4].قال ابن جماعة : ولايلتفت إلى قول من زعم أنه موضوع، لهواه الذى أرداه.

قال الحافظ محب الدين : وعلامة الوقوف تجاه الوجه الكريم مسمار فضة مضروبة فى رخامة حمراء[5]. /[١٨١/ب]

قال المرجانى فى «بهجة النفوس» : وجميع التواريخ المتقدمة يذكرون العلامة بالمسمار ويصفونه بأنه صفر ولعله غيِّر، والذى هو موجود الآن عياناً ومشاهدة أنه من فضة . والله أعلم .

وأما الدلالة بالقنديل فقال الشيخ جمال الدين : الآن هناك عدة قناديل جددت بعد احتراق المسجد ، ثم قال : وموقف الناس اليوم للسلام على رسول الله ﷺ عرصة بيت أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب -رضى الله تعالى عنها -[6].

قال المرجانى : وذكر لى بعض المتبصرين أنه أتى للسلام على النبى ﷺ يرى فى الحجر الأسود الذى تحت الرخامة الحمراء الذى فيها المسمار الفضة ، صورة شخص له شعر طويل ، مرة يعرفه ومرة يتركه ، وهو ينظر إلى من يأتى للسلام على رسول الله ﷺ

---

(١) سورة الحجرات : الآية (٢) .

(٢) سورة الحجرات : الآية (٣) .

(٣) سورة الحجرات : الآية (٤) .

(٤) الشفاء (٣٥/٢) .

(٥) الدرة الثمينة (ص ٢٢٣) .

(٦) التعريف بما آنست الهجرة (ص ٤٨) .

فمرة يتبسم فى وجه المسلم ومرة لاينظر إلى أحد ، وأكثر قعوده ثانياً إحدى رجليه نصف تربيعة وركبته الأخرى قائمة، ومن جانبه الأيمن مما يلى الروضة شخص آخر ، ومن جانبه الآخر الأيسر البكرى شخصان آخران ، قال الراءى : فعدمت الخشوع فى ذلك المحل الشريف بسبب رؤيتى لهما وشغل خاطرى بهما . قال المرجانى : إشارة أيضاً إلى إثبات الوقار والحرمة المحركة لخواطر الاعتبار ، سمعت والدى -رحمه الله - يقول : صلينا يوماً الظهر بحرم المدينة ، وأقبل طائر عظيم أبيض طويل الساقين أتى من جهة باب السلام ، وهو يطير مع جدار القبلة ، وقد ملأ جناحاه ما بين الحائط القبلى والسوارى ، فلما حاذى المحراب وقف ومشى قليلاً قليلاً إلى أن وصل /[١٨٢/أ] إلى الشباك موقف المُسلمين على رسول الله ﷺ ، فاستقبل النبى ﷺ ووقف ، وجعل يضع منقاره على الأرض ويرفعه مراراً إلى أن فرغ الناس من صلاتهم ، واجتمعوا عليه ينظرونه ثم مشى حتى خرج إلى صحن المسجد إلى نحو الحجارة التى يذكر أنها حد المسجد القديم ، ثم فتح أجنحته وطار مرتفعاً فى الجو غير مائل يميناً ولا شمالاً حتى غاب عن أعيننا .

كيفية السلام عليه ﷺ حال الزيارة والسلام على ضجيعيه رضى الله عنهما

ليقل بخضوع قلب وغض طرف وخفض صوت وسكون جوارح : السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك يا نبى الله ، والسلام عليك يا خيرة الله من خلقه ، السلام عليك ياحبيب الله ، السلام عليك ياصفوة الله ، السلام عليك ياسيد الأنبياء والمرسلين ، السلام عليك ياخاتم النبيين ، السلام عليك ياخيرالخلائق أجمعين ، السلام عليك ياقائد الغر المحجلين ، السلام عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين ، السلام عليك وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين ، السلام عليك وعلى أصحابك وآلك أجمعين ، السلام عليك وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وسائر عباد الله الصالحين ، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، جزاك الله عنا يا رسول الله أفضل ما جزى نبيا ورسولاً عن أمته ، صلى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون ، وغفل عن ذكرك الغافلون ، وصلى عليك فى الأولين والآخرين أفضل وأكمل وأطيب ما صلى على أحد من خلقه أجمعين ،كما استنقذنا بك من /[١٨٢/ب] الضلالة ، وبصرنا بك من العماية ، وهدانا بك من الجهالة ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وخيرته من خلقه ، وأشهد يا رسول الله أنك بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وكشفت الغمة ، وجاهدت فى الله حق جهاده ، وعبدت ربك حتى أتاك اليقين ، ونحن وفدك يا رسول الله وأضيافك ، جئنا إلى جنابك الكريم من بلاد شاسعة وأماكن بعيدة ، نقصد بذلك قضاء

حقك علينا ، والنظر إلى مآثرك ، والتيمن بزيارتك ، والتبرك بالسلام عليك ، والاستشفاع بك إلى ربنا عز وجل ، فإن خطايانا قد قصمت ظهورنا ، وأوزارنا قد أثقلت كواهلنا ، وأنت الشافع المشفع ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا** ﴾[1]. وقد جئناك يا رسول الله ظالمين لأنفسنا مستغفرين لذنوبنا ، فاشفع لنا إلى ربنا ، واسأله أن يميتنا على سنتك ، ويحشرنا في زمرتك ، ويسقينا بكأسك غير خزايا ولا ندامى ، ويرزقنا مرافقتك في الفردوس الأعلى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، يا رسول الله الشفاعة الشفاعة ، اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ، وإنه نهاية ما ينبغي أن يسأله السائلون ، وخصّة بالمقام المحمود والوسيلة والفضيلة والدرجة العالية ، وبغاية ما ينبغي أن يأمله الآملون ، اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد وأزواجه /[١٨٣/أ] وذريته ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، ثم يتحول إلى صوب يمينه بقدر ذراع فيسلم على أبي بكر ﷺ ؛ لأن رأسه بحيال منكب رسول الله ﷺ عند الأكثرين ، فيقول : السلام عليك يا خليفة رسول الله ﷺ ، وصفيه وثانيه في الغار أبا بكر الصديق ، جزاك الله عن أمة محمد خيرًا ، ولقّاك في القيامة أمنًا وبرًّا ، ثم يتأخر إلى صوب يمينه بقدر ذراع فيسلم على عمر ؛ لأن رأسه عند منكب أبي بكر ﷺ عند الأكثرين ، فيقول : السلام عليك يا أمير المؤمنين عمر الفاروق الذي أعز الله بك الإسلام ، جزاك الله عن الإسلام وأمة نبيه محمد ﷺ خيرًا .

ومن قال من الحنفية : إنه يستقبل القبلة عند السلام على رسول الله ﷺ قال : إذا أراد السلام على أبي بكر يتحول عن يساره مقدار ذراع ، وكذلك يفعل للسلام على عمر ﷺ ، ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه النبي ﷺ ، فيحمد الله تعالى ويمجده ، ويصلي على النبي ﷺ ، ويتوسل إلى الله تعالى به في حوائجه ، ويستشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى ، ويدعو لنفسه ولوالديه وللمؤمنين ولمن أحب بما أحب ، ويختم دعاءه بآمين وبالصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ .

وفي «مناسك الفارسي» : إذا فرغ من السلام على عمر ﷺ يرجع قدر نصف ذراع فيقف بين رأس الصديق ورأس الفاروق ويقول : السلام عليكما يا ضجيعي

---

(١) سورة النساء : الآية (٦٤) .

رسول الله ﷺ ، السلام عليكما يا صاحبي رسول الله ﷺ ، السلام /[١٨٣/ب] عليكما يا وزيري رسول الله ﷺ ، المعاونين له في الدين والعاملين بسنته حتى أتاكما اليقين ، فجزاكما الله خير جزاء ، جئنا يا صاحبي رسول الله ﷺ زائرين لنبينا وصديقنا وفاروقنا، ونحن نتوسل بكما إلى رسول الله ﷺ ليشفع لنا . انتهى . وكذلك ذكر في «الاختيار»[(١)]. ثم يتقدم إلى رأس القبر الشريف فيقف بين القبر والإسطوانة التي هناك ، ويستقبل القبلة ويجعل الرأس المقدس عن يساره ويحمد الله تعالى ويثني عليه ، ويصلي على النبي ﷺ ويدعو لنفسه ولمن أحب بما أحب .

قال قاضي القضاة عز الدين بن جماعة : وما ذكره من العود إلى قبالة وجهه الشريف ومن التقدم إلى رأس القبر المقدس للدعاء عقب الزيارة ، لم ينقل عن فعل الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين - رحمهم الله - ؛ ومن عجز عن حفظ ما قدمنا ذكره عند السلام عليه ﷺ أو ضاق وقته اقتصر على بعضه ، واقلّه السلام عليك يا رسول الله ﷺ ، والمروي عن جماعة من السلف ألا يجاز في هذا جدًّا ، فعن الإمام مالك - رحمه الله - أنه كان يقول : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . وعن ابن عمر أنه كان إذا قدم من سفر دخل المسجد ، ثم أتى القبر الشريف وقال : السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه ثم ينصرف . ثم إن كان أحد أوصاه بالسلام على رسول الله ﷺ فليقل : السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان ، أو فلان بن فلان يسلم عليك يا رسول الله ، أو نحو هذا من العبارات . ويروى أن عمر بن عبد العزيز كان يوصي بذلك /[١٨٤/أ] ويرسل البريد من الشام بذلك كما قدمناه .

وروى ابن أبي فديك وهو من علماء أهل المدينة ، وممن روى عنه الشافعي قال : سمعت بعض مَن أدركت يقول : بلغنا أن من وقف عند قبر النبي ﷺ فتلا هذه الآية : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي** ﴾[(٢)]. الآية ثم قال : صلى الله عليك يا محمد سبعين مرة ، ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ، ولم يسقط له حاجة[(٣)]. ومن أحسن ما

---

(١) (٢٢٨/١) .

(٢) سورة الأحزاب : الآية (٥٦) .

(٣) مثير الغرام (ص ٤٨٧) ، والدرة الثمينة (ص ٢٢٣) ، والبيهقي في شعب الإيمان ح (٤١٦٩) والشفاء (٧٥/٢) .

يقول ما حكاه العلماء عن العتبى «مستحبين»[1] قال : كنت جالسًا عند قبر النبى ﷺ فجاء أعرابى فقال : السلام عليك يا رسول الله سمعتُ الله يقول : ﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيمًا** ﴾[2]. وقد جئتك مستغفرًا من ذنبى ، مستشفعًا بك إلى ربى ، ثم أنشأ يقول :

يا خير مَن دُفنت بالقاع أعظُمُه .·. فطاب مِن طيبهنَّ القاعُ والأكَمُ

نفسى الفِداءُ لقبرٍ أنت ساكنه .·. فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم استغفر وانصرف ، فغلبتنى عيناى فرأيت النبى ﷺ فى المنام فقال : يا عتبى الْحق بالأعرابى فبشره أن الله قد غفر له[3]. قال بعض العلماء : يقول الزائر بعد السلام والصلاة عليه ﷺ : اللهم إنك قلت وقولك الحق : ﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك** ﴾ . الآية . اللهم إنا قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك ، وقصدنا نبيك هذا ﷺ مستشفعين به إليك من ذنوبنا ، [١٨٤/ب] وما أثقل ظهورنا من أوزارنا ، تائبين إليك من زللنا ، معترفين بخطايانا وتقصيرنا ، اللهم فتب علينا ، وشفع نبيك هذا فينا ﷺ ، وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك ، اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاًّ للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ، ولله در هذا الأعرابى حيث استنبط من الآية الكريمة المجيء إلى زيارته ﷺ بعد موته مستغفرًا ، فإن ذلك أظهر فى قصد التعظيم وصدق الإيمان ، واستغفار الرسول ﷺ بعد الموت حاصل ؛ لأنه الشفيع الأكبر يوم القيامة ، والوسيلة العظمى فى طلب الغفران ورفع الدرجات ، من بين سائر ولد آدم ، والمجيء إليه بعد موته تجديد لتأكيد التوسل به إلى الله تعالى وقت الحاجة ، وقد خمس هذين البيتين الشيخ محمد بن أحمد بن أمين الأقشهرى - رحمه الله تعالى - فقال:

خيرُ المزار لدينا ثم أعظَمه .·. وخير مَن سرَّ عرش الرب مقدمُه

ناديته بمقول وهو أقومه .·. يا خير مَنْ دفنت فى الترب أعظُمُه

فطاب من طيبهن القاع والأكمُ

طوبى لجاركم طابت مساكِنه .·. جار بجار وجار المرتع آمنُهُ

قول إذا قلت تشفينى محاسنه .·. نفسى الفداءُ لقبر أنت ساكنُهُ

فيه العفاف وفيه الجود والكرمُ

---

(١) كذا فى الأصل ، وقد ذكره بعض العلماء « مستحسنين له » .

(٢) سورة النساء : الآية (٦٤) .

(٣) الدرة الثمينة (ص ٢٢٤) ، والبيهقى فى الشعب ح (٤١٧٨) ، ومثير الغرام (ص ٤٩٠) .

قال عز الدين بن جماعة : وشتان بين هذا الأعرابى وبين من أضله الله فحرَّم السفر إلى زيارته ﷺ ، وهى من أعظم القربات كما قدمناه ولبعض زوار النبى ﷺ /[١٨٥/أ]

أتيتك زائرًا وودت أنـــى ∴ جعلت سواد عينى أمتطيه
وما لى لا أسير على جفونى ∴ إلى قبر رسولُ الله فيـــه

قال القاضى عياض[١] - رحمه الله - : وجدير بمواطن عمرت بالوحى والتنزيل ، وتردد بها جبريل وميكائيل ، وعرجت منها الملائكة والروح ، وضجت فى عرصاتها بالتقديس والتسبيح ، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر ، وانتشر عنها من دين الله وسنة نبيه ما انتشر ، مدارس آيات ، ومساجد وصلوات ، ومشاهد الفضائل والخيرات ، ومعاهد البراهين والمعجزات ، ومساكن الدين ، ومشاعر المسلمين ، وموقف سيد المرسلين، ومتبوأ خاتم النبيين ، حيث انفجرت النبوة وفاض عبابها ، ومواطن مهبط الرسالة، وأول أرض مسَّ جلد المصطفى ترابُها ، أن تعظم عرصاتها ، وتنسم نفحاتها ، وتقبّل ربوعها وجدرانها ، وأنشد :

يا دار خير المرسلين ومَن بـه ∴ هدى الأنام وخص بالآيـــاتِ
عندى لأجْلك لوعة وصبابـة ∴ وتشـــوق متوقد الجـــمراتِ
وعلىّ عهد إن ملأت محاجرى ∴ من تلكم الجدرات والعرصاتِ
لأعفرن مصون شيبى بينهـــا ∴ من كثرة التقبيل والرشفـــاتِ
لولا العوادى والأعادى زرتها ∴ أبدًا ولو سحبًا على الوجناتِ
لكن سأهدى من حفيل تحيتى ∴ لقطين تلك الدار والحجـراتِ
أزكى من المسك المفتق نفحة ∴ تغشاه بالآصال والبكـــراتِ
وتخصه بزواكى الصلـــوات ∴ وتوأمى التسليم والبركـــاتِ

قال مؤلفه:

---

(١) فى الشفاء (٢/٤٩ ، ٥٠) .

قال مؤلفه:

انتهى إكماله بمعونة الله وتوفيقه على يد الفقير إلى الله تعالى أحمد أبي السرور بن عدى بن أبي الليث بن الضياء الحنفي . عامله /[١٨٥/ب] الله بلطفه الخفي ، ومن كتب بسببه، وبلغه غاية أربه ، وذلك في اليوم المبارك يوم السبت حادى عشر محرّم الحرام عام أربع وعشرين وتسعمائة ، والحمد لله على التيسير والإتمام وعلى الإفضال والإنعام ، وأشكره على كل حال ، مدى الدهر والأيام وأصلى على نبينا محمد ، أفضل مَن صلّى وحج البيت الحرام وصام ، المبعوث إلى الأحمر والأسود ، والخاصّ والعام ، عدد مَن سبّح الله وقدسه من أول الدنيا إلى يوم القيام ، وعلى آله وأصحابه الأخيار الأعلام ، جعلنا الله في زمرتهم في دار السلام ، بمنه وكرمه ، آمين ، والحمد لله رب العالمين .

تم الكتاب بعون الملك الوهاب على يد العبد الفقير عليها :

عاشور بن عبد الكريم بن محمد بن رجب بن محمد ، البرلسي أصلاً ، الإدكاوى مولداً ، الحسيني الشافعي ، أصلح الله شأنه وصانه عما شانه ، وذلك في يوم الأحد المبارك سابع عشر في رجب الفرد الحرام سنة ثلاثة ومائة وألف .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمصا كثيرا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين ./[١٨٦/أ] .

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
فمن يأتيكم بماء معين	الملك	٣٠	٢٠٨
والمرسلات عرفًا	المرسلات	١	٢٠٦
يا أيها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية	الفجر	٢٧ ، ٢٨	٣١٥
لا أقسم بهذا البلد	البلد	١	٢
ووجدك ضالاً فهدى	الضحى	٧	٢٢٣
هذا البلد الأمين	التين	٣	٢
ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل	الفيل	١	٨٥
وأرسل عليهم طيرًا أبابيل	الفيل	٣	٨٦ ، ٨٧
ترميهم بحجارة من سجيل	الفيل	٤	٨٧
فجعلهم كعصف مأكول	الفيل	٥	٨٧
تبت يدا أبى لهب وتب	المسد	١	٧٥

فهرس الأحاديث والآثار

فهارس الأعلام

أسماء الأنبياء والرســـل

أسماء الملوك والأمراء والوزراء

بقية الأعلام

الكنى

الأبناء

النساء

فهرس المساجد

فهرس البلدان والأماكن

فهرس القبائل

فهرس الجبال

فهرس البحار والأنهار والأبار والعيون

فهرس الأشعار

قائمة المصادر

١ - إتحاف الورى بأخبار أم القرى - لابن فهد ٨٨٥ هـ
طبعة مطبعة الخانكى

٢ - الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان - للأمير علاء الدين بن بلبان ٧٣٩ هـ
طبعة مؤسسة الرسالة / الطبعة الأولى

٣ - إحياء علوم الدين - للغزالى ٥٠٥ هـ
طبعة دار المعرفة - بيروت

٤ - أخبار مكة فى قديم الدهر وحديثه - للإمام محمد بن إسحاق الفاكهى ٢٧٢ هـ
طبعة مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة / الطبعة الأولى

٥ - أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار - لأبى الوليد الأزرقى نحو ٢٥٠ هـ
طبعة دار الثقافة بيروت / الطبعة الثالثة

٦ - الاختيار لتعليل المختار - عبد الله بن محمود بن مودود
طبعة الأزهر

٧ - الأعلام - للزركلى ١٣٩٦ هـ
طبعة دار العلم للملايين - بيروت / الطبعة السابعة

٨ - الأوائل - لأبى القاسم الطبرانى ٣٦٠ هـ
طبعة دار الفرقان - الأردن ، ومؤسسة الرسالة - بيروت

٩ - الإيضاح فى مناسك الحج - للإمام النووى ٦٧٦ هـ
طبعة دار الكتب العلمية - بيروت / الطبعة الأولى

١٠ - البداية والنهاية - للحافظ ابن كثير ٧٧٤ هـ
طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ودار الحديث / الطبعة الأولى

١١ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - للشوكانى ١٢٥٠ هـ
طبعة دار المعرفة - بيروت

١٢ - تاج العروس - لأبي الفيض محمد مرتضى الزبيدى
المطبعة الخيرية - بجمالية مصر / الطبعة الأولى
تصوير دار صادر - بيروت
١٣ - تاريخ الطبرى - للإمام أبى جعفر الطبرى ٣١٠ هـ
طبعة دار المعارف المصرية / الطبعة الرابعة
١٤ - تاريخ المدينة عمر بن شبه
١٥ - التبر المسبوك - للسخاوى ٩٠٢ هـ
١٦ - تحفة الأشراف - للحافظ المزى ٧٤٢ هـ
طبعة المكتب الإسلامى والدار القيمة / الطبعة الثانية
١٧ - تحقيق النصرة - للمراغى
١٨ - التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة- للقرطبى ٦٧١ هـ
طبعة المكتبة التوفيقية / الطبعة الثانية
١٩ - الترغيب والترهيب - للحافظ المنذرى ٦٥٦ هـ
طبعة دار الحديث / الطبعة الأولى
٢٠ - التعريف بما آنست الهجرة - جمال الدين المطرى
٢١ - تفسير ابن أبى حاتم - للإمام ابن أبى حاتم الرازى ٣٢٧ هـ
رسائل دكتوراه
٢٢ - تفسير ابن كثير - للحافظ ابن كثير ٧٧٤ هـ
طبعة دار التراث - ودار المعرفة
٢٣ - تقريب التهذيب - للحافظ ابن حجر العسقلانى ٨٥٢ هـ
طبعة دار العاصمة
٢٤ - تلخيص المستدرك (بهامش مستدرك الحاكم) - للذهبى ٧٤٨ هـ
طبعة دار المعرفة
٢٥ - التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد - لابن عبد البر ٤٦٣ هـ
طبعة وزارة الأوقاف المغربية / الطبعة الأولى

٢٦ - تهذيب الأسماء واللغات - للإمام النووى ٦٧٦ هـ
طبعة دار الكتب العلمية - بيروت
٢٧ - تهذيب تاريخ دمشق - لعبد القادر بن بدران ١٣٤٦ هـ
طبعة دار المسيرة - بيروت / الطبعة الثانية
٢٨ - تهذيب الكمال - للحافظ المزى ٧٤٢ هـ
طبعة مؤسسة الرسالة / الطبعة الثانية
٢٩ - جامع البيان عن تأويل آى القرآن - للإمام الطبرى ٣١٠ هـ
طبعة دار الفكر - بيروت ودار المعارف المصرية
٣٠ - الجامع الصغير - السيوطى ٩١١ هـ
طبعة مصطفى الحلبى
٣١ - الجامع لأحكام القرآن - للإمام محمد بن أحمد القرطبى ٦٧٦ هـ
طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب / الطبعة الثالثة
٣٢ - الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف - لابن ظهيرة القرشى
طبعة إحياء الكتب العربية / الطبعة الأولى
٣٣ - حياة الحيوان - للدميرى
٣٤ - الدرة الثمينة - محب الدين بن النجار ٦٤٣ هـ
طبعة مكتبه الثقافة الدينة / الطبعة الأولى
٣٥ - دلائل النبوة - للبيهقى ٤٥٨ هـ
طبعة دار الكتب العلمية - بيروت / الطبعة الأولى
٣٦ - الروض الأنف - للسهيلى ٥٨١ هـ
طبعة دار الفكر
٣٧ - زاد المعاد فى هدى خير العباد - لابن القيم ٧٥١ هـ
طبعة مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية / الطبعة الخامسة عشر
٣٨ - سنن ابن ماجه - للحافظ أبى عبد الله القزوينى ٢٧٥ هـ
طبعة إحياء الكتب العربية

٣٩ - سنن أبى داود - لأبى داود السجستانى ٢٧٥ هـ
طبعة دار الفكر والمكتبة العصرية - بيروت

٤٠ - سنن الترمذى - للإمام أبى عيسى الترمذى ٢٧٩ هـ
طبعة إحياء التراث العربى ودار الكتب العلمية - بيروت

٤١ - سنن الدارقطنى - للدارقطنى ٣٨٥ هـ
طبعة دار الفكر - بيروت

٤٢ - سنن الدارمى - الدارمى ٢٥٥ هـ
طبعة الريان / الطبعة الأولى

٤٣ - سنن النسائى (وبهامشها شرح السيوطى وحاشية السندى) - للإمام أحمد بن شعيب النسائى ٣٠٣ هـ / طبعة دار الريان

٤٤ - سنن النسائى الكبرى - للإمام أحمد بن شعيب النسائى ٣٠٣ هـ
طبعة دار الكتب العلمية / الطبعة الأولى

٤٥ - سير أعلام النبلاء - للذهبى ٧٤٨ هـ
طبعة مؤسسة الرسالة / الطبعة الأولى

٤٦ - سيرة ابن هشام (مع شرح أبى ذر الخشنى ومع الروض الأنف للسهيلى) - لابن هشام ٢١٨ هـ - طبعة مكتبة المنار - الأردن / الطبعة الأولى

٤٧ - شرح سيرة ابن هشام - لأبى ذر الخشنى ٦٠٤ هـ
طبعة مكتبة المنار - الأردن / الطبعة الأولى

٤٨ - شرح صحيح مسلم - للإمام النووى ٦٧٦ هـ
طبعة دار الريان - الطبعة الأولى

٤٩ - شعب الإيمان - البيهقى ٤٥٨ هـ
طبعة دار الكتب العلمية

٥٠ - الشفاء - القاضى عياض ٥٤٤ هـ
طبعة دار التراث

٥١ – صحيح ابن خزيمة – لإمام الأئمة أبى بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ٣١١ هـ – طبعة المكتب الإسلامى / الطبعة الأولى
٥٢ – صحيح البخارى – الإمام محمد بن إسماعيل البخارى ٢٥٦ هـ
طبعة دار الريان / الطبعة الأولى
٥٣ – صحيح مسلم – الإمام مسلم بن الحجاج ٢٦١ هـ
طبعة إحياء الكتب العربية
٥٤ – صفة الصفوة – ابن الجوزى ٥٩٧ هـ
طبعة دار الكتب العلمية – بيروت / الطبعة الأولى
٥٥ – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع – للسخاوى ٩٠٢ هـ
طبعة دار مكتبة الحياة – بيروت
٥٦ – طبقات الشافعية الكبرى – لتاج الدين السبكى ٧٧١ هـ
طبعة دار إحياء الكتب العربية
٥٧ – الطبقات الكبرى – لابن سعد ٢٣٠ هـ
طبعة دار صادر – بيروت
٥٨ – العبر فى خبر من غبر – للذهبى ٧٤٨ هـ
طبعة دار الكتب العلمية – بيروت / الطبعة الأولى
٥٩ – عجائب المخلوقات (بهامش حياة الحيوان للدميرى) – للقزوينى
٦٠ – عرائس المجالس – للثعلبى
طبعة مكتبة الشمرلى
٦١ – العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين – للإمام محمد بن أحمد الفاسى ٨٣٢ هـ
طبعة مؤسسة الرسالة / الطبعة الثانية
٦٢ – عمل اليوم والليلة – ابن السنى ٤٦٣ هـ
طبعة دار المعرفة – بيروت
٦٣ – عون المعبود شرح سنن أبى داود – شمس الحق العظيم آبادى
طبعة دار الكتب العلمية / الطبعة الأولى

٦٤ - غريب الحديث - لأبى عبيد القاسم بن سلام ٢٢٤ هـ
طبعة دار الكتاب العربى - بيروت - مصورة عن طبعة حيدرآباد - الهند
٦٥ - فتح البارى شرح صحيح البخارى - للحافظ ابن حجر ٨٥٢ هـ
طبعة دار الريان / الطبعة الأولى
٦٦ - الفتن - لنعيم بن حماد ٢٢٩ هـ
طبعة المكتبة التجارية - مكة المكرمة

٦٧ - القاموس المحيط - للفيروزآبادى ٨١٧ هـ
طبعة مؤسسة الرسالة / الطبعة الثانية
٦٨ - قصص الأنبياء - ابن كثير ٧٧٤ هـ
طبعة دار القلم - بيروت
٦٩ - الكامل فى التاريخ - للإمام محمد بن محمد بن عبد الكريم
المعروف بابن الأثير ٦٣٠ هـ - طبعة دار الكتاب العربى - بيروت / الطبعة السادسة
٧٠ - الكامل فى ضعفاء الرجال - لابن عدى ٣٦٥ هـ
طبعة دار الفكر - بيروت / الطبعة الثالثة
٧١ - الكشاف - للزمخشرى ٥٣٨ هـ
طبعة دار المعرفة - بيروت
٧٢ - كشف الأستار فى زوائد مسند البزار - للهيثمى ٨٠٧ هـ
طبعة مؤسسة الرسالة / الطبعة الثانية
٧٣ - كشف الخفا ومزيل الإلباس - للعجلونى ١١٦٢ هـ
طبعة إحياء التراث العربى
٧٤ - اللآلى المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة - للسيوطى ٩١١ هـ
طبعة دار المعرفة - بيروت
٧٥ - لسان العرب - لابن منظور ٧١١ هـ
طبعة دار صادر - بيروت

٧٦ – المبسوط – لشمس الأئمة السرخسى ٤٩٠ هـ
طبعة دار المعرفة – بيروت
٧٧ – مثير الغرام – لابن الجوزى ٥٩٧ هـ
طبعة دار الحديث / الطبعة الأولى
٧٨ – مجمع الزوائد – للهيثمى ٨٠٧ هـ
طبعة دار الكتب العلمية – بيروت
٧٩ – المجموع المغيث فى غريبى القرآن والحديث –للإمام أبى موسى المدينى ٥٨١ هـ
طبعة دار المدنى / الطبعة الأولى
٨٠ – مختصر سنن أبى داود – للمنذرى ٦٥٦ هـ
طبعة دار المعرفة – بيروت
٨١ – المدهش – لابن الجوزى ٥٩٧ هـ
طبعة دار الجيل – بيروت
٨٢ – المستدرك على الصحيحين – للإمام عبد الله الحاكم ٤٠٥ هـ
طبعة دار المعرفة – بيروت
٨٣ – مسند أبى داود الطيالسى – لأبى داود الطيالسى ٢٠٤ هـ
طبعة دار المعرفة
٨٤ – مسند الإمام أحمد – للإمام أحمد ٢٤١ هـ
طبعة المكتب الإسلامى / الطبعة الخامسة – دار المعارف تحقيق أحمد شاكر
٨٥ – مسند الحميدى – للإمام أبى بكر عبد الله بن الزبير الحميدى ٢١٩ هـ
طبعة توزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية
٨٦ – مشارق الأنوار – للقاضى عياض ٥٤٤ هـ
طبعة المكتبة العتيقة بتونس ودار التراث بالقاهرة
٨٧ – مصابح الزجاجة فى زوائد ابن ماجه – للبوصيرى ٨٤٠ هـ
طبعة دار الكتب الحديثة
٨٨ – مصنف ابن أبى شيبة – لأبى بكر بن أبى شيبة ٢٣٥ هـ

٨٩ - مصنف عبد الرزاق - للحافظ أبى بكر عبد الرزاق بن همام ٢١١ هـ
توزيع المكتب الإسلامى / الطبعة الأولى
٩٠ - معالم التنزيل - للإمام أبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى ٥١٦ هـ
طبعة دار المعرفة / الطبعة الأولى
٩١ - معالم السنن (مع مختصر السنن وتهذيب السنن) - للخطابى ٣٨٨ هـ
طبعة دار المعرفة - بيروت
٩٢ - المعجم الأوسط - للطبرانى ٣٦٠ هـ
طبعة دار الحرمين
٩٣ - معجم البلدان - لياقوت الحموى ٦٢٦ هـ
طبعة دار صادر - بيروت
٩٤ - المعجم الكبير - للطبرانى ٣٦٠ هـ
الطبعة الثانية
٩٥ - معجم المؤلفين - لعمر رضا كحالة
طبعة مكتبة المثنى - بيروت ، ودار إحياء التراث العربى - بيروت
٩٦ - المعجم الوسيط
طبعة مجمع اللغة العربية / الطبعة الثالثة
٩٧ - المغازى - للواقدى محمد بن عمر ٢٠٧ هـ
طبعة عالم الكتب - الطبعة الثالثة
٩٨ - المغنى عن حمل الأسفار - للحافظ زين الدين العراقى ٨٠٦ هـ
طبعة دار المعرفة - بيروت
٩٩ - المقاصد الحسنة فى الأحاديث المشتهرة - للسخاوى ٩٠٢ هـ
طبعة مكتبة الخانجى / الطبعة الثانية
١٠٠ - ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة - لأبى عبد الله بن رشيد ٧٢١ هـ
طبعة دار الغرب الإسلامى / الطبعة الأولى

١٠١ - المنار المنيف في الصحيح والضعيف - لابن القيم ٧٥١ هـ
طبعة مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب / الطبعة الثانية
١٠٢ - مناقب الإمام الشافعي - لفخر الدين الرازي ٦٠٦ هـ
طبعة الكليات الأزهرية / الطبعة الأولى
١٠٣ - المنتخب من مسند عبد بن حميد - للإمام ابن محمد عبد بن حميد ٢٤٩ هـ
طبعة عالم الكتب / الطبعة الأولى
١٠٤ - المنمق في أخبار قريش - لمحمد بن حبيب البغدادي ٢٤٥ هـ
طبعة عالم الكتب - بيروت / الطبعة الأولى
١٠٥ - المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي - لابن تغرى بردى الأتابكي ٨٧٤ هـ
طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٠٦ - المؤتلف والمختلف - للدارقطني ٣٨٥ هـ
طبعة دار الغرب الإسلامي - بيروت / الطبعة الأولى
١٠٧ - الموضوعات - لابن الجوزي ٥٩٧ هـ
طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة / الطبعة الأولى
١٠٨ - الموطأ - للإمام مالك بن أنس ١٧٩ هـ
طبعة إحياء الكتب العربية
١٠٩ - ميزان الاعتدال - للذهبي ٧٤٨ هـ
طبعة دار المعرفة - بيروت
١١٠ - نظم العقيان - للسيوطي ٩٠٩ هـ
١١١ - النهاية في غريب الحديث - لابن الأثير
طبعة إحياء الكتب العربية
١١٢ - الوسائل إلى معرفة الأوائل - للسيوطي ٩١١ هـ
طبعة دار الوفاء - المنصورة ومكتبة ابن قتيبة - الكويت / الطبعة الأولى
١١٣ - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى - للسمهودي
طبعة دار التراث

فهرس الموضوعات